مجموع

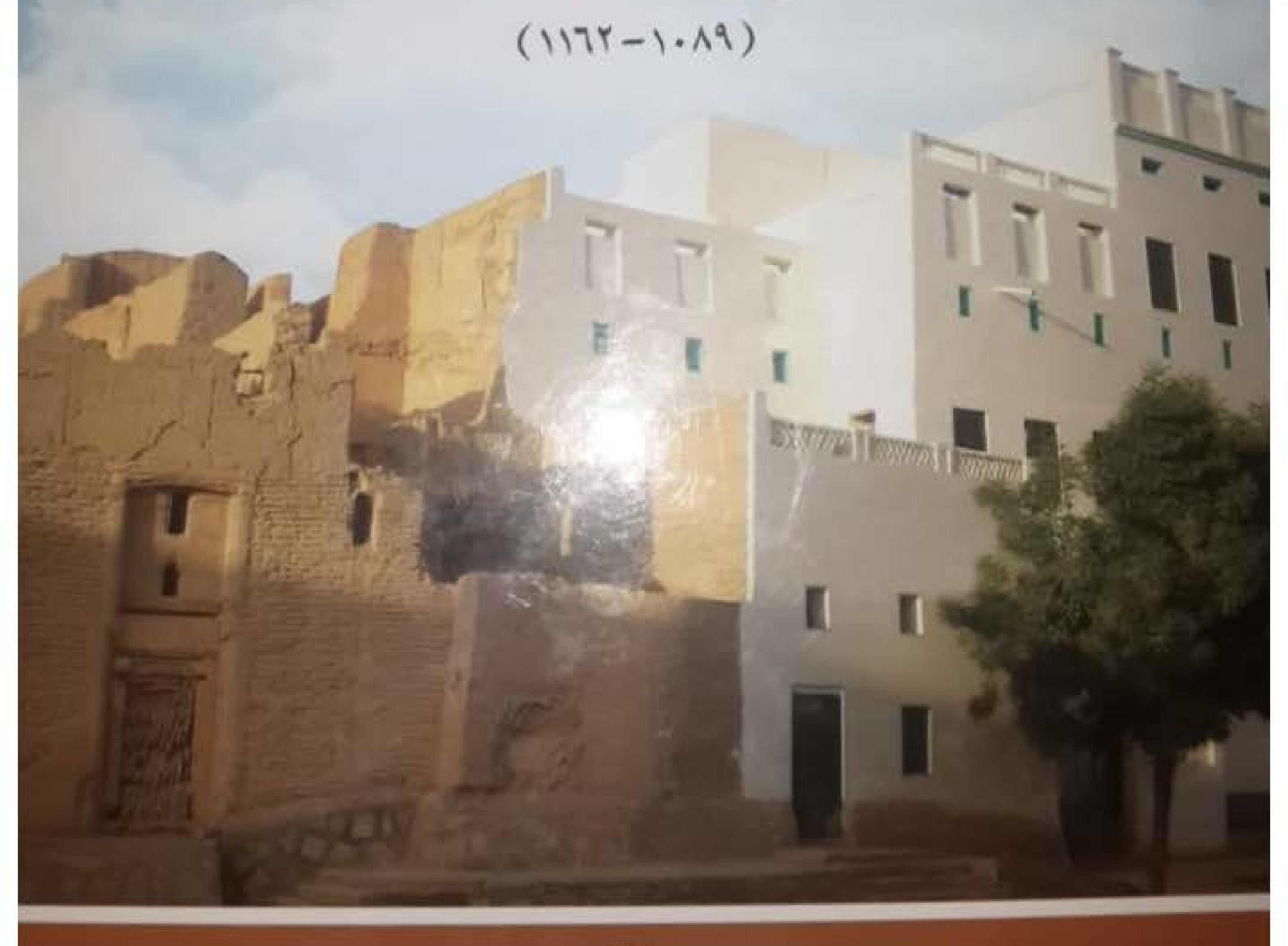
الأعمال الكاملة

لمؤلفات وفتاوى ورسائل

الإمام العلامة الحبيب

عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

(١٠٨٩-١١٦٢)



مقام الإمام

بلفقيه

مجموع الأعمال الكاملة لمؤلفات وفتاوى ورسائل

الإمام العلامة الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

الطبعة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤





تريم - حضرموت - الجمهورية اليمنية

مجموع

الأعمال الكاملة

لمؤلفات وفتاوى ورسائل

الإمام العلامة الحبيب

عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه

(١٠٨٩ - ١١٦٢)

المجلد الثاني






بسم الله الرحمن الرحيم

(١٣)

تحفة المحبين المجتهدين في فضل المجاهدين لأعداء الدين

تأليف

السيد الشريف العارف بالله تعالى
عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه



هذا الكتاب:

يعد هذا الكتاب من أندر مؤلفات علامة الدنيا، ومن أكثرها أهمية، وكل كتبه مهمة ونافعة؛ وذلك لأنه تطرق إلى موضوع ندرت فيه المؤلفات، وقلما تطرق إليه أحد من أهل عصره، ومن أبناء جيله ومصره، فالحمد لله على فضله، وتيسير العثور عليه، ونشره ولفت الأنظار إليه، وكان الإمام المؤلف رحمه الله، قد فرغ من تأليفه يوم السبت، **١٢** شوال سنة (**١١٣٤**هـ).

النسخة المعتمدة:

للكتاب نسخة فريدة نفيسة، محفوظة في مكتبة الإمام عيدروس بن عمر الحبشي (ت **١٣١٤**هـ) ببلدة الغرفة، بحضرموت، تقع في **٥٩** ورقة، بقلم تلميذ المؤلف الشيخ الفقيه إبراهيم بن المعلم عمر المؤذن بافضل، فرغ من نسخها يوم الجمعة **٢٨** شوال، سنة **١١٣٥**هـ، وكتب على صفحة العنوان:

«تأليف سيدنا وبركتنا وعمدتنا وشيخنا

الإمام المعلم الأستاذ الملاذ

السيد الشريف العارف بالله تعالى

وجيه الدين وعفيفه أبي محمد

الشيخ عبد الرحمن ابن سيدنا العلامة عبد الله بن أحمد

ابن الفقيه محمد با علوي

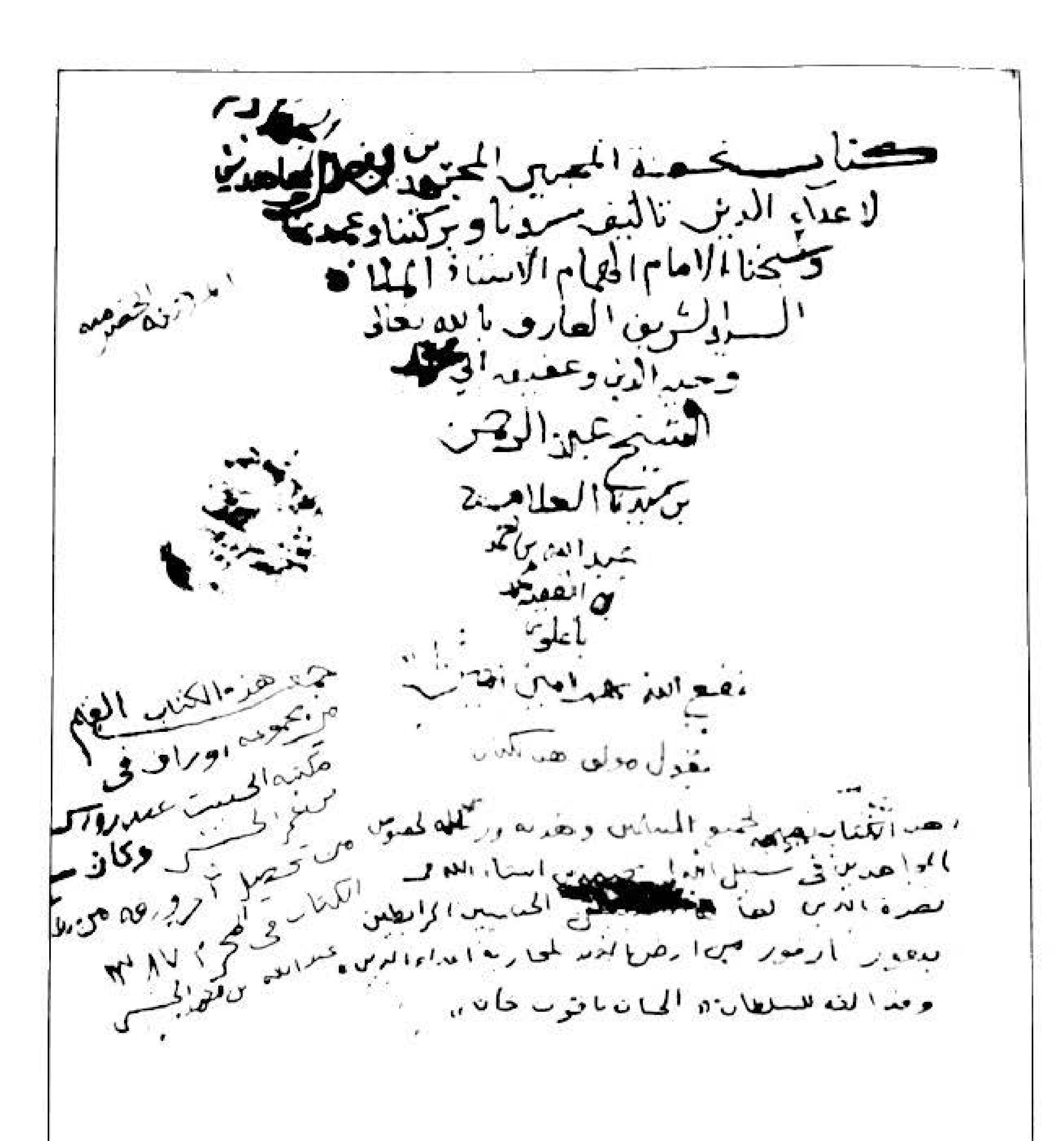
نفع الله بهم، آمين آمين».

وهذه النسخة كانت قد تبعثرت أوراقها، وتناثرت، إلى أن قيض الله لجمعها السيد البحاثة المؤرخ، عبد الله بن محمد الحبشي، حفظه الله، فجمع شتاتها، وأعاد ترتيب أوراقها، وكتب على صفحة العنوان:

«جمعت هذا الكتاب القيم من مجموعة أوراق في مكتبة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وكان الفراغ من تحصيل آخر ورقة من هذا الكتاب، في المحرم ١٣٨٧هـ.

عبد الله بن محمد الحبشي».

❊ ❊ ❊


كتاب تحفة المحبين المجتهدين بفضائل المجاهدين
لأعداء الدين تأليف سيدنا وبركتنا وعمدتنا
وشيخنا الإمام الهمام الأستاذ المفاد
السيد الشريف العارف بالله تعالى
وحيد الدين وعفيفه الشيخ عبد الرحمن
بن سيدنا العلامة
عبد الله بن أحمد
بن الفقيه محمد
باعلوي
نفع الله بهم آمين
مقدول صدق هذا الكتاب

هذا الكتاب [illegible] المسائل [illegible]
المجاهدين في سبيل الله [illegible] الله
نصرة الدين لما [redacted] الحماسيين المرابطين
[illegible] من أرض [illegible] لمحاربة أعداء الدين عبد الله بن [illegible]
وهذا الكتاب للسلطان [illegible]

جمع هذا الكتاب العظيم
من مجموعة أوراق في
مكتبة الحسين [illegible]
[illegible] وكان
من تحصيل [illegible]
الكتاب في المحرم ١٣٨٧

طرة المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي شرع الجهاد عزا وكرامة وشرفا لاهل الاجتهاد
وفرضه في سبيله على العباد ليفتح لهم به ابواب فضل في المعاش
والمعاد وليكون لهم اجرا وذخرا في الدنيا والاخرة ابد الاباد
ولو شاء الله لهدى الكفار جميعا ولكن اراد ان يبلو عباده المومنين
في حسن العمل والاعتقاد فيجازي كل محسن باحدى الحسنيين اما الشهادة
والخلود في حيوة طيبة ورزق هني بلا نفاد واما السعادة والفتح
السني ونيل المراد فكم فتح الله بفضله على المجاهدين في سبيله ومكن
لهم في البلاد واعطاهم ملكا عظيما وشرفهم وملكهم رقاب العباد
وكم منحهم من غنايم وولاهم من عظايم لا ينالها وجد واجتهاد الا بالغزو
والجهاد والصلوة والسلام على من هدى الله به العباد الى الرشاد الداعي
الى الله بنفسه وقوله وفعله في جميع طرق الجد والاجتهاد والجهاد وعلى
آله وصحبه نجوم الهدى ومفاتيح الناس في كل علم ورشاد فانه قد
جاء في فضل الجهاد في القرآن العظيم والسنة الكريمة من الآيات والاخبار
والآثار ما لا يحصيه محصي ولا يعده عاد وسنشير الى بعض ذلك فيما يجد
للتذكير والاستيناس والاستشهاد واما استيعاب ذلك والاستقصاء
فيه فهو في غاية الاستبعاد وكيف يحصى فضل الجهاد والمجاهدين وهم حزب
الله وحماة الدين قد بذلوا نفوسهم واموالهم لله رب العالمين وتصدقوا
بمهجهم وحبوتهم لما وعدهم الله من اليقين بما وعدهم به في الذكر المبين
فلا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر من المعذورين والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم على نصرة الدين ورضى رب العالمين فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم درجة في اليقين ومنزلة في الدين فكلا

الصفحة الأولى من المخطوط

٥٩

بقليل من الزهد غير كثير فلذلك من بن ذلك قال من قبيل قوا بهم ولا تراهم ٥٩٠٠
يمنع الامرا لما تحمو قتهم فلا يعطونها و بنبح القراء امرا الامراء
فلذلك يا جبريل فيم سلم من يسلم منهم فان العف والصغير
وروى الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتقوا ابواب السلطان وحواشيها فمن اثر سلطانا على الله جعل الله
الفتنة في قلبه ظاهرة وباطنة واذهب عنه الورع وتركه حايرة
ومن اثر الله على السلطان اعطاه الله الاجر من قتل شهيدا في سبيله
فهذا آخرها تيسر جمعه جعله الله خالصا لوجهه الكريم
وللهداية والارشاد الى سبيله القويم وصراطه المستقيم
وحمانا من الزيغ والزلل وغفر لنا كل اثم وخطل واصلح كل قلب
وجل انه الجواد الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
قال سيدنا المؤلف رضي الله عنه وكان اتمام تأليف هذه النسخة
المباركة ثاني عشر شوال سنة ١١٣٤ والحمد لله رب العالمين

وانتهى الفراغ من زبر هذه النسخة يوم الجمعة ثامن عشر
شوال سنة خمس وثلاثين ومايه والف بقلم الفقير الى الله
الكريم وهبي
لطف الله امين

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرع الجهاد، عزاً وكرامة وشرفاً لأهل الاجتهاد، وفرضه في سبيله على العباد، ليفتح لهم به أبواب فضل في المعاش والمعاد، وليكون لهم أجراً وذخراً في الدنيا والآخرة أبد الآباد.

ولو شاء الله لهدى الكفار جميعاً ولكن أراد أن يبلوَ عباده المؤمنين في حسْن العمل والاعتقاد، فيجازي كل محسن بإحدى الحسنين: إما الشهادة والخلودِ في حياة طيبةٍ ورزق هنيٍّ بلا نفاد، وإما السعادة والفتح السنيٍّ ونيلِ المراد.

فكمْ فتح الله بفضله على المجاهدين في سبيلِه ومكّن لهم في البلاد، وأعطاهم ملكاً عظيماً وشرفهم وملّكهم رقابَ العباد، وكم منحهم من غنائمَ وولاهم من عظائمَ لا يناها ذو جد واجتهاد، إلا بالغزو والجهاد.

والصلاة والسلام على مَن هدى الله به العباد إلى الرشاد، الداعي إلى الله بقصده وقوله وفعلِه في جميع طرق الجدّ والاجتهاد والجهاد، وعلى آله وصحبِه نجوم الهدى ومفاتيح الندى في كل حاضرٍ وباد.

***

وبعد؛

فإنه قد جاءَ في فضل الجهاد في القرآن العظيم والسنة الكريمة من الآيات والأخبارِ والآثار ما لا يحصيه محصٍ ولا يعده عاد، وسنشير إلى بعض ذلك فيما بعدُ

للتذكير والاستئناس والاستشهاد، وأما استيعابُ ذلك والاستقصاء فيه فهو في غاية الاستبعاد، وكيف يحصَى فضلُ الجهاد والمجاهدين! وهم حزب الله وحماةُ الدين، قد بذلوا نفوسهم وأموالهم لله رب العالمين، وتصدقوا بدمائهم وحياتهم لما وهبهم الله من اليقين، وفاءَ وعْدِهم به في الذكر المبين.

فـ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ من المعذورين، ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ إلى نصرة الدين، ورضا رب العالمين، ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ في اليقين، ومنزلةً في الدين، فـ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ في الدنيا والدين، فكلٌّ منهم من المحسنين. ولكن ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥] في الدارين، درجاتٍ منه عليةً في الدنيا بالنصر والتمكين، ومغفرةً لجميع الذنوبِ ورحمةً شاملة في كل حالٍ وحين.

وكيف يستوي من يتقربُ إلى الله بدمه، ومن يتقرب بدرهمه! ومن يتعبّد لله بورود حياض المنايا في مشاق المشاهد، ومن يتقرب بالركوع والسجود في عافية في ظلال المساجد، فالثبات على الدين، والطمأنينة به عند مكافحة الموت، أدلّ دليلٍ على كمال اليقين، والتمكّن في الدين؛ ولذلك لا يفتن الشهيد ولا يسأل.

[١] وفي الحديث: «كفَى ببارقة السيوف له فتنة».

فهو شهيدٌ، شهد له فعله بغاية اليقين والتمكين، فالمجاهدُون خاصةٌ من خاصةِ الله وأهله، باعوا إليه أنفسهم، فاشتراها منهم بأن لهم رضاه و﴿ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، فجازاهم الله بالفوز والرضوان.

فقد وعدهم ذلك ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾، فلا بدّ أن ينجز لهم ما وعدهم به في الدارين، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لعباده المجاهدين.

﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ﴾ يا مجاهدين ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ فإنكم لله بالله لكم أعظم الكرامة من الله ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] في الدارين.

فطوبى لعبدٍ صدقَ مع الله، وباع إليه نفسه للجهاد بحق الإيمان، فهو عبد الله حقاً، ما للشيطان عليه من سلطان، وقد أوجب الله على نفسه نصره وعونه في التوراة والإنجيل والقرآن، وله من الله الهداية والبيان وغاية الرضوان ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الموصلة إلينا فنجازيهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] بغاية الإحسان.

* * *

ولو لم يكن من فضل الجهادِ إلا أنه يُكْتَبُ للمجاهد في جريدة حسناته جميعُ حركاته وسكناته، وكلماته وسكناته، وجميع أعماله وأفعاله، وجميع آثاره في جميع أحواله، حتى روث فرسِه وبعرها، وجريها وأثرها! وقد قال الله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: في متابعة الغزو والجهاد، ومكابدة المشاق والاجتهاد، لما فيه من الفضل العظيم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠] إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

وقد كلف الله رسولَه الاجتهادَ في الجهاد، وإن لم يُساعده أحد من العباد. فقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]، فلذلك كان يباشره بنفسه، ويصرف فيه أكثر أوقاته، ولم يزل يتابع السرايا والغزواتِ إلى حين وفاته، فحق على كل مؤمن يحب الله ورسوله أن لا يرغبَ بنفسه عن نفسِ رسول الله، وأن يصرف

نفيس أوقاته لله في سبيل الله، في مجاهدة أعداء الله، ونصرة دين الله، اقتداءً برسول الله وأصحابه ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وباعوا نفوسهم لله، فينال جزاء الدنيا والآخرة، والكرامة العظيمة في الأمور الباطنة والظاهرة، كما نال أصحابُ رسول الله بالجهاد والاجتهاد.

فقد فتحَ الله عليهم البلادَ، ومكّن لهم في المقصود في كل مراد، وليكن مع الله كما كانوا، لا عدّة لهم إلا الحق والإيمان، ولا نجدة إلا الصدق والإحسان، ولا ملجأ لهم ولا حصْنَ إلا التوكل على الله والاعتصام به في جميع الشأن، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافية وحدَه في كل زمان ومكان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ فما شاء كان، ولكن ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، على حسب التقدير في الإمكان، فيختار لعبدِه المؤمن، المتوكل عليه، ما هو خير له في دينه ودنياه، من فتح وسعادة أو شهادة ورضوان: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦].

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ
[في التحذير من المنجمين والكهان]

وينبغي لمن أراد الجهادَ؛ أن يقتديَ برسول الله وأصحابه في التوكل على الله والصدق بالإيمان، ولا يقتدي بأهل الجهل والعصيان، ويتبع خطوات الشيطان، ولا يهتدي بأقوال المنَجّمين أهل الكذب والزور والبهتان.

فكيف يدّعون علم الغيب وهم لا يهتدون إلى ما يكفيهم من القوت، وشدة الحاجة إلى الناس في كل زمان، ويكف عنهم الموت والفوت وطارقات الحدثان، فما ترى أحداً منهم إلا وهو لئيمٌ مهين، محتاج إلى الناس. قد أقامه تنجيمه في الجهل والتخمين، والنقص والذل والتملق والهون، ولو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، ومن لم ينفع نفسَه فهو عن نفع غيره أعجَزُ، ومن لم يحفظ نفسه فهو لغيره أضيعُ، ولكن الشيطان يشغّب بهم على أهل الإيمان، و﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] وبهتان، وليس بضارين المؤمنين إلا بإذن الله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

[٢] وفي الحديث عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبسَ شعبةً من السحر زاد ما زاد»، رواه الإمام أحمد.

[٣] وفي روايةٍ: «من اقتبس باباً من علم النجومِ لغير ما ذكر الله، فقد اقتبسَ شعبةً من السحر، المنجّمُ كاهنٌ، والكاهن ساحرٌ كافر».

وعن قتادة قال: خلق الله هذه النجوم لثلاثةٍ: جعلها زينة للسماء، ورجوماً

للشياطين، وعلامات يهتدَى بها. فمن تأول فيها لغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا يعنيه، وما لا علم له به، وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة. والله ما جعل الله في نجمٍ حياة أحدٍ، ولا رزقه، ولا موته، وإنما يفترون على الله الكذبَ، ويتعالمون بالنجوم.

[٤] وعن عائشة قالت: سأل أناسٌ رسول الله عن الكهّان؟ فقال: «إنهم ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً. فقال رسول الله: «تلك الكلمة من الحق يحفظُها الجنيُّ، فيقرّها في أذن وليه قرَّ الدجاجةِ، فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة»، رواه البخاري ومسلم.

[٥] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهناً يصدقه بما يقولُ، فقد برئ مما أنزل الله على محمد»، رواه أحمد.

[٦] وفي رواية: «فقد كفر بما أنزل الله على محمد».

[٧] وعن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاةٌ أربعين ليلة»، رواه مسلم.

* * *

والأحاديثُ والآثار كثيرةٌ شهيرةٌ، في النهي عن إتيان المنجمين، والكهان والعرافين، وأهل الزور والبهتان، وعن الطيرة والوسوسة، وأن ذلك من فعلِ الشيطان، والتطلع على الغيب، والتسور عليه من غير طريق الوحي والبرهان، وكل ذلك قبيحٌ بأهل الدين، وضلال مبين، لا يليق بمن يعدُّ نفسه من المسلمين، ويحتسب على الله أنه من المؤمنين.

وكيف يليق بمؤمنٍ أن يصدق شيئاً من ذلك أو يتعاطاه! وقد قال الله في كتابه المبين: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠]،

وقال أيضاً لرسوله سيد المرسلين: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فبذلك يعلم أن تصديق الكهان والمنجمين، يورث قدحاً في الدين، وجرأةً على الله رب العالمين.

* * *

وقد رويَ: أن منجّماً قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين انصرف من الأنبار إلى أهل النهروان: يا أمير المؤمنين، لا تسِرْ في هذه الساعة، وسِرْ في ثلاث ساعاتٍ يمضين من النهار.

قال علي بن أبي طالب: ولم ذلك؟

قال المنجّم: لأنك إن سرتَ في هذه الساعة أصابك وأصحابك بلاءٌ وضرٌّ شديد، وإن سرتَ في الساعة التي أمرتُك بها ظفرتَ وظهرت وأصبتَ.

فقال علي: ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا بعده منجّم. هل تعلم ما في بطنِ فرسي هذه؟

فقال: إن حسبتُ علمتُ.

فقال: من صدّقك بهذا القول كذّب بالقرآن. قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآيةَ. ما كان محمد ﷺ يدعي ما ادعيتَ علمَه!. تزعمُ أنك تهدي إلى علم الساعة التي يصيب السوءَ من سافر فيها!

قال: نعم.

قال: من صدّقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه، وينبغي للمقيم بأمرك أن يولّيك الأمر دون الله ربه؛ لأنك أنت تزعم هدايته إلى الساعة التي ينجو من السوءِ من سافر فيها، فمن آمن بهذا القول، لم آمَنْ عليه أن يكون كمن اتخذَ من دون الله ندًّا وضداً، **اللهم** لا طائر إلا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، نكذبك ونخَالفك، ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها.

ثم أقبل على الناس، **فقال**: يا أيها الناس إياكم وتعلمَ هذه النجوم إلا ما يهتدَى به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجّم كافرٌ، والكافر في النار. والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها، لأخلّدنك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولأحرمنّك العطاءَ ما كان لي سلطانٌ.

ثم سار في الساعة التي نهاه المنجم عنها فأتى أهل النهر وظفر بهم، وقتلهم.

ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرَنا بها فظفرنا، أو ظهرنا. لقال قائلٌ: سار في الساعة التي أمر بها المنجم. ما لمحمدٍ منجمٌ، ولا لنا من بعده. ففتح علينا بلادَ كسرى وقيصر، وسائر البلدان. أيها الناس؛ توكلوا على الله، وثقوا به، فإنه يكفي ما سواه. رواه جميعُه الخطيب في «تاريخه»[1].

ولله در القائل:

خَلِّ النجومَ لطرقيٍّ يعيشُ بها ... واتركْ تقاديرَ ما يجري به الفلكُ
إنَّ النبيَّ وأصحابَ النبيِّ نَهَوْا ... عن النجومِ وأبصِرْ عُظْمَ ما ملكُوا

❋ ❋ ❋

وإنما أطلت القولَ في ذلك؛ لما رأيتُ إكبابَ أهل الزمان عليه، وتهافتهم فيه،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر. (١٠/ ٥٨٥).

فأعرضوا عن القرآن وحق الإيمان، ووقعُوا في الجهل والعصيان، باتباع أهل النجوم والزور والبهتان، فصاروا ضحكةً للشيطان.

وما كان ينبغي للمؤمنين إلا الاقتداء بالقرآن، والاهتداء بما جاء به رسول الله ﷺ من البيان، والتزود من التقوى والإيمان، والقوة بالله، والصبر به، والصدق معه في جميع الشأن، فإن الله مع الصادقين. وقد وعد الله النصر عند الصبر، والفرج مع الكرب، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

* * *

فليتقِ الله المؤمنُ، وليثق بوعده ونصره، وليستعد بصبره، وطاعة الله وشكره، ليتحصن في حصن حسن نيته وذكره، فإن لم يثقْ بوعد الله، ويطمئن قلبُه بما أنزلَ الله، فذاك لضعف إيمانه، وعدم صدقه وإحسانه، أو لخلل في قلبه وجنانه، فليجاهد نفسه قبل عدوّه، فهي أعدى الأعداء عليه.

وليجتهد في دَواء مرض قلبه، وعلة لبِّه، فهو أهم المهمات لديه وإليه، فلعل الله أن يفتح عين قلبه ويصلحه، فيدرك البرهان، ويستقيم بالإذعان، والاطمئنان على حقوق الإسلام والإيمان ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

فكم عرض للقلب من مرضٍ أهلكه، وأخرجه عن إيمانه، وأماته على الكفر بغواية شيطانه، وكم من شخص يصبح مؤمناً ويمسي كافراً لضعف اليقين، وقلة الدين، تزلزله الحوادثُ، وتزحزحه البواعث كل حين، بخلاف قوي الإيمان واليقين،

فلا يزاد في كل حادثة إلا عبرةً وزيادةً في الدين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عام مرةً أَوْ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٦]، ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ بي وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا تي إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

* * *

فليجتهد العاقلُ الديِّنُ في علاج قلبه وصلاحه، وتطهيره وتزكيته لرشده وفلاحه، فإن القلبَ إذا صلُح صلح الأمر كله، وإذا فسد فسد العمر[1] كله.

فهو أولى بالعناية من الجسد والأعضاء، فالعجب كل العجب ممن إذا اعتلّت يده ورجلُه بذل جهدَه في علاجها بكل وجهٍ، وإذا اعتلَّ قلبه، ومرِضَ لبّه، لا يتفكر في علاجه، ولا ينظر في طبّه، ويهمل أمره حتى يموت قلبه ويقسى، فلا يحيا أبداً، ويطبع عليه، ويذهب دينه فلا يفلح سرمداً ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٤- ١٥]، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

* * *

وكيف يغفل العاقلُ عن عقله وقلبه، الذي ما امتاز على الحيوانات إلا به، وعن دينه الذي ما فضُلَ على الكفار، ونجا من النار، إلا بسببه!

---

(١) كذا في الأصل.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٢]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فكيف يرضى من ميزه الله بالعقل والرشد والفلاح، أن يغفل عن عاقبة أمره وحال قلبه، في الفساد أو الصلاح، ويصرف ذرات عمره التي لا قيمة لها في شهوات البهائم من الأكل والشرب والنكاح، فيكون كالأنعام في الغدوّ والرواح، بل يكون أضل سبيلاً لما يحمله من الوزْر والجناح.

فلينظر الإنسانُ فيما هو به إنسانٌ، وما به يرتفع من حضيض البهائم وإلى أوج العلا والإحسان، وما ذلك إلا العقل والدين، وامتلاء القلب بالنور واليقين.

فـ ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فكم من إنسان ليس بإنسان، وما له من الإنسانية إلا الصورة، وهو في الحقيقة دابةٌ، أو سبعٌ، أو كلب، على حسب ما يتعاطاه، وما يتلوه من سوره، فلا يغرنك منه صورته، فالعبرة بالحقيقة، وإنما تظهر الحقائق في الآخرة.

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ

[في المقصود من هذا التأليف]

والمقصودُ من هذا التأليف والمراد، تنبيه العباد على أنموذج من فضل الجهاد، لإثارة عزم أهل الاجتهاد، وهمة كل صادق جاد، للإعداد له والاستعداد، واغتنام غنائم فضله العظيم الذي به شرف الدنيا والآخرة والفوز العظيم في المعاش والمعاد، وذلك أداءً لواجب حق عموم المسلمين، والنصيحة في الدنيا، ورجاء ثواب ذلك، والمساهمة في عمل المجاهدين.

فإنَّ **«من دلَّ على هدًى كان له من الأجر مثلَ من عمل به»**، و**«من سنّ سنةً فله أجرُها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»**، و**«من أعانَ على خيرٍ ولو بشطر كلمةٍ فهو شريك العامل فيه»**.

ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ـ بفضله ـ بالاجتهاد في نصح المجاهدين منهم، وأن يحشرنا في زمرتهم، ونكون ببذل الدعاء لهم في الخلوات والجلوات كمن جاهدَ معهم في نصرتهم. وليس المجاهد مقصوراً على من باشر القتال فقط، بل من كثَّر سواد قوم فهو منهم، ومن أعانهم فهو معهم، ومن أحبهم التحق بهم، فمن نصحَهم ودعا لهم وأحبهم فهو منهم إن شاء الله، بإذن الله. وكما يكون الجهاد بالسنان، يكون أيضاً باللسان، وذلك في الرأي والنصيحة والإرشاد والبيان.

[١] وقد روى أبوداود، والنسائي، والدارمي، عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»**.

[٢] وروى أبو داود أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغُوني في ضعفائكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعَفائكم».

ولا يكون من الضعيف إلا الدعاء والنصيحة، وكم من نصيحة فتحت قلباً وبصيرةً في جَنان، فانفتحَ بها جهاتٌ كثيرة وبلدان، وكم من دعوة صالحة من رجلٍ صالحِ السريرة، أفادت ما لا يفيده تجهيزُ الجيوش والآلات الكثيرة، فإن الدعوةَ ماضيةٌ بالله، لا يقوم لها شيء من دون الله مانع، ولا تمنع منها الجموع ولا الدروع ولا الحصون ولا المصانع.

ولله در القائل:

ألا قولوا لشخص قد تقوى ... على ضعفي ولا يخشى رقيبه
خبأتُ له سهاماً في الليالي ... وأرجو أن تكون له مصيبة

وقال آخر:

سهامُ الليلِ منجِحةُ المساعي ... إذا رُميتْ بأوتارِ الخُشوعِ
تُصابُ بها المقاتلُ حيثُ كانتْ ... وتحرِقُ في الجواشنِ والدُّروعِ

وقال آخر:

ألا رُبَّ ذي كيدٍ كمنتُ لحربه ... فأوقعَهُ المقدورُ أيَّ وقوعِ
وما كانَ لي إلّا سلاحُ تركّعٍ ... وأدعيةٌ لا تتّقى بدروعِ
وهيهات أن ينجو الظلومُ ودونه ... سهامُ دعاءٍ من قسيٍّ ركُوعِ
مُرَيّشةً بالهدْبِ من جفنِ ساهرٍ ... منصّلةً أطرافُها بدمُوعِ

وقال الآخر:

يا غافلاً في الظُّلمِ عن مظلومِهِ ... أمسِكْ فليسَ اللهُ عنكَ بغافلِ

سبّابة المظلومِ سيفٌ قاطعٌ ودمـوعُ عينيه كسُمٍّ قـاتـلِ

وقلتُ أنا:

سهامُ دعاءٍ فعلُها في المقاتـلِ أحـدُّ وأنكى من سِهام المقاتلِ
مريَّشةٌ بالدمعِ من قلبِ خاشعٍ منصّلةٌ بالعزمِ من صِدقِ عاملِ
فـلا بـدروعٍ تتّقى أو بقلعَةٍ ولا يحتمي عنها بقَودِ الجحافلِ

* * *

والمقصود من ذلك كله، أن لا يغتر المجاهد بكثرة جنوده ولا بقوته، ويعتمد على الله سبحانه في تأييده ونصرته، ويستنصر بالله وعباده الصالحين، خصوصاً من الضعفاء والمساكين وأهل الله، ويطلب دعواتهم الصالحة في كل حين.

فقد يكون في الجنود والعساكر ما لا يليقُ من الأعمال، فلا يكمل منهم الإقبال على الله والاتكال، وربما يكون ما يفعلونه من الذنوب والآثام، سبباً للانكسار والخذلان والانهزام.

[عبرة من يوم حنين]

ومن أعجب ما وقع من ذلك: انهزامُ المسلمين يوم حُنَينٍ، إذا أعجبتهم كثرتهم، إذ قال قائلٌ: لن تُغلبَ اثنا عشر ألفاً من قلّة. فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥]، الآيةَ. لولا ما منّ الله ببركته عليه الصلاة والسلام، فأنزل عليه السكينة وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً من الملائكة المقربين.

وإذا أثّر العُجْبُ في الجيش مع حضوره ﷺ، وعظيم بركته ونوره، فكيفَ مع غيره الذين الغالبُ عليهم وعلى جنودهم شربُ الخمور، وتعاطي المنكرات

والفجور!. فينبغي لأمير الجيش أن يعتني بجنده ويحفظهم من البلوى، بملازمة التقوى، ويمنعهم من تعاطي المعاصي والآثام، ليحصل لهم النصر والسلامة والاغتنام، وأن يلتجئ هو وجنده إلى التفرع والاستغفار، والتوبة إلى الواحد القهار، وأن يطلبوا الدعاء من الأخيار، والصالحين والأبرار، وأن يكثروا من الصدقة وبذل المال في حب الله، فإن الصدقة والدعاء والاستغفار، تمنع الشرور وتدفع الأشرار، وتُرضي الربَّ الرحيم الغفّار.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. ولا يحتقر شأنَ الدعاء إلا جهولٌ، فقد قال الله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]. ولا يتهاون في الانتصار بأهل الدعاء في جميع الأحوال إلا مخذولٌ، فلعله لا ينفعه إلا دعاؤهم عند ركوب الأخطار وارتكاب الأهوال.

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ

[في إهداء المؤلف كتابه هذا لجميع المسلمين وبخصوص الأحباش المجاهدين في أرض رازفور بالهند]

وهذا التأليف نصيحةٌ لجميع المسلمين، وهدية ورسالة منا لخصوص المجاهدين في سبيل الله، المجتهدين إن شاء الله في نصرة الدين، لطائفةِ الحبشيين، المرابطين بثغر رازفُور، من أرض الهند، لمحاربة أعداء الدين، والمجاهدة في سبيل الله لنصرة المؤمنين.

فقد تكررت إلينا منهم المكاتبات والمواصلاتُ، والتماس صالح الدعوات، والرغبة في النصائح والوصايا النافعات، وطلبوا منا تأليفاً في فضل الجهاد، والترغيب فيه، لإثارة العزائم والهمم العليا.

فأسعفناهم بهذا التأليف، للمعاونة على التقوى والنصيحة في الدين، ولأنهم صاروا لنا من المحبين في الله رب العالمين، خصوصاً مالك حلِّهم وعَقدهم، وواسطة منظوم عِقْدهم، وملك أرضهم وحَدّهم، السلطان المذكور بالإحسان، والمشكور بالآلاء الحسان، معاذ المسلمين وأهل الإيمان، في تلك المكانة والمكان.

المجاهد في سبيل الله الخان ياقوت خان، حفظه الله، وخاصته وعامته وجنوده بالإسلام والإيمان، وحماهم باتباع السنة والقرآن، من سائر أهل الزيغ والعصيان، وأدام سرورهم على طاعته وذكره، في نعمته وشكره، في أمان بنصرته واطمئنان،

مجتهدين بالله، لله، في الله، في الجهاد، مؤيدين بالعز والنصر والسلطان، بالتأييد الإلهي الرحماني في جميع الشأن.

* * *

ولا يزال ـ إن شاء الله ـ بإذن الله ناهضاً بعزم العزيمة والاجتهاد، وسيف الجد والهمة العلية في الجهاد، إلى جميع ما يليه من البلدان والجهات، التي بها أعداء الله من عبدة الأوثان، والمفسدين في الأرض من أهل العدوان، ليحيا حياة طيبة إن شاء الله مؤيداً بالنصر والبرهان، ويبني من الشرف والسؤدد ما لا غاية له، ويرى من الخير والمجد ما لا نهاية له:

فطوبَى لـه إذا طابَ في الله حبُّه ... عـلى حـق ذكْـر الله فـالله ذاكرُه
فـلا شـكَّ أنَّ الله يشـكرُ فعلَـهُ ... إذا قامَ في التقوى له وهو شاكرُه
ووجّـه في وجْهِ العدوِّ جيوشَـه ... وجنَّـدَ أجنـاداً إليـه يـباشـرُه
بعـزمٍ وسَـعيٍ في رضى الله ربِّه ... فلا شـكَّ أن الله بالحـقّ ناصرُه
وسوفَ ينالُ المجْدَ والعزَّ والعُلا ... ويحفظـه ربُّ الـورَى ويبَـادرُه

* * *

فليحمد الله ربّه إذْ أقامه في هذا المقام، واختاره لحفظ الدين ونصـرة الإسلام. فليعرف فضل الله عليه، وفضل ما أقامه به، وليستقِمْ لربه فيما أقامه فيه من طاعته وقربه، فعلى العبد لسيده الاستقامةُ له فيما أقامه فيه من خدمةٍ، وقبول ما أعطاه من كرامة ونعمة، فليجتهد في القيام بها، والمقام فيها.

فما أقامه الله في هذا الثغر، لهذه الخدمة العظيمة، والفضيلة الكريمة؛ إلا لينالَ أفضل المراتب، ويتشرف بأحسن المناقب، ولا يقصر في خدمة مولاه الذي

ولاه ما ولّاه، ولا يغفل عن حرمة ما أولاه، من نعمته وطاعته ووِلاه.

* * *

فهذه منّا نصيحةٌ له بحقِّ الدين، والدعاء له بظهر الغيب في كل حين، ولخاصته وعامته بالرشد والفلاح والنصر والتمكين؛ لأنهم لنا من أكبر المحبّين، ولم تزل لنا منهم ومعهم المكاتبات، والمراسلات والهدايا والمواصلات، كما لم يزل مع المتقدِّمين من سلفنا وسلفِهم في سابق السنين.

فالله يجعل ذلك كذلك، باقياً له تعالى، ومتصلاً به، وواصلاً إليه، في محبة الدين، والموالاة في رضا رب العالمين. وهذه الرسالة هديةُ حقٍّ مبين، ونصيحة صدقٍ من الدين، إلى هؤلاء المحبين. ولا بدْعَ في ذلك عند العارفين.

[١] فقد قال سيد المرسلين: «**ما أهدى المرءُ المسلم لأخيه المسلم هديةً أفضلَ من كلمة حكمةٍ، يزيده الله بها هدى، أو يرده عن ردى**»، رواه البيهقي في «الشُّعب» عن ابن عمر.

[٢] وروى تمامٌ في «فوائده» وابنُ عساكر، عن أنسٍ، عن النبي ﷺ: «**إن أفضل الهدية**»، أو: «**أفضل العطية، الكلمة من كلام الحكمة، يسمعها العبد ثم يتعلمها، ثم يعلمها أخاه، خيرٌ له من عبادة سنة على نيتها**».

[٣] وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**نعم العطيةُ كلمة حقٍّ، تسمعُها، ثم تحملها إلى أخٍ لك مسلمٍ، فتعلمها إياه**».

[٤] وروى ابن ماجه عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضل الصدقةِ أن يتعلم المرءُ المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم**».

وغير ذلك من الأخبار والآثار، الشاهدة بحسن المذاكرة بالدين، والتذكرة بين

المؤمنين، وإذا كانت الهدية بعرَضٍ من الدنيا تورثُ المحبةَ والودية، وجاء الأمر بها في السنة المحمدية لذلك، كذلك في أحاديث كثيرة، فتكون بالمذاكرة في الدين، أخصَّ وأولى بذلك عند عباد الله المهتدين.

❋ ❋ ❋

فَصْلٌ

[في محبة ملوك الهند من الحبشة للسادة العلويين]

ولم يزل هؤلاء المحبِّين، وسلفهم السابقين قبلهم، في هذا الموضع وغيره، من الجهات الهندية، محبِّين لأصحابنا وسلفنا آل با علوي، السادة الأشراف، المعروفين بأكمل المعرفة وأفضل الأوصاف، ومعتقدين فيهم، ومواليهم لهم، ومستمدِّين.

ولم يزل السادة الأشراف المذكورونَ بهم معتنين، ومعهم مجتهدين، ولهم داعين. وكم تواترت لهم منهم الهدايا والألطاف، وتكررت لهم معهم الكرامات في الإكرام والانتصاف.

وكثيراً ما سمعتُ مشايخنا العارفين، يصفونهم بأحسن الأوصاف، ويثنون عليهم بما فعلوه معهم ومع غيرهم من الأشراف، كسيدي ووالدي رحمه الله، وجدي لأمي الشيخ محمد بن عبد الرحمن العيدروس، وسيدي علي بن حسين العيدروس، وسيدي الأستاذ العارف عبد الله الحداد، وسيدي بركة الزمان أحمد بن عمر الهندوان، وغيرهم من السادة الأكابر الأعيان، يذكرون جميعَ ما فعلوه معهم من الإحسان، من ياقوت خان، وخيرت خان، وريحان، وعنبر، والمسعود، وخوّاص خان، ومن سبق قبلهم، كالملك عنبر، صاحب الدكّن، ومن تلاه في هذا الشان.

فهم وإن ذهبوا، فجميل فعلهم معهم موجودٌ، وفضلهم مشهود غير مجحود، وبذلك أحبهم السادة والمشايخ العارفون، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وشكرُ المنعم واجبٌ، ولا يجحد الإحسانَ إلا كفور أو حسودٌ.

***

[سبب تردد السادة على الهند وهجرتهم إليها]

وكانوا هم السببَ الأكثر في محبة السادة والعرَب السفرَ إلى الجهة الهندية، والباعث الأكبر في سكونهم بها، وقطونهم فيها، فانتشرت بهم فيها السنة المحمدية، فخالطوهم وظاهروهم، وتزوجوا إليهم وصاهروهم، وصاروا أخوالَ السادة وأجدادهم، من السادة آل العيدروس، وغيرهم.

وتفصيل ذلك وكثرته يفضي إلى تطويل غير محمودٍ، ويخرج بنا عن الغرض من التأليف المقصود.

* * *

وما أظن السببَ الأكبر في محبة الجيوش للخير، وموالاتهم أهل الخير، وبقاء ذكرهم على مدى الزمان، وآياتهم الحسنى تتلى في الثناء بالإحسان، إلا محبة السادة بخالص الإيمان، فتجد من آثارهم في المشاهد ما يشهد لهم بأنهم كرام أماجد، من أثاثٍ وفرُشٍ وآلاتٍ موجودة عند السادة في المساجد، وغيرها. من أيام الملك عنبر، وغيره ممن بعده، يذكرون بها ويشكرون عليها، ولهم ثوابها العظيم؛ لأنها كلها في طاعة الرب الرحيم، تجري عليهم بها ثواب إحسانهم إلى قبورهم ويزيد ذلك في صالح أعمالهم ونورهم.

* * *

وما السبب في ذلك إلا محبة السادة أهل البيت النبويّ، والسر المصطفوي، فإن غيرهم من ملوك الهند والوزراء قد خبت نارهم، ونفقت أخبارهم، وانطمست آثارهم، وهؤلاء آثارهم باقية، وصدقاتهم جارية، ولا يخلو الملوك عن فلتاتِ النفوس والأهواء، وهفوات الرئاسة والدعوى، وشهوات الدنيا والإغواء، ولا تدفع نكبات

الأسواء عنهم إلا كثرة الصدقة والإحسان، ولا يدفع عنهم الشرور إلا بذل المعروف بغاية الإمكان.

[١] ففي الحديث: «إن الصدقة تدفع ميتةَ السوء».

[٢] وفي رواية: «تقي مصارعَ السُّوء».

وتدفع أنواع البلاء، وأنها: نور وبرهان، تبقى مدى الزمان.

وقد قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فالله أحسنُ جزاءً لمن أحسنَ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، و ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، إلى سبعمئة فأكثر: ﴿ومثل ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كل سنبلة مِّاْئَةُ حَبَّةٍ والله يُضَٰعِفُ لِمَن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦٥].

والآيات والأحاديث كثيرةٌ شهيرة في فضْل الصدقة، وأنها حصن حصين لصاحبها من المضرات، ونور وبرهان له يوم الضرورات، والله لا يضيع أجر المحسنين، ولا يظلم ربك مثقالَ ذرةٍ من خير ودين.

❊ ❊ ❊

وقد جاء في الإسرائيليات: أن جباراً ظالماً وجدَ كلباً يلهث عطشاً، فسقاه، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: اذهب إلى فلان، فقل له: كنت كلباً فوهبناكَ لكلبٍ، وغفرنا لك. وورد أيضاً مثلُ ذلك في بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل، فغفر لها وتاب عليها. وإذا كان في كلبٍ! فغيره من الآدميين بل المؤمنين، بل أهل الدين، أعظم عند الله.

وقد صحَّ في الأخبار: أن الله يعجِّل للكافر جزاءَ الإحسان في الدنيا بإحسانه، ويجد به زيادةً في نفسه وأهله وأعوانه، فلذلك لم يزل الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة يجتهدون في هذا الشأن، ويوالون الإحسان، لطلب الزيادة والخيرات، ودفع الشرور

والمضرات، فأهلُ الإيمان أحق بذلك؛ لأنهم يرجون من الله في الدنيا والآخرة ما لا يرجوه عبدة الأوثان.

***

فمن أراد الله به السعادة، وكمال السيادة، وبلوغ الحسنى وزيادة، وفّقه لمحبة الخير وأهله، وفعل المعروف وبذله، خصوصاً في أهل الدين واليقين، وعباد الله الصالحين المتقين، ليكونوا عضُداً في كل مهمة، وغوثاً عند كل مدلهمة، وتعود عليه بركة أنفاسهم الصادقة، ودعواتهم الفائقة، وتدركه كراماتهم الخارقة.

فمن أراد الله حفظَ دولته وجاهِه ومقامه حِفظَ حرمتهم ومن أراد الله له السعادة ودوام الرئاسة والسيادة وكثرة الخيرات والزيادَة، اغتنم خدمتهم، خصوصاً فتيان أهل الفتوة، وأغصان دوحة النبوة، من السادة الأخيار الصالحين، والقادة العلماء الأبرار العارفين.

فمن ثبت في قلبه حبُّهم بحب الدِّين، وقرَّ في مقره قربهم على يقين، فلا شك أنه في الخير في قرار مكين، ومن اليسر في حرز أمين، وحصن حصين، وأما من لم يعقد على حبهم عقدة العقيدة، ولم تستقر في قلبه محبة مسالكهم الحميدة، فليست موالاتهم له مفيدة، ولا محبتهم له وقربهم منه عدةً عديدة، فقد قال الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]. وقال بعض العارفين:

وليس ينفَعُ قطبُ الوقتِ ذا خللٍ في الاعتقادِ ولا مَنْ لا يُوالِيْـهِ

* * *

فَصْلٌ
[في ذكر فضائل أهل البيت]

وفضائل أهل البيت ومحبِّيهم بحرٌ لا ساحل له، ولكن نذكر شيئاً منه تذكرةً، فإن الذِّكرى تنفع المؤمنين، وتبركاً بذكرهم، وذكر فضلهم في كلام الله رب العالمين، وكلام عبده ورسوله سيد المرسلين، وعباده المؤمنين.

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، الآية. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

[١] وقال الصادق الأمين، الناطق بالحق المبين: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».

[٢] وفي حديث آخر عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صنع إلى أهل بيتي يداً كافأْتُه عليها يوم القيامة». وفي رواية: «من صنع صنيعةً إلى أحدٍ من خلفِ عبد المطلب فعليَّ مكافأته إذا لقيني».

[٣] وفي حديث آخر عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أثبتكم على الصراط أشدُّكم حباً لأهل بيتي وأصحابي».

[٤] وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يُنسأ له في أجلِه»، أي: يطول عمره، «ويمتّع بما خوّلَهُ الله به، فليخلُفني في أهلي خلافةً حسنةً، فمن لم يخلفني فيهم بُتر عمرُه، ولم يمتّع فيما خوّله الله به، وورد عليَّ يوم القيامة مسوداً وجهه».

[٥] وفي حديث آخر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: نحن أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم، وأنزل الله فيهم فيما أنزل على محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ [الشورى: ٢٣]، واقتراف الحسنة: مودتنا أهل البيت.

[٦] وفي حديثٍ آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ «اخلفوني في أهل بيتي».

[٧] وفي حديث آخر عنه: «ثلاثُ حرُماتٍ من حفظهنّ حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا دنياه»، قلتُ: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي».

[٨] وفي حديث آخر: «من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً».

[٩] وفي حديث آخر، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر أوشك أن أدعَى فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردَا عليَّ الحوض».

[١٠] وفي رواية: «ومثل كتابِ الله كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومثل أهل بيتي كباب حِطّةَ في بني إسرائيل، من دخله غُفِرَتْ ذنوبه».

[١١] وفي حديث آخر: «يرد الحوضَ أهلُ بيتي ومن أحبَّهم كهاتينِ، وأشار بالسبابة والوسطَى».

[١٢] وفي حديث آخر عن سلمةَ بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي، فإذا ذهبَ أهلُ بيتي ذهب أهلُ الأرض».**

[١٣] وفي رواية: «وأهل بيتي أمانٌ لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتهم قبيلةٌ اختلفوا، وصاروا حزْبَ إبليس».

* * *

هذا ما تيسر ذكره هنا، وإلا فالأحاديث المشهورةُ في ذلك، والأخبار المأثورة فيما هنالك، لا تحصى ولا تعد، وإنما المقصود ما يكون تذكرةً لأهل العلم، وتبصرة لأهل النور والفهم، في فضل موالاة أهل البيت النبوي، وأن محبتهم لحق الله، ومودتهم لقرابة رسول الله ﷺ، من أفضل القربات عند الله.

وهي أصل الوصول إلى كل خيرٍ في الدنيا والآخرة، وأقوى سبب للنجاة في الأمور الباطنة والظاهرة، بالعون على التقوى، والسلامة من المحن والأهواء، والشقاق والبلوى، حصنٌ حصين لمن تولاهم، وعون معين لمن والاهم، فاغتنام دعواتهم الصادقة، وأنفاسهم الخارقة، مع محبتهم أعظمُ نفعاً من تجنيد الجنود، وملاحظة هممهم ومطالعةُ ذممهم أسعدُ من مطالعة كواكب السعود، فإن من سعدَ بهم فقد تم في سُعدِه، ومن حُرم قربهم فقد خاب في بعده وطرده، وشواهد ذلك ظاهرة، وأخباره مجربة متواترة، ولكنه بالتوفيق لذلك، والسابقة لما هنالك، فقد سبقت إن شاء الله لهؤلاء المحبين من الحبشيين.

* * *

[تعريج على ملوك بر سعد الدين في الحبشة]

وقد سبقهم إلى مثل ذلك مع ساداتنا آل باعلوي الأكرمين من الحبشيين أيضاً: أهلُ برِّ سعْد الدين، اشتهر فضلهم وكمالهم، وعلومهم وأعمالهم في الدين، خصوصاً في الجهاد مع أعداء الكافرين.

وقال الحافظ ابن حجر في تاريخه «إنباء الغُمر»: أنه يذكر في سيرة سعد الدين وأتباعه من التقوَى والدين، ما لم يتفق مثله لمن قبله من المتقدمين، إلا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد كانوا سلفنا آل باعلوي من المحبِّين والمعتقدين، وقصدهم الجم الغفير من السادة الصالحين، والقادة العارفين، والأقطاب المتمكنين، فأقاموا بأرضهم، واطمأنوا بقربهم، ولم يزالوا معهم مجاهدين، ولهم مساعدين.

واستشهد كثير منهم تحت راياتهم، وتوفي عندهم في ولاياتهم، وأعقبوا هناك إلى الآن كثيراً من ذرياتهم، وقد نُقل: أنه استشهد مع السلطان سعد الدين في وقعةٍ واحدةٍ ثمانين شيخاً من الصوفية، وفضائلهم كثيرةٌ، ومناقبهم شهيرة.

ولم يزل الآن بتلك الأرض من السادة آل باعلوي كثيرٌ قاطنون، وذرياتٌ منهم متوطنون.

* * *

فَصْلٌ

[في ذكر بعض فضائل أهل الحبشة]

وقد سبق للحبشَة السابقين، وسلفهم الأكرمين، قدمُ صدقٍ في الدين، استطردنا ذكرَه؛ ليعرف كل العارفين قدره، وأنه من زمن سيد المرسلين، ومن قبلُ مع النبيين.

فمنهم: لقمان الحكيم، المنوّه بذكره في القرآن العظيم، وبوصاياه وتأديبه لابنه في العلم والتعليم، وناهيك بذلك من مكرمةٍ ومقام كريم، وقد قال بنبوته كثيرٌ من العلماء، والعلم عند الله العليم.

ومنهم: المأمون الجليل، دمشق، عبد سيدنا إبراهيم الخليل، ذكره العلامة جلال الدين السيوطي، عن وهب بن منبّه، قال: «وكان الخليل عليه السلام جعله قائماً على كل شيء له، وسمّى البلد دمشق المشهورة باسمه».

[١] وقال السيوطي وروى الطبراني عن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. قال: بعث الله عبداً حبشياً نبياً، فهو ممن لم يقصُصه على محمد ﷺ.

[٢] وفي رواية: بُعِثَ نبيٌّ من الحبش، فهو ممن لم يقصصه الله على محمد ﷺ.

[٣] وفي رواية: كان نبيُّ أصحاب الأخدود حبشياً.

[٤] وروى ابن عدي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الحبشية أنجداء أسخياء، وإن فيهم ليُمناً وبركةً، فاتخذوهم».

[٥] وروى الديلمي في «مسند الفردوس»: عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من أدخل دارَه حبشياً أو حبشيةً، أدخل الله داره بركةً».

[٦] وفي رواية: «أدخل الله بيته رزقاً».

***

وبالجملة؛

فقد أجمع الناسُ على فضل الحبوش وحبِّهم، وحسن أخلاقهم وسجاياهم وأدبهم، وكم في ذلك قيل من أقوال، وأورد في الشعر من فضائلهم في الشجاعة والسخاء وسنيّ الخصال.

وما أحسن ما قيل:

لو لم يكن في الحسانِ الحبش نافلةً ... إلا شجاعتُهم والصِّدقُ في الباسِ
لكانَ ذلكَ كافٍ في محبتهم ... وكيف لا! وهمُ من أجملِ الناسِ

***

[سبقهم إلى الإيمان]

ولم تزل بينهم وبين العرب مقاربةٌ، خصوصاً أهل الحجاز، فلهم معهم مخالطة ومناسبة، ولذلك سبقوا إلى الإيمان بالنبي ﷺ، وفعلوا معه ومع أصحابه جميل البرّ والإحسان، وأحبهم وأحبوه محبة شديدةً، لا تخفى إلا على من ليس عنده علم ولا بيان، ولشدة المخالطة نزل بلغتهم لفصاحتها الموافقة للعربية جملةٌ من القرآن، وتكلم بها النبي ﷺ وأصحابه كثيراً، لما فيها من الصباحة وحُسن المعاني.

[١] وعند قدومه المدينة الشريفة فرِحَ به من كان بها من الحبشانِ فرحاً شديداً،

ولعبوا بحرابهم بين يديه، في مسجده الشريف، يزفّون ويرقصون، وهو قائم ينظر إليهم. وفي رواية: إن ذلك كان يوم عاشوراء. وهو يحثهم ﷺ، ويقول: «دونكم بني أرفدة».

[٢] وفي روايةٍ: أن عمر رضي الله عنه، زجرهم، فقال ﷺ: «دعهم! أمناً بني أرفدة». وأرفدة، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الفاء، والكسر أشهر؛ يقال: إنه جد الحبشة.

[٣] وفي رواية عن عائشةَ قالت: والله لقد رأيتُ النبي ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، ورسول الله يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم، من بين أذنه وعاتقه، ثم يقوم من أجلي، حتى أكون أنا التي أنصـرف. فاقدروا قدْر الجارية الحديثة السنّ، الحريصة على اللهو.

[٤] وفي رواية عنها: أنهم يزفنون، ويقولون: محمد عبدٌ صالح، ولما قدم وفدُهم على النبي ﷺ، قام يخدمهم بنفسه، ويقول: «إنهم لأصحابي لمكرِمُون، وأنا أحب أن أكافئهم».

❋ ❋ ❋

فَصْلٌ

[في ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة]

ولما ظهر أمر الإسلام بمكة وفشا في الناس، أذن ﷺ لأصحابه في الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة الكرام، ومجاورة الملك الهمام، أصحَمة بن نجر النجاشي، الذي هو أول ملكٍ كاتبه النبي عليه الصلاة والسلام، وشرفه الله بالإسلام، وجعله ملاذاً للمؤمنين ومعاذاً لهم، فقام بحقهم بالإكرام والإحرام، **وناهيك بذلك للحبشة** من منقبةٍ، وللنجاشي من فضل عظيم وعلو مرتبة.

والسببُ في ذلك: أن قريشاً ائتمرت وأجمعت على أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، ويردوهم إلى كفرهم، فوثبت كل قبيلة على من أسلمَ منهم، يعذبونهم ويؤذونهم، فافتتنَ منهم من افتتن، وعصم الله من عصمَ، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالبٍ، وآله بني هاشم والمطلب.

فلما رأى ﷺ ما بأصحابه من أذىً، وصار عليهم من عناد، أذن لهم في الهجرة في البلاد، حيث لم يؤذن لهم بعدُ في القتال والجهاد. فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ فقال: ههنا. وأشار بيده إلى الحبشَة.

قيل: وكانت أحبَّ الأرض إلى الله، أن يهاجَر، بفتح الجيم، إليها.

وقال: «إن بها ملكاً صالحاً لا يظلَم، ولا يظلم أحد عنده».

* * *

وقوله «ملكاً صالحاً لا يظلم»، **يحتمل**: أن ذلك بعد إسلامه؛ لأنه ﷺ قرره على ملكه، كما في كتابه إليه، حين سماه «الملك» من دون قيصر وكسرى، وغيرهم من الملوك. **ويُحتمل**: أن ذلك قبل إسلامه، ولكنه كان على نصرانيةٍ صحيحةٍ، بدليل ما يأتي في قصة إسلامه، وهو بعدُ لم تبلغه الدعوة، فهو باقٍ على ملكه وصلاحه، ثم استمر بإسلامه والله أعلم.

* * *

فلما أذنَ ﷺ لأصحابه، خرجَ إليه أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة. منهم: عثمان ابن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود. وذلك في رجب، من السنة الخامسة من المبعث.

فسكنوا بأرض الحبشة، واطمأنوا بها، وبلغ المسلمين بمكة ذلك، وفرحوا بذلك فرحاً شديداً، فخرج عند ذلك جمعٌ كثير إليها أيضاً، منهم: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وزوجته أسماء بنت عُميس، بمهملتين مصغر.

فكان جميعُ من هاجر إلى الحبشة اثنان وثمانون رجلاً، سوى النساء والصبيان. فكانوا بخير دار، وأحسن جوارٍ، آمنين على دينهم ودنياهم، يعبدون الله كما يحبُّون، لا يؤذَون ولا ينالهم مكروه.

* * *

[١] وقد رويَ: أن النبي ﷺ لما قرأ سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ [النجم:١]، وسجد، سجد معه المسلمون والمشركون، حيث أسمعهم الشيطان ذكر آلهتهم، في القصة الطويلة المشهورة. وبلغ الخبرُ إلى أهل الحبشة المسلمين، فظنوا أن أهل مكة أسلموا. فوصل منهم إلى مكة جمع كثير، ثم بلغهم قبلَ وصولهم إليها أن المشركين قد عادوا إلى شرِّ ما

كانوا عليه، فرجعوا. ولم يدخلها إلا ابن مسعود، فإنه دخل في جوار بعض المشركين، ثم خرج وخرج معه إلى الحبشة أناسٌ كثير.

قيل: وهي الهجرة الثانية إلى الحبشة.

وقيل: الأولى هجرةُ عثمان بن عفان ومن معه. والثانيةُ هجرة جعفر بن أبي طالب ومن معه.

* * *

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأيده الله بالأنصار، ووقعت وقعة بدر التي أذلّ الله بها المشركينَ، وقتل فيها صناديدهم؛ اجتمعت قريش، وقالوا: إن لنا في الذين هم عند النجاشي من أصحاب محمد ثأراً، فمن قتل ببدر، فاجمعوا مالاً، واشتروا به ما يستظرفه النجاشي وأصحابه، من متاع مكة، وأهدوه إليهم، لعله يدفع إليكم من عنده من أصحاب محمدٍ.

ففعلوا ذلك، واختاروا لذلك رجلينِ من أهل الدهاء والمكر، وهما: عمرو بن العاص، وأسلم بعدُ، وعمارة بن أبي معيط، وبعثوهما بذلكَ، ولم يتركوا بطريقاً من بطارقة النجاشي إلا جعلوا له هديةً، فقدما على النجاشيّ، وقدّما له الهدية، ولبطارقته، فقبلوا ذلك منهما.

وقالا لكل بطريقٍ: إنه قد خرج منا غلمانٌ سفهاء إلى بلاد الملك، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بأمر مبتدَعٍ، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا أشرافُ قومهم وآباؤهم إلى الملك ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملكَ فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومَهم أولى بهم، وبما عابوه عليهم.

فأجابوهما على ذلك، فلما دخلا على الملك سلما عليه، وسجَدا له.

وقالا له: أيها الملك، إن قومنا لك ناصحون شاكرون، ولصلاحك محبون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك؛ لأنهم أتباعُ رجل كذابٍ، يزعم أنه رسول الله، ولم يتابعه أحدٌ منا إلا السفهاءُ. وإن قومهم قد حبسوهم في شعب، وضيقوا عليهم، لا يخرج أحد منهم، ولا يدخل أحد عليهم، ليرجعوا إلى دين قومهم. فلما مسهم الجوعُ والعطش، واشتد عليهم الأمر، خرجوا إلى بلادكَ، وبعثَ هذا الذي اتبعوه ابنَ عمه، ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك، فاحذرهم. **قالا:** وآيةُ ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيبونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك وأن قومنا يطلبون منك أن تدفعهم إلينا ليكفوك أمرهم.

فقال النجاشي: قومٌ لجؤوا إليَّ، وجاوروني، واختاروني على من سواي، لا أدفعهم إليكما، حتى أسمعَ كلامهم.

فاغتمَّ عمرو بن العاص وصاحبُه لذلك غماً شديداً، فإنه لم يكن شيء أبغضَ إليهما من أن يسمع النجاشي كلامَ المسلمين، فيعرف أنه الحق.

فدعا النجاشي بالمسلمين، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، وقالوا: ما نقول له؟ فقال جعفر: نقول والله ما علِمْنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ، ويكون في ذلك ما هو كائنٌ. فلما جاؤوا إلى الباب، صاح جعفر: يستأذن عليك حزب الله.

فقال النجاشي: مرُوا هذا الصالح فليُعدْ كلامه. ففعل جعفر.

فقال النجاشي: نعم، فليدخلوا بأمان الله وذمته.

فساء ذلك عمرو، فنظر إلى صاحبه، **وقال:** انظر كيف يوطئون بحزب الله، وما أجابهم به النجاشي! ثم دخلوا وسلموا عليه، ولم يسجدوا له. **فقال** عمرو: انظر إليهم لا يحيبونك بتحيتك، ولا يسجدون لك.

فقال لهم النجاشي: ما منعكُم أن تحيوني بتحيتي، وتسجدوا لي؟

فقالوا: إنما السجود لله، الذي خلقك وأعطاك الأمر، وملَّكك رقاب العباد، وأما التحيةُ فكانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأصنام، فبعث الله فينا نبياً صادقاً، وأمرنا بالتحية التي يرضاها، وهي السلامُ، تحية أهل الجنة.

فعرفَ النجاشي أن ذلك حقاً، وأنه في التوراة والإنجيل.

فقال النجاشي: أيكم الهاتفُ: «يستأذنُ عليك حزْبُ الله»؟

فقال جعفر: أنا. **قال**: تكلم.

فقال: إنك ملكٌ من الملوك، ومن أهل الكتابِ، ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم. وأنا أحب أن أجيبَ عن أصحابي. فمر هذين الرجلينِ، فيتكلم أحدهما وينصت الآخر، فتسمع محاورتنا. **فقال** عمرو لجعفر: تكلم.

فقال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين، أعبيدٌ نحن أم أحرار؟ فإن كنّا عبيداً أبقْنا من أربابنا فارددنا إليهم.

فقال النجاشي: أعبيدٌ هم أم أحرار؟

فقال عمرو: بل أحرار.

فقال النجاشي: نجوا من العبودية.

فقال جعفر: سلهما، هل أخذنا أموال الناس بغير حق، فعلينا قضاؤها؟

فقال النجاشي: إن كان قنطاراً فعليَّ قضاؤه. **وقال** عمرو: لا ولا قيراطاً.

فقال النجاشي لعمرو: فما تطلبون منهم؟

فقال عمرو: كنا وهم على دينٍ واحد، وأمر واحدٍ، دين آبائنا. فتركوا ذلكَ، واتبعوا غيره، فبعثنا إليك أشرافُهم وقومهم من آبائهم وعشائرهم، لتردّهم إليهم، وتدفعهم إلينا، فهم أولى بهم، وأعلم بما عابوه عليهم.

فقال النجاشي لجعفر وأصحابه: ما هذا الدين الذي كنتم عليه؟ والدين الذي أحدثتموه وفارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دينٍ من أديان هذه الأمم. اصْدُقني.

فقال جعفر: أيها الملكُ، أما الدِّين الذي كنا عليه فتركناه، فهو دين الشيطان. لأنا كنا أهلَ جاهليةٍ، نكفر بالله، ونعبد الأصنام. نأكل الميتةَ، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحامَ، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

وأما الدينُ الذي اتبعناه، فهو دين الإسلام، فإن الله بعث إلينا رسولاً منّا، نعرف صدقه وأمانته وعفافه، هو الذي بشر به عيسى ابن مريم، فدعانا إلى الله، نوحده ونعبده، ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة، وعدّد أمورَ الإسلام، وأمَرَنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر، وأن نخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من الحجارة والأوثان، فصدقناه وآمنا به، ومعه كتابٌ كريم، مثل كتاب عيسى ابن مريم، موافقاً له.

فقال النجاشي: تكلمْتَ بأمر عظيمٍ، على رِسْلكَ.

ثم أمر بضرب الناقوس، فخرج كل قِسّيس وراهبٍ. فلما اجتمعوا عنده قال: أنشُدكم بالله الذي أنزلَ الإنجيل على عيسى، هل تجدون بينَ عيسى ابن مريم وبين يوم القيامة نبياً مرسَلاً؟ **فقالوا**: اللهمّ نعم، قد بشّرَنا به عيسى ابن مريم، وقال: من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي.

فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول هذا الرجل لكم، وما ينهاكم عنه؟

فقال: يقرأ علينا كتاب الله، ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر، ويأمرنا بالصدق والعفاف، والصلاة وحسن الجوار، وأداء الأمانة، وبرّ اليتيم، وكفّ

الأذى، والكف عن المحارم والدماء، وينهانا عن الفواحش، وقول الزور، وقذف المحصنات، فحرّمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا.

فغدوا قومنا علينا يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا هذا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الفواحش والخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وحالوا بيننا وبين ديننا، شقَّ ذلك علينا، فخرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا إلى جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندكَ.

فأعجبَ النجاشيَّ قولُه.

ثم قال: هل عندكَ مما جاء به عن الله شيءٌ؟ فقال جعفر: نعم.

فقال النجاشي: اقرأه. فقرأ عليهم سورة العنكبوت، والروم. ففاضت عينُ النجاشيّ، وأعين أصحابه مما عرفوا من الحق. وقالوا: زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب. فقرأ عليه سورة الكهف.

فقال النجاشي لأصحابه: إن هذا والذي جاء به عيسى ابن مريم ليخرج من مشكاة واحدةٍ. ثم أقبل على جعفر وأصحابه، وقال: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه رسولُ الله الذي بشّر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملْكِ لآتينّه حتى أقبل أعتابه، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لهم بطعام وكسوة.

وقال لعمرو وصاحبه: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً.

فخرجا من عنده خائبَينِ، فقال عمرو لصاحبه: لآتينّ النجاشي غداً فأعيبهم عنده بما أستبيح به خضراهم. فقال له صاحبه: لا تفعل، فإنهم أرحامنا وإن خالفونا. فقال عمرو: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبدٌ.

ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في المسيح قولاً عظيماً، فأرسِلْ

إليهم، فاسألهم عما يقولون فيه. فأرسل إليهم، فاغتمَّ المسلمون لذلك غماً شديداً، ولم تنزل بهم مثلها. فقال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون له؟ فقال: نقول ما جاء به نبينا ﷺ، كائناً في ذلك ما كانَ.

فأُدخِلُوا عليه، وقد حضر عنده الأساقفة والرهبان.

فقال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقالوا: نقول الذي جاء به نبينا محمدٌ ﷺ، هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، التي لم يقربها بشرٌ، ثم قرأ عليهم صدر سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلّت لحيته، وبكى أساقفتُه حتى أخضَلُوا مصاحفهم، حين سمعوا ما قرأ عليهم. فلما أتى على ذكر مريم وعيسَى، رفع النجاشي نفثةً من سواكه، قدر ما يقذي العين. **وقيل:** تناوله من الأرض. **وقال:** والله يا معشر القِسّيسين والرهبان، ما يزيد هؤلاء فيما يقولون عن ابن مريم هذا.

ثم **قال** لجعفر وأصحابه: ادهبوا فأنتم سُيومٌ بأرضي. والسيوم: الآمنون.

ثم **قال** ثلاث مراتٍ: من سبكم أو آذاكم غرِم. وفي رواية: من سبكم فقد سبني، ومن آذاكم فقد آذاني. ثم **قال:** أبشروا ولا تخافوا فأنتم على حزب إبراهيم.

فقال عمرٌو للنجاشي: ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهطُ، وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده، ومن اتبعه. **فقال** عمرو: بل نحن حزب إبراهيم. فاختصم الفريقان في إبراهيم، فأنزل الله على رسوله ذلك اليوم وهو بالمدينة: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

ثم قال النجاشي: ما أحبّ أن لي ديراً من ذهبٍ، وأني آذيتُ أحداً منهم، ردُّوا على هذين الرجلين هداياهما، فلا حاجة لي بها.

وقال: إنما هديتكم رشوةٌ، فاقبضوها، فوالله ما أخذ الله عليَّ رشوةٌ حين رد عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعُهم فيه.

فخرج عمرو بن العاص وصاحبه من عنده خائبين، مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقام جعفر وأصحابه هناك في خير دارٍ، وأحسنِ جوارٍ، إلى أن قدموا على النبي ﷺ، وكان قدومهم يوم فتح خيبر، فعانق رسول الله جعفر، وقبّل بين عينيه. وقال: «**والله ما أنا بأيهما أسر، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر**».

وقد رويَ: أن النجاشي لما أسلم نازعه قومُه في ملكه، وقالوا له: إنك تقول إن عيسى عبدٌ، وأنه ابنُ الله. فحزن المسلمون لذلك، واغتموا غماً شديداً من ذلك، فابتهلوا إلى الله أشد ابتهالٍ. ودعوا للنجاشي بالظهور على علاوة والتمكين في بلاده، فحصل ذلك ببركة دعائهم.

وإنما ذكرت هذه القصة بطولها في هذا التأليف المختصَر، لما حوته من صفات النجاشي الكريمة، وسيرته العظيمة، من الصدق والحلم والعفاف، والتأني في الحكم والإنصاف، وقبول الحق والإذعان له والاعتراف، من غير منازعة فيه ولا اعتساف. فما أحسن هذه السيرة! وما أحلى هذه الأوصاف التي يجب خاصة على الملوك والرؤساء والأشراف أن يسارعوا إليها، ويعملوا عليها، فإنها أصلُ كل خيرٍ واجتماع وائتلاف.

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ
[في ذكر فضل النجاشي ملك الحبشة]

والنجاشيُّ، بفتح النون، وقد تكسر، وتخفيف الجيم والياء، قد يشدد كل منهما، وبالشين المعجمة: اسمٌ لكل من ملكَ الحبشةَ، كقيصر لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس. وهذا النجاشي الذي في زمن النبي ﷺ، اسمُه كما مرّ: أصمحةُ، أو أصحمة، بالصاد والحاء المهملتين والميم. ويقال: أصْبحة، بالباء الموحدة. ويقال: بالخاء المعجمة. وقيل: اسمه مسروقُ بن صعصعة.

وكان إسلامُه رضي الله عنه على جعفر بن أبي طالب، كما تقدمَ. فهو أول ملكٍ أسلمَ، وأول ملكٍ كتب إليه النبيّ ﷺ، وكان كتابه إليه سنة ستٍّ من الهجرة، وبعث بالكتابِ عمْرَو بن أمية الضمريَّ.

[كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي]

وصورة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله إلى أصمحة ملك الحبشة.

أما بعد؛ فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن. وأشهد أن عيسى ابن مريم روحُ الله، وكلمتُه ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسَى، وإني أدعوك وجنودك إلى الله وحده، لا شريكَ له، وأن تتبعني وتؤمنَ بالذي جاءني، فإني رسولُ الله.

وقد بعثتُ إليكم ابن عمي جعفراً، ومعه نفرٌ من المسلمينَ، فإذا جاؤوكَ فأقرَّهم عندكَ، ودع عنك التجبر، والسلام على من اتبع الهدى».

فلما وصل إليه كتابُ النبي ﷺ أخذَه، ووضعه على عينيه، ونزلَ عن سريره، وجلس على الأرض تواضعاً، وقرأه. وقال: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بِشارةَ موسى براكبِ الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل. ثم أحضر جعفراً وأصحابه، وأسلم على يد جعفر، وحسن إسلامه.

[جواب النجاشي على كتاب النبي ﷺ]

وكتب إلى النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«إلى محمد رسول الله ﷺ.

من النجاشيّ أصمحة بن أبجَر.

سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته

لا إله إلا الله الذي هداني للإسلام.

أما بعد؛ فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت من أمر عيسى فوربِّ السماء والأرض: إن عيسى لا يزيد تفروقاً على ما ذكرتَ. وقد عرفتُ ما بعثتَ به إلينا، وقد قرّبنا ابن عمك وأصحابه. وأشهد أنك رسول الله، صادقاً مصدوقاً.

وقد بايعتُكَ، وبايعت ابن عمكَ، وأسلمتُ على يديه لله رب العالمين.

وقد بعثتُ إليك يا رسول الله بابني أريحا بن أصحمة، وإن شئتَ آتيك بنفسي فعلتُ يا رسول الله، فإني أشهدُ أن ما تقول حق»، انتهى.

وبعثَ بابنه أريحا في سفينةٍ، ومعه ستون رجلاً في سفينةٍ، في إثر سفينةٍ أخرى فيها جعفر وأصحابه، فغرقت سفينة أريحا وأصحابه، وغرقوا، ووافت سفينةُ جعفر وأصحابه، ومعهم جملة من الحبشة لابسين ثياب الصوف.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قرأ عليهم سورة يس، إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآنَ، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ﷺ، فأنزل الله في النجاشيّ وأصحابه وفي هؤلاء: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾، الآيات، إلى قوله: ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥].

وبذلك يعلم عظيمُ فضلِ النجاشي وأصحابه، وثناء الله تعالى عليهم في كتابه العزيز، وجميل مودته، وفعلهم مع المؤمنين، ومحبتهم لسيد المرسلين والمسلمين. ويشهد له ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية.

قيل: ومما أنزل الله في النجاشيِ وأصحابه، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٤].

قيل: ونزل فيهم أيضاً: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. بل قال عطاءُ بن رباح: ما ذكر الله به النصارى من خيرٍ، فإنما يراد به النجاشيُّ وأصحابه، ذكره البغوي عنه في «تفسيره».

قال السيوطي: وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ، فشهدوا معه أُحداً، فكانت فيهم جراحاتٌ، ولم يُقتَل منهم أحدٌ. فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة، قالوا: يا رسول الله، إنا أهل ميسرةٍ، فأذنْ لنا نجئْ بأموالنا، ونواسي بها المسلمينَ، فأذن لهم. فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢]، الآيات.

[١] وأخرج البيهقي في «الدلائل» عن أبي أمامة، قال: لما قدم وفدُ الحبشة على رسولِ الله ﷺ، قامَ يخدمهم بنفسه، فقال أصحابه: نحن نكفيكَ يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم».

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ
[في المكاتبة بين النبي ﷺ والنجاشي]

ولم تزل المكاتبة والمراسلة، والصلة والمواصلة، بين النبي ﷺ وبين النجاشي.

فكتب إليه النبي ﷺ ثانياً، فجعل النجاشي الكتابين في حُقٍّ، وقال: لا يزال الحبشةُ بخيرٍ ما زال هذان الكتابان بين أظهرها.

وكان الكتابُ التالي سنةَ سبعٍ، مع عمرو بن أمية الضمري أيضاً، إلى النجاشيّ، يأمره فيه أن يزوجه أم المؤمنين، أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبيدالله بن جحشٍ، فتنصّر هناك، وماتَ. فأرسل إليها جارية خاصةً به، تقوم على ثيابه ودهنه، اسمها أبرهة، تخطبها للنبي ﷺ. وقالت لها: يقول لك الملكُ: وكّلي. قالت أم حبيبة: فأعطيتها سِوارين من فضة كانا في أصابع رجلي، سروراً بما بشرتني به.

ووكلت خالدَ بن سعيد بن العاص، فزوجها النجاشيُّ من النبيّ ﷺ، وخطب وعقد بنفسه. **وقيل**: عقد عمرو بن أمية، وخالد بن سعيد بحضوره، وأصدقها أربعمئة دينار من عنده، ودفعها إلى خالد بن سعيدٍ. وأولم النجاشي بعد العقدِ بطعامٍ، **وقال**: إنه سنة الأنبياء.

قالت أم حبيبة: فلما وصل إليَّ المالُ، أرسلت بخمسين ديناراً إلى أبرهة التي بشرتني، **وقلت** لها: كنت أعطيتك ما أعطيتكِ ولا مالَ معي، فخذي هذه الخمسين. فأبتْ، وأخرجت حُقاً فيه ما كنتُ أعطيتها إياه، فردته عليَّ.

وقالت: عزمَ عليَّ الملكُ أن لا أرزأك شيئاً، وإني قد اتبعت دين محمدٍ، وأسلمتُ لله. وقد أمر الملكُ نساءَه أن يبعثْنَ إليكَ بكل ما عندهنّ من العطر. فجاءتني من الغد بشيءٍ كثيرٍ من العنبرِ، والعود، والورس، والزباد. فقدمتُ بذلك كله على رسول الله ﷺ. **وقالت** لي أبرهة: حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام، وتعلمينه أني قد اتبعتُ دينه.

فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ، أخبرته كيف كانت الخِطبة، وما فعلته أبرهة، وأقرأته منها السلامَ، فتبسم رسول الله ﷺ. وقالَ: وعليها السلام.

وأهدى النجاشيُّ إلى رسول الله ﷺ هدايا كثيرةً، منها: بغلةٌ، أو بغلتان، وخُفّان أسودان ساذَجان، فلبِسهما، ومسح عليهما، وخاتمٌ من ذهبٍ، فصّه حبشي، فلبسه أولاً، ثم طرحه، وأعطاه أمامة بنت أبي العاص. ومنها: ثلاثُ عنَزاتٍ، فأعطى عُمر واحدةً، وعلياً واحدةً، وأمسك لنفسه واحدةَ.

فكان بلالٌ يمشي بها بين يديه ﷺ، حتى يأتي المصلى، فيركزُها بين يديه، فيصلي إليها، ثم كان يمشي بها بين يدي أبي بكرٍ، ثم سعدٌ يمشي بها بين يدي عمرَ وعثمان، ولم تزَل مع الولاة، يُمشَى بها بين أيديهم يوم العيدين.

ومن هدايا النجاشي إلى رسول الله ﷺ قارورةَ غاليةٍ، وكان أولَ من عملت له الغالية، وأهدي إليه غير ذلك من الطيب وغيره.

وأهدى النبي ﷺ إلى النجاشي جبةً من سندُسٍ. وأهدى إليه أيضاً حلة يمانيةً، وأهدي إليه أيضاً: أواقيَ من مسكٍ، فعادت إليه.

[١] فروى الإمام أحمد عن أم سلمةَ، قالت: لما تزوجني رسول الله ﷺ قال لي: «إني أهديتُ إلى النجاشي حلةَ وأواني من مسكٍ، ولا أرى النجاشي إلا قد ماتَ، ولا

أُرَى هديتي إلا عائدة إليَّ، فإن عادت إلي فهي لكِ»، فعادت إليه، فأعطانيها.

* * *

[وفاة النجاشي]

وكانت وفاة النجاشي في رجب سنة تسعٍ على أصح الأقوال. ولما مات نعاه جبريل للنبي ﷺ في اليوم الذي ماتَ فيه.

[١] ونعاه النبي ﷺ لأصحابه. فقال: «اخرجوا فصلوا على أخٍ لكم بغير أرضكم، النجاشي».

[٢] وفي رواية: فقال: «توفي رجل صالح من الحبشة فهلموا فصلوا عليه»، فخرج بهم إلى المصلى، وكُشِف له عن أرض الحبشة، فأبصرَ سرير النجاشي، وصلى عليه بهم أربعَ تكبيراتٍ، واستغفر له. فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علجٍ نصرانيٍّ لم يره، وليس على دينه، فأنزل الله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، الآية. إلى ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

[٣] وأخرج أبو داود عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: لما مات النجاشي كنّا نحَدَّث أنه لا يزال يرى على قبره نورٌ.

ويقال: إنّ قبره ببلاد الحبشة الآن مشهورٌ، وباستجابة الدعاء عنده مأثور، يقصده من الأماكن البعيدة للزيارة المسلمون وغيرُهم، من النصارى واليهود وغيرهم.

* * *

إذا علمت ذلك تحققت فضل النجاشيّ، وأنه من أفضل التابعين والمخضرمين، الذين أدركوا زمان النبي ﷺ ولم يروه، ولم يجتمعوا به.

وقيل: إن النجاشي أفضلُ التابعين مطلقاً، وقد عدّه ابن منْدَه من الصحابة، توسُّعاً، وقد ألغزْتُ به، فقلتُ:

رجـلٌ مـاتَ في حياة النبـيِّ الـ ـمُصْطفَـى وهـو تابعـيٌّ منيبُ
وبــه آمــنَ وصلّـى عـليــه معَـه صحبُـه وهـذا عجيــبُ

* * *

فَصْلٌ
[أعلام الصحابة من الحبشة]

وقد فازَ بصحبة النبيِّ ﷺ كثيرٌ من الحبشة، من الوافدين عليه ممن تقدم، والمقيمين معه ومواليه.

فمنهم: سيدنا بلال بن رباح، مؤذنُ رسول الله ﷺ، أول من أذن في الإسلام، ولم يؤذن لأحدٍ بعد النبي ﷺ، وكان خادمَ رسول الله ﷺ في حضره وسفره، وخازنَه على بيت ماله أيضاً، وفضائله لا تحصى، ومناقبه لا تستقصى.

[١] روى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن يزيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ساداتُ السودانِ ثلاثةٌ، من سادات الجنة: لقمان الحبشي، والنجاشي، وبلال**».

وفي رواية: «**ومهجع**».

[٢] وروى الطبراني عن أنسٍ رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**السُّبّاق أربعةٌ: أنا سابق العرب، وصهيبٌ سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة**».

[٣] وعن أبي بُردة رضي الله عنه، قال: أصبح النبي ﷺ ذات يومٍ، فدعا بلالاً، فقال: «**يا بلال سبقت إلى الجنة فإني ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك**»، قال بلالٌ: ما أحدثت إلا توضأتُ وصليت ركعتين. فقال رسول الله ﷺ: «**بهذه**».

[٤] وروى أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الخلافة في قريشٍ، والحكمُ في الأنصار، والأذان في الحبشة**»؛ ولذلك استحبَّ بعضُهم في المؤذن أن يكون حبشياً.

ومنهم: شُقْران، بضم الشين المعجمة، مولى رسول الله ﷺ. وكان من كبار أصحابه، وكان ممن حضر وشاركَ في غسل النبي ﷺ ودفنه، فكان ممن يصب الماءَ، ونزل في القبر.

ومنهم: أَنَسةُ، مولى النبي ﷺ، اعتقه بالمدينة، وشهد بدراً وما بعدها.

ومنهم: أبو لَقيطٍ، مولى رسول الله ﷺ، أيضاً، بقي إلى أيام عمر بن الخطاب.

[٥] وقد رويَ عن عمر أنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ وغلام حبشي يغمِزُ ظهره، لما نفحت به الناقة.

[٦] وعن أبي كاهلٍ قال: رأيتُ النبي ﷺ يخطبُ على ناقةٍ، يمسك بخطامها عبدٌ حبشيٌّ، **فيحتملُ** أنّ هذين ممن تقدم، و**يحتمَل** أنهما غيرهم.

[٧] وروَى عن يعقوب بن عتبة قال: كان لرسول الله ﷺ مولى من الحبشة، فماتَ، فقال: «انظروا من كان بمكّة من مسلمي الحبشة، فادفعوا ميراثه إليه».

ومنهم: ذو مِـخْبَر، بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة، ويقال: مخمر، ابن أخي النجاشي، وقيل: ابن أخته.

ومنهم: سعيد بن بكرٍ، ويقال: بكَيرٍ، بالتصغير، وهو أشهر، وهو من قرابة النجاشي أيضاً. فقيل: وهو الذي اشتد بكاؤه بين يدي رسول الله ﷺ لما ذكر النار. فنزل جبريلُ فقال: يا محمدُ، إن الله يقول: وعزتي وجلالي وكرمي، وسعَة رحمتي، لا تبكي عينٌ في الدنيا من مخافتي، إلا أكثرت ضحكها في الآخرة.

[٨] ونقل أبوطاهر بن العلا: أن حبشياً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني كنتُ أعمل الفواحشَ، فهل لي من توبةٍ؟ فقال ﷺ: «نعم». فولى ثم رجعَ، فقال:

يا رسول الله، هل كان الله يراني وأنا أعملها؟ قال: «نعم يا حبشي»، فصاح الحبشيّ صيحةً، خرجت فيها نفسه.

[٩] وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً حبشياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: فُضّلتم علينا بالصورة واللون والنبوة، أفرأيتَ إن آمنتُ بمثل ما آمنتَ به، وعملتُ بمثل ما عملتَ به، إني لكائنٌ معك في الجنة؟ فقال ﷺ: «نعم، والذي نفسي بيده، إنه ليُرى بياضُ الأسود في الجنة من مسيرة ألف عامٍ. ومن قالَ: لا إله إلا الله، كان له عهدٌ عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كتب له مئةَ ألف حسنة وأربعةً وعشرين ألف حسنة». فقال رجل: كيف يهلكُ بعد هذا يا رسول الله؟ فقال: «والذي نفسي بيده، إن الرجل ليأتي يوم القيامة بعمله، لو وضع على جبلٍ لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله، فتكاد تستعيد ذلك كله، لولا ما تفضّل الله به من رحمته». ثم نزلت هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾، إلى قوله: ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ١-٢٠]. فقال الحبشي: وهل ترى عيني في الجنة ما ترى عينُكَ يا رسول الله؟ قال: «نعَم»، فبكى الحبشيُّ حتى فاضت نفسه، فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ يدْليه في حفرته بيده.

ومنهم: مِهجَع، بكسر الميم وفتح الجيم، مَولى عمر بن الخطاب. وهو أول من قُتل في وقعة بدر من المسلمين.

[١٠] وقد تقدم في الحديث: إنه من سادات السودان، ومن سادات الجنة.

[١١] ورويَ في حديث آخر: أنه أول من يدعى إلى باب الجنة من الشهداء.

ومنهم: أسلَمُ، مولى عمر أيضاً، وهو صحابي مشهورٌ بالرواية. ويقال: إنه بلغَ من العمر مئة وأربعةَ عشر سنةً.

ومنهم: هلالٌ، مملوك المغيرة بن شعبة. وقيل: من أهل الصفة.

[١٢] روى الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ في المسجد، فقال: «**يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة**»، وقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة، فخرجت من ذلك البابِ فلم أر أحداً. فعدتُ، فدخلتُ وقعدت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أما إنك لستَ به يا أبا الدرداء**»، ثم جاء رجلٌ حبشي فدخلَ من ذلك الباب، عليه جبةٌ من صوف، فيها رقاعٌ من أدم، رامقاً بطرفه إلى السماء، حتى قام على رسول الله ﷺ. فقال: «**كيف أنت يا هلال؟**»، فقال: بخير يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «ادع لنا يا هلالُ واستغفر لنا»، فقال: صلى الله عليكَ، ورضيَ عنك، وغفر لك يا رسول الله، الحديث.

[١٣] وفي روايةٍ: أن اسمه يسَار، وأنه يكنس المسجد ويرشّه. وأن النبي ﷺ قال: «إنه من السبعة الذين يدفع الله بهم البلاء عن أهل الأرض».

[١٤] ورويَ: أنه ﷺ خرج ليلةً فانتهى إلى دارٍ قد حفّتها الملائكة، فدخلها، فإذا النور ساطعٌ، فنظر فإذا رجلٌ قائم يصلي، وإذا النور ساطعٌ من فيه إلى السماء، فخففَ الرجل الصلاةَ. فقال: «**من أنت؟**»، قال: مملوك بني فلان. قال: «**ما اسمكَ؟**» قال: يسار. قال: «**ما عملك؟**»، قال: خفّافٌ.

فلما أصبح ﷺ سأل عنه، فقالوا: ما تصنع به، فقال: «**أعتقُه**». فقال أهله: أتولينا أجره؟ قال: «**نعم**»، فأعتقوه. قال: فخرج ليلةً فانتهى إلى الدار، فلم ير الملائكةَ، ففتحَ، فدخلَ، فإذا هو ساجدٌ، قد قُضِيَ عليه وماتَ، فنزل عليه جبريل، فقال: يا محمد كفيناكَ غُسله، فكفّنوه وأحسنوا كفنَه.

ومن الصحابة أيضاً رجالٌ آخرونَ من الحبشة، ونساء كثيرات، واستيعابهم

يطولُ، ومن أراد البحث عنهم فعليه بتتبع الكتُب المؤلفة في الصحابة، كـ«الإصابة» للحافظ ابن حجر، وغيرها، فإن فيها كثيراً منهم.

* * *

[أعلام النساء الحبشيات]

ومن أشهر النساء الحبشيات الصحابيات:

أمتُه ﷺ وحاضنته، ومولاته، بل أمه ﷺ، أم أيمن بركة الحبشية. حضنت رسول الله ﷺ حتى كبر، فأعتقها، وزوجها من مولاه زيدٍ، أحب الناس إليه، فولدت له: أسامة، حبيب رسول الله ﷺ أيضاً.

[١] وكان رسول الله ﷺ يقولُ: «**أم أيمَن أمي بعد أمي**».

[٢] وكان رسول الله ﷺ يزورُها في بيتها، ويزورها بعده أبوبكر وعمر.

ومن كرامتها المشهورة: أنها هاجرت على قدميها، منفردةً، صائمةً. فلما كانت قريباً من الرَّوحاء، أجهدها الجوع والعطش، حتى أشرفَت على التلف، فسمعت حفيفاً فوق رأسها، فالتفتت، فإذا دلوٌ قد دليت من السماء، برشاء أبيض، فيها ماءٌ أبيض، فأخذته فشربت منه حتى رويت. وكانت تقول: ما أصابني عطشٌ بعد ذلك، ولقد تعرضتُ للعطش بالصوم في الهواجر، فما عطشت.

* * *

فهذا ما تيسر ذكرُه، مما يدل على فضل الحبشة، وأن لهم قدَم صدقٍ في الدين، ومودة حق في سيد المرسلين، وآل بيته وأصحابه وجميع المؤمنين.

وقد توسع فيه القولُ، وصار فيه طولٌ، وخرج بنا عن الاختصار المقصود،

ولكنه على كل حالٍ محمود، يحمده أهل الفضل والجود، ولا ينكره إلا كل غبيٍّ جَحود، أو معاند حسود.

وسنعود إلى ما هو المقصود والمراد،
من بيان أنموذج من فضائل الجهاد، ومن الله الاستمدادُ،
وبه الاستعدادُ وإليه الاستناد في الإرشاد والاسترشاد،
في المعاش والمعاد.

❋ ❋ ❋

فَصْلٌ

[في إيراد الآيات والأحاديث في فضل الجهاد]

وقد ورد في فضل الجهاد من الآيات والأحاديث، ما لا يحصى كثرةً، ولا يخفى شهرةً.

أما الآياتُ؛ فقد ذكر في نيفٍ وسبعين آيةً:

كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢١٦]. وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]. وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ

وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

والآياتُ في هذا كثيرة شهيرةٌ.

* * *

فإن قيل: كيف اشتراهم وممن اشتراهم؟

فالجواب: أنّ ذلك مثلٌ ضربه الله لإثابتهم الجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله. **وقيل**: لأن القصد من هذا الشراء عتقُهم، فجازَ كما يجوز بيع العبد من نفسه لسيده، وهو ملكه. **وقيل**: لما جعلهم بفضله بأحكامه مخاطَبين، نزَّلهم منزلةَ المكاتبين، فعاملهم معاملة الأحرار.

وقيل: لما تولاهم بالألطاف والأفضال، جعلهم بمنزلة الأطفال مع آبائهم في المثال، فاشترى لهم منهم بنفسِه في حضرة قدسِه.

وقيل: إن المشترَى منهم ثلاثةٌ: الأرواحُ، والأنفسُ، والأموالُ، فجعلت الوثيقةُ بالشراء في ثلاثة كتبٍ: في التوراة، والإنجيل، والقرآن. فبذلُ النفْسِ يورث الجنة. قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]. وبذلُ المال يورثُ النصرَ والفتح؛ قال الله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣]. وبذل الروح يورثُ الحياة الباقيةَ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وفي هذه الآية بشارةٌ كريمة، وإشارة عظيمة. وهي: أنه سبحانه اشتراهم مع علمِه بعيوبهم، وكثرة ذنوبهم. وقد حكم الله في شرعه العظيم: أن لا يرد المعيبَ من اشتراه مع علمه بالعيب، فهو سبحانه أحقُّ بذلك مع عباده المؤمنين، وهو القادر على

إزالة عيوبهم، وتطهيرهم من ذنوبهم، فحاشاه أن يردّهم بعيوبهم، أو يتركهم وقد اشتراهم ملطّخين بذنوبهم، وقد أمر بإكرام مثوى العبيد، والرفق بهم والتسديد، فهو سبحانه أحق بذلكَ، كيف لا! وهو الولي الحميد.

* * *

[الأحاديث في فضل الجهاد]

وأما الأحاديث:

[١] فأخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي في «الشعب»، عن أبي ذر رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيل الله»، قال: فأي العتاق أفضلُ؟ قال: «أنفَسُها»، قال: أفرأيت إن لم أجد؟ قال: «فتعين الصانع أو تصنع لأخْرقَ»، قال: أفرأيت إن لم أستطع؟ قال: «تدعُ الناس من شرّك فإنها صدقةٌ تصدّقُ بها على نفسك».

[٢] وأخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله ورسوله»، قال: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قال: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

[٣] وأخرج البيهقي في «الشعَب» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل العملِ الصلاةُ لوقتها، وجهادٌ في سبيل الله».

[٤] وأخرج مالك، وعبد الرزاق في «المصنف»، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والبيهقي عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد،

وقد تكفل الله للمجاهد في سبيله أن يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرجعه سالماً بما نالَ من أجر وغنيمة».

* وقوله: «والله أعلم بمن يجاهد في سبيله» المراد منه: أن هذا الثوابَ إنما هو للصادق بالإخلاص، الثابت عند البأس.

[٥] وأخرج البخاري، والبيهقي في «الشعب»، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: علمني عملاً يعدل الجهاد، قال: «لا أجده. هل تستطيع إذا خرجَ المجاهدُ أن تدخل المسجدَ فتقوم ولا تفتُر، وتصوم ولا تفطر؟»، قال: لا أستطيع ذلك. قال أبو هريرة: أن فرس المجاهد يستنّ في طوله فتكتب له الحسنات.

* ومعنى قوله «يستن في طوله»: يذهب يميناً وشمالاً في حبله، فيكتب له أثره.

[٦] وأخرج مسلم، والترمذي، والنسائي، والبيهقي في «الشعب»، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أخبرنا بما يعدل الجهاد في سبيل الله. قال: «لا تستطيعونه»، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «مثَل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانتِ بآيات الله، لا يفتر عن صيامٍ وصلاةٍ، حتى يرجع المجاهد إلى أهله».

[٧] وأخرج الترمذي وحسنه، والبزار، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرةَ: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ مرَّ بشعبٍ فيه عيينة ماءٍ عذبٍ، فأعجبه طيبُه. فقال: لو أقمتُ في هذا الشعب، واعتزلتُ الناس، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ. فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «لا تفعل! فإن مقامَ أحدكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم؟! اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ وجبت له الجنة».

[٨] وأخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: أي

الناس أفضل؟ فقال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله»، قال: ثم من؟ قال: «مؤمنٌ في شعب من الشعابِ يعبد الله ويدعُ الناسَ من شره».

[٩] وأخرج الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الناس منزلة»، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل أخذ برأس فرسِه في سبيل الله حتى يموتَ أو يقتل ألا أخبركم بالذي يليه؟»، قالوا: بلى. قال: «امرء معتزل في شعبه يقيم الصلاةَ، ويؤتي الزكاة، ويعتزل شرورَ الناس. ألا أخبركُم بشرِّ الناس؟»، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الذي يسأل بالله ولا يعطي».

[١٠] وأخرج الطبراني عن فضالة بن عبيدٍ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام ثلاث آياتٍ: سُفلى، وعليا، وغرفةٌ. فأما السفلى: فالإسلامُ، دخل فيه عامة الناسِ، فلا يسأل أحد منهم إلا قال: أنا مسلمٌ. وأما العليا: فتفاضل أعمالهم، بعض المسلمين أفضل من بعضٍ. وأما الغرفة العليا: فالجهاد في سبيل الله، لا ينالها إلا أفضلهم».

[١١] وأخرج البزار عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الإسلام ثمانيةُ أسهم: إلا سلام سهمٌ، والصلاة سهمٌ، والزكاة سهمٌ، والصوم سهمٌ، والحجّ سهمٌ، والأمر بالمعروف سهمٌ، والنهي عن المنكر سهمٌ، والجهاد في سبيل الله سهمٌ، وقد خاب من لا سهمَ له».

وأخرج الأصبهاني في «الترغيب» عن عليٍّ مثله.

[١٢] وأخرج أحمد، والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله وحجٌّ مبرور»، فلما ولى الرجلُ، قال: «وأهون من ذلك عليكَ: إطعام الطعام، ولينُ الكلام»، فلما ولى الرجلُ، قال: «وأهون من ذلك عليك: لا تتهم الله على شيءٍ قضاه عليك».

* ومعنى قوله: «لا تتهم الله..»، إلخ. أي: ارضَ بقضائه، فإنه إنما فعل بك ما هو الخير لك والأصلح. أو: لا تلُمه فيما أصابك منكَ، ولم نفسك.

[١٣] وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم وصححه عن عبادة بن الصامت أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم».

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» مثله عن أبي أمامة.

[١٤] وأخرج أحمد، والبزار، والطبراني عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: «مثل المجاهدِ في سبيل الله، كمثل الصائم نهارَه، القائم ليلَه، من حين يخرج إلى حينِ يرجع».

[١٥] وأخرج مسلم، وأبوداود، والنسائي، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات ولم يغزُ، ولم يحدث نفسه بالغزوِ، مات على شعبةٍ من النفاق».

* فينبغي لكل مسلم أن يحدثَ نفسه بالغزو، ويهتمّ به، أو يعين الغازي بقوله وفعله، أو يجهز غازياً، أو يخلفه في أهله. فقد وردَ: أن من فعل شيئاً من ذلك، كان كمن غزا.

[١٦] وأخرج النسائي، والحاكم وصححه، والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «رباطُ يوم في سبيل الله خيرٌ من ألف يومٍ فيما سواه من المنازل».

وسيأتي ذلك، وتفضيل الرباط.

[١٧] وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم وصحّحه، عن معاذ بن أنس: أن رسول الله ﷺ بعث سريةً، فأتته امرأةٌ، فقالت: يا رسول الله إنك بعثت هذه السريةَ، وإن زوجي خرج فيها، وقد كنتُ أصوم بصيامه، وأصلي بصلاته، وأتعبد بعبادته،

فدلني على عملٍ أبلغُ به عمله في الجهاد. قال: «تصلين ولا تقعدين، وتصومين ولا تفطرين، وتذكرين الله ولا تفترين»، قالت: لا أطيق ذلك يا رسول الله. قال: «ولو طُوِّقتِ ذلك، والذي نفسي بيده، ما بلغتِ العشيرَ من عمله».

[١٨] وأخرج الطبراني عن أبي هريرةَ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا خرج الغازي في سبيل الله جعلتْ ذنوبُه جسراً على باب بيته، فإذا غزا خلَّف ذنوبه، ولم يبق عليه منها مثلُ جناح بعوضةٍ، وتكفل الله له بأربع: بأن يخلفه فيما يخلف من أهله وماله، وأي ميتة ماتَ بها أدخله الجنة، وإن رده ردّه سالماً بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ، ولا تغربُ شمسٌ إلا غربت بذنوبه».

[١٩] وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله في أنف رجل غباراً في سبيل الله ودخان جهنم أبداً، ومن اغبرّت قدماه في سبيل الله، حرم الله سائر جسده على النار، ومن صام يوماً في سبيل الله باعدَه الله عن النار مسيرة ألف عامٍ للراكب المستعجل، ومن جرح جراحةً في سبيل الله ختم الله له بخاتَم الشهداء، وتأتي يوم القيامة لونها مثل لون الزعفران، وريحها مثل ريح المسك، يعرفه بها الأولون والآخرون، يقولون: فلانٌ عليه طابع الشهداء. ومن قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة».

[٢٠] وأخرج أحمد، وأبوداود، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي مالك الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خرج في سبيل الله غازياً فمات أو قتل فهو شهيدٌ، أو وقصته فرسه أو بعيره فهو شهيد، أو لدغته هامة أو ماتَ على فراشه بأي حتفٍ شاء الله إنه شهيد، وأن له الجنة».

[٢١] وأخرج البزار عن أبي هندٍ، رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المجاهد كمثل الصائم القائم المتصدّق، الذي لا يفتر من صيام ولا صلاة ولا صدقة».

[٢٢] وأخرج أحمد، والبخاري، والترمذي عن عبد الرحمن بن جبر قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار».

[٢٣] وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله إلا حرمهما الله وسائر جسمه على النار».

[٢٤] وأخرج البزار عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله عليه النار وأدخله الجنة».

[٢٥] وأخرج الحاكم وصحّحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الناس منزلة؟» قالوا: بلى. قال: «رجل يأخذ بعنان فرسه وجعل همّه الجهاد في سبيل الله حتى يقتل أو يموت. ألا أخبركم بالذي يليه منزلةً، رجلٌ معتزل في شعبٍ، يقيم الصلاةَ، ويؤتي الزكاةَ، ويشهد أن لا إله إلّا الله».

[٢٦] وأخرج ابن سعدٍ عن أم بشْر بنت البراء بن معرور قالتْ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخير الناس رجلاً»، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل آخذٌ بعنان فرسه ينتظر أن يغير أو يغارُ، ألا أنبئكم بخير الناس بعده»، قالوا: بلى. قال: «رجل في غنمهِ يقيم الصلاةَ، ويؤتي الزكاةَ، ويعلم حق الله في ماله، قد اعتزل شرور الناس».

[٢٧] وأخرج النسائي، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ خطبَ الناس، فقال: «ألا أخبركم بخير الناس؟ إن من خير الناس رجلٌ عمل في سبيل الله على ظهر فرسه، أو ظهر بعيره، أو على قدميه، حتى يأتيه الموت. وإن من شر الناس رجلٌ فاجر جريءٌ، يقرأ كتاب الله ولا يرعوي إلى شيء منه».

[٢٨] وأخرج أبوداود، والحاكم وصححه عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامنٌ على الله: رجلٌ خرج غازياً في سبيل الله فهو ضامنٌ على الله حتى

يتوفاه الله فيدخله الجنة، ويرده سالماً بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامنٌ على الله، حتى يتوفاه الله فيدخله الجنة بما نالَ من أجر أو غنيمةٍ، ورجل دخل بيته بالسلام فهو ضامنٌ على الله».

[٢٩] وأخرج الحاكم وصححه عن أبي الخصاصية، قال: أتيتُ رسول الله ﷺ لأبايعه على الإسلامِ، فاشترط عليَّ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤتي الزكاة وتحج وتجاهد في سبيل الله»، فقلتُ: يا رسول الله، أما اثنتان فلا أطيقهما، أما الزكاة فلا مال لي إلا عشر ذَودٍ، هُن رسلُ أهلي وحمولتهم، وأما الجهادُ فيزعمون أن من ولّى فقد باء بغضبٍ من الله، فأخاف أني إذا حضرني القتالُ كرهت الموتَ، وجشعت نفسي، فقبض رسول الله ﷺ يدَه ثم حركها، وقال: «لا صدقة ولا جهاد! فبأي شيء تدخل الجنة»، فقلتُ: يا رسول الله أبايعُكَ، فبايعني عليهن كلهنّ.

[٣٠] وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث أعين لا تمسها النار: عينٌ فُقِئت في سبيل الله، وعينٌ حرست في الله، وعينٌ بكت من خشية الله».

[٣١] وأخرج أحمد، والطبراني، والنسائي، والحاكم وصححه عن أبي ركانة قال: قال رسول الله ﷺ: «حرّمت النارُ على عينٍ دمعَت من خشية الله، وعين غضّت عن محارم الله، وحرمت النار على عينٍ سهرت في سبيل الله، وعين فقئت في سبيل الله».

[٣٢] وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أظلتكم فتنٌ كقطع الليل المظلم، وإن أنجى الناس منها رجلان: رجلٌ صاحب شاهقة يأكل من رسل غنمه، ورجل من وراء الدروب، آخذ بعنانِ فرسه، يأكل من فيء فرسه».

[٣٣] وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيدٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «المجاهد في سبيل الله مضمون على الله إما أن يكفُتَه إلى مغفرته ورحمته، وإما أن يرده بأجر وغنيمةٍ، ومثَلُ المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر حتى يرجع».

[٣٤] وأخرج ابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن عثمان بن عفان قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من حرسَ ليلةً في سبيل الله، كان له أفضلَ من ألف ليلة يقومُ ليلها ويصوم نهارها».

[٣٥] وأخرج الترمذي وحسّنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

[٣٦] وأخرج أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبداً: عين باتت تكلأ في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله».

[٣٧] وأخرج الطبراني عن معاوية بن حيدة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترى أعينهم النار أبداً: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله».

[٣٨] وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بليلةٍ أفضلَ من ليلة القدر»، قالوا: بلى. قال: «ليلة حارسٍ حرسَ في سبيل الله في أرضِ خوفٍ لعله لا يرجعُ إلى أهله».

[٣٩] وأخرج الحاكم، والبيهقي أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حرم الله عينين على النار أن لا تنالهما: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر».

[٤٠] وأخرج الأصبهاني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عين باكية يوم القيامة إلا عينٌ غضّت عن محارم الله، وعينٌ سهرت في سبيل الله، وعينٌ خرج منها مثل رأس الذباب دمعاً من خشية الله».

[٤١] وأخرج ابن ماجه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حراسة ليلة في سبيل الله أفضلُ من صيام رجلٍ وقيامِه في أهله ألفَ سنةٍ، والسنة ثلاثمئة يوم، كل يوم كألف سنة».

[٤٢] وأخرج ابن ماجه عن أنس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من راح روحةً في سبيل الله، كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكٌ يوم القيامة».

[٤٣] وأخرج عبد الرزاق عن مكحول، عن بعض الصحابة: أن رسول الله ﷺ قال: «من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ، قتل أو ماتَ، دخل الجنة. ومن رمى سهماً في سبيل الله بلغَ العدوَّ أوقصُرَ، كان عدلَ رقبةٍ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة، ومن كلِمَ كلْمةً - أي جراحة - جاءت يوم القيامة ريحها ريح المسك، ولونها مثل الزعفران».

[٤٤] وأخرج البيهقي عن أكدر بن حمام قال: أخبرني رجل من أصحاب النبيّ ﷺ قال: جلسنا يوماً في مسجد رسول الله ﷺ، فقلنا لفتًى فينا: اذهب إلى رسول الله ﷺ فاسأله: ما يعدل الجهاد؟ فأتاه فسأله، فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء»، ثم أرسلناه الثانيةَ، فقال مثلَها. ثم قلنا: إنها من رسول الله ثلاثٌ، فإن قال: فلا شيء، فقل: فما يقرب منه؟ فأتاه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيء**»، قال: فما يقرب منه يا رسول الله؟ فقال: «طيب الكلام، وإدامة الصيام، والحج كل عام، ولا يقرب شيء منه بعْدُ».

[٤٥] وأخرج النسائي، وابن حبان، والحاكم وصححه عن فضالة بن عبيدٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أنا زعيمٌ، والزعيم: الحميل، لمن آمن بي وأسلم

وهاجرَ ببيتٍ في ربض الجنة، وبيتٍ في وسط الجنة. وأنا زعيمٌ لمن آمن بي وأسلمَ وجاهد في سبيل الله ببيتٍ في رَبَض الجنة، وبيتٍ في وسط الجنة، وبيت في وسط السماء، في أعلى غرف الجنة. فمن فعل ذلك لم يدَعْ للخير مطلباً، ولا من الشرِّ مهرباً، يموت حيثُ شاء أن يموت».

[٤٦] وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن عمران بن الحصين: أن رسول الله ﷺ قال: «مقامُ الرجل في الصف في سبيل الله أفضَلُ عند الله من عبادة الرجل ستين سنة».

[٤٧] وأخرج أحمد، والبزار عن معاذ بن جبل أنه قال: يا نبي الله، حدثني بعملٍ يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «بخٍ بخٍ، لقد سألتَ لعظيم، لقد سألت لعظيم، وإنه ليسير على من أراد الله به الخيرَ، تؤمن بالله، وباليوم الآخر، وتقيم الصلاةَ، وتؤتي الزكاة، وتعبد الله وحدَه لا تشركْ به شيئاً، حتى تموت على ذلك»، ثم قال: «يا معاذُ، إن شئتَ حدثتُك برأس هذا الأمر، وقِوَام هذا الأمر، وذروة السنام؟»، فقال معاذ: بلى يا رسول الله، قال: «إن رأسَ هذا الأمر: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأن محمداً عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر: الصلاة، والزكاة. وإن ذروة السنام منه: الجهادُ في سبيل الله. إنما أمرت أن أقاتلَ الناس حتى يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاةَ، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا، وعصموا دماءَهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»، ثم قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما شحب وجهٌ، ولا اغبرّت قدمٌ في عملٍ يبتغَى به درجاتُ الآخرة، بعد الصلاة المفروضة، كجهادٍ في سبيل الله، ولا ثقُلَ ميزانُ عبدٍ كدابة تنفق في سبيل الله، أو محملٌ عليها في سبيل الله».

[٤٨] وأخرج الطبراني عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ قال: «ذروة سنام الإسلام الجهاد لا يناله إلا أفضل المؤمنين».

[٤٩] وأخرج أبو داود، وابن ماجه عن أبي أمامة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يغز، ولم يجهز غازياً، أو يخلفه في أهله بخيرٍ، أصابه الله بقارعةٍ قبلَ يوم القيامة».

[٥٠] وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أهل بيتٍ لا يَخرجُ منهم أحدٌ غازياً، أو يخلُفون غازياً في أهله، إلا أصابهم بقارعة قبل الموت».

[٥١] وأخرج عبد الرزاق، وأحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان، والحاكم وصححه، والبيهقي عن معاذ بن جبلٍ: أن رسول الله ﷺ قال: «من قاتل فُواقَ ناقةٍ في سبيل الله، فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقاً ثم مات أو قُتل فإن له أجرَ شهيد، ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو لكن لكنةً في سبيل الله، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزَرِ ما كانت دماً، لونه لونُ الزعفران، وريحه ريح المسك، ومن خرج به جراحٌ في سبيل الله فإن عليه طابعُ الشهداء».

[٥٢] وأخرج النسائي عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال، فيما يحكي عن ربه: «أيما عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيل الله ابتغاءَ مرضاتي، ضمنت له أن أرجعته أرجعه بما أصاب من أجر وغنيمةٍ، وإن قبضته غفرت له».

[٥٣] وأخرج الطبراني، والبيهقي عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يغبرُّ وجهه في سبيل الله إلا أمّنه الله دخان النار يوم القيامة». وفي نسخة: «وما من رجل تغبر قدماه في سبيل الله إلا أمن الله قدميه يوم القيامة».

[٥٤] وأخرج أبو داود في «مراسيله» عن الربيع بن زيادٍ قال: بينما رسول الله ﷺ يسير إذ هو بغلامٍ من قريش، معتزلٍ من الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «أليس ذلك فلان؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فادعوه، فدعَوه، قال: «مالك اعتزلت الطريق؟»، قال: يا رسول الله كرهتُ الغبار، قال: «فلا تعتزله، فوالذي نفسي بيده إنه لذريرَةُ الجنة».

[٥٥] وأخرج أبو يعلى، وابن ماجه، والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرَّت قدماه في سبيل الله، حرمه الله على النار، وحرمها عليه».

[٥٦] وأخرج الترمذي عن أم مالكٍ النهدية، قالت: ذكر رسول الله ﷺ فتنةَ فقرّبها، قلتُ: يا رسول الله، من خير الناس فيها؟ قال: «رجلٌ يعبد الله في ماشيته ويؤدي حقها، ورجلٌ آخذٌ برأس فرسه يخيف العدو ويخيفونه».

[٥٧] وأخرج الترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله أبداً حتى يعود اللبنُ في الضرع، ولا يجمع غبار في سبيل الله ودخان في جهنم في منخري مسلم أبداً».

[٥٨] وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «ليس شيءٌ أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموعٍ من خشية الله، وقطرة دمٍ تهراق في سبيل الله. وأما الأثران: فأثرٌ في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله».

[٥٩] وأخرج أحمد، وأبوداود، والحاكم وصححه، والبيهقي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «الغزو غزوان: فأما من ابتغى به وجه الله، وأطاع الإمامَ، وأنفق الكريمة، وياسَر الشريكَ، واجتنب الفسادَ، فإن نومه ويقظته أجرٌ كله. وأما من غزا فخراً ورياءً وسمعةً، وعصى الإمامَ، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف».

[٦٠] وأخرج مسلمٌ، وأبوداود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من سرية تغزو في سبيل الله فيسلمون ويصيبون الغنيمةَ، إلا تعجَّلوا ثلثي أجرهم، ويبقى لهم الثلثُ، وما من سرية تخفقُ وتخوَّف وتصابُ، إلا تمّ لهم أجرهم».

[٦١] وأخرج أبوداود عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

* واتباع أذناب البقر: كنايةٌ عن الحرث.

[٦٢] وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي هريرة قال: أمر رسول الله ﷺ بسريةٍ أن تخرج، قالوا: يا رسول الله، أنخرج الليلةَ، أم نمكث حتى نصبح؟ قال: «أولا تحبون أن تبيتوا هكذا في خريفٍ من مخارفِ الجنة؟»، قالوا: بلى، قال: «فاخرجوا الليلة».

* والخريف: الحديقة.

[٦٣] وأخرج الطبراني عن سلمانَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رجف قلبُ مؤمنٍ في سبيل الله، تحاتُّ عنه خطاياه كما يتحاتُّ عذق النخلة».

[٦٤] وأخرج البزار عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «حجة خيرٌ من أربعين غزوة، وغزوة خير من أربعين حجة».

* **يقول**: إذا حج الرجل حجة الإسلام فغزوةٌ له خيرٌ من أربعين حجةً، وحجةُ الإسلام خيرٌ من أربعين غزوة.

[٦٥] وأخرج الطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «حجةٌ لمن لم يحجَّ خيرٌ من عشر غزواتٍ، وغزوةٌ لمن قد حجَّ خيرٌ من عشر حججٍ. وغزوةٌ في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأوديةَ كلها، والمائدُ في البحر كالشهيد المتخبطِ المتشحط في دمه».

[٦٦] وأخرج البيهقي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «حَجّةٌ ممن لم يحجَّ أفضلُ من عشر غزواتٍ، ولغزوةٌ ممن حجَّ أفضلُ من عشر حجات».

[٦٧] وأخرج أبوداود في «المراسيل» عن مكحولٍ قال: كثُر المستأذنون عن رسول الله ﷺ إلى الحجّ في غزوة تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «غزوةٌ لمن قد حجَّ أفضلُ من أربعين حجةً».

[٦٨] وأخرج عبد الرزاق عن ابن عمر قال: السّفرةُ في سبيل الله أفضل من خمسينَ حجةً.

[٦٩] وأخرج مسلم، والترمذي وصححه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: المجاهد في سبيلي هو عليَّ ضامنٌ، إن قبضته أورثتُه الجنة، وإن رجّعته رجعته بأجرٍ أو غنيمة».

[٧٠] وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان، والطبراني، والحاكم وصححه، عن معاذ بن جبلٍ: عن رسول الله ﷺ قال: «من جاهد في سبيل الله كان ضامناً على الله، ومن دخل على إمامٍ يعزّرُه[١] كان ضامناً على الله، ومن جلس في بيته لم يغتب إنساناً كان ضامناً على الله».

[٧١] وأخرج أحمد، وأبوداود، والنسائي عن عبد الله بن جبس الخثعمي أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «أمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحجة مبرورة»، قيل: وأي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل»، قيل: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر ما حرم الله»، قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من جاهد المشركين بنفسه وماله»، قيل: فأي القتل أشرف؟ قال: «من أهريقَ دمُه، وعقر جواده».

[٧٢] وأخرج مالك، والبخاري، والترمذي، والنسائي عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من كل أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خيرٌ. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من

---

(١) يعظمه. (من هامش الأصل).

أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعِي من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة»، فقال أبوبكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

[٧٣] وأخرج مالك، وعبدالرزاق في «المصنف»، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمّن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهادٌ في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو ضامنٌ أن أدخله الجنةَ، وأرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده، ما كُلِمَ بكلمةٍ في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم، لونُه لون دمٍ، وريحه ريح المسك. والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد ما أحملهم عليه، ولا يجدون ما يتحملون عليه، فيخرجون ويشق عليهم أن يتخلفوا بعدي. والذي نفسي بيده، لوددْتُ أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا فأقتل».

[٧٤] وأخرج ابن سعد عن سهل بن عمرو، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مقام أحدكم في سبيل الله ساعةً خيرٌ من عمله عُمره في أهله».

[٧٥] وأخرج أحمد عن أبي أمامة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سريةٍ من سراياه، فمرَّ رجلٌ بغار فيه شيءٌ من ماءٍ وبقل، فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار، فيقوته ما كان فيه من ماءٍ، ويصيب مما حوله من البقل، ويتخلى من الدنيا، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكن بعثتُ بالحنيفية السمحة. والذي نفسي بيده، لغدوةٌ أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في سبيل الله خيرٌ من صلاته ستين سنة».

[٧٦] وأخرج أحمد عن عمرو بن العاص قال: قال رجل: يا رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله، وتصديق، وجهاد في سبيله، وحج مبرور»، قال الرجلُ: أكثرتَ يا رسول الله! قال: «لين الكلام، وبذل الطعام، والسماح وحسن الخلق»، قال الرجل: أريد كلمة واحدةً. قال: «اذهب ولا تتهم الله على نفسك».

[٧٧] وأخرج أحمد عن الشفاء بنت عبد الله، وكانت من المهاجرات: أن رسول الله ﷺ سئل: عن أفضل الأعمال؟ قال: «إيمان بالله، وجهاد في سبيل الله، وحج مبرور».

[٧٨] وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن الحسن البصري قال: بني الإسلام على عشرة أركانٍ: الإخلاص لله وهو الفطرة، والصلاة وهي الملة، والزكاة وهي الطُّهْرة، والصيام وهو الجنة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو العزة، والأمر بالمعروف وهو الحجة، والنهي عن المنكر وهو الواقية، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة.

[٧٩] وأخرج أحمد عن عمرو بن عبينة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قاتل فُواقَ ناقةٍ في سبيل الله، حرم الله وجهه على النار ووجبت له الجنة».

[٨٠] وأخرج أحمد، والطبراني عن عائشةَ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما خالط قلب امرئٍ رهج في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار».

[٨١] وأخرج الترمذي، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله بغير أثرٍ من جهاد لقيه وفيه ثلمةٌ».

[٨٢] وأخرج الطبراني عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب».

[٨٣] وأخرج البيهقيّ عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا

ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذنابَ البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله؛ أنزل الله عليهم البلاءَ، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم».

[٨٤] وأخرج مسلم، والنسائي عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «غزوة في سبيل الله، أو روحةٌ، خير من الدنيا وما فيها». وفي رواية: «خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو غربت».

[٨٥] وأخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مئة درجةٍ، أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

[٨٦] وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمّد رسولاً وجبتْ له الجنة»، فعجب لها أبو سعيدٍ. فقال: أعدها عليَّ يا رسول الله، فأعادها عليه. ثم قال: «وأخرى يرفع الله بها العبد مئة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

[٨٧] وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رثّ الهيئة، فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفْنَ سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قتل، رواه مسلم.

[٨٨] وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقات ظلّ فسطاطٍ في سبيل الله، ومنحة خادم في سبيل الله، أو طروق فحلٍ في سبيل الله»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أنسٍ: أن فتًى من أسلم قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو، وليس معي ما أتجهز به. قال: ائت فلاناً، فإنه كان تجهز فمرضَ، فأتاه، فقال: إن رسول الله ﷺ

يقرئك السلامَ، وقال: أعطني الذي كنت تجهزت به، قال: يا فلانة أعطيه الذي كنت تجهزتُ به، ولا تحبسي منه شيئاً، فإنه لا يبارك لك فيه، رواه مسلم.

[٨٩] وعن زيد بن خالدٍ: أن النبي ﷺ قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا».

[٩٠] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعثَ إلى بني لحيان، قال: «ليبتعث من كل رجلين أحدُهما، والأجر بينهما». وفي رواية: ثم قال للقاعدين: «أيكم خلفَ الخارج في أهله وماله بخيرٍ، كان له نصف أجر الخارج».

[٩١] وعن البراء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله، أقاتل وأسلم؟ قال: «أسلم ثم قاتل»، فقتل، فقال رسول الله ﷺ: «عَمِلَ قليلاً فأُجِرَ كثيراً»، رواه البخاري ومسلم.

[٩٢] وعن أنس رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا إلى بدرٍ، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «لا يتقدمن أحدكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه»، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض». فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضُها السماوات والأرض! قال: «نعم»، قال: بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمراتٍ من قرنه، فجعل يأكل منهنّ، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه، إنْ هِيَ لحياةٌ طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل. رواه مسلم.

[٩٣] وعن حريم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمئة ضعف»، رواه الترمذي وحسَّنه.

[٩٤] وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»، رواه أبو داود.

[٩٥] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «قفلةٌ كغزوةٍ»، رواه أبو داود بإسناد جيد.

* والقفلة: الرجوعُ. والمرادُ: الرجوع من الغزو بعد فراغه. ومعنى: أنه يثاب في رجوعه من الغزو بعد فراغه.

[٩٦] وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على بنت ملحان، فاتكأ عندها، ثم ضحكَ، فقالت: لِمَ تضحك يا رسول الله؟ قال: «أناسٌ من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرّة». قالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «اللهم اجعلها منهم»، ثم عاد فضحك، فقالت له: ممَّ ذلك يا رسول الله؟ فقال لها مثلَ ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين ولست من الآخرين».

قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت، فغزت معه، فلما قفلت ركبت دابتها فوقصتها، فسقطت وماتت. انتهى.

ويقال: إن قبرها مشهورٌ بأرض الروم[1]. وروى الحديث البخاري ومسلم.

[٩٧] وعن عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: «لا تركب البحر إلا حاجاً، أو معتمراً، أو غازياً في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً»، رواه أبو داود.

[٩٨] وعن أم حرامٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «المائدُ الذي يصيبه القيءُ في البحر، له أجر شهيدٍ، والغريقُ له أجر شهيدين»، رواه أبو داود أيضاً.

---

(١) قبرها في جزيرة قبرص. (مصحح).

[٩٩] وعن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدرٍ، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتالٍ قاتلتَ المشركين فيه، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينَّ الله ما أصنع، فلما كان يومُ أحدٍ انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركينَ. ثم تقدم فاستقبله سعدٌ، فقال: يا سعد الجنة وربِّ النضر، إني أجد ريحها من دون أحدٍ. قال سعدٌ: فما استطعتُ يا رسول الله أصفُ ما صنعَ. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنة بالرمح، أو رمية بالسهم، ووجدناه قد قتل ومثّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه، وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، إلى آخرها.

[١٠٠] وعن أبي أمامة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أتأذن لي في السياحة؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»، رواه أبو داود بإسناد جيد.

[١٠١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وفدُ الله ثلاثةٌ: الغازي، والحاج، والمعتمر»، رواه النسائي، والبيهقي. زاد عمر في رواية عنه: «هم وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم».

[١٠٢] وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداءَ، والناكح الذي يريد العفاف»، رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

[١٠٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من خير معاشِ الناس لهم رجلٌ ممسكٌ بعنانِ فرسه في سبيل الله، يطير على متنه كلما سمع هيعةً، أو فزعةً، طار على متنه، يبتغي الموتَ أو القتل مظانّه. ورجلٌ في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاةَ، ويؤتي الزكاةَ،

ويعبد ربه حتى يأتيه الموت، ليس من الناس إلا في خير». رواه مسلم.

* * *

فهذا ما يسّر الله جمعه من الأحاديث في فضل الجهاد، مسرودةً على ما اتفق من غير إسنادٍ، ولا كلام على ما فيها من صحة أو انتقادٍ، ولا كلام على ألفاظها الغريبة أو كماها؛ لأنها معروفة مشهورة المواد؛ لأن هذا الباب من الفضائل التي لا تخفى على ذي بصيرة واعتقاد.

ولأن هذه الأحاديث كلها منقولةٌ من الكتب المعروفة، ككتب الجلال السيوطي، و«مشكاة المصابيح»، وغيرها من الكتب المشهورة بين العباد.

ولعمري؛ إنه لا يسمع هذه الأحاديث والآثارَ مؤمنٌ إلا وشغف بحب الجهاد، وجعله همه وديدنه من كل مراد، ولا عذر لمؤمنٍ قد فضّله الله بالصحة والقوة والعدة والزاد، من طلب هذا الفضل العظيم والمقام الكريم في كل مراد.

نعم؛ من عذَره الله بعذره، وأذن له في التخلف بأمره، إما لضعف جسدٍ، أو مرضٍ، أو كبرٍ، أو فقد ما يحتاج إليه، أو دَينٍ عليه، أو والدَينِ منعاه من ذلك، فليردّ إلى الله أمره، ويحسن معه نيته وشكره، ويعزم أنه متى زال العذر بادرَ إلى الجهاد لله ليمتثل أمره، فالله بهذه النية يكتب له ثواب المجاهد وأجره.

[١٠٤] وقد روى البخاري ومسلم عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ لما رجع من تبوك، ودنا من المدينة: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيرة ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»، وفي رواية: «إلا شركوكم في الأجر». قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر».

[١٠٥] وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ

فاستأذنه في الجهادِ، فقال: «أحيّ والداك»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»، رواه البخاري ومسلم. وفي رواية: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما».

[١٠٦] وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يغفر للشهيدِ كلُّ ذنب إلا الدَّين». رواه الإمام أحمد ومسلم.

فلا يحل للغازي أن يسافرَ إلى غزوةٍ، إلا بعد إرضاء غريمه في دَينه، وإن قلَّ، والله أعلم.

* * *

فَصْلٌ

فيما يلتحق بذلك من فضل المرابطة في الثغور

والرباط ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكافرين؛ لحراسة المسلمين، ودفع العدو عنهم، وأما اشتراط عدم كونه وطن المرابط، الذي ذكره القرطبي، ونقله ابن حبيب عن مالك؛ فقد قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، في إطلاقه نظر، فقد يكون وطنه، وينوي بالإقامة فيه دفع العدو، ومن ثم اختار كثير من السلف سكنى الثغور لذلك،....[1]، المرابط وسلامته من فتنة القبر، كما ستعلم مما سنورده.

[١] فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها». رواه البخاري ومسلم.

[٢] وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن ماتَ فيه أجري عليه عمله الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن الفُتّان». رواه مسلم.

[٣] وعن فضالة بن عبيدٍ: أن رسول الله ﷺ قال: «كل ميتٍ يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمَى له عملُه إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر». رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) عبارة مبتورة من هامش النسخة، وهي ملحقة بقلم الناسخ (حاشية الورقة ٣١).

[٤] وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من ألفِ يوم فيما سواه من المنازل». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

[٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ ليس عليهم حسابٌ فيما طعموا إذا كان حلالاً: الصائم، والمتسحر، والمرابط في سبيل الله عزّ وجل». رواه الطبراني.

[٦] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أَمِنَ من الفزع الأكبر، وغدَى عليه رزقه، وزيح له من الجنة، ويجري عليه أجرُ المرابط حتى يبعثه الله»، رواه الطبراني أيضاً.

[٧] وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله يعدلُ عبادة شهرٍ أو سنة، صيامها وقيامها. ومن مات مرابطاً في سبيل الله أعاذه الله من عذاب القبر، وأجرى له رباطه ما قامت الدنيا». رواه الحارث في «جزئه».

[٨] وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفُتّان، ويبعثه الله آمناً من الفزع». رواه ابن ماجه.

[٩] وعن عقبة بن عامر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يختم على عمله، إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يجري عليه أجر عمله، حتى يبعثه الله، ويأمن من فتنة القبر». رواه أحمد، والطبراني.

[١٠] وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات مرابطاً في سبيل الله أجرَى عليه عمله الصالح، وأجرى عليه رزقه، وأمّن من الفُتّان، ويبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر». رواه البزار.

[١١] وعن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «من رابط في سبيل الله آمنه الله من فتنة القبر». رواه الطبراني.

[١٢] وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «من توفي مرابطاً في سبيل الله وُقِيَ فتنة القبر وأجري عليه رزقه». رواه الطبراني أيضاً. وفي رواية له عن سلمان بن زيادة: «ويبعث شهيداً يوم القيامة».

[١٣] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رابط يوماً في سبيل الله كان كصيام شهرٍ وقيامه، وأجير من فتنة القبر، وأجريَ عليه عملُه إلى يوم القيامة». رواه ابن عساكر.

[١٤] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من رابط فُواقَ ناقة حرّمه الله على النار». رواه البيهقي.

وغير ذلك من الأحاديث والآثار، الواردة في فضل الرباط، وملازمة الثغور، بهذه النية الصالحة، والطريقة الراجحة.

* * *

ومن الثغور: رازْفُور، ونحوها من أطراق بلاد الإسلام التي تلي بلاد الكفار، لمن وفقه الله لهذا العمل الصالح، والأجر والثواب الراجح، من المقيمين بها والمتردِّدين إليها.

فليحمدِ الله من قام واستقامَ في ذلك، وليحتسب أجره على الله، وليعرف أنه في طاعة الله، ومن المجاهدين في سبيل الله، فلا يخلط طاعة الله بمعاصيه، وليلزم الأدب مع الله في هذا المقام العظيم، من خدمته ومقامه الذي أقامه الله فيه.

ولا يغترّ بما ذكرنا فيه من الفضل العظيم، فالله أعلم بمن يجاهد في سبيل الله، وبمن يرابط لدينه، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا

أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢]. **وليخف كل مرابطٍ من تقصيره مع الله، ومن ذنوبه، والإعجاب بعمله، فمن عصى الله في طاعته، كمن عصَى الله في حضرته، وجاهره بمعاصيه.**

❋ ❋ ❋

فَصْلٌ

[في ملحقات الجهاد في سبيل الله]

ويلتحق بالجهاد في فضله العظيم وفرضه على العباد، القيام بحقوق الدين، والاجتهاد في ردع المفسدين، وقمع المعتدين في جميع البلاد من جميع أهل الفساد والعناد، من أهل الظلم وقطاع الطريق ومانعي الزكاة، ونحوها من حقوق الله وحقوق العباد، لكن على الوجه المعروف في أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على مقتضى الحق والرشاد، من الرفق، والأخذ بالأخف فالأخف، إلى بلوغ المراد، من غير تعدٍّ ولا إسراف، ولا حقد ولا عناد، فإن حرمة الإسلام عند الله عظيمة، وذمة الله لأهل لا إله إلا الله قائمة مقيمة، فلا يجوز التعدي عليهم، ولا الزيادة على ما حده الله فيهم وعليهم في كل جريمة.

فإنا منهم على يقينٍ من حرمة الإسلام، وذمة الله ورسوله في أنفسهم وعروضهم وأموالهم، فلا تجوز العجلة عليهم إلا بعد التثبت واليقين، والتأني في حدود الدين، وقد أمر الله سبحانه بدَرْء الحدود بالشبهات.

وقد قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

* * *

[قتال البغاة]

ويلتحق أيضاً بالجهاد: قتال البغاة الخارجين على أئمة المسلمين، والزائغين عن طغاة الولاة العادلين. فقد قال الله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

قال البغوي في «تفسيره»: «وفي هاتين الآيتين دليلٌ على أن البغيَ لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله سماهم إخوةً مؤمنين، مع كونهم باغين، يدل على ما روي عن الحارث الأعور:

[١] أن علياً رضي الله عنه، سئلَ، وهو القدوة في قتال أهل البغي: عن أهل الجمل وصفين، أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فرُّوا. فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. **والباغي**، في الشرع: هو الخارج على إمام العدلِ.

فإذا اجتمعت طائفة لهم قوةٌ ومنعَةٌ، فامتنعوا عن طاعة إمام العدل، بتأويلٍ محتمل، ونصبوا إماماً، فالحكم فيهم: أن يبعث الإمامُ إليهم، ويدعوهم إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمةً أزالها عنهم، وإن لم يذكروا مظلمةً وأصروا على بغيهم، **قاتلهم** الإمامُ، حتى يفيؤوا إلى طاعته.

ثم الحكمُ في قتالهم: أن لا يتبعَ مدبرُهم، ولا يقتل أسيرُهم، ولا يذفّف على جريحهم. نادى منادي علي رضي الله عنه يوم الجمل: ألا لا يتبع مدبرٌ، ولا يذفّف على جريح. وأتيَ عليٌّ يوم صفينَ بأسيرٍ، فقال: لا أقتلك صبراً، إني أخاف الله ربَّ العالمين. وما أتلفَتْ إحدى الطائفتين على الأخرى في حالِ القتال من نفسٍ أو مالٍ، فلا ضمانَ عليه.

قال ابن الشهاب: كانت في تلك الفتنة دماءٌ، يعرف في بعضها القاتل والمقتول، وأتلف فيها أموالٌ كثيرة، ثم صار الناسُ أن سكنت الحرب بينهم، وجرى الحكم عليهم، فما علمته اقتصَّ من أحدٍ، ولا أغرم مالاً أتلفَه.

أما من لم يجمع هذه الشرائط الثلاث، بأن كانوا جماعةً قليلين، لا منعة لهم، أو لم يكن لهم تأويلٌ، ولم ينصبوا إماماً، فلا يتعرّضُ لهم إن لم ينصبوا قتالاً، ولم يتعرضوا للمسلمين، فإن فعلوا فهم كقطاع الطريق.

رويَ: أن علياً رضي الله عنه سمع رجلاً يقول في ناحية بالمسجد الحرام: لا حكم إلا لله. فقال علي رضي الله عنه: كلمةُ حقٍّ أريد بها باطلٌ، لكم علينا ثلاثٌ: لا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدأكم بقتالٍ. انتهى كلام البغوي.

وله تتماتٌ وفروعٌ، معروفة في كتب الفقه والفروع.

***

وكما كان رسول الله ﷺ القدوةَ في قتال الكفار، وأبو بكر الصديقُ القدوةَ في قتال أهل الردة، كذلك كان علي رضي الله عنه قدوةً في قتال البغاة والخوارج، وقد قام بذلك أتم قيامٍ، وأوضح ما فيه من الأحكام، كما أوصاه بذلك رسول الله ﷺ.

[٢] فعن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي، إنك باقٍ بعدي، ومبتلًى بأمتي، وتخاصم بين يدي الله، فاعدد جواباً». فقلتُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بيِّن لي ما في هذه الفتنة التي يبتلون بها، فعلى ما أجاهدهم بعدك؟ فقال: «إنك ستقاتل بعدي الناكثةَ والقاسطةَ والمارقة»، وحلّاهم، وسماهم رجلاً رجلاً، ثم قال لي: «وتجاهدُ أمتي على كل من خالفَ القرآن، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا

رأي في الدين، إنما هو أمرُ الربّ ونهيه»، إلى آخر الحديث الطويل، أخرجه السيوطي في «جمع الجوامع».

* والمراد **بالناكثة**: أهل الجمل. **والقاسطة**: أصحاب معاوية. **والمارقة**: الخوارجَ أهل النهروان.

* * *

[وجوب الحذر عند قتال البغاة]

وقتالُ البغاةِ، وإن كان من الجهاد، وفرضَ على العباد، فإن أمره خطير، وخطبه كبير، وقلَّ أن تُجمَعَ فيه للمتدين الشروطُ، وأن يستمر له القصد فيه على حال مضبوط، ويندر من دخلَ فيه أن يخرج سالماً، أو يعود غانماً، لما يعرف مشاهدُه في جميع مشاهده من تمادي العناد....[1] الفساد، وعدم الجري عند هيجان الهيجاء على قانون الشرع والرشاد، وربما غلبت عند ذلك داعيةُ الهوى والعناد، على نية الطاعة والجهاد.

[١] ولذلك قال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه».

ولذلك اعتزله جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، والسلف الصالح، لما لم يقدروا عليه، كعبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

ولذلك لما قيل لسعد: ألا تقاتل؟ فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيركَ. فقال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيفٍ له عينانِ، ولسان وشفتان، يعرف المؤمنَ من الكافر. وقد «...» وأنا أعرف الجهاد، انتهى أخرجه السيوطي في «جمع الجوامع» أيضاً.

---

(١) بياض قدر كلمتين بسبب الأرضة.

فأشار سعدٌ رضي الله عنه إلى ما ذكرنا من خفاء أحكامه، وشدة ظلامه.

* * *

[الأمر بالسكون عند الفتن]

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ، وأخبار شهيرةٌ، بالأمر بالقرار من الفتن واجتنابها، وترك حمل السلاح وعدم اتخاذه عند ظهورها وانتشارها، ولزوم الصبر والسكوت، وأن تكونوا كأحلاس البيوت، وانتظار ما يأتي الله به من الفرج أو الموت، وذلك كله كما أوضحناه من الالتباس بالأحوال، واشتباه الأفعال.

كما وقع تعليل ذلك في تلك الأحاديث، ووصف الفتنة بين المسلمين بأنها فتنةٌ عمياء صماء، ومن استشرف لها استشرفت له، وأنها فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خير من الساعي.

وفي تلك الأحاديث: الأمر بتكسير السيوف، والاستسلام للنهب والقتل، وذلك أصل ما سنَّه أهل الدين والصلاح من ترك حمل السلاح، لما يقع فيه حامله من الفتن، ويحمله عليه عند الحقد والإحَن، وهذا من درء المفاسد المقدَّم على جلب المصالح، فأما من عرف حكم الحق فيه، والتزمه على طريق الصدق في ظاهره وخافيه، وقام لله وجاهد فيه بحول الله، فأجره عظيم عند الله، وثوابه جسيم بوعد الله، ولكن ذلك نادر: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥]، له خلق قويم، وطبع مستقيم؛ لأن البغاة مسلمون، وحرمة أهل الإسلام عند الله عظيمة، وصفته كريمة لا يحل لا يحل...[1] ولا بظن دميمة.

---

(١) طمس بمقدار ثلاث كلمات، بفعل الأرضة.

[١] فقد قال ﷺ لحِبّه وابن حِبّه: «هلا شققْتَ عن قلبه»، في الذي أراد أن يقتله أسامة، فقال: لا إله إلا الله، فقتله. وقال: إنما قالها خشية السيف. وما زال ﷺ على أسامة في عتبه، حتى قال أسامة: ليتني لم أكن أسلمتُ إلا ذلك اليوم.

فلا يحل دمُ امرئ مسلم، ولا ماله، ولا عرضُه، إلا بموجبٍ شرعي، يتعين وجوده، وعرفت حدوده وشروطه وقيوده، وإلا فإن يقين حرمة المسلم محبطة به.

[٢] وفي الحديث: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة اليوم الحرام، في الشهر الحرام، في البلد الحرام»، الحديث المشهور.

ولذا لا يجوز الإنكار إلا لعالمٍ بمواقع الإجماع، في مجمع عليه، أو ما أعتقد الفاعلُ حال فعله تحريمَه، وإلا فإن حرمة عرض المسلم مجمعٌ عليها، فلا تنتهكُ بمختلف.

* * *

[حكم الخارجين على الإمام]

واعلم أن أحكام البغاة وقضاياهم نافذةٌ، إذا وافقت الحق، ولا يجوز نقضها لإمامٍ ولا لغيره؛ لأنهم إخواننا المسلمون بغوا علينا، وهم متأوِّلون، فليسَ اسمُ البغي ذماً لهم، ولا يقتضي بخصوصه فسقاً ولا جرحاً، إلا لموجبٍ آخر.

وما ورد من الأحاديث المقتضية خلاف ذلك فهي مؤوَّلة، محمولةٌ على من خرج بغير تأويلٍ، كحديث: «**من حمل السلاح علينا فليس منا**». وحديث: «**من فارق الجماعة فميتَته جاهلية**».

قال العلماء: ويحرم الخروج على الإمام وقتاله، وإن كان فاسقاً جائراً متغلباً، لما في ذلك من تهييج الفتن، وإثارة الحقود والإحن، فإنه لا ينعزل بالفسق ولا بالجور، حتى يحل عقدة الإسلام، ويستحل محرم الأحكام.

وكما لا يجوز الخروج عليه؛ فلا يجوز موالاة الخارجين عليه، ولا نصرتهم، ولا محبة خروجهم، ولا الرضا به؛ لأنه محرم.

نعم؛ إن سَهُلَ خلع الإمام الفاسق بغير قتالٍ تعيّن، والله أعلم.

وتزول ولايةُ المتغلب بغلبة غيرِه عليه، وزوالِ شوكته، بخلاف الإمام المستجمع للشروط، فلا تزول إمامته بضعفه، ولا بتغلب غيره عليه.

ولذلك كله تتماتٌ وشروط وفروعٌ، معروفة في كتب الأحكام.

* * *

ويجب طاعة الإمام، ولو متغلباً، في أمره ونهيه، إذا وافق الحقَّ، ولو بوجهٍ صحيح، وتصرفُه كله مشروطٌ بالمصلحة للمسلمين، في جميع أموره.

فهو في بيت المالِ وغيره كولي اليتيم في مال اليتيم، وليس له من بيت المال إلا كفايته اللائقة به، ويجوز له البذل والتصدق والوقف بالمصلحة، وتنفذ جميع أحكامه الموافقة للحق، وإن كان جائراً، ولا يجوز له ولا لغيره من الأئمة نقضُها.

* * *

ومن الأحاديث الدالة على حرمة الخروج عليه:

[١] ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وما كره، مما لم يؤمر بمعصيةٍ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

[٢] ورويَ أيضاً عن عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان.

[٣] ورد أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أمير شيئاً يكرَهه فليصبر، فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعةَ شبراً فيموتُ إلا ماتَ ميتة جاهلية».

[٤] وروى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنّ يداً من طاعة».

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الشهيرة، التي منها الأمر بقتل من خرج على الإمام، أو من شق عصا الطاعة، وسيأتي لذلك مزيد، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ

في فضل الاستعداد للجهاد بارتباط الخيل والقيامِ بها وما جاء في ذلك

[١] فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل لثلاثةٍ: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزرٌ. فأما التي هي أجر؛ فرجلٌ ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرجٍ أو روضةٍ، كما أصابت في طولها ذلك من المرج والروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طَولها، فاستنّت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثُها كلها حسنات. ولو أنها مرّت بنهر فشربت منه، ولم يرد أن يسقِيها، كان ذلك حسنات له؛ فهي لذلك أجرٌ، ورجلٌ ربطها تعففاً، ولم ينسَ حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي لذلك ستر، ورجلٌ ربطَها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام، فهي على ذلك وزر».

[٢] وسئل رسول الله ﷺ عن الحمُر، فقال: «ما أنزل علي فيها شيءٌ، إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم: «فالذي هي له أجر: فالرجل يتخذها في سبيل الله، ويعدُّها له، فلا يغيبُ شيء في بطونها إلا كتب له به أجر، وإن رعاها في مرجٍ فأكلت شيئاً إلا كتبَ له به أجرٌ، ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تغيبها في بطنها أجر»، حتى ذكر الأجر في أبوالها وأرواثها، «ولو استنّت شرفاً أو شرفين كانت له بكل خطوة تخطوها أجر»، الحديث.

[٣] وعن زياد بن مسلم الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل ثلاثة، فمن

ارتبطها في سبيل الله وجهاد عدوه كان شبعها وريُّها وجوعها وعطشها وجريها وعرقها وأبوالها وأرواثها أجْراً في ميزانه يوم القيامة». الحديث رواه أبو عبيد في «كتاب الخيل».

[٤] وعن خباب بن الأرتِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيلُ ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان. فأما فرس الرحمن، فما أعد في سبيل الله وقوتل عليه أعداء الله. وأما فرس الإنسان، فما استبطن وتحمل عليه، وأما فرس الشيطان، فما قومر عليه». رواه الآجري في «النصيحة».

[٥] وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل ثلاثة: فرسٌ يتخذه صاحبه يريد أن يجاهد عليه، ففي قيامه عليه، وعلفه إياه، وأدبه»، أحسبه قال: «وكسْحُ مذْودِهِ أجرٌ في ميزانه. وفرسٌ يصيب أهلها من نسلها، يريدون بذلك وجه الله، فقيامهم عليها، وأدبهم إياها، وكسح روثها، أجر في ميزانهم يوم القيامة، وأهلها معانون عليها»، الحديثَ، رواه ابن السماك.

[٦] وعن يزيد بن عبد الله بن غريبٍ، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] الآيةَ، في أصحاب الخيل في سبيل الله. رواه ابن سعد. وعن أبي أمامة الباهلي مثلَه، رواه المحاملي، ومثله عند ابن بشكُوال، عن بعض أهل اليمن.

[٧] وعن عروة البارقي، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»، قيل: يا رسول الله وما ذلك؟ قال: «الأجر والغنيمة»، رواه البخاري ومسلم.

[٨] وعن جرير بن عبد الله قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يلوي ناصية فرسِه بإصبعه، ويقول: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة»، رواه مسلم.

[٩] وعن أبي كبشة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا نواصيها، وادعوا لها بالبركة، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة»، رواه الآجري.

[١٠] وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير معقود أبداً إلى يوم القيامة، فمن ربطها عدةً في سبيل الله وأنفق عليها احتساباً في سبيل الله، فإن شبعها وجوعها وريها وظمأها وأرواثها وأبوالها فلاح في موازينه يوم القيامة، ومن ربطها رياء وسمعة وفرحاً وترحاً، فإن شبعها وجوعها وريها وظمأها وأرواثها وأبوالها، خسرانٌ في موازينه يوم القيامة»، رواه أحمد.

[١١] وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير والنيل إلى يوم القيامة، وأهلها معانون إلى يوم القيامة، فخذوا بنواصيها، وادعوا لها بالبركة، وقلدوها، ولا تقلدوها الأوتار»، رواه أحمد أيضاً.

* قيل: نهى عن تقليدها أوتارَ القسيِّ، خوفاً عليها من الاختناق بها.

[١٢] وعن أنس قال: لم يكن شيء أحبَّ إلى رسول الله ﷺ بعد النساءِ من الخيل، رواه النسائي.

[١٣] وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله كان ستره من النار»، رواه ابن سعد.

[١٤] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً واحتساباً وتصديقاً بوعد الله، كان شبعه وريه وروثه وبوله حسناتٍ في ميزانه يوم القيامة»، رواه البخاري.

[١٥] وعن عبد الله بن يزيد بن غريب، عن أبيه، عن جده، قال: قال

رسول الله ﷺ: «المنفق على الخيل كباسطِ يده بالصدقة، لا يقبضها، وأبوالها وأرواثها عند الله يوم القيامة كريح المسك»، رواه ابن سعد.

[١٦] وعن تميم الداري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئٍ مسلم يبتغي لفرسه شعيراً يعلفُه به إلا كتبَ الله له بكل حبة حسنة»، رواه أحمد وابن ماجه، وفي رواية لابن ماجه: «من ارتبط فرساً في سبيلِ الله فعالجَ عليه بيده كان له بكل حبة حسنة».

* * *

[الكلام على ما ورد في شؤم الفرس]

[١] وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة في نواصي الخيل إلى يوم القيامة»، رواه البخاري ومسلم. قال بعض العلماء: وإذا كان الخير والبركة في نواصيها؛ فلا شؤم فيها أبداً.

[٢] وأما ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة والدار وفي لفظ: إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس». وهذه الرواية تبين المراد.

وأن معناه: إن كان الشؤمُ موجوداً في شيء كانَ في هذه الثلاثة، لكنه غير موجودٍ، من حيث ما يتطير به، فلا عدوى ولا طيرة ولا شؤمَ، إلا الشؤمُ الشرعيُّ، وهو: ما قال معْمرٌ في تفسير هذا الحديثِ: شؤم المرأة إذا كانت غير ولودٍ، وشؤمُ الفرس إذا لم يغْزَ عليها. وشؤم الدار جار السوء. فيكون الشؤمُ محمولاً هنا على غير المعهود منه، من معنى التطير، المطابق القواعد الشرعية، فيكون بمعنى: قلة الموافقة.

[٣] ويؤيده ما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة المرء ثلاثة: المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح، ومن شقاوة المرء ثلاثة: المرأة السوء والمركب السوء والمسكن السوء».

[٤] زاد الطبراني في رواية له، عن أسماء بنت يزيد: قيل: يا رسول الله، ما سوء المرأة؟ قال: «عقمها وسوء خلقها»، قيل: فما سوء الدار؟ قال: «ضيق ساحتها وخبث جيرانها»، قيل: فما سوء الدابة؟ قال: «منعها ظهرها وسوء خلقها».

* وقد أنكرت عائشةُ الحديثَ المتقدم: «الشؤم في ثلاثة»، إلخ. وقالت: إنما قال رسول الله ﷺ: «قاتلَ الله اليهودَ، يقولون: الشؤم في ثلاثة»، الحديثَ، فسمع الراوي آخرَه، ولم يسمع أوله.

* وقد رويَ عن الزهري قال: سألتُ سالم بن عبد الله بن عمر عن معنى هذا الحديث، فقلتُ له: وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «البركة في ثلاث في الفرس والمرأة والدار». فقال: قال النبي ﷺ: «إذا كان الفرس ضَرُوباً فهو شؤم، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجاً قبل زوجها فحنت إلى الأول فهي مشؤومة، وإذا كانت الدارُ بعيدةً من المسجد لا يسمع فيها الأذانُ والإقامة فهي مشؤومة». انتهى.

* * *

وقد أقسم الله تعالى بالخيل؛ تنويهاً بذكرها، وتعظيماً لقدرها، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١].

[١] روى عبد الرزاق، وابن جرير، والبزار، والحاكم وصححه، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾. قال: هي الخيل. والضبحُ: نخير الخيل حين تنخر، وليس شيءٌ من الدواب يضبحُ إلا الفرس والكلبُ. ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢] قال: حين تجري الخيلُ توري ناراً، إذا أصابت سنابكُها الحجارةَ. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣] قال: هي الخيلُ، صبّحت العدو. ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤] قال: هي الخيل تعدو، فتثير بحوافرها النقعَ، وهو الغبار. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥] قال: الجمعُ: العدوّ.

[٢] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أراد الله أن يخلق الخيل، قال للريح الجنوب: إني خالقٌ منك خلقاً، فأجعله عزاً لأوليائي، ومذلة على أعدائي، وجمالاً لأهل طاعتي. فقالت الريح: اخلقْ. فقبض منها قبضةً، فخلق فرساً، فقال له: خلقتك عربيّاً، وجعلت الخير معقوداً بناصيتك، والغنائم مجموعة على ظهرك، وعطفت عليك صاحبك، وجعلتك تطير بلا جناحٍ، فأنت للطلب، وأنت للهرب، وسأجعل على ظهرك رجالاً يسبحونني ويحمدوني، ويهللونني ويكبرونني، لتسبّحنّ إذا سبحوا، ولتحمدنّ إذا حمدوا، وتهلّلنّ إذا هلّلوا، وتكبّرن إذا كبّروا». فقال رسول الله ﷺ: «فما من تسبيحة ولا تحميدة ولا تهليلة ولا تكبيرة يقولها صاحبها فتسمعُه ألا تجيبهن».

ثم قال: «لما سمعت الملائكةُ صفة الفرس، وعاينت خلقها. قالت: يا رب، نحن ملائكتك، نسبحك ونحمدك، فماذا لنا؟ فخلق الله لهم خيلاً بلقاء، أعناقها كأعناق البخْت. فلما أرسل الله الفرسَ إلى الأرض صهلَ. فقال تعالى: بوركت من دابةٍ، أُذِلّ بصهيلك المشركين، أُذِلُّ به أعناقهم، وأملأ به آذانهم، وأرعب به قلوبهم.

فلما عرض الله على آدم كل شيءٍ، قال له: اختر من خلقي ما شئتَ. فاختار الفرس. فقال له: اخترت عزك وعز ولدك، خالداً ما خلدوا، وباقياً ما بقوا، بركتي عليك وعليهم، وما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ومنهم». رواه الحاكم في «تاريخه»، والثعلبي في «تفسيره».

[٣] وعن عبد الله بن يزيد بن غريب المليكي، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال: «هم الجن، يرهبونهم بالخيل. وإن الجن لا تخبّل أحداً في بيته عتيقٌ من الخيل». وفي رواية: «فإن الشيطان لا يخبل أحداً في دار فيها فرس عتيق»، رواه الطبراني، وابن عدي، وابن مردويه في «تفسيره».

[٤] وعن ابن عباسٍ في تفسير هذه الآية أيضاً: هم الشياطين، فإنهم لا يستطيعون ناصية فرسٍ؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير»، فلا يستطيعه الشيطان أبداً. رواه ابن مردويه في «تفسيره» أيضاً.

وفي رواية عن بعض الصحابة، في هذه الآية، قال: هم الجن، فمن ارتبط حصاناً من الخيلِ، لم يتخلَّل منزله شيطان.

[٥] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أصاب رسول الله ﷺ فرساً من وجهٍ، فوهبه لرجل من الأنصار، وقال له: «إذا نزلت فانزل قريباً منِّي فإني أشتاق إلى صهيله»، ففقده ليلةً، فسأل عنه. فقال: يا رسول الله إنا خصيناه، فقال: «مثلت به»، يقولها ثلاثاً، «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، أعرافها أدفاؤها، وأذنابها مذابّها، التمسوا نسلها، وباهوا بصهيلها المشركين». رواه أبو عبيد.

[٦] وروى أيضاً عن مكحول مرسلاً، قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن جزّ أذنابِ الخيل وأعرافها ونواصيها. وقال: «أما أذنابها فمذابّها، وأما أعرافها فأدفافها، وأما نواصيها ففيها الخير».

[٧] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تهلّبوا أذناب الخيل، ولا تجزوا أعرافها ونواصيها، فإن البركة في نواصيها، ودفاؤها في أعرافها، وأذنابها مذابّها»، رواه أبو نعيم.

[٨] وعن نعيم بن هندٍ: أن النبي ﷺ أُتيَ بفرسٍ، فقام إليه يمسح وجهه وعينيه ومنخريه بكُمّ قميصه. فقيل: يا رسول الله، تمسح بكم قميصك؟ قال: «إن جبريل عاتبني في إذالة الخيل»، أي امتهانها، رواه أبو داود.

[٩] وروي أيضاً عن مكحول: عن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا الخيل وجلِّلوها، ولا تقودوها بنواصيها فتُذِلُّوها».

[١٠] وعن معاوية بن حديج، قال: لما فتح المسلمون مصر، وكانت بها مراغةٌ يمرغون فيها خيولهم، فمر معاوية بأبي ذر وهو يمرّغ فرساً له، فسلم عليه، ووقف. ثم قال: يا أبا ذر، ما هذا الفرس؟ قال: فرس لي، لا أراه إلا مستجاباً. قال معاوية: وهل تدعو الخيلُ وتجاب؟ قال: نعم، ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه، فيقول: ربّ إنك سخرتني لابن آدم، وجعلت رزقي في يده، اللهم فاجعلني أحبَّ إليه من أهله وولده، فمنها المستجاب، ومنها غير المستجاب، ولا أرى فرسي هذا إلا مستجاباً. رواه أبو عبيد.

[١١] وأخرج النسائي، والحاكم وصحَّحه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من فرسٍ عربي إلا يؤذَنُ له عند كل سحر»، وفي رواية: «عند كل فجرٍ بدعوتين: اللهم كما خولتني من خولتني من بني آدم، وجعلتني له، فاجعلني أحبّ أهله وماله إليه، أو: «من أحب أهله وماله إليه».

[١٢] وعن أبي كبشة الأنماري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطرق مسلماً فرساً، فأعقب له الفرس، كتب الله له أجر سبعين فرساً يحمل عليها في سبيل الله، وإن لم يعقب كان له أجرُ فرسٍ حمل عليه في سبيل الله». رواه الطبراني، وابن حبان.

[١٣] وعن ابن عمر: ما تعاطى الناسُ بينهم شيئا قط أفضل من الطرق، يطرق الرجل فرسَه، فيجري له أجره، ويطرق الرجل فحله فيجري له أجره، ويطرق الرجل كبشه فيجري له أجره. رواه الطبراني.

[١٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ليلة إلا ينزلُ ملكٌ من السماء يمسح عن دوابّ الغزاة الكلالَ، إلا دابة في عنقها جرس»، رواه محمد بن يعقوب في كتاب «الفروسية».

[١٥] وعن أبي وهب الجشمي قال: قال رسول الله ﷺ: «ارتبطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأكفالها، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار، وعليكم بكل كُمَيتٍ أغرَّ محجل، أو أشقر أغر محجّل، أو أدهم أغر محجّل». رواه أبو داود.

[١٦] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الخيل الشقر، وإلا فأدهم أغر محجل ثلاث طلقُ اليد اليمنى». رواه الواقدي.

[١٧] وعن أبي قتادة الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الخيل الأدهمُ الأقرح، الأرثم، ثم الأقرح المحجّل، طلق اليمين، فإن لم يكن أدهمَ فكميتٌ ومذهب على هذه الشِّيَة»، رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصحَّحه.

[١٨] وعن الشعبي رفعه: «التمسوا الحوائجَ على الفرُس الكميت الأرثم المحجل الثلاث، المطلق اليد اليمنى»، رواه أبو داود.

[شرح بعض الغريب]

قال العلماء: **والأدهم**: الأسودُ. **والكميتُ**: الأحمر التي تعلو لمته كُمْتةٌ. **والأشقر**: الأحمر. والفرق بين الكميت والأشقر: بالعَرْف والذنَب. فإن كانا أحمرَين، فهو أشقر. وإن كانا أسودين، فهو كميتٌ.

والمذهب: الأحمرُ الذي تعلوه صفرة. **والأقرح**: الذي في جبهته قرحة، وهو بياضٌ يسير في جبهة الفرسِ، دون الغُرّة. **والأغر**: الذي له غرةٌ، وهي البياض في وجه الفرس وبين عينيه، حتى يبلغ المرْسَن. **والأرثَم**، بالثاء المثلثة: الذي في أنفه وشفته العليا بياضٌ. **والمحجّل**: الذي يرتفع البياض في قوائمه الأربع، أو ثلاثٍ منها، أو في رجليه فَلا. وكثر إذا استدار حتى يأخذها ويطيف بها، فإن كانت قوائمُه الأربع بيضاءَ، لا يبلغ البياضُ منها الركبتين، فهو محجَّلٌ، فإن كانت اليمينُ على لون البدن، ليس فيها بياضٌ فهو مطلق اليمين.

[١٩] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكره الشّكال في الخيل. **والشكال**: أن يكون الفرسُ في رجله اليمين بياضٌ، وفي يده اليسرى، أو في يده اليمنى ورجله اليسرى. رواه مسلم.

* قال العلماء: وكراهته يحتمل أنه قد جُرّب هذا النوعُ، فلم يوجد فيه نجابةٌ، أو تفاؤلاً؛ لأنه يشبه المشكُولَ الذي لا نهوض فيه، والله أعلم.

* * *

فَصْلٌ

في فضل الاستعداد بغير الخيل من الدواب والرمي والسلاح والتفقد

[١] فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بناقةٍ مخطومةٍ، فقال: هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقةٍ كلها مخطومة»، رواه مسلم.

[٢] وعن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرميُ، ألا إن القوة الرمي». رواه مسلم.

[٣] وعنه أيضاً قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم الروم، فلا يعجب أحدكم أن يلهوَ باسمه، ومن علم الرمي ثم تركه فليس منا»، أو: «قد عصَى». رواه مسلم.

[٤] وعنه رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه، يحتسب في صنعته الخير. والرامي به، ومنبّله. وارموا واركبوا، فإن ترموا أحبّ إليَّ من أن تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطلٌ، إلا رميةٌ بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته، فإنهن من الحق. ومن تركَ الرمي بعدما علمه، رغبةً عنه، فإنها نعمة كفَرها»، أو: «تركها». رواه أبو داود.

[٥] وعن سلمة بن الأكوع قال: مرَّ النبي ﷺ على نفرٍ ينتضلون، فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً»، رواه البخاري.

[٦] وعن عمرو بن عيينة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من رمَى بسهم في سبيل الله فهو له عدلُ رقبة محررة»، رواه أبوداود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. زاد في رواية البيهقي: «ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة وفي رواية من شاب شيبة في سبيل الله».

[٧] وعن السائب عن يزيد: أن النبي ﷺ كان عليه يوم أحدٍ درْعان، قد ظاهر بينهما، رواه ابن ماجه وغيره.

[٨] وروى أيضاً عن ابن عباسٍ: كانت رايةُ النبي ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض.

[٩] وعن جابر: أن النبي ﷺ دخل مكة ولواؤه أبيض. رواه أبو داود.

[١٠] وروى أيضاً عن البراء: أن راية رسول الله ﷺ كانت سوداءَ مربعةً من نَمِرَه.

[١١] وعن عليٍّ قال: كانت بيد رسول الله ﷺ قوسٌ عربيةٌ، فرأى رجلاً بيدِه قوسٌ فارسية، قال: «ما هذه! ألقها، وعليكم بهذه وأشباهها، ورماح القنا، فإنها يؤيد الله لكم بها في الدين، ويمكن لكم في البلاد»، رواه ابن ماجه.

[١٢] وعن بريدة بن سحر قال: قال رسول الله ﷺ: «السيوف مفاتيح الجنة»، رواه ابن عساكر.

[١٣] وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالقنا والقسيّ العربية، فإن بها يعز الله دينكم، ويفتح لكم البلاد». رواه الطبراني.

[١٤] وعن خريم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمئة ضعف»، رواه الترمذي وحسنه.

[١٥] وعن ابن عباس في قوله: ﴿مثل ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كل سنبلةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]: هذا لمن أنفق في سبيل الله، فله أجره سبعمئة مرةٍ، رواه ابن أبي حاتم.

[١٦] وروى ابن جرير عن زيد بن ثابت، في هذه الآية، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال: واسع أن يزيد لمن شاء، عالم بما يزيده.

[١٧] وعن علي بن أبي طالبٍ، وعبد الله بن عمر، وعبدالله بن عمرو، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وجابر، كلهم يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «من أرسل نفقةً في سبيل الله وأقام في بيته فله بكلّ درهم سبعمئة درهم، ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبعمئة ألف درهم»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، رواه ابن ماجه، وابن أبي حاتم.

[١٨] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله ضُعّفت له نفقته، الدرهم بسبعمئة درهم، والدينار بسبعمئةٍ، والصيام لله لا يعلم ثواب عمل الصائم إلا الله عز وجل»، رواه البيهقي.

[١٩] وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن أكثر من ذكر الله في الجهاد في سبيل الله فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة كل حسنة منها عشرة أضعاف مع الذي له عند الله من المزيد»، قيل: يا رسول الله، والنفقة على قدر ذلك؟ قال: «والنفقة على قدر ذلك».

فقيل لمعاذ: إنما النفقة بسبعمئة ضعفٍ، فقال له معاذ: قلَّ فهمك، إنما ذلك إذا أنفقوها وهم مقيمون في أهلهم غير غزاةٍ، فإذا غزوا وأنفقوا حبا الله لهم من خزائن رحمته ما ينقطعُ عنه علم العباد، وصفتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وحزب الله هم الغالبون. رواه الطبراني.

[٢٠] وعن عدي بن حاتم: أنه سأل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: «خدمة عبد في سبيل الله، أو ظل فسطاطٍ في سبيل الله، أو طروق فحل في سبيل الله»، رواه الحاكم وصححه.

وقد تقدم فضلُ من جهز غازياً، أو أعانه، أو خلفه في أهله بخيرٍ.

❋ ❋ ❋

فَصْلٌ

في ذكر خيله وسلاحه ﷺ لمن وفقه الله أن يجعله له أسوةً في ذلك ليقتدي به في سائر المسالك والمهالك

فأما خيله: فقال مُغْلَطاي في «سيرته الصغرى»: «كان له من الخيل: السكَبُ، والمرتجز، ولزاز، والظرِب، واللحيف، والورد، والأبلق، وذو العقّال، وذو اللمة، والمرتجل، والمراوح، وسبحه، والسرحان، واليعسوب، واليعبوب، والبحر، والنجيب، والأدهم، والشَّحَا، والسِّجِل، والملاوح، والطرف، والضرس، ومندوب»، انتهى.

وقيل: إن بعض هذه الأسماء مكرر لمسمًّى واحد. **وقيل**: تصحيف.

[شرح غريب الأسماء]

وسُمِّي **السكَبُ**: تشبيهاً بفيض الماء وانسكابه.

والمرتجز: لحسن صهيله.

واللِّزاز: بكسر اللام، لاجتماع خلقِه، وتلززه.

والظِّرب: بكسر الظاء المعجمة وباء آخره موحدة، واحد الظِّراب، وهي الرابية. سُمِّي به: لكبره، وسمنه، وقوته، وصلابة حافره.

واللحيف: لطول ذنبه.

والورد، والأبلق: للونهما.

وذو العُقّال: بضم العين المهملة وتشديد القاف وتخفّف، ضلعٌ يأخذ في قوائم الدابة.

وذو اللمة: لطول شعر ناصيته، وكثرته.

والمرتجل: بالجيم، من قولهم ارتجل الفرسَ، إذا خلط العنَقَ بشيءٍ من الهملجة، والعنقُ: سعة الجري، وبعد الخطا. والهملجة: ضده.

والمراوح: من الريح، لشدة جريه كالريح.

وسَبحه: من قولهم سبحَ الفرس، إذا كان حسناً، مدّ يده في الجري.

وسرحان: من أسماء الذئب.

واليعسوب: بالسين المهملة، اسم طائرٍ أطولُ من الجرادة، تشبه به الخيل.

واليعبوب: بالباء الموحدة قبل الواو وبعدها، الفرسُ الجواد، من قولهم جدول يعبُوب، إذا كان شديدَ الجري.

والبحْر: الفرس الواسع الجري.

[١] أخرج الدمياطي عن واثلة بن الأسقع، قال: أجرى رسول الله ﷺ فرسَه الأدهمَ في خيول المسلمين، في المحصّب بمكة، فجاء سابقاً. فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه، حتى إذا مرَّ به، قال: «**إنه لبحْرٌ**».

فقال عمر بن الخطاب: كربَ الحطيئةُ حيث يقول:

وإنّ جيادَ الخيلِ لا تستفزُّني ... ولا جاعلاتِ العاجِ فوقَ المعاصمِ

لو كان صابر أحد من الخيل لكان رسولُ الله ﷺ أولى الناس بذلك.

والنجيب: ككريم وزناً، ومعناه والأدهم المونه.

والشّحّا: بالشين المعجمة والحاء المهملة المشددة المفتوحتين، مأخوذ من قولهم: فرسٌ بعيد الشحوة، أي: الخطوة.

والسِّجِل: بكسر السين المهملة والجيم، من قولهم: سجلتُ الماء، إذا صببته.

والملاوح: الضامر الذي لا يسمن.

والطِّرِف: بكسر الطاء المهملة والراء، الكريم من الخيل.

والضرس: بفتح الضاء المعجمة وكسر الراء آخره مهملة، الصعبُ الخلقِ، الشديدُ.

والمندوب: قيل: معناه المطلوب، وقيل: لأثر جروحٍ كان فيه.

والمتفق عليه من ذلك سبعة. وقال الشيخ زين الدين العراقي، وصدّر بالمتفق عليهما:

خيل النبي عدة لم تختلفْ ... في السبع الأُولى كلها مركوبُ
سكبٌ لزَازٌ ظرِبٌ مرتجزٌ ... سجِلٌ نجيبٌ ظَرِفٌ يعسُوبُ
سرحانُ ذو اللمّةِ والشحاءُ ... والمرتجلُ الملاوحُ اليعبوبُ
أبلقٌ ذو العِقّال بحرٌ ضرِسٌ ... عشرين لم يحظَ بها مكتوبُ

***

وأما بغاله ﷺ؛ فسبعٌ: دلدل، وفضّه والأبلة، والتي أهداها له ابن العلى[1]، وأخرى أهداها كسرى، وأخرى من دومة الجندل، والسابعة من عند النجاشي.

***

(١) جاء في الهامش: «لعله ابن العلم».

وأما حميره: فعُفيرٌ، مصغّر. ويعفور، وآخر أعطاه له سعد، ورابع أعطاه إياه بعضُ الصحابة.

***

وأما لقاحه ﷺ: فالحفا، والسمراء، والعريش، والسغدية، والنعوم، والسيرة، والربا، والبردة، والحفدة، والبهوة، والمروة، والخفرة، والشقرا، والعضبا، والقصوى، والجدعا، **ويقال:** هما واحدة.

***

وأما غنمه: فعجرة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وإظلال، وأطراف، وعوثة، وقيل: عيثة. ويمن، وقمر، ودرسنة. ومئة شاةٍ، كلما زادت فيها شاةٌ بالولادة ذبح منها شاةً، ذكر ذلك مغلطاي فذكرته استطراداً مع الخيل.

***

وأما السلاح: فأسيافه ﷺ فيما اشتهر أحدَ عشر.

الأول: المأثور، ورثه من أبيه، وقدم به المدينةَ. ويقال: إنه من عمد الجنة.

الثاني: ذو الفِقار، بكسر الفاء، وقد تفتح، لفقَراتٍ كانت في وسطه، مثل فقر الظهر. غنِمه يوم بدرٍ، وكان لا يفارقه في حروبه.

الثالث: القلَعيّ، بفتح القاف واللام ثم عين مهملةٍ، وياء النسبة.

والرابع: البتّار، بالموحدة ثم مثناة فوقية مشددة آخره راء.

والخامس: الحتْفُ، بالمهملة ثم مثناة فوقية ثم فاء، وأصابَ هذه الثلاثة من سلاح بني قينقاع.

والسادس: المخدم.

والسابع: رسوب، أصابهما من الغُلس، صنم طي.

الثامن: العضْب، بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة، أعطاه له سعد ابن عبادة، عند توجهه إلى بدر.

التاسع: القضيب، بالقاف والضاد المعجمة، أصابه من سلاح بني قينقاع.

العاشر: الصمصَامة، وهبها له خالد بن سعيد بن العاص، وكانت لعمرو بن معدي كرب، فوهبها لخالد المذكور، حين استعمله ﷺ على اليمن، وكانت مشهورةً عند العرب.

الحادي عشر: اللحيف.

وكانت نعلُ سيفه، أي ذي الفقار، فضةً، وقبيعته فضّة، وبين ذلك حلقُ فضة، وقيل: إن ذلك كان في غير ذي الفقار أيضاً.

* وقد نظمتها، فقلت:

وسيوفُ النبيِّ عَضْبٌ قضيبٌ ولحيفٌ حتفٌ مع البتّارِ

قلَعيٌّ صمصامةٌ مأثورٌ ورسوبٌ ومخدمٌ ذو الفقارِ

* * *

وكان له ﷺ خمسةُ رماح: المثْوى، والمثنى. وثلاثة رماحٍ أخر أصابها من سلاح بني قينقاع.

[١] روى الإمام أحمد بسند جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصَّغار على من خالف أمري».

* * *

وكان له ﷺ ستُّ قسيٍّ:

الأولى: الرجحا.

الثانية: شَوحط، بفتح الشين المعجمة وبعد الواو مهملتين، وتسمى البيضاء.

الثالثة: الصفراء، من نبعٍ. وأصاب الثلاث من سلاح بني قينقاع.

الرابعة: السّداد.

الخامسة: الزّورا.

السادسة: الكَتُوم؛ لانخفاض صوتها.

[٢] وعن ابن عباس: أنه كان ﷺ يخطب قائماً على قوسه، رواه ابن عدي.

[٣] وعن سعد القرظ: أنه ﷺ كان يخطبُ في الحرب إذا خطبَ، وهو متكئ على قوسه.

* وجمعت القِسِيَّ في بيت وهو:

قسيُّهُ الكتومُ والصفراءُ رَو حاءُ السدادُ الشوحطُ الزوراءُ

* * *

وكان له ﷺ سبع دروعٍ:

الأولى: السُّغدية، بضم السين المهملة وسكون الغين المعجمة. قيل: هي درعُ داود التي لبسَها حين قتل جالوت.

الثانية: فضة، وأصابها والتي قبلها من سلاح بني قينقاع.

الثالثة: ذات الفضول، بالضاد المعجمة. سُمِّيت بذلك لطولها، أرسل بها إليه سعدُ بن عبادة حين سار إلى بدرٍ، وكانت من حديدٍ، موشّحة بنحاس.

الرابعة: ذات الوشاح.

الخامسة: ذات الحواشي.

السادسة: البتراء، سُمِّيت بذلك لقصرها.

السابعة: الخريق.

* وقد جمعتها فقلت:

أدرعُهُ صلَّى عليه ربُّنَا　　سبعٌ كما قد جاءَ عن أهلِ الصلاحْ[1]
سُغْديةٌ وفضةٌ بترا خريقٌ　　ذاتُ الفضُولِ والحواشي والوشَاحْ

* * *

وكان له ﷺ **مِغْفرٌ**؛ يقال له: السبوغ.

وآخر يُسمَّى: الموشّح، من حديد.

و: بيضه.

* * *

وكانت له ﷺ **منطقةٌ** من أدمٍ، منثور فيها ثلاثُ حلقٍ من فضة. والإبزيم الذي في رأس المنطقة من فضةٍ، والطرف من فضةٍ، ذكر ذلك كله الشامي في «سيرته» عن الدمياطي.

* * *

وكان له ﷺ ثلاثة **أتراس**:

الأولى: الزلوقُ؛ لأن السلاح يزلق منها.

الثاني: الفنق.

---

(١) في نسخة: الصحاح. عن هامش الأصل.

الثالث: ترس كان فيه مثالُ رأس كبشٍ، أو عقابٍ. فكرهه، فمسحه بيده، فأذهبه الله عنه.

[١] وروي عن ابن عباس: أنه ﷺ كان له ترسٌ أبيض، يسمى الموخر. وفي رواية ترسٌ يسمى الجمع.

* * *

وكان له ﷺ **جعبةٌ**، وهي الكنانة. تسمى كافوراً، وقيل: المتصلة، أو المؤتصلة.

* * *

وكان له ﷺ خمس حراب:

الأولى: حربةٌ يقال لها: النبعة، أو النبعاء.

الثانية: البيضاء وهي أكبر من الأولى.

الثالثة: العنزة، وهي صغيرة، تشبه العكاز. يمشي بها بين يديه الأعياد حتى تركز أمامه، فيتخذها سترةً يصلِّي إليها. وكان يتوكأ بها أحياناً، وكانت مما أهداه له النجاشي.

الرابعة: الهن.

الخامسة: التمر.

* وقد جمعتها في بيتٍ، فقلت:

حِـرابُــهُ النبعـةُ والنبعــاءُ ... هُـنَّ وتمـرُ العنـزةِ البيضـاءِ

* * *

وكان له ﷺ **محجنٌ** قدرَ ذراع، أو أطول، يسمى الذقن، يمشي به وإذا ركبَ علق بين يديه على بعيره.

* * *

وقضيبٌ من شَوحط، يسمى: **المشوق**. قيل: وهو الذي يتداوله الخلفاء.

* * *

وكان له **عصاً** تُسمَّى: **الهراوة**، والمحجنُ عصا محنيةُ الرأس.

[١] روى أبو الشيخ بن حبان، عن ابن عباسٍ قال: التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء.

[٢] وكان لرسول الله ﷺ **عصاً** يتوكأ عليها، ويأمر بالتوكؤ عليها.

[٣] وروى أبو داود، والحاكم عن أبي سعيدٍ قال: كان رسول الله ﷺ يحبّ العراجينَ، ولا يزال في يده منها.

[٤] وروى البزار، والطبراني بسند ضعيفٍ، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: أنْ أتّخِذَ العصا، فقد اتَّخذَها أبي إبراهيم.

* * *

وقد عُلِمَ بذلك عظيمُ فضلِ الاستعداد للجهاد، بآلات الحرب والاجتهاد؛ لاتخاذه لها ﷺ وإكثاره منها، وصحبته لها. وهو أكبر الزاهدين، وسيد المتقين، وإمام الموقنين، وخير أهل اليقين. وقد عصمه الله من المشركين، وما ذلك إلا ليكون قدوة لأهل الدين، وأسوة للمجاهدين، والله أعلم.

* * *

فَصْلٌ
[في وجوب اقتران الجهاد بالإخلاص]

واعلم أن ما تقدم من فضل الجهاد، وبذل النفوس والأموال فيه والجهد والاجتهاد، إنما هو لمن أخلص لله في جهاده، وصدقَ لوجهه الكريم في اجتهاده، لا لعرضٍ من الدنيا ولا لغرضٍ آخر من مراده.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] الآية. وقال تعالى ﴿فمن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

[١] وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى». رواه البخاري ومسلم.

[٢] وعن أبي موسى الأشعري: أن أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكَر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». رواه البخاري ومسلم.

[٣] وعن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد، وهو يبتغي عرَضاً من الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له»، فأعظم الناس ذلك، وقالوا للرجل: عُد إلى رسول الله ﷺ، فعاد إليه الثانيةَ والثالثةَ، وقال: رجل يريد

الجهاد، وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا، ورسول الله ﷺ يقول: «لا أجر له». رواه أبوداود، والحاكم وصححه.

[٤] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه قال لرسول الله ﷺ: أخبرني عن الجهاد. فقال: «يا عبد الله بن عمر، إن قاتلت صابراً محتسباً، بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت أو قُتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً. يا عبد الله بن عمر، على أي حال قاتلتَ أو قتلت بعثك الله على تلك الحال». رواه أبو داود.

[٥] وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمسُ الأجر والذكر والفخْرَ، ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مراتٍ، ورسول الله ﷺ يقول: «لا شيء له»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغيَ به وجهه». رواه أبو داود، والنسائي.

[٦] وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشّر هذه الأمة بالتيسير والرفعة بالدين، والتمكين في البلاد، والنصر والسنا، فمن عمل منهم بعملِ الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب». رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي، واللفظ له.

[٧] وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياءٍ، إلا سمّع به على رؤوس الخلائق يوم القيامة». رواه الطبراني بإسناد حسن.

[٨] وعن معاذ أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الغزو غزوان: فأما من يبتغي وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمةَ، وياسرَ الشريكَ، واجتنب الفساد؛ فإن نومه ونبهَه أجرٌ كله. وأما من غزا فخْراً ورياءً وسمعةً، وعصى الإمامَ،

وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف». رواه أبو داود وغيره.

[٩] وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نوى، ولو لم ينوِ إلا عقالاً فله ما نوى»**. رواه النسائي، وابن حبان في «صحيحه».

[١٠] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله، إني أقف الموقفَ أريد وجه الله، وأريد أن يُرى مكاني. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلَتْ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، رواه الحاكم.

[١١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناسِ يقضَى عليه يوم القيامة: رجلٌ استشهد، فأتيَ به، فعرّفه الله نعمته عليه فعرفها، فقال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكن قاتلت لأن يقال: هو جريءٌ، فقد قيل! ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار». رواه مسلم، والترمذي، والنسائي.

[١٢] وفي رواية الترمذي: «إذا كان يوم القيامة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى العبادِ ليقضي بينهم، وكل أمة جاثيةٌ، وأول من يدعَى رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتِلَ في سبيل الله، ورجلٌ كثير المال»، الحديث. إلى أن قال: «ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له، وهو أعلم: فيماذا قُتِلتَ؟ فيقول: يا رب أمرتَ بالجهاد في سبيلك فقاتلتُ حتى قُتِلتُ، فقال الله تعالى: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، ويقول الله: بل أردتَ أن يقال فلان جريءٌ، أي شجاعٌ. وقد قيل ذلكَ». ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيامة».

[١٣] وعن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فآمنَ به واتبعه، فقال له: أهاجر معكَ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه. فلما كانت غزاةٌ، غنم النبي ﷺ شيئاً، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابَه ما قسم له.

وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ فقال: قسمٌ قسمه لك النبي ﷺ. فأخذه، وجاء به إلى النبي ﷺ، فقال له: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «هذا قسْمُ ذلك». فقال الأعرابي: ما على هذا اتبعتكَ، ولكن اتبعتك على أن أرمَى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه، بسهمٍ فأموتَ فأدخل الجنة. فقال رسول الله ﷺ له: «إن تصدق الله يصدقك». ثم لبثوا قليلاً، ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأُتِيَ به إلى النبي ﷺ يحملُ، قد أصابه سهمٌ حيث أشارَ. فقال النبي ﷺ: «أهو، هو؟» قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقه». ثم كفنه النبي ﷺ في جبته، أي جبة النبي ﷺ، ثم قدمه، فصلى عليه، أي دعا له. وكان من دعائه: «اللهم هذا عبدك خرج مجاهداً في سبيلك فقتل شهيداً وأنا شهيد على ذلك». رواه النسائي.

[١٤] وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من سرية ولا غازية تغزو في سبيل الله، فيصيبون الغنيمةَ، إلا تعجلوا ثلثي أجورهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة نمت لهم أجورهم».

***

[خبر المجاهد الشقي]

[١] وعن سهل بن سعد الساعدي: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعَها، يضربها بسيفه، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: ما أجزأ اليوم أحدٌ منا كما أجزأ فلان. فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنه من أهل النار»**، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال: فخرج معه، كلما وقف وقفَ معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموتَ، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذُبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه

فقتل نفسَه. فخرج الرجلُ إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: «**وما ذاك؟**». قال: الرجلُ الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناسُ ذلكَ، فقلت: أنا لكم به، فخرجتُ في طلبه، فجرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموتَ، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عملَ أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار». رواه البخاري ومسلم.

وفي بعض روايات الحديث: أن الرجل المذكور لم يقاتل لله، وإنما قاتل عصبيةً لقومه، وكأنه استحلَّ قتل نفسه، فصار كافراً من أهل النار.

[خبر قُزْمان الشجاع]

ويحتمل: أن يكون الرجلُ المذكور قزمانَ الشقيَّ، وأن يكون غيره.

وقُزْمانُ، بضم القاف وسكون الزاي آخره نون: رجلٌ مشهور بالشجاعة، ولا يعرف ممن هو؟ وكان إذا حضَر عند النبي ﷺ يقول النبي: «**إنه من أهل النار**».

فتأخر يوم أحدٍ، فعيرته نساء بني ظفَر، فأتى رسول الله ﷺ وهو يسوي الصفوف، حتى انتهى إلى الصف الأول، فكان أولَ من رمى من المسلمين، فجعل يرسل أسهماً كأنها الرياحُ، ويكُتُّ كتيتَ الجملِ، ثم فعل بالسيف الأفاعيلَ، حتى قتل سبعةً أو تسعةً، وأصابته حربةٌ فوقعَ.

فناداه قتادة بن النعمان: يا أبا الغيداق، هنيئاً لك بالشهادة. فقال: إني والله يا أبا عمرو ما قاتلتُ على دينٍ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير إلينا قريشٌ حتى تطأ أرضنا. ثم احتُمل إلى دار بني ظفر، فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون: لقد أبليتَ اليوم يا قُزمان، أبشر. فقال: بماذا أبشر! فوالله ما قاتلتُ إلا على حساب قومي، لولا ذلك ما قاتلتُ. ثم تحامل على سيفه. وفي رواية: سهماً من كنانته فقتل نفسه.

فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**إنه من أهل النار، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»، وقصته هذه ذكرها أهلُ السير في غزوة أحد.

* * *

فَصْلٌ
في القتال وآدابه والصّوم في سبيل الله
وذكْرِ الله في الجهادِ في سبيل الله

[١] عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيشٍ وسريةٍ، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً.

ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلّوا ولا تقدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا تمثلوا. وإذا لقيتَ عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن إليها أجابوك فاقبل منهم، وكفّ عنهم.

فادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوكَ فاقبل منهم وكفّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلكَ، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم، فإن أبوا أن يتحولوا عنها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة ولا الفيء شيءٌ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

فإن هم أبوا فسَلْهم الجزية، فإن هم أجابوكَ فاقبل منهم، وكف عنهم، وإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرْتَ أهل حصنٍ فأرادوك أن تجعل لهم ذمةَ الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمةَ أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذممَ أصحابكم أهونُ من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإن حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمِك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا». رواه مسلم.

[٢] وروى الطبراني في «الأوسط»: أنه ﷺ إذا جاهد جيشاً، قال: «سيروا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا الوليد».

[٣] وعن النعمان بن مقرن قال: غزوتُ مع النبي ﷺ فكان إذا طلع الفجر أمسكَ حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قاتل، وإذا انتصف النهار أمسك حتى تزول الشمس، فإذا زالت الشمس قاتلَ حتى العصر، ثم أمسك حتى يصلي العصر، ثم يقاتل. قال قتادة: كان يُقال: عند ذلك تهيج رياح النصر، ويدعو المؤمنين لجيوشهم في صلاتهم. رواه الترمذي.

وفي رواية لأبي داود: كان إذا لم يقاتل أول النهار، انتظر حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر.

[٤] وعن صخر بن وداعة العامري قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورهم»، وكان إذا بعث جيشاً أو سريةً، بعثهم من أول النهار، رواه أبو داود، والترمذي.

[٥] وعن كعب بن مالك قال: خرج رسول الله ﷺ يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس. رواه البخاري.

[٦] وعن أنس: أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً، لم يكن يغزو بنا حتى يصبح، وننظر إليهم، فإن سمع أذاناً كفَّ عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم. رواه البخاري ومسلم.

[٧] وعن عصام المزني قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ في سريةٍ، فقال: «إذا رأيتم مسجداً، أو سمعتم مؤذناً، فلا تقتلوا أحداً». رواه الترمذي، وأبو داود.

[٨] وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحرب خدعة». رواه البخاري ومسلم.

[٩] وعن كعب بن مالك قال: لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوةً إلا ورّى بغيرها، حتى كانت غزوةُ تبوك، غزاها رسول الله في حرّ شديدٍ، واستقبل سفراً بعيداً، ومفاوز وعدواً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد. رواه البخاري.

[١٠] وعن أنسٍ: كان رسول الله ﷺ يغزوا بأمّ سليم ونسوةٍ من الأنصار معه إذا غزا، يسقين الماءَ، ويداوينَ الجرحى. رواه مسلم.

[١١] وعن عبد الله بن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان. متفق عليه.

[١٢] وعن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قطعَ نخل بني النضير وحرق، وأنزل الله في ذلك: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ [الحشر: ٥]. الآية، رواه البخاري ومسلم.

[١٣] وعن عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق، غارّين في نعمهم، بالمريسيع، فقتل المقاتِلة، وسبى الذرية. رواه البخاري ومسلم.

[١٤] وعن عبد الرحمن بن عوف قال: عبأنا رسول الله ﷺ ببدرٍ ليلاً. رواه الترمذي.

* * *

وإذا اشتدَّ أمرٌ مع المجاهدين أمر أن يدعو بدعائه ﷺ يوم اشتدّ عليه الأذى من قريش وأهل الطائف، لما انصرف من الطائف قبلَ الهجرة، بعد موت عمه أبي طالب، وموت خديجة.

[١] وهو: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني بعيد،

أم إلى صديق قريبٍ كلفته أمري، إن لم تكن غضباناً عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسعُ لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك». رواه الطبراني.

* * *

[الشعار في الحرب]

[١] وروى أيضاً عن المهلب: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بيّتكم العدو، فليكن شعاركم** ﴿حمٓ﴾.... ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١-٢٠]. قال العلماء: والشعار في الحربِ ما يعرف القوم به بعضَهم من بعض من أصحابهم. **والمعنى**: بحق ﴿حمٓ﴾، أو: بحماية الله، لا ينصرون. خبرٌ بمعنى الدعاء. وقيل: استئنافٌ، والله أعلم. وعن سمرة بن جندب قال: كان شعار المهاجرين عبد الله، وشعار الأنصار عبد الرحمن. رواه أبوداود.

وفي بعض الروايات: يا بني عبد الله، ويا بني عبد الرحمن. وفي أخرى: يا بني عبد الله والأنصار، يا بني عبيد الله، وفي بعض الروايات: أحدٌ أحد.

[٢] وعن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع أبي بكر في زمن النبي ﷺ فبيتناهم نقتلهم، وكان شعارنا تلك الليلة: أَمِتْ أمت. رواه أبو داود.

* وقوله «أمِت» أمرٌ من الموتِ، والمخاطَب هو الله، وهو دعاءٌ، أي: اللهم أمِت العدوَّ. وفي رواية أخرى: يا منصورُ أمِتْ، فيكون أمر من المسلمين المقاتلينَ بعضَهم لبعضٍ، ومعناه: أمتِ الكافر، أي: اقتله.

* * *

[إنشاد الأشعار الحماسية]

[١] وعن قيس بن عبادة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهونَ الصوت عند القتال. رواه أبو داود.

[٢] وعن أنسٍ قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون: نحن الذين بايعوا محمداً، على الجهاد ما بقينا أبداً. والنبي ﷺ يجيبهم: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة». رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية أخرى: «فاغفر للأنصار والمهاجرة»، وفي رواية: «فأكرم».

[٣] وعن البراء قال: رأيتُ رسول الله ﷺ ينقل الترابَ يوم الخندق، حتى وارى الترابُ بياض بطنه، وكان كثير الشعر في صدره. وسمعتُه ﷺ يرتجز بكلماتٍ لابن رواحة:

والله لـولا الله مـا اهتدينـا ... ولا تصدَّقْنـا ولا صلَّينـا
فأنزلـنْ سـكينةً علينـا ... وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنـا
والمشركـون قد بَغَـوْا علينا ... إذا أرادُوا فتنـةً أَبَيْنـا

ورفع صوته: «أبينا أبينا»، يمدّ بها صوته، رواه البخاري ومسلم. وفي رواية: أنه كان يقول: «اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة».

[٤] وعن أبي أسيد قال: لما صففنا لقريشٍ يوم بدر، وصفّوا لنا. قال لنا النبي ﷺ: «إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل»، وفي رواية: «إذا أكثبوكم فارموهم». رواه البخاري. ومعنى **أكثبوكم**: قاربوكم.

وأما رواية: «إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم»، فمعناه: استبقوا نبلكم إذا أبعدوا عليكم؛ لئلا ترموهم ولا تصلهم سهامكم، فتضيع.

[٥] وعن عبد الله ابن أبي أوفى: أن رسول الله ﷺ في بعض حروبه التي لقي فيها العدوَّ، انتظر حتى مالت الشمسُ، فقام فيهم خطيباً، فقال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاضربوا، واعلموا أن الجنة تحتَ ظلال السيوف»، ثم قال: «اللهم منزل الكتاب، ومسخّر السحابِ، وهازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم». رواه البخاري ومسلم.

[٦] وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «اللهم أنت عضُدي ونصري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل». رواه أبوداود، والترمذي.

[٧] وعن بعض الصحابة: أن النبي ﷺ قال: «إن لقيتم العدو فقولوا ﴿حمٓ﴾.... ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١-٢٠]»، رواه أبوداود. والترمذي.

[٨] وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ، فلقي العدوَّ، فسمعته يقول: «يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين»، قال: فرأيت الرجال تصرعُ، تضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها.

[٩] وروى البيهقي في «الدعوات»: أن رسول الله ﷺ يقولُ إذا لقي العدو: اللهم أكفناهم واكفف عنا بأسهم.

[١٠] وروى الطبراني في «الأوسط»: أنه ﷺ كان إذا لقيَ العدو كبّر، وقال: «اللهم انت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدكَ، وإنما تقتلهم أنتَ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا».

[١١] وروى الإمام أحمد: أن رسول الله ﷺ لما انهزم المسلمون يوم حنينٍ، رمى الكفارَ بكفٍّ من الحصى، وقال: «شاهت الوجوه، لا ينصرون»، فانهزموا.

***

[ما يقوله في أوضاع مخصصة]

وينبغي لمن سمع ناقوساً، أو رأى بيت نارٍ، أو صنمٍ، أن يقول: «لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه». رواه الطبراني.

[١] وإذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم».

[٢] وإذا رأى كافراً قالَ: «لا إله إلا الله»، رواه الديلمي.

[٣] وإذا رأى معاهداً قالَ: «الحمد لله الذي فضلني عليك بالإسلام وبمحمّدٍ»، رواه الديلمي أيضاً.

[٤] وإذا رأى مجمعَ كفارٍ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن ما دون الله مربوبٌ مقهور». رواه أبو يعلى.

[٥] وأن يقال للقادم من غزوٍ: «الحمد لله الذي نصركَ، وأعزكَ، وأكرمك». رواه الديلمي.

[٦] وفي روايةٍ: أنه ﷺ يوم بدرٍ رأى قلة المسلمين، وكثرة الكفار، صلَّى ركعتين، وقال في سجوده: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، يا حي يا قيوم». يكرر ذلك طويلاً.

وقال بعد ذلك: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥].

* * *

دعاء النبي ﷺ يوم أحد:

«اللهم لا قابضَ لما بسطتَ، ولا باسط لما قبضت، ولا هادِ لمن أضللتَ، ولا مضلَّ لمن هديتَ، ولا مقرب لما بعدتَ، ولا مبعد لما قربتَ، ولا معطِ لما منعت، ولا مانع لما أعطيت.

اللهم ابسط لنا بركاتك، ورحمتك، وفضلكَ، ورزقك.

اللهم إني أسألك النعيمَ المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيلة، والأمن يوم الخوف.

اللهم إني عائذ بك من شرّ ما أعطيتَ، وشر ما منعت.

اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وتوفنا مسلمينَ، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين». رواه الطبراني.

زاد البيهقي: «اللهم قاتل الكفرةَ الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابكَ إله الحق».

***

دعاؤه ﷺ يوم الأحزاب:

«اللهم إني أعوذ بنور قدسكَ، وعظمة طهارتكَ، وبركة جلالكَ، من كل آفةٍ وعاهةٍ، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن.

اللهم أنت غياثي، فبكَ أغوثُ، وأنت معاذي فبك ألوذ، وأنت عياذي فبكَ أعوذ، يا من ذلّت له رقابُ الجبابرة، وخضعت له أعناق الفراعنة، أعوذ بك من خزيك، وكشف ستركَ، ومن نسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك، أنا في حرزك ليلي ونهاري، في نومي وقراري، وظعَني وأسفاري، ذكرك شعاري، وثناؤك دثاري، لا إله إلا أنت تعظيماً لوجهك، وتكريماً لسبحاتكَ.

أجِرْني من خزيك وشر عقابك، واضرب عليَّ سرادقات حفظكَ، وأدخلني في حفظ عنايتكَ، وعُد لي بخير منكَ، يا أرحم الراحمين». رواه أبو نعيم في «الحلية».

ومن دعائه يوم الطائف:

«اللهم إني أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات والأرض». رواه الديلمي.

* * *

ولا بأس بهذا الدعاء لمن خاف سلطاناً أو غيره:

«لا إله إلا الله الحليمُ الكريم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عزّ جارك، وجل ثناؤك». رواه مسلم.

«اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، كن لي جاراً من شر فلان ابن فلانٍ، وشر الجن والإنس، وأتباعهم. أن يفرط عليَّ أحدٌ منهم أو أن يطغى.

الله أكبر، الله أكبر، مِنْ خَلْقِهِ جميعاً، الله أعزّ مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الممسك السماوات السبع أن يقعنَ على الأرض إلا بإذنه، من شر عبدك فلان وجنوده، وأشياعه، وأتباعه من الجن والإنس». رواه الطبراني.

«يا من يكفي من كل أحدٍ، ولا يكفي منه أحدٌ، يا أحدُ، يا من لا أحدَ له، يا سند من لا سندَ له، انقطع الرجاءُ إلا منكَ، نجِّني مما أنا فيه، مما قد نزل بي، بجاه وجهك الكريم، وبحق محمدٍ عبدك، آمين». رواه الديلمي.

«اللهم احرُسْني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك عليَّ، ولا أهلك وأنتَ رجائي، فكم من نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ قل لك بها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ لك عندها صبري، فيا من قلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قلّ عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني.

أسألك أن تصليَ على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ.

اللهم أعنّي على ديني بالدنيا، وعلى آخرتي بالتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته، يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه العيوب، هب لي ما لا ينقصكَ، واغفر لي ما لا يضركَ، إنك أنت الوهاب.

أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، ورزقاً واسعاً، والعافية من جميع البلاء، وأسألك تمام العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغناء عن الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». رواه الديلمي أيضاً.

* * *

[دعاء الكرب]

ولا بأس هنا بدعاء الكرب المشهور. ومنه: «لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم». رواه البخاري ومسلم.

[١] وفي رواية: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين». رواه البيهقي.

[٢] «يا حي يا قيوم برحمتكَ أستغيث». رواه الحاكم.

[٣] «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت». رواه أبو داود.

[٤] «الله الله الله، الله ربي، لا أشرك به شيئاً». رواه أبو داود أيضاً.

[٥] «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين». رواه الترمذي.

[٦] «توكلت على الحي الذي لا يموتُ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم

يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيراً، الله أكبر، الله أكبر، مما نخاف ونحذر». ورواه الحاكم.

[٧] «اللهم إني أسألك يا الله يا رحمن يا رحيم، يا جار المستجيرين، يا أمان الخائفين، يا عماد من لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا ذخر من لا ذُخر له، يا حرز الضعفاء، يا كنز الفقراء، يا عظيم الرجاء، يا منقذ الهلكى، يا منجي الغرقى، يا محسن يا مجمّل يا متفضّل، يا عزيز يا جبار يا متكبر، أنت الله الذي سجد لك سواد الليل وبياضُ النهار، وشعاع الشمس، وحفيف الشجر، ودويّ الماء، ونور القمر. يا الله، أنت الله لا شريك لكَ، أسألك بهذه الأسماء، أن تصلي على محمدٍ وعلى آل محمد، وأن تفرج كربي، وتغفر ذنبي». رواه الديلمي.

[٨] وتقرأ آية الكرسي، وخواتيم البقرة، رواه ابن السني.

* * *

وعلى كل حالٍ؛ ينبغي إكثار الذكر حالَ القتال وقبله وبعدَه في الجهاد. فقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

[١] وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله، فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة، منها عشرة أضعاف مع الذي له عند الله من المزيد»، قيل: يا رسول الله، والنفقة؟ قال: «النفقة على قدر ذلك»، الحديث المتقدم ذكره.

* * *

[فضل الصوم في الجهاد]

وأما الصوم في سبيل الله في الجهاد:

[١] فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم في سبيل الله إلا باعد الله بذلكَ اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

[٢] وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله من غير رمضان، بَعُد عن النار مئة عامٍ، سير الجواد المضمر». رواه أبو يعلى.

[٣] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله، جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض». رواه الترمذي.

[٤] وعن عمرو بن عبينة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله بعدت عنه النار مسيرة عام». رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، بإسناد لا بأس به. ورواه في «الكبير» من حديث أبي أمامة، ولفظه: «بعد وجهه عن النار مسيرة عام ركض الفرس الجواد المضمر».

[٥] وعن سهل بن معاذٍ، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف». رواه أبو داود.

[٦] وعن معاذ أيضاً عن رسول الله ﷺ: أن رجلاً سأله: أي المجاهدين أعظم أجراً؟ قال: «أكثرهم ذكراً لله تعالى».

[٧] وعن سهل بن معاذٍ، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ ألف آية في سبيل الله كتبه الله مع النبيين والشهداء والصالحين». رواه الحاكم.

***

والمرابطُ في سبيل الله من المجاهدين، فيضاعف عمله كذلك.

[١] وقد روى أبو الشيخ بن حيّان عن أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: أن «الصلاة بأرضِ الرباط بألفي ألف صلاةٍ»، الحديث.

[٢] وروى البيهقي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ: أن «صلاة المرابط تعدلُ خمسمئة صلاةٍ، ونفقة الدينارِ والدرهم منه أفضلُ من سبعمئة دينار نفقةً في غيره»، والله أعلم.

فَصْلٌ

وليحرص المجاهد أن يكون زاده وما معَه، من فرسٍ، وسلاحٍ، وسلبٍ، وركابٍ، من الحلال الخالص، فقد ورد في الآيات الكثيرة التشديد على آكل الحرام، وأن عمله، جهاداً كان أو غيره، لا يقبل منه.

[١] وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله طيبٌ لا يقبل إلّا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر «**الرجل يطيل السفر**»، أي في الحج والجهاد ونحوهما، «**أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**».

[٢] وروى ابن جرير عن أبي زيدٍ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، قال: الحرام.

[٣] وروى البيهقي في «الشعب» عن ابن مسعودٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدّق منه فيقبل منه ولا

يتركه خلف ظهره، إلا كان زاده إلى النار. إن الله لا يمحو السيِّئ بالسيِّئ، ولا يمحو السيِّئ إلا بالحسن، إنّ الخبيث لا يمحو الخبيث».

[٤] وروى البزار عن ابن مسعودٍ أيضاً، عن النبي ﷺ: «إن الخبيث لا يكفر الخبيثَ، ولكن الطيب يكفر الخبيث».

[٥] وروى أحمد في «الزهد» عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طاب الكسبُ زكت النفقةُ، فإنّ الخبيث لا يكفر الخبيث».

[٦] وروى أيضاً عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «من كسب مالاً من غير حله، فوضعه في غير حقه، فذلك الداء العضال»، الحديث.

[٧] وروى ابن خزيمة، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أديت الزكاة فقد أديت ما عليكَ، ومن جمع مالاً من حرام، ثم تصدق به، لم يكن له فيه أجرٌ، وكان وزره عليه».

[٨] وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام».

[٩] وروى البيهقي في «الشعب» أيضاً، وأحمد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم، وفيه درهم حرامٌ، لم يقبل الله له صلاةً ما دام عليه»، ثم أدخل أصبعه في أذنيه، وقال: صُمّتا، إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ.

[١٠] وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الحاجُّ حاجًّا بنفقةٍ طيبةٍ، ووضع رجله في الغرْز، فنادى: لبيكَ اللهم لبيكَ، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديكَ، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرورٌ غير مأزور. وإذا خرج بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله في الغرز،

فنادى: لبيكَ اللهم لبيكَ، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديكَ، زادك حرامٌ، ونفقتك حرامٌ، وحجك مأزور غير مبرور».

[١١] وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن أسلم مولى عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجّ بمالٍ حرام فقال: لبيكَ اللهم لبيك، قال الله له: لا لبيك ولا سعديكَ، وحجك مردود عليك».

[١٢] وروى أحمد، والبيهقي، والدارميُّ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنّة لحم نبتَ من السحتِ، وكل لحم نبتَ من السحت كانت النار أولى به».

[١٣] وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملكاً على بيت المقدس، ينادي كل ليلةٍ: من أكل حراماً لم يقبل منه صرفٌ ولا عدل». قيل: الصرف النافلةُ، والعدلُ الفريضة، رواه الديلمي في «مسند الفردوس».

[١٤] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يبالِ من أين اكتسب المالَ، لم يبالِ الله به من أي بابٍ أدخله النار». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

[١٥] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اكتسب مالاً من مأثمٍ، فوصل به رحمه، أو تصدق، أو أنفقه في سبيل الله، جمع الله ذلك جميعاً ثم قدّمه في النار».

* والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة شهيرة.

* * *

[فضل النفقة الحلال]

وقد جاءت كذلك آياتٌ كثيرة، وأخبار شهيرة، في فضل الحلال، وأنه سببٌ لاستجابة الدّعاء، وقبول العمل الصالح، وغسل الذنوب، وأن الذي يطلبه لما يحتاجُه إليه مثل المجاهد في سبيل الله.

وأنه ينبغي للمتصدّق والمجاهد والحاج، أن تكون نفقاتهم من أفضل النفقات، مما يحبونه ويؤثرون به أنفسَهم، قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقال تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي الرديء. ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة، وإيرادها فيه طولٌ، يخرج عن وضع التأليف، والله أعلم.

* * *

فَصْلٌ

في التحذير الشديد من الغلول في الغنيمة أو الحيف في قيمتها وفضل الشهداء وما أعدَّ الله لهم

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، الآية.

[١] وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يومٍ، فذكر الغلولَ، فعظّمه وعظّم أمره. ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيرٌ له رغاءٌ، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ. لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حمحمةٌ، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفْسٌ لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاعٌ تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ. لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامتٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك».

[٢] وروى البخاري ومسلم عنه رضي الله عنه أيضاً قال: أهدى رجل لرسول الله ﷺ غلاماً، يقال له: مدعم، فبينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ، إذ أصابه سهمٌ عابرٌ، أي غير مقصود به، فقتله. فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال

رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده أن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم، لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً»، فلما سمع الناس ذلكَ، جاء رجلٌ بشراكٍ أو شراكَيْنِ، إلى النبي ﷺ فقال: «شراك من نار»، أو: «شِراكان من نار».

[٣] وروى البخاري عن ابن عمر قال: كان على ثقل النبي ﷺ رجلٌ يقال له: كركرة، فماتَ، فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار»، فذهبوا ينظرونَ، فوجدوا عباءةً قد غلَّها.

[٤] وروى مالك، وأبوداود، والنسائي عن يزيد بن خالدٍ، قال: مات رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يوم خيبر، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «صلُّوا على صاحبكم»، فتغيرت وجوه الناس لذلكَ، فقال: «إن صاحبكم غلَّ في سبيل الله»، ففتشنا متاعَه، فوجدنا خَرَزاً من خَرَز يهود، لا يساوي درهمين.

[٥] وروى أبو داود عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصاب غنيمةً، أمر بلالاً ينادي في الناس، فيجيئون بغنائمهم، فيخمّسه، ويقسمه. فجاء رجل يوماً بعد ذلك برمامٍ من شعر، فقال: يا رسول الله، هذا فيما كنا أصبناه من الغنيمة. قال: «أسمعتَ بلالاً نادى ثلاثاً؟»، قال: نعم. قال: «فما منعك أن تجيء به»، فاعتذر. قال: «كذا أنت تجيء به يوم القيامة، فلن أقبله منك».

[٦] وروى الدارمي عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «أدُّوا الخياط والمخْيطَ، وإياكم والغلول، فإنه عارٌ يوم القيامة على أهله».

[٧] وروى أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: دنا رسول الله ﷺ من بعيرٍ، فأخذ وبرةً من سنامه. ثم قال: «يا أيها الناس إنه ليس لي من هذا الفيء شيء، ولا هذا»، ورفع أصبعه «إلا الخمس، والخمس مردود عليكم.

فأدّوا الخياط والمخيط»، فقام رجلٌ في يده كبة من شعر، فقال: أخذتُ هذه لأصلح بها بردعةً. فقال رسول الله ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب منها فهو لك»، فقال الرجل: أما إذا أبلغت ما أرى، فلا أرب لي فيها، ونبذَها.

[٨] وروى مسلم عن ابن عباسٍ عن عمر رضي الله عنهم، قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: فلانٌ شهيد، وفلان شهيد، حتى مرُّوا على رجلٍ، فقال: فلان شهيد. فقال رسول الله ﷺ: «كلا إني رأيته في النار في عباءةٍ غلها»، أو: «بردة».

[٩] وروى البخاري عن خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة».

وفي رواية للترمذي عنها أيضاً: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا المال حلوة خضرةٌ، فمن أصابه بحقه بورك له فيه، ورُبَّ متخوضٍ فيما شاءت نفسه من مال الله، ليس له يوم القيامة إلا النار».

[١٠] وروى الدارمي عن عتبة بن عبدٍ السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا لقي العدو قاتل حتى يقتل»، قال النبي ﷺ: «فذلك الشهيد الممتحَنُ في خيمة الله، تحت عرشه، لا يفضُله النبيون إلا بدرجة النبوّة. ومؤمنٌ خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل». قال النبي ﷺ: «فيه مضمضة مجَّت ذنوبَه وخطاياه، إن السيف محاءٌ للخطايا. وأدخل من أي أبواب الجنة شاء ومُنافق جاهد بنفسه وماله، فإذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق».

***

[فضل الشهداء]

[١] وروى البخاري ومسلم عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحدٍ يدخل الجنّة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيء إلا الشهيدُ، يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة».

[٢] وروى مسلم عن مسروقٍ قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآيات. فقال: إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ، لها قناديلُ معلّقة بالعرش، تسرح من الجنّة حيث شاءتْ، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعةً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنّة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مراتٍ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يُسألوا، قالوا: يا رب نريد أن تُردَّ أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل مرة أخرى».

[٣] وروى مسلم أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ قال: «القتل في سبيل الله يكفر كلّ شيء إلا الدَّين»، أي جميع حقوق العباد فلا تسقط بحال، «إلا إن أرضى الله الغرماءَ، وهو على كل شيء قدير».

[٤] وروى مسلم أيضاً عن سهل بن حنيفٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدقٍ، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه».

[٥] وروى البخاري عن أنس: أن الرُّبيِّع ـ بالتصغير ـ بنت البراء، وهي أم حارثة بن سُراقة، أتت النبيّ ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تُحدّثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدرٍ، أصابه سهم غربٌ، أي لا يعرف راميه، فإن كان في الجنة صبرتُ وإن

كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء. فقال: «يا أم حارثة إنها جنّاتٌ، وإن ابنك في الفردوس الأعلى».

[٦] وروى الترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ستُّ خصالٍ: يغفر له في أول دفقةٍ من دمه، ويرى مقعده من الجنّة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة خير من الدنيا وما فيها. ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه».

[٧] وروى الترمذي وحسنه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهيدُ لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة».

[٨] وروى أبو داود عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إنه لما قتل إخوانكم يوم أحدٍ، جعل الله أرواحَهم في جوف طير خضرٍ، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظلّ العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقِيلهم. قالوا: مَن يبلغ إخواننا عنّا أننا أحياء في الجنة، لئلاّ يزهدوا في الجهاد، ولا يتكلوا عند الحرب. فقال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]»، الآيات.

[٩] وروى النسائي عن عبد الرحمن بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس مسلمة يقبضها ربها، تحب أن ترجع إليكم وأن لها الدنيا وما فيها، غير الشَّهيد»، ثم قال رسول ﷺ: «لأن أقتل في سبيل الله أحبّ إليَّ من أن يكون لي أهلُ الوبَر والمدر».

[١٠] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الشُّهداء أربعةٌ: رجل مؤمن جيدُ الإيمان، لقي العدوَّ فصدق الله حتى قتل، فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة، هكذا»، ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوته:

«ورجلٌ مؤمنٌ جيّد الإيمان، لقي العدوَّ كأنما ضربُ جلدِه شوكُ طلْحٍ من الجبن، أتاه سهمٌ غرب فقتله، فهو في الدرجة الثانية. ورجلٌ مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، لقي العدوَّ، فصدقَ الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الثالثة. ورجل مؤمنٌ أسرف على نفسه، لقي العدوّ فصدقَ الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الرابعة»، رواه الترمذي وحسنه.

[١١] وروى أحمد، والحاكم وصححه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهرٍ بباب الجنّة، في قبة خضراء، يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشياً».

[١٢] وروى العقيلي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداءُ عند الله على منابر من ياقوتٍ، في ظلّ عرش الله، يوم لا ظلّ إلا ظله، على كثُبٍ من مسكٍ، فيقول لهم الربّ: ألم أوفِ لكم وأصدقكم؟ فيقولون: بلى وربنا».

[١٣] وروى البخاري عن أنس قال: أنزل الله تعالى في الذين قتلوا في بئر معونة قرآناً قرأناه، ثم نسخ بعدُ: «بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه».

[١٤] وروى البخاري أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يوم أُحُدٍ جيء بأبي إلى النبي ﷺ قد مُثّل به، ووضع بين يديه، فذهبت أن أكشف عن وجهه، فنهاني قومي، فسمع صوت نائحةٍ، فقيل: بنت عمرو أو أخت عمرو، فقال: «لِمَ تبكي»، أو: «لا تبكي، ما زالت الملائكة تظلّله بأجنحتها حتى رفع».

❋ ❋ ❋

فَصلٌ

في فضْل السلطان العادل والعدْلِ

وحثّ السلطان على الرفق بالرعيةِ والاجتهاد في حقّهم

ووجوب طاعة الوالي فيما أطاع الله فيه

وعقوبة الجائر ومن غش رعيته

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآيةَ، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

[١] وروى البخاري ومسلمٌ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قالَ: «سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله: إمام عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله عزّ وجل، ورجلٌ قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله، اجتمعَا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمالٍ فقال: إني أخاف الله. ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

[٢] وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يَعْدِلُون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا».

وروى أيضاً عن عياض بن حمارٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أهل الجنّة ثلاثة: سلطان مقسطٌ موفق، ورجل رحيم رقيقُ القلبِ بكل ذي قربى، ومسلمٌ عفيفٌ متعفّف ذو عيال».

[٣] وروى أيضاً عن عوف بن مالكٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «خيار أمتكم الذين تحبونهم ويُحبونكم، وشرار أمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم». قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم! قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، إلا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ذلك، ولا ينزعنّ يداً من طاعته».

[٤] وروى الترمذي عن أبي سعيدٍ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر».

[٥] وروى أحمد في «مسنده» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من السابقون إلى ظلّ الله عزّ وجلّ يوم القيامة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سُئِلُوه بذلوه، وإذا حكموا حكموا للناس بحكمِهم لأنفسهم».

[٦] وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السلطان ظلّ الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإذا عدل كان له الأجر وعلى رعيته الشكر، وإذا جار كان عليه الأجر وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الربا ظهر الفقر والمسكنة، وإذا ظهر أهل الذمّة أديل الكفار».

[٧] وروى أيضاً عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل عباد الله عند الله منزلةً يوم القيامة، إمامٌ عادل رفيقٌ، وإن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة إمام جائر خَرِق».

[٨] وروى الطبراني في «الكبير» والبيهقي في «الشعب» عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «السلطان ظلّ الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله».

[٩] وروى الديلمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «السلطان ظلّ الله في الأرض، فمن نصحه ودعا له اهتدى، ومن دعا عليه ولم ينصحه ضلّ».

[١٠] وروى أبو الشيخ عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السلطان العادل المتواضع ظلّ الله ورمحه في الأرض، ويرفع للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة عملُ ستين صديقاً، كلهم عابد مجتهد».

وفي رواية: «عدلُ السلطان يوماً تعدل عبادةَ سبعين سنةً».

وفي رواية أخرى: «عدل ساعةٍ خير من عبادة ستين سنة».

وفي رواية: «ساعة من والٍ عادل خيرٌ من ستين سنةً من عابد مجتهد، والذي نفسُ محمدٍ بيده إنه ليرفعنّ للوالي العادل كلّ يوم مثل عمل جملة رعيته».

[١١] وروى ابن ماجه، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حدٌّ يُعمل في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً».

[١٢] وروى ابن النجار عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «السلطان في ظلّ الله في الأرض، يأوي إليه الضعيف، وبه ينتصر المظلوم، فمن أكرم السلطان في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة».

[١٣] وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، وإنما الإمام جُنةٌ يقاتل من وراءه

ويتّقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجرٌ، وإن قال بغيره، فإن عليه تغييره».

[١٤] وروى مسلم عن أم الحصين، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أمّر عليكم عبدٌ مجدّعٌ، يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا».

[١٥] وروى البخاري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن أمّر عليكم عبدٌ حبشي كأنّ رأسه زبيبةٌ».

زاد في رواية عن ابن عمر: «ما لم يؤمَر أحدكم بمعصيةٍ، فإذا أمر بمعصية فلا سمعَ ولا طاعة». وفي رواية عن علي: «لا طاعة في معصية إن الطاعة في معروف».

[١٦] وروى البخاري ومسلم عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من والٍ يلي رعيةً من المسلمين، فيموت وهو غاشٌّ لهم، إلا حرم الله عليه الجنة».

وفي رواية: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة». وفي رواية في غير «الصحيحين»: «وريحها يوجد من خمسمئة سنة».

وروى الدارمي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرةٍ فأكثر، إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، حتى يفك عنه العدل، أو يوثقه الجور».

[١٧] وروى أحمد قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للأمراء وويل للعرفاء»، أي: وهم نقباء القبائل والعساكر، «ويل للأمناء. ليتمنينَّ أقوامٌ يوم القيامة أن نواصيهم معلقةٌ بالثريا، يتجلجلون بين السماء والأرض، وإنهم لم يلوا عملاً».

[١٨] وروى الترمذي، والنسائي عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون من بعدي أمراءُ، من دخل عليهم فصدقهم بكَذِبهم، وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم، ولم يرِدُوا عليَّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدق بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وأولئك يردون عليّ الحوض».

[١٩] وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به».

[٢٠] وروى أيضاً عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ غادر لواءٌ يومَ القيامة، يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادرٌ أعظمُ غدراً من أمير عامةٍ».

[٢١] وروى أيضاً عن عرفجة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجل واحدٍ، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه». وفي رواية له عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاعَ، فإن جاء آخر ينازعُه فاضربوا عنق الآخر».

[٢٢] وروى أيضاً عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرّ، إني أراكَ ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمرنَّ على اثنينِ، ولا تولَّينَّ مال يتيمٍ». وفي رواية: «يا أبا ذر، إنك ضعيفٌ، وإنها أمانة، وإنها ملامة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، أو أدّى الذي عليه فيها».

[٢٣] وروى البيهقي عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إذا اتّبعت عورات الناس أفسدتهم».

[٢٤] وروى أبو داود عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الآمر إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم».

[٢٥] وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً قال: «بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تُعسّروا».

وفي رواية: «وسكّنوا ولا تنفروا، وتطاوعوا ولا تختلفوا».

[٢٦] وروى أبو داود، والترمذي عن عمرو بن مرة، أنه قال لمعاوية: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من ولّاه الله شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخَلّتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره»، فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس.

وفي رواية لأحمد: «أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته».

[٢٧] وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن رجلٍ من الصحابة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر الناس شيئاً ثم أغلق بابه دون المسلمين، أو المظلومين، أو ذي الحاجة، أغلق الله دونه أبواب رحمته، عند حاجته وفقره أفقر ما يكون إليه».

***

فَصْلٌ
في نصح الولاة وفضلهم
وذم من يقرب منهم ولا ينصحهم

[١] روى أبو داود والنسائي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزيرَ صدقٍ، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه. وإن أراد به غير ذلك جعل له وزير سوءٍ، إن نسي لم يذكّره، وإن ذكر لم يعنه».

[٢] وروى البخاري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفةٍ، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشرّ وتحضّه عليه، والمعصوم من عصمه الله».

[٣] وروى الترمذي، وأبو داود عن طارق بن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد من قال كلمةَ حق عند سلطان جائر».

وقد تقدم عن كعب بن عجرة: «سيكون بعدي آمراً من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم»، الحديث.

[٤] وروى أبو يعلى، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «سيكون أمراء تغشاهم غواشٍ من الناس، يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم وصدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأنا منه بريء وهو مني بريء، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد عليّ الحوض».

[٥] وروى الديلمي عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراءَ رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة».

[٦] وروى الحاكم وصححه عن عبد الله بن الشخِّير قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال هذه الأمّة تحت يد الله وكنفه ما لم تداهن علماؤها أمراءَها».

[٧] وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل آنفاً، فقال: إن أمّتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثيرٍ. قلتُ: من أين ذاك؟ قال: من قبيل قرائهم وأمرائهم، يمنع الآمر الناسَ حقوقهم فلا يعطونها، ويتبع القرّاء أمر الأمراء.

قلتُ: يا جبريل، فبِم سلم من يسلم منهم؟ قال: بالكف والصَّبر».

[٨] وروى الديلمي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا أبواب السلطان وحواشيها، فمن آثر سلطان على الله جعل الله الفتنةَ في قلبه ظاهرة وباطنةً، وأذهبَ عنه الورعَ، وتركه جراءةً، ومن آثر الله على السلطان، أعطاه الله أجرَ من قتل شهيداً في سبيله».

***

فهذا آخرُ ما تيسر جمعُه، جعله الله جميعَه لوجهه الكريم، وللهداية والإرشاد إلى سبيله القويم، وصراطه المستقيم، وحمانا من الزيغ والزلل، وغفر لنا كل إثم وخطَل، وأصلح كل ثلمٍ وخللٍ، إنه الجواد الرحيم.

وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

[خاتمة الناسخ]

«قال سيدنا المؤلف رضي الله عنه: «وكان الانتهاء من تأليفه يوم السبت المبارك ثاني عشر شوال سنة ١١٣٤ والحمد لله رب العالمين».

واتفق الفراغُ من زبْرِ هذه النسخة، يوم الجمعة ثامن عشر من شوال، سنة خمس وثلاثين ومئة وألف. بقلم الفقير إلى الله الكريم، فقير المؤلّف، إبراهيم بن المعلم عمر المؤذن بافضل، لطف الله به آمين».

❊ ❊ ❊

(١٤)

فتح الخلاق

شرح عقد الميثاق على محاسن الأخلاق

تأليف

الإمام المحقّق علامة الدنيا

عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي

التريمي الحضرمي الشافعي

نفع الله بعلومه آمين

هذا الكتاب:

شرح مبارك على قصيدة تائية، من نظم علامة الدنيا، الإمام الوجيه، رحمه الله ونفعنا بعلومه في الدارين. ضمنه معاني عقد الأُخوّة في الله، الذي يعقده العارفون بينهم وبين إخوانهم المصافين لهم، المؤاخين في الطريق إلى الله.

كان قد نظمها استجابة لطلب أخيه في الله، الشيخ العلامة محمد «أبو طاهر» بن الشيخ إبراهيم الكوراني المدني، الذي أرسل مكتوباً إلى الإمام سنة (١١١٥هـ)، يطلب فيه عقد الأخوة بينهما، تأكيداً لما سبق بين أبويهما، ثم اجتمع به الناظم سنة (١١٢٠هـ)، في السنة التي حج فيها، ورافقه في السفر من مكة إلى المدينة، ونزل ضيفاً عليه في بيته بالمدينة نحو ٤٠ يوماً، فتأكدت بينهما الأخوّة في الله، والرابطة في طريق الله.

النسخ المعتمدة في تصحيح متن القصيدة:

النسخة الأولى: نسخة محفوظة في مكتبة الأحقاف بتريم، تحت رقم ٢٧٦٧ مجاميع، الكتاب الرابع، عدد أوراقه ٧ ورقات، كتبت (سنة ١٢٣٨هـ)، وجاء اسم المنظومة في حاشية الورقة الأولى: «كتاب الصفوة في تذكرة الأخوة لطلب بعض أهل مكة الفضلاء عقد الأخوة في الله تعالى»، وبجانب العنوان تملك بقلم السيد علوي ابن عبد الله بن علوي العيدروس.

النسخة الثانية: من مكتبة الأحقاف أيضاً، محفوظة برقم ٢٥٥٤ مجاميع، الكتاب الحادي عشر، منسوخة بقلم الشيخ الفقيه عبد الله بن أبي بكر بن عمر بايوسف الشبامي، فرغ من نسخها سنة (١٢٥٨هـ)، تقع في ٧ ورقات.

تنبيه: تبين من مقابلة نسختي القصيدة، أن الطبعة الأولى والثانية، الآتي ذكرهما، قد اعتمد ناشروهما على النسخة الثانية؛ لوجود فروق كثيرة بين النسختين، كما سيأتي في موضعه.

النسخ المعتمدة في تصحيح الشرح:

النسخة الأولى: نسخة محفوظة في مكتبة الأحقاف بتريم، تحت رقم ٢٧١١ مجاميع، الكتاب الثامن، نسخت بقلم عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بالرقيبة الأحمدي الحضرمي، وفرغ من نسخها ضحى يوم الخميس، ١٤ ذي القعدة سنة ١١٦٢هـ (سنة وفاة المؤلف)، بكويلاندي (بلدة معروفة في مليبار = كيرلا)، تقع في ٣١ ورقة.

النسخة الثانية: من مكتبة الأحقاف أيضاً، برقم ٣٠٥١ مجاميع، الكتاب الثاني، نسخت بقلم الشيخ أحمد بن محمد بارضوان، فرغ من نسخها سلخ جمادى الآخرة سنة (١٣٠٠هـ)، وتقع في ٢٩ ورقة.

هذا؛ وقد سبق أن طبعت القصيدة مع شرحها، مرتين: الأولى في مصر، سنة (١٤٠٨هـ)، بمطابع المكتب المصري الحديث، بعناية السيد الفاضل عبد القادر بن سالم الخرد التريمي، حفظه الله، والطبعة الثانية صدرت عن مركز النور بتريم، سنة (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

* * *

١٨٢ كتاب الصعوه في تذكرة الاخوه لطلب بعض اهل مكة الفضلا
عقد الاخوه في الله تعالى نظم سيدنا الجليل العارف
العلامه ذو الشان العظيم والعلم
الجسيم عبد الرحمن
بن عبد الله بلفقيه
العلوي التريمي
نفع الله
به
امين
م

في ملك الفقير الى الله
علوي بن عبد الله بن علوي
العيدروس



هذا شرح عقد الميثاق على محاسن الأخلاق السما فتح الخلاق تصنيف
سيدنا القدوة العلامة الحبر الفهامة الشريف المنيف الوجيه
الحبيب الفاضل والورع التقي عبد الرحمن عبد الله أحمد بلفقيه ٢٤٣
نفعنا الله به وبركاته وأسراره وانواره
في الدارين آمين اللهم آمين
كتبه الحقير عبد الرحمن محمد [illegible]
لنفسه ١٢٦٣
والحمد لله رب
العالمين
آمين

والرفيق من اهل الرفق اولى ما يعول عليه في كل طريق عند كل فريق فينبغي للعبد
الموفق ان يصاحب اهل المعروف والمعرفه ومن له من الخير احسن حال وصفه
من اهل العلم والهدى والنور والندى لان كل انسان يقاس بصحبه ويسري اليه من جليسه
سر يسري الى جسمه وقلبه من سر يرته ووصف سيرته اما من الهدى واما من الردى
فيكون صاحبه عليه دليلا ويقول اذا احصحص الحق يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا

وخذ ما اتى بيت خمسين قد حلت بها حكمة لله من خير حكمة
فسمها الفاظ صحيحه مقصد بها تم مقصودي وتمت قصيدتي
فلله ربي الحمد في كل حالة على كل حال في رخا مع شدة
وازكى صلاة ثم ازكى تحية على خير مبعوث لاكرم ملة
محمد المختار من خير عنصر وآل واصحاب واتباع شرعة

ختم بالحمد كما بدا به لفظا والبسملة خطا ولفظا وهي مشتمله على الحمد ايضا لان ذلك
من المطلوبات في الدين والشكر لله رب العالمين على ما انعم به من اتمام هذه القصيده
وتمم بالصلوة والتحيه التي هي السلام على سيدنا محمد وآله وصحبه
واتباع شريعته وحزبه لانهم الواسطه في كل خير ودين
وتقوى ويقين وشكر الواسطه في النعمه من شكر المنعم
عند العارفين والحمد لله رب العالمين امين
تمت المنظومه وشرحها على يد كاتبها
ومحصلها لنفسه الحقير المقصر ذي الجرائر والتقصير عبد الرحمن محمد علي محمد احمد بالرقيبة الاحسائي

هذه القصيدة المسماة
عقد الميثاق على محاسن الأخلاق

أيا راغباً في وصْل حبْل مودَّتي ... ويا طالباً منِّي له عقْدَ صُحْبةِ
ويا مُظهراً صدْق المحبَّةِ والإخا ... لديَّ وعند الله علْمُ السَّريرَةِ
فإنْ كانَ هذا الحبُّ لله وحده ... فيا حبَّذاك الحبُّ في كلِّ خَصْلةِ
فمن حبُّه لله فهو يحبُّهُ ... وذلكَ في الإسلامِ أوثقُ عُروةِ
ويُغْبَطُ أهلُ الحبِّ في الله إذْ لهم ... منابرُ تحتَ العرش أهلُ النبوَّةِ
وآيةُ كونِ الحبِّ لله أن ترى ... لمرضاتِهِ كلَّ اجتماعٍ وفرقةِ
وإنْ كانَ للدُّنيا على مقتضَى ـ الهوى ... فلا حبَّذا حبُّ الهوى والدَّنيةِ
فإنَّ هوى الدُّنيا هوانٌ وحبُّها ... على كلِّ حالٍ أصْلُ[1] كلِّ خطيئةِ
وما تحتَه من كلِّ أنسٍ ووصلةٍ ... يصيرُ إلى كلِّ انقطاعٍ ووحشةِ
فإن كُنتَ لي في الله صاحباً ... صديقاً على صِدْقٍ بأصْدَق[2] خِلَّةِ
عليَّ وليْ في الحقِّ بالحقِّ[3] قائماً ... على كلِّ حالٍ في حضورٍ وغيبةِ
فأنتَ صَديقي حيث دُمْتَ على الهُدى ... وقمتَ بحقِّ الحقِّ في كلِّ صُحْبةِ
وأنتَ عَدوِّي حيثُ زُغْتَ إلى الردى ... ونُكِّبتُ عن نهجِ الطريقِ السويَّةِ

---

(١) في نسخة: رأس.

(٢) في نسخة: صديقاً بصدق فيه أصدق... إلخ.

(٣) نسخة: للحق.

وكلُّ صديــقٍ لـيْ علـى هــذِه ومـا خصَصْتُـكَ يـا هـذا بتِلـكَ الشَّـريطةِ
فـإن تَقْبَـلِ الشَّـرطَ الـذي قد شـرَطتُهُ عَقَـدتُ علـى اسـم الله عقـدَ الأُخُوَّةِ
وإنّـي بنُصحـي مُبتليْـك فـإنْ تَكُـنْ صديقي على الصِّـدقِ اتَّبعتَ نصيحتي[١]
وحقِّـقْ لِحـقِّ الحـقِّ حـقَّ وصيَّتِـي وإلا فَـذَرْنـي فـي خَفِـيِّ حقيـقتـي
وهـذا سـبيلي فاتَّبعنـي علـى الهُـدى وإلا فَدَعْنـي فـي سـويِّ طريـقتـي
فمـا القصـدُ إلا الحـقَّ والحـقُّ كلّـه أحــقُّ حـقيــقٍ باتِّبــاعٍ ونـصـرةِ
وبالصِّدقِ نيل القصْد والصدقُ موصلٌ إلـى كــلِّ مأمــولٍ وأرفـعِ رُتْبَـةِ
وإنْ شِـئتَ كلَّ الخيـر فـيْ كلِّ سـاعةٍ وعافيــةٍ مــن كل شـرٍّ ومـحنـةِ
فكـن صادقـاً لله فـي كـلِّ حـالـةٍ ومُعتصمــاً بالحـق فـي كلِّ لحظـةِ
وكـن مخلصـاً لله مـا أنـتَ عامـلٌ وكلّ الـورى صـادِقْ بأصـدَقِ لهجـةِ
بِــهِ واثقــاً فـي كُـلِّ أمـرٍ وراضيـاً بتـصريـفـه فـي كُلِّ قبـضٍ وبسـطةِ
وفـي كلِّ حيــن راغبـاً فيـه طالبـاً بـأصـدقِ فقْـرٍ وانكسـارٍ وذلـةِ
علـى كل حـالٍ راجيـاً فيـضَ فضلِـهِ ومـن عَدْلِـه تغْشَـاكَ أعظـمُ رهبَـةِ
مقيمـاً علـى أعْتَـاب أبـوابِ جُـودِهِ بـأطْهـرِ قَلـبٍ فيــه أطيَــبُ نِيَّــةِ
غنيّـاً بـه فـي كــل فَقْـرٍ عـن الـورى فقيـراً إلـى نَعْمَـاه فـي كلِّ طَرْفـةِ
بـه مُطمئنــاً عنــد كـل محـرِّكٍ بــه مستعينـاً عنــد كــلِّ مـهـمّـةِ
وكِلْ كُلَّ مطلـوبٍ إلـى مـا قضـاه واتـخـذْهُ وكيــلاً عنــد كلِّ قضيَّـة
توجَّـه لِوَجْـهِ الحـقِّ حقّـاً فأينمـا تُـوجَّـهْ فَوَجْـهُ الحـقِّ فـي كل وِجْهـةِ
فكـلٌّ يُـولِّـي وجْهَـهُ فـي مُـرادِهِ ومسـتَبِـقُ الخيـراتِ فـازَ بخيْـرةِ

(١) نسخة: وإني بشوري....، امتثلت مشورتي.

تنبيه: الأبيات من بعد هذا البيت إلى قوله: «وما الموت بعد العيش»، لم ترد في النسخة (أ).

فَرِدْ منْهَلَ الإحسانِ أطيبَ منهلٍ ... فَفيهِ سبيلُ الخيْرِ أجْلَى جلِيَّةِ
ألا إنَّ أبوابَ القبُولِ على الهُدى ... ومِفتَاحُها الإقبَالُ في كلِّ قِبْلَةِ
وَمِنْ نَفَحَاتِ الله في كلِّ لمحةٍ ... سحائبُ جوْدٍ وَدْقُها كلُّ نعمةِ
تَعرَّضْ لها في عَرْضِ كلِّ عبادةٍ ... وشِمْ برْقها بالقُربِ في كلِّ قُربةِ
وأحْمَقُ مَنْ يَرْجُو بغير تَعرُّضٍ ... ويسْتَطْلعُ الآمالَ منْ غير كُلْفَةِ
فَلا شيءَ للإنسانِ إلّا إذا سَعَى ... وعن سعْيه يُجزى بأوْفَى وفِيَّةِ
ولا يَدْخُلُ الأبوابَ إلا فتىً غدا ... وأمسَى لإلْحاحٍ مُلَازِمَ عَتْبَةِ
ولا عملٌ إلا بقصدٍ وإنما ... لكلِّ امرىءٍ ما كانَ في عَقْدِ نِيَّةِ
إذا طابَ قصدُ المرءِ طابَتْ فِعَالُهُ ... وإلا فإنَّ الخُبْثَ أصلُ الخبيثةِ
وإنْ حَلَتِ الأعمال حلَّت ثمارُها ... ونِيْطَتْ بها الآمالُ في كلِّ ملَّةِ
وَمَنْ يُرِدِ الدُّنْيا ويحرُثُ حرْثَها ... يذُقْ لذَّةً منها بأعظَم ذِلَّةِ
ومن يُرِدِ الأخْرَى ويسْعَى بسَعْيها ... يَنَلْ كلَّ مأمولٍ وأنْعَمَ جَنَّةِ
وَقَدْرُ الفَتَى ما كانَ فيه وفَضْلُه ... على حَسبِ استكمالِ كُلِّ فضيلَةِ
وما شرَفُ الإنسانِ إلا بنَفْسِهِ ... إذا اكتَسَبَتْ من كُلِّ حالٍ شَريفةِ
ومَا المرْءُ في دُنْياهُ إلا ابنُ دِيْنِهِ ... ولا نَفْعَ إلا فيه يَومَ القِيَامَةِ
ومَنْ جدَّ في الأفعالِ سادَ على الورى ... وما ينفعُ الأدنى عُلُوُّ الأبوةِ
وما مجدُ أهلِ المجدِ إلا بِجِدِّهِم ... وإلا فما مَجْدٌ يُنَالُ بجيفةِ
وَمَا فَخْرُ أهلِ الجودِ إلا بِجُودِهْم ... وإلا فما لِلْمرءِ فخْرٌ بِطِينةِ
ولا نَسَبٌ إلا سَيُقْطعُ حَبْلُهُ ... سِوَى نَسَبِ التَّقوى أعزُّ تقيَّةِ
وما سبَبٌ يبقى سِوَى سببِ الهُدى ... وما العزَّةُ القَعْسَاءُ غيرُ الفُتوَّةِ

وَمَنْ لم يكنْ ثوبٌ عليه مِنَ التُّقى ... فَعَارٍ وإنْ كانتْ له ألفُ حُلَّةِ[١]
وكلُّ الورى لله عبْدٌ وإنما ... يُقَدَّرُ قَدْرُ العبْدِ في قَدْرِ خدمة
وما الموتُ بَعْدَ العيشِ إلا ليُبتلى الـ ... ـورى أيُّهُمْ خيرٌ وأحسنُ سِيْرةِ
وَمِنْ نَصَبٍ شُقَّ النصيبُ وقَدْرُهُ ... على قَدْرِهِ فانْصَبْ تُصِبْ كلَّ مُنْيَةِ
وما كلُّ مَنْ يَهْوى المعالي يَنالُها ... ولم يرتكبْ في قَصْدِها كلَّ شُقَّةِ
فلا بُدَّ قبلَ الوَصْلِ من ألَمِ النَّوى ... ولابُدَّ دون الشَّهدِ من سَمٍّ لَسْعَةِ
إذا المرءُ لم يَصْبِر على مِرَّةِ الدَّوا ... سَيَصْبُر مُضْطرّاً على طُولِ عِلَّةِ
وَمَنْ يَكُ ذا صَبْرٍ على شُرْب جُرْعَةٍ ... سَيَحْمَدُ عُقْبى الصَّبر في كلِّ صِحَّةِ
ومن يرضَ بالعيش الدنيِّ فإنهُ ... سَيَغرقُ في كلِّ الأمُور الدنِيَّةِ
ألا إنَّ أبْكَارَ المَعالي مهورُها النـ ... ـفُوسُ وفيها رخصُ كلِّ كَريمةِ
وَلا تَرْتَضي في النَّاس إلا بكُفْئِها ... فتىً همُّهُ يَعْلو على كلِّ رُتْبةِ[٢]
لَهُ همَّةٌ تسمو إلى كلِّ ما سَمَا[٣] ... ولا يرتضيْ بالعَوْدِ دونَ الغنِيْمةِ
وما قَصَباتُ السَّبقِ إلا لمنْ غَدَا ... بكلِّ اجتهادٍ طالباً كلَّ رِفْعَةِ
ولا يَبْلُغُ الغاياتِ في المجدِ والعُلا ... سِوَى مَنْ لهُ بالمَجدِ أقربُ نِسْبَةِ[٤]
ألا لا يَلُمْ كلُّ امرىءٍ غَيْرَ نفسِهِ ... إذا حازَ أهلُ السَّبْقِ كُلَّ عَلِيَّةِ
وليس عَلى ذِي العجْز لومٌ وإنما ... يُلامُ صحيحٌ عنده فَضْلُ قوّةِ
ومن ظَلَّ في ظلِّ البطالةِ قاعداً ... يَبِتْ قائماً بالعُدْمِ في حَرِّ حَسْرَةِ

---

(١) إلى هذا الموضع لم يرد في النسخة (أ).
(٢) في (أ): ولا ترتضي إلا بكفءٍ وكفئها ... فتى نفسه تسمو إلى كل رتبة
(٣) في (أ): له همة تعلو على كل ما علا.
(٤) في (أ): وما بلغ الغايات من ليس بينه ... وبين رجال المجد أقرب نسبة

وَمَنْ نامَ وقتَ السَّعْي عن كُلِّ حاجةٍ ... ففي زَمَنِ الوِجْدان يأتي بخَيْبةِ
ومن راح وقْتَ الكَدِّ في كُلِّ راحةٍ ... غدا زَمَنَ الرَّاحاتِ في كلِّ تِعْبَةِ
ومن لم يَذُقْ في سَعْيِهِ كلَّ ذِلَّةٍ ... فلا نَالَ في تحصِيْلِهِ كُلَّ لَذَّةِ
وكُلُّ المعاليْ تُرْتَقى عَنْ سُهُولةٍ ... مع الجدِّ واسْتِعْمَالِ كلِّ عزيمةِ
فكيفَ اعْتَرَاكَ الجبْنُ والحَيْنُ واصلٌ ... ولا بد أن يُصْمِيكَ سَهْمُ المنيَّةِ
فإن تُبلِ هذا الجسْمَ في الخير خِيْرةً ... وإلا ستُبْليْه اضطراراً بتُرْبةِ
ولَنْ تبلُغَ المجدَ الرفيعَ ولا العُلا ... سِوى ما إذا اسْتَسْهلتَ كلَّ صعوبةِ
وخُضْتَ فِجاجَ البَحْرِ في كلِّ غُبَّةٍ ... وجُبْتَ بَرارِي البَرِّ في كل بَرَّة
فحبُّ البَقَا يُبْقيكَ في خَفْضِ عِيْشَةٍ ... ويُثْنيكَ عن كلِّ اهتمامِ بِرِفعةِ
وحُبُّك للدُّنْيَا أضرُّ ضراوةً(١) ... فَإنَّ هَوَاهَا أصلُ كلِّ خطّيةِ
وحُبُكَ للأولادِ يُلْقيكَ في عَناً ... ويكْسُوك ثوبَيْ ضِنَّةٍ ثم ذِلَّةِ
وحبُّ الغَوَانِي يستميْلُك في الهَوَى ... إلى كلِّ هَوْنٍ من دواعي المحبَّةِ
ولا خَيْرَ في حبٍّ ولا لذَّةٍ بها ... يميْلُ عَزِيزٌ عن مُعَدَّلِ عِزَّةِ
وما العَيْشُ إلا العَيْشُ في رَوْحِ راحةٍ ... وعزَّةِ نفسٍ في اجتِماعٍ وفرقةِ
وحبُّكَ للأوطانِ عَجْزٌ وذلَّةٌ ... وما العزُّ إلا في عَنَا كلِّ نُقْلَةِ
ولو كانَ في الأوطَانِ عزٌّ لما مضى ... نبيُّ الهُدى منها إلى دَار هِجرةِ
فخُذْ تارةً نجداً وفي الغَوْر تارةً ... إلى كلِّ مجدٍ وارتَحِلْ كُلَّ رِحْلةِ
وسِرْ كلَّ سَيْرٍ في اكتِسَابِ العلى إلى ... بُلُوغِ الأمَاني أو بلوغِ المنِيَّةِ
وَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ وانتَجِعْ كلَّ نُجْعةٍ ... وسِمْ كلَّ مَرْعى واتَّبِعْ كلَّ خِصْبَةِ

---

(١) (أ): ضرورة.

لعلَّك أنْ تَحْظَى بأبلَغِ بُلْغَةِ وألا تَعُدْ باليَأسِ مِنْ كلِّ عَوْدةِ
فمن جَدَّ في قَصْدٍ يَجِدْ كلَّ مقْصدٍ ومَنْ لجَّ في أمرٍ يلجْ كُلَّ لُجَّةِ
فجُدْ يا فَتَى بالمالِ في خَيْر مأملٍ وبالنَّفْسِ في كلِّ المَعالي النَّفِيْسةِ
وجُذَّ بسَيْفِ العَزْمِ كلَّ مُعوِّقٍ عن القَصْدِ مِنْ تَسْويْفِ عَزْمٍ وفَتْرَة(١)
وقيِّد دَواعيْ الجَزْم بالحزْم واتَّخذْ دَوامَ لُزُوم العَزْمِ(٢) خَيْرَ مطِيَّةِ
وَبَادِرْ حياةً قبْلَ سَبْقِ منِيَّةٍ وأمْناً وسلْماً قبلَ خَوْفٍ وفِتْنَةِ
وَوَقْتَ فَرَاغٍ قبْلَ شُغْلٍ وَصِحَّةً وشِبَّةَ جِسْمٍ قَبْلَ ضَعْفٍ وشَيْبَةِ
إلامَ انْتِظَارُ الأمْرِ والعُمْرُ ينقضي وينقَصُ شَطْراً كلَّ يومٍ ولَيْلةِ
وَهبْهُ انقضَى لَمْ تبقَ إلا حشَاشَةٌ فَبَاقِيْهِ يَفْنى عنْ لَيَالٍ قليلةِ
مَتَى تَنْقَضِي الأعْذارُ والوقتُ صَالحٌ وأنت صَحِيحُ الجسمِ عَدْلُ الطَّبيعةِ
فَمَنْ لَكَ أن تُمْسي بِسلمٍ سَلَامةٍ ومن لك أن تَغْدُو غداً غيرَ مَيِّتِ
أتنْسَى ولمْ يَنْساكَ دَاعي الرَّدَى وَهَلْ تَنامُ ولا نَامتْ عُيونُ المنيَّةِ
فَلا تأمَنَ الأيامَ في أمْنِها وَلا تُسَالِمها في سِلْمِها عَنْ مَكِيدةِ
ولا تنْسَ مكْرَ الدَّهرِ في غَيْرِ مَرَّةٍ فكمْ قد سَقى كلَّ امرِئٍ كُلَّ مُرَّةٍ(٣)
وكُنْ عَارفاً مَكْرَ الزَّمانِ وخائفاً على كلِّ حالٍ مِنْ وُقُوعِ بنكْبةِ(٤)
وعَنْ كلِّ سُقْمٍ لا تغُرُّكَ قُوَّةٌ وصِحَّةُ جِسْمٍ وارتَقِبْ كُلَّ عِلَّةِ
وسِرْ زَمناً وانهضْ كَسيراً وجدَّ كُلَّ جدٍّ ولازمْ واغْتَنِمْ كلَّ فُرْصَةِ

---

(١) (أ): عزم وفرقة.
(٢) (أ): الكدّ.
(٣) هذا البيت لم يرد في (أ).
(٤) (أ): توقع نكبة.

وصابِرْ وعُدْ، فالعَوْدُ أحمدُ واجتهدْ … وجَاهِدْ وَواظِبْ واحْتمِلْ كلَّ كُلْفَةِ[1]

ولا تُذْهِبِ الأوقاتَ في غيرِ طائلٍ … فما فَاتَ مِنْها لا يَجُودُ بِرَجْعَةِ

فَيا ضَيْعةَ الأعمارِ تمْضيْ سَبَهْلَلاً … وذَرّتُها تَعلُو[2] على أَلْفِ دُرَّةِ

فَمَنْ أشْغلَ الأيّامَ بالخيْر أثمَرتْ … بخيرٍ وإلا أشغَلَتَهُ بحَسْرَةِ

ومن كَانَ في أُوْلاهُ للشرِّ زارِعاً … سَيَحْصُدُ في عُقْبَاه شَرَّ عُقُوبَةِ

فَعَاقِبَةُ الأَعْمَالِ تعْقُبُها وَرُبَّـ … ـما شَرُّهَا يأتِيْ على حِيْنِ غَفْلَةِ

وما القَصْدُ إلا في العَواقب فاعتقبْ … أمُورك واسْدُدْ كلَّ ثُقْبٍ وخَوْخَةِ

فغايةُ فِعْلِ المَرْءِ أقرَبُ واصلٍ … إليه فلا تغْترَّ مِنْ طُول مُهْلَةِ[3]

خُذِ الحِذْرَ من سَهْلِ الدّخولِ فَرُبَّما … تَرَى في خرُوجٍ منْهُ كلَّ صُعُوبَةِ[4]

ولا تُبْدِ في أمْرٍ ولم يَبْدُ كُنْهُهُ … ولا تَقْبَلِ الأخْبَارَ مِنْ غَيْرِ خبْرةِ

وكُنْ جَازماً في كلِّ قَصْدٍ وحَازماً … على كلِّ عَقْدٍ من سُقُوطٍ[5] بِعْثْرةِ

وجَرِّبْ أمُوْرَ الدَّهْرِ عند مُرُوْرِها … وذُقْ من جَنَاها كُلَّ حُلْوٍ ومُرَّةِ[6]

وَسَلْ فَعَلَاتِ الدَّهْرِ عن كلِّ حيْلَةٍ … وسَلْ غَفَلَاتِ المَرْءِ عَنْ كلِّ زَلَّةِ

فَمنْ لم تحدِّثْه الحوادِثُ ما جَرَى … فَذلِك مخْدُوعٌ بِكُلِّ خَدِيْعةِ

إذا أنتَ لا تدري الخفيَّ بما بَدَى … أتطْمَعُ في اسْتخراجِ كلِّ خَبِيَّةِ

فَجَاهِلُ تَرْتيْبِ الأدلَّةِ غافلٌ … على كلِّ حَالٍ عن لزُومِ النَّتيجَةِ

---

(١) في (أ): كل هفوة.

(٢) في (أ): عزَّت.

(٣) في (أ): مدّةِ.

(٤) هذا البيت لم يرد في النسخة (أ).

(٥) في (أ): وقوعٍ.

(٦) في (أ): وذق كل ذوق في رخاء وشدة.

ألا لا يُهنَّـا العيـشَ إلا فتـىً غَـدَا ... بـكل اهتمـامٍ واجتهـادٍ وعزمـة[١]
وكلُّ غنـيِّ النَّفـس شَـهْمِ الفـؤاد يقـ ... ـتفي كُلَّ خيـرٍ مُستقيم الطَّريقـةِ
ذكـيِّ الحِجَـا والشـوقُ يَبْعـثُ همَّـهُ ... إلـى كلِّ خيـرٍ سـائقاً كُلَّ هِمَّـةِ
مُعَنًّـى بمـا يَعْنِيـه فـي كلِّ شأنِهِ ... وعـنْ غَيْـرِ مـا يَعْنِيـه صَافِـي الطَّويـةِ
قريـنَ الوَفَـا وَافٍ بـكلِّ فُتـوَّةٍ ... حَليفُ الصَّفَا صَافي الصِّفاتِ الصفيَّةِ
بعيـداً عـن الدَّعـوى بَريّاً مـنَ الهَوى ... أمِيْنـا علـى النَّجْـوى قَويـمَ السـجيَّةِ
طويَّتـهُ مـن كُـلِّ شَـرٍّ نَقيَّـةٌ ... تَنـزَّهَ عـن فحْـشٍ وسَـبٍّ وغِيْبَـةِ
أَجَـلُّ مِـنَ الْأخْبَـارِ خُبْـراً وقَوْلُـه ... يُصَدِّقُـه فِعْـلٌ عَظيْـمُ المُـروَّةِ
شـكُورٌ علـى الآلا صبـورٌ علـى البَلا ... وَقُـوْرٌ تجلَّـى بيْـنَ قَبْـضٍ وبَسْـطَةِ
فَحَالَاتُـه قـرَّت بـأنْسَـبِ هيْـئَـةٍ ... وأوقاتُـه مـرَّتْ بأطْيَـبِ عِيْشَـةِ
سَـرِيـرتُه زانَـتْ بألْيَـنِ شِـيْـمَةٍ ... وأسـرارُهُ بـانـتْ بأحْسَـنِ سِيْـرَةِ
يَبِيْـتُ قَرِيْـر العَيْـنِ يحسِـبُ أنَّـهُ ... حَـوَى كُلَّ حُسْـنى عِنْـدَه كُلُّ نِعْمَةٍ[٢]
وَنارُ الجـوَى تهتَاجُ فـي لُـبِّ جَوْفِهِ[٣] ... لِخَوْفٍ مـنَ التَّقْصِيْـر فـي كُلِّ خِدْمَةٍ[٤]
يَـرَىْ نَفْسَـه بـالـذَّمِّ أولَـى لأنَّـها ... لِتَقْصِيْرِهـا لـم تَرْتَفِـعْ كُلَّ رِفعَـةٍ[٥]
ويَغْـدو قَريبـاً مِنْ أولـي العِلْـمِ والهُدى ... بَعيـداً عَـنِ الجُهَّـالِ فـي كُلِّ نِسْبَـةِ
يـعدُّ الـذي عـاداه مَـوْلـى لأنَّـه ... يَـرى أنّ مـا يأتيـه مِـنْ حُكْـمِ قُـدْرَةِ
فهـذا الـذي يَرضى لَه العيْـشَ والذي ... اسـتَحقَّ العُـلا لا عَبْـدَ نَفْسٍ وَشَـهْوَةِ

---

(١) في (أ): بكل احتمال واجتهاد وفطنة.
(٢) في (أ): كل فرحة.
(٣) في (أ): لب قلبه.
(٤) في (أ): كل خصلة.
(٥) في (أ): يـرى نفسـه بالـذم أليق سـاخطاً ... عليهـا لأن لم ترتفـع كل رفعـة.

وَلَكِنَّهُ دَهْرٌ يَحُطُّ أُوْلِي العُلا ... وَيَرْفَعُ أَهْلَ النَّقْصِ في كُلِّ رُتْبَةِ
وَقَدْ فاضَ فيه الشَّرُّ والخَيْرُ غَاضَ والأ ... عِزَّة ذَلُّوا عِنْدَ عِزِّ الأذِلَّةِ
وَما ذاكَ في الدُّنْيا عَجيبٌ فإنَّها ... بطينَتِها مَعجُونَةٌ كُلَّ كُرْهَةِ
وَلَمْ يَبْقَ إلا الاقْتِصادُ بِكُلِّ ما ... بِه القَصْدُ والتَّسْليمُ في كُلِّ مِحْنَةِ
إذِ النَّصْرُ عِنْدَ الصَّبْرِ فاصْبِرْ لِكُلِّ ما ... تَنوبُ بِه الأَيَّامُ مِنْ كُلِّ كُرْبَةِ
وَعِنْدَ اشْتِدادِ الكَرْبِ يَدْنو انفِراجُه ... إذِ اللُّطْفُ مَعْقودٌ على كُلِّ شِدَّةِ
ويُسْرانِ عِنْدَ العُسْرِ قَدْ وُكِّلا بِه ... وَلَنْ يَغْلِبَ اليُسْرَين عُسْرٌ بِقوةِ
وما اليُسْرُ بَعْدَ العُسْرِ إلا معاقِبٌ ... إذا غابَ هذا نابَ هذا بِبُرْهَةِ
فَلا بُدَّ بَعْدَ اللُّطْفِ مِنْ طَيْفِ شِدّةٍ ... ولا بُدَّ بَعْدَ البُؤْسِ مِنْ عَطْفِ نِعْمَةِ
فَلا تَكُ ذا حُزْنٍ على فائِتٍ وَلا ... تَظَلُّ بِما أُوتيتَ في ظِلِّ فَرْحَةِ
وَهَبْ كُلَّ حَالٍ لا مَحالَةَ حَائِلٌ ... كَذا كُلُّ مالٍ مائِلٌ بَعْدَ لَمحَةِ
وَرِزْقُكَ مَضْمونٌ على كُلِّ حالَةٍ ... وَحَظُّكَ مَقْسُوم بِأَعْدَلِ قِسْمَةِ
وَلا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ فَعُمْرُكَ يَنْقَضي ... ومن تَرْكِ أمْوالٍ سوى سَتْرِ عَوْرَةِ(١)
فإن كُنْتَ تَخْشى الفَقْرَ فالفَقْرُ واقِعٌ ... وكَيْفَ تَخافُ القَتْلَ دونَ المَنِيَّةِ
أَتَجْمَعُ أمْوالاً لِغَيْرِكَ نَفْعها ... وَتَحْمِلُ مِنْها كُلّ بَلْوَى وَعُهْدَةِ
وَيُؤْذيكَ في الدُّنْيا عَناها(٢) وَجَمْعها ... وَيُلْقيكَ في كُلِّ امتِحانٍ وَوَرْطَةِ
أَتَنْفَعُ يا مَغْرور غَيْرَكَ بِالَّذي ... يَضُرُّكَ في الدُّنْيا وَيَوْمَ القِيامَةِ
وَما لك مِنْ مَالٍ سِوى ما أَكَلْتَ أَوْ ... لَبِسْتَ وَما قَدَّمْتَهُ في مَثُوبَةِ
وَإنَّكَ إنْ تَقْنَعْ تُعَزَّ فَإنَّ في الـ ... ـقَناعَةِ كَنْزاً لا يَقِلُّ بِنَفقةِ

---

(١) في (أ): ستر خرقة.
(٢) في (أ): حسابٌ.

وَمـا لـك والدُّنيـا الدَّنِيَّـة إنَّهـا مَجالُ البَلايـا دارُ كُـلِّ مَضَـرَّةِ
وَمـا ذاقَ مِنْهـا أهْلُهـا قـط بَلَّـةً عَلـى عَلَّـةٍ إلا بِألْفَـي بَلِيَّـةِ
وَمـا سـاغَ يَوْمـاً مّـا لهم مِـنْ شَـرابِها سـوى جُرْعَـةٍ مِـنْ قَبْلِهـا كُلُّ غَصَّـةِ
وإنْ سَـرَّهم حِيناً سـرورٌ بِهـا فمـا انْـقَضـى الحِيـنُ إلّا فـي شُـرورٍ كَثيـرَةِ
وَذو العَقْـلِ لا يَرْضـى الدَّنِيَّـة سِيرَةً وَلا يَطْلُـبُ الدُّنْيـا لِغَيْـرِ ضَـرورةِ
يُدَبِّـرُ أسْـبابَ المَعيشَـة سَـالماً مِنَ النَّقْـصِ والتَّدْبيرُ نِصْف المَعيشَـةِ
وَمـا القصْـدُ إلّا سَـتْر عُـرْيٍ وَشَـبْعةٍ بِـأي طَعـامٍ كان أوْ أي خِرْقَـةِ
وَلا مـالَ إلا مـا يَقـي النَّفـس بِذلَـةً وَيحفَـظُ ثَـوْبَ العِـرْضِ مِنْ كُلِّ سَـبَّةِ
وَلا الكَنْـزُ إلا مـا بـهِ المَـرْء يَغْتَني وَيَسْـلمُ مِـنْ تَطْيـير مـاءِ المروءةِ
وَليـسَ الغِنـى إلا غِنـى النَّفـس لا الغِنى بِكَثْـرَةِ أمْـوالٍ وَأوْسَـع[1] غَلَّـةِ
وَأحْسـنُ رِزْقٍ كُلُّ وافٍ مُكافِئ بِـلا كِثْـرةٍ تُطْغـي وَلا فُحْـش قِلَّـةِ
وفي الدَّيْنِ شؤم الدين[2] وهو على الفتى إذا مـا بَـدا عـارٌ وَهَـمٌّ بِخَلْـوةِ
وَعِـزُّ الطَّـوَى يُغْنـي الفَتـى عَـنْ وُقوفِـه بِبـابِ لَئيـمٍ فـي تَنـاولِ لُقْمـةِ
وَيَكْفيـهِ مِنْ سَـبِّ الغَريـمِ وَفُحْشِـهِ امْـتِصـاصُ سِـواكٍ وامتِـلاءٌ بِشَـرْبةِ
وَأسْـوأ حـالاً مَـنْ يُوسِّـعُ رَبُّـه عَليـه وَيَحْمـي نَفْسَـه فَضْـلَ مِنْحَـةِ
وَأنْفـعُ مِـنْ خـزْنِ الخَزائنِ خَـزْنُ كُل حَمْـدٍ وَأَجْـرٍ وَاكْتِسـابِ مَـودَّةِ
ومـا الجـودُ إلا جُـوْدُ غَيْـرِ مُكافِئ وَلا طَالِـبٌ شُـكْراً وَلا قَصْـد سُـمْعَةِ
ومـا البَـذْلُ إلا البَـذْلُ عِنْـدَ ضَـرورةٍ وَمـا الوصَلُ إلا الوَصْلُ عِنْدَ القَطيعَةِ
ومـا البِـرُّ إلا بِـرُّ مَـنْ كـان أهْلَـهُ بِـدونِ أذى مَطْـلٍ وَلا عِقْـدِ مِنَّـةِ

(١) في (أ): ولا وسع.
(٢) في (أ): شين.

وَمَنْ وَضعَ المعروفَ في غَيْرِ أَهْلِهِ سَيُجْزى بإيذاءٍ وكُفْرانِ نِعْمَةِ
وَمافي لقاءِ النَّاسِ جَدْوَى سوى اللِّقا لإصلاحِ حالٍ أَوْ لِتحْصيلِ حِكْمَةِ
وَما أَحْسَنَ الإنْسانُ في جَوْفِ دارِه وَأَسْلَمَه مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَريبَةِ[1]
وَما أَجْمَلَ السَّاعي عَلى شَأْنِ نَفْسِهِ وَأَبْعَدهُ مِنْ كُلِّ طَعْنٍ وَوَصْمَةِ
نَعَمْ لا غِنَى لِلمَرءِ عَنْ جنْسِهِ وَمَنْ يَعيشُ غَنيَّ العمْرِ عنْ كُلِّ خِلْطَةِ؟
وَطَبْعُ الوَرى عَجْزٌ وَمِنْ شَأْنِ عَجْزِهم قُصورٌ معَ التَّقْصيرِ في كُلِّ خصْلَةِ
وَكُلٌّ لَه قولٌ عَلى قَدْرِ عَقْلِهِ وَكُلٌّ لَه فِعْلٌ عَلى وِفْقِ هِمَّةِ
وَإكْمالُ فِعْلِ المَرْءِ فَرْعُ كَمالِهِ وَنُقْصانُه مِنْ نَقْصِه في الحقيقَةِ
وَلا يَنْظرُ الإنسانُ إلا لِما بَدا لَه عِنْدَ بُرْءِ العَيْنِ مِنْ كُلِّ عِلَّةِ
وكُلٌّ لَهُ رَأيٌ عَلى قَدْرِ فَهْمِه عَلى حَسب ما يُعْطيهِ نُورُ البصيرَةِ
وَمَنْ لامَ ذا رَأْيٍ عَلى نَقْصِ رَأْيِه كَمَنْ عاتبَ الأعشى عَلى نقْصِ رُؤْيَةِ
فَإنْ شِئْتَ مِنْ كُلٍّ دَوامَ إصابَةٍ وَحُسْنٍ فَقد كَلَّفْتَهُ فَوْقَ قُدْرَةِ[2]
وأَبْعدُ مِنْ بيضِ الأُنوقِ وُجُودُ مَنْ حَوى كُلَّ حُسْنٍ سالِماً مِنْ نَقيصةِ
فَرِدْ كُلَّ صَافٍ واجْتَنِبْ ذا كدورةٍ وَدَعْ كُلَّ عَيْبٍ في خَبا كُلِّ عَيْبَةِ
وَيَسِّرْ ـ وَبَشِّرْ ـ واحْتَمِلْ كُلَّ جاهِلٍ وَخُذْ كُلَّ حِذْرٍ واجْتَنِبْ كُلَّ تُهْمَةِ
وَجَمِّلْ وَسَهِّلْ ما استطَعْتَ بِما تَرى وَسدِّدْ وَقَرِّبْ بُعْدَ كُلِّ بَعيدَةِ
فَلا يَبْلغ المقصودَ في طُولِ[3] عُمْرِهِ الـ ـذي يَطْلُبُ التفْصيلَ في كُلِّ جُمْلَةِ
وَمَنْ يَمْتحنْ في خِلِّهِ كُلَّ خلَّةٍ فَما في الوَرى يَصْفو لَه وِدُّ خِلَّةِ

(١) في (أ): فتنة.
(٢) في (أ): قوة.
(٣) في (أ): كل عمره.

فَخالِقْ جَميعَ النَّاس في كُلِّ حالةٍ بِأحْسنِ أخْلاقٍ وَألْيَنِ شِيمَةِ
وَدَعْ عَنْكَ فرْطَ الحُبِّ والبُغْضِ رُبما[1] يُعاقِبُ فَصْل البُغْض وَصْلَ المحبَّةِ
وَخاطِبْ جَميعَ النَّاسِ حَسْبَ عُقولِهِم وَلا تَبْلُهم إلا على قَدْرِ قُدْرةِ
وَزِنْ كُلَّ عَقْلٍ بالتَّغافُلِ واعْتبِرْ بِقَدْر البَوادي قَدْرَ كُلِّ خَفِيَّةِ
وَقابِلْ ذَوِي الخَيْراتِ بِالخَيْرِ واحْتَمِلْ أذى كُلِّ مُؤْذٍ وَاعْفُ عَنْ كُلِّ زَلَّةِ
وَخُذْ ما حَباكَ النَّاسُ مِنْ وُدِّهم وَلا تُعوِّل عَليهم في بُلوغِ مُهِمَّةِ
وَضَعْ كُلَّ ذِي قَدْرٍ بِأليقِ مَنْزِلٍ وَدَعْ طَرفي إِفْراطِ خَفْضٍ وَرِفْعَةِ
تَواضَعْ تَجدْ غبَّ التَّواضُعِ رِفْعةً وَمِنْ ثمراتِ الكِبْرِ أكْبر ذِلَّةِ
خُذ الحِلْمَ طَبْعاً والمداراةَ دائماً مَعَ النَّاسِ وَصْفاً[2] واحْتَمِلْ كُلَّ هَفْوَةِ
فحلمُ الفَتى يَكْفيهِ كُلَّ سَفاهَةٍ وَيُبْقيهِ في ثَوْبِ البَها والمُروَّةِ
وَإنَّ مُماراةَ السَّفيه سَفَاهةٌ وَمَنْ عاوَدَ المفْتونَ عَاد بِفتْنَةِ
وَما أجْملَ الإنسانَ في دِسْتِ حِلْمِهِ إذا حَلَّ خَطْبٌ نازِلٌ كلَّ حبوةِ
وَلا خَيْرَ في حِلمٍ إذا لَمْ يَكُنْ لَه بَوادرُ تَحْمي كُلَّ عِزٍّ وَحُرمَةِ
لِكُلِّ زَمانٍ ما يَليقُ بِأَهْلِهِ فَيَصْلحُ فيهم مِنْ وِصالٍ وَفِرْقَةِ
وَكُلٌّ لَه قَوْلٌ[3] عَلى قَدْرِ حَالِهِ وَكُلٌّ لَهُ حُكْمٌ يَليقُ بِحِكمةِ
وَسِرُّ الفَتى يَعْلو أساريرَ وَجْهِهِ وَيَرْشَحُ فَوْقَ الجِسْمِ ما في السَّريرَةِ
وَما كُلُّ مَنْ يُبْدي الوَفا ذا صَداقةٍ وَما كُلُّ مَنْ يُبْدي الجَفا ذا عَداوَةِ
وَما أَحَدٌ إلا وَلا بُدَّ أَنْ تَرى لَه مُبغِضاً في النَّاسِ أَوْ ذا مَحَبَّةِ

---

(١) في (أ): ودع عنك فرط الحب أو ضده فقد.. إلخ.

(٢) في (أ): صنعاً.

(٣) في (أ): حول.

فَلا بُدَّ مِنْ مُثْنٍ عَليك وَشامتٍ ... وإنْ كُنْتَ مَرضياً قَويم الطَّرِيقَةِ
فَلا تَرْتَقِبْ أَنْ تَجْمَعَ النَّاسَ في هَوًى ... فَلا بُدَّ فيهم مِنْ خِلافٍ وَفُرْقَةِ
وَإنْ شِئْتَ نُجحاً في المَطالِبِ فاحْتَفِظْ ... بِما رُمْتَهُ واجْعَلْه كَنْزَ السَّرِيرَةِ
ألا إنَّ حُسْنَ الظَّنِ في كُلِّ ما انْطَوتْ ... عَليه طَوايا النَّاسِ أَحْسَنُ ظَنَّةِ
فَلا تَعْتَمِدْ بَادي الأُمُورِ فَرُبَّما ... يَظُنُّ الفَتى شَرَّاً بِأَحْسَنِ سِيرَةِ
فَلا بُدَّ أنْ يَعْلو الفَتى في اخْتِلاطهِ ... عَلامَةَ ما يَأْتيهِ في كُلِّ خلْوَةِ
وَسِرُّ الفَتى يَبْدو بِكُلِّ مُهِمَّةٍ ... وَعِنْدَ الهَوى أَوْ عِنْدَ صَدْمِ بَلِيَّةِ
فَخُذْ كُلَّ حِذرٍ قَبْلَ عُذْرِك واحْتَرِسْ ... دَواماً بِسوءِ الظَّنِّ في كُلِّ عِشْرَةِ
وَداخِلْ جَميعَ النَّاسِ في كُلِّ مَدْخَلٍ ... عَلى دَخَلٍ في كُلِّ قِلٍّ وَكَثْرَةِ
وَسايرْ جَميعَ الخَلْقِ في كُلِّ سِيرَةٍ ... بِعُسْرٍ وَيُسْرٍ في رَخاءٍ وَشِدَّةِ
وَعِشْ خالياً مِنْ كُلِّ غِشٍّ ولا تَخُنْ ... سِواكَ وَغِبْ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَغِيْبَةِ
وَلا تَكُ ذا كِبْرٍ وَلا حَسَدٍ وَلا ... رِياءٍ وَلا عُجبٍ وَلا عَبْدَ شَهْوَةِ
وَكُنْ فَكِهاً حُلْوَ المَذاقةِ طَيِّباً ... قَريباً رَقيقاً ذا بَشَاشٍ وَبَسْطَةِ
صَبوراً وَقوراً لوذَعِيّاً مُهَذَّباً ... أَبِيّاً رَضِيّاً ذا انبِذالٍ بِعِفَّةِ
وَخُذْ كُلَّ مَعْروفٍ وَدَعْ كُلَّ مُنْكَرٍ ... وَعَنْ غَيْرِ ما يَعنيكَ في النَّاسِ فاسْكُتِ
وَفي الصَّمْتِ لِلإنسانِ سَمْتٌ وَحِكْمَةٌ ... وَسِتْرٌ عَلى ما فيه مِنْ كُلِّ عَوْرَةِ
وَكُلُّ امْرِىءٍ ميزانُه في مَقالِه ... وَمِنْ نُطْقِه تَبْدو لَه كُلُّ قِيمَةِ
وَما زايدُ الأَقوالِ إلّا نَقيصَةٌ ... وَكَثْرَتُها أَصْلٌ لِكُلِّ مَزَلَّةِ
وَلا يَحْصُدُ الإِنْسانُ مِنْ شُؤْمِ لَفْظهِ ... مَدى الدَّهْرِ إلا كُلُّ بُغْضٍ وَحَسْرَةِ
فَلا تَحْتَقِرْ شَأْنَ اللِّسانِ فَجِرْمُهُ الـ ... ـصَّغير لَه جُرمٌ كَبيرُ الضَّرورةِ

فَأَلْيَقُ قَوْلٍ ما بِـه القَصْدُ يَنْجلِي ... بِلا خَلَلٍ يَبْدو وَلا نَحْو كُلْفَةِ
وَمِنْ حُسْنِ مَعْنى القوْلِ يَظْهَرُ حُسْنُه ... فَما القَوْل لِلمَقْصودِ غيرُ وَسيلةِ
وَلا خَيْرَ فيما لَيْس في نَحْوِ حِكْمَةِ[1] ... وَإصْلاح ذاتِ البَيْنِ أوْ نُصْح أُخوةِ
فَلا شيء مِثل النُّصح يَهْدي بِه الفتَى ... أخاهُ إلى الخيْراتِ أَوْ سَتْرِ عَوْرةِ
وَما حَقُّ بَذْلِ النُّصحِ إلا لِمُنْصفٍ ... عَلى كُلِّ حالٍ قابلٍ للنَّصيحةِ
وَما نُصْحُ مَنْ لا يَرْعَوي عَنْ ضَلالِهِ ... سِوى تَعَبٍ مِنْ غَيْرِ جَدْوى مُفيدَةِ
وَإعجابُ ذي رأيٍ رديٍّ بِرأيِهِ ... عَلى حَسْبِ ما يَهْواه شَرُّ بَلِيَّةِ
وَإنَّ كَمالَ العَقْلِ لا يَغْتَني الفتَى ... بِه عَنْ هُدى نُصْحٍ وَعَرْضِ مَشورَةِ
فَإنْ طابَقَ القصْدَ المُشيرُ بِقولِهِ ... وَإلا فَما ضَرَّ الفتَى بَذْلُ كَلمَةِ
وَلا بُدَّ للإنسانِ مِنْ ذي صَداقةٍ ... يَلوذُ بِه عِنْدَ الأُمورِ المهِمَّةِ
فَعِنْدَ الغِنَى يَكْفيه كُلَّ مؤونةٍ ... وَعِنْدَ العَنا يَكْفيهِ كُلَّ مَشَقَّةِ
وَإنْ عُدِمَ المعْوانُ في ذا الزَّمان فالضَّـ ... ـرُورةُ قَدْ تُلْجئ لِدُون العَلِيَّةِ[2]
وَكُلُّ امرئ لا يَغْتَني عَنْ مُعاوِنٍ ... وَحافظِ سِرٍّ[3] في حُضورٍ وَغيبَةِ
نَعَمْ كُلُّ إنسانٍ يُقَاسُ بِصحْبِهِ ... بِكُلِّ مقامٍ فاتَّخِذْ خَيْرَ صُحْبَةِ
وَكُلُّ امْرِئٍ يَسْري لَه مِنْ جَليسهِ ... مُناسبُ ما يَأتيهِ مِنْ سِرِّ سِيْرةِ
فَصاحِبْ أُولي المعْروفِ وَالعِلْمِ والهُدَى ... وَأَهْلَ المَعالي وَالنَّدى والفَضيلةِ
فَخُذْ مئتي بَيْتٍ وَخمْسين قَدْ خلَتْ ... بِها حِكْمةٌ لله مِنْ خَيْرِ حِكْمَةِ
فَصيْحَةُ أَلْفاظٍ صَحيحَةُ مَقصِدٍ ... بِها تَمَّ مَقْصودي وَتَمَّتْ قَصيدَتي

---

(١) في (أ): فلا خير فيما لم تكن فيه حكمة... إلخ.

(٢) في (أ): قد تلجي لحمل مضَرة.

(٣) في (أ): ود.

فلله رَبِّي الحمْدُ في كُلِّ حَالةٍ　　عَلى كُلِّ حَالٍ في رَخاءٍ وَشدَّةِ
وَأَزْكى صَلاةٍ ثُمَّ أَزْكى تَحِيَّةٍ　　عَلى خَيْرِ مَبْعوثٍ بِأَكْرَمِ[1] مِلَّةِ
مُحَمَّدٍ المُختار مِنْ خَيْر عُنْصُرٍ　　وآلٍ وأصْحابٍ وأتباعِ شِرْعَةِ

* * *

(١) في (أ): بأوضح.

مقدمة

الحمد لله بحمد الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وآله وصحبه وأتباعه إلى الله.

وبعد؛

فإن الشيخ الفاضل العلامة محمداً أبا طاهر ابن شيخنا الإمام إبراهيم بن حسن الكردي ثم المدني، رحمهم الله رحم الأبرار، وأسكنهم الفردوس من دار القرار، كتب إليّ، مبتدأ عام خمس عشرة ومئة وألف، يطلب منِّي أن أعقد معه عقد الأخوة والصحبة، على الوجه الخاص المعروف بين الخواص، أهل المعرفة والقربة والاختصاص، اتّباعاً لما جرى بين والدي ووالده، رحمهما الله تعالى من ذلك، لتتم الصلة والنسبة في الأصول والفروع، المقتضـي حق الدين والمحبة.

فأجبته إلى ذلك، بهذه القصيدة الآتي ذكرها، السافر بنور الصدق والنصح بدرها؛ وإنما جعلتُه مبنياً على التعليق، لأن هذا العقد مقتضٍ للتأكيد والتشديد، عند أهل الصدق والطريق؛ لأنها أخوة خاصة تفـضي بالمتحقق بها إلى الحق والتحقيق.

نعم؛ لما حججتُ عام عشـرين، واجتمعتُ بهذا الأخ بالبلد الأمين، ورافقته في السفر إلى بلاد سيد المرسلين، ونزلتُ عليه في بيته في مدة أيام نحو أربعين، خَبرته فوجدته من أهل الحق والدين، والمعرفة واليقين، فتمّ بذلك الاتفاق على الوفاق، وصدق الأخوة على ذلك الميثاق، ولم تزل بيني وبينه المراسلة والمكاتبة، ومواصلة الأخبار، إلى أن آذن وقتُ وفاته بالفراق، فالله يجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى، ويظلنا وإياه بظل عرشه، في أفضل نعيم وأعلى.

فائدةٌ

الأخوة بين المؤمنين عامةٌ وخاصةٌ.

فالعامة: ما يقتضيه حق الإسلام، فالمسلم أخو المسلم، كما في الحديث المشهور، المبيّن بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

والخاصة: تكون بعقد وبغير عقد، فالتي بغير عقد: قد تكون اتفاقية، والتي بالعقد في الحقيقة: المقصود بها تأكيد حقوق الإسلام العامة والخاصة، الواجبة والمندوبة، فهي تأكيد لعهد الإسلام وتجديد لربط الزمام، فهو عقد مندوب إليه، فقد آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه.

ومعنى مؤاخاته لهم، أنه أمرٌ مندوب أن يعين كل واحد أخاه على المعروف، ويعاضده وينصره، وينهاه بالحق ويأمره، فكانت هذه الأخوّة الناشئة من هذه العقد في أعلى مراتب الأخوّة العالية، والعقد وعد بذلك، فلا يستوي من وعدته بالمعروف ومن لم تعده، فإنّ الواعد قد وجد في حقّه حق الإسلام وحق موعده، وهذه الأخوّة وعقدها التزام ووعد، ولا شك أن طلب الشارع للوفاء بالخير الموعود به أعلى رتبة من طلب الخير الذي لم يعد به، فقد تحقّق بهذا العقد طلب لم يكن بأصل الإسلام، وقولنا (أمرٌ مندوب) هو ظاهر من مقتضى الأخبار، ويحتمل الوجوب أول الإسلام، والله أعلم.

فائدةٌ أخرى

وهي أن هذا العزم المتجدد من هذا الوعد والعقد يترتب عليه من الثواب على عدد معلوماته في قصد صاحبه في عزمه ونيته؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة»، ولا شك أنّ هذا ثواب عظيم.

وكذلك من وعد بخير إذا كان نيته الوفاء يثاب على عزمه ووعده زيادة على العزم الثابت بأصل الإسلام.

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا حِلْفَ في الإسلام، وأيّما حِلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»، فقال العلماء: أن أصل الحِلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، فما كان من ذلك في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات. فذلك وردَ النهيُّ عنه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا حِلف في الإسلام».

وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم، وصلة الأرحام، كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه: «وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدّة»، يريد من المعاقدة على الخير، ونصر الحق، والله أعلم.

فائدةٌ أخرَى

أخْذُ الشيخ البيعةَ على المريد على قاعدة أهل الطريق، يرونها على قواعدهم اللازمة بحق الالتزام، لا ينفكّ عقدها، ولا يقبل ردّها، ولا يقال الناكث بعدها، ووجهه عندهم: أنها بيعة على جهاد النفس والشيطان، والانقياد في طريق الله لحق الله على غاية الإمكان، أخذوها من تجديد النبي صلى الله عليه وآله وسلم البيعة عند الهمّ بالقتال، وتأكيدها بشروط زائدة على ما يقتضيه عموم حق الإسلام، ولا بعد أن يجري ذلك في حق ولي الأمر بأخذ العهد وتأكيده؛ لأنّ طاعته لازمة بحق عقد الخلافة والاستيلاء، فيكون واجباً لازماً.

وأهل الطريق، هم العارفون بالله، البالغون في المعرفة حق الاجتهاد، فإذا اعتقدوا وجوب ذلك فلا اعتراض عليهم؛ لأنّ وجهه ظاهر.

وقد قال العلماء بوجوب الوفاء بالوعد، وإن كان الأكثر على الندب، إذا كان عند الوعد نيته الوفاء، فإن كانت نيته عدم الوفاء فهو آثم؛ لأنه كذَبَ على أخيه وقد عدّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من علامات النفاق.

فائدةٌ أخرى

سألني السيد العلامة يحيى بن عمر مقبول الأهدل الزبيدي، عمن التزم هذه الأخوة الخاصة، وعقدها بلفظ النذر أو الالتزام الصحيح؟

فأجبتُ: بأنه هذه الأخوّة كما قرّرناه قربة محبوبة، وسنة مطلوبة، فينعقد نذرها ويلزم التزامها، ما لم يعارضها واجب آخر سابق عليها، ويدل لذلك صحة نذر الحر بمنفعته في خدمة العلماء ونحوهم المطلوبة المندوبة كما أفتى به الأشخر وغيره فيأتي هنا ما في ذلك من الشروط، والله أعلم.

وظهر من ذلك فائدة: وهي أنّ عقد الأخوّة يقبل التعليق والتأقيت، على ما فصله العلماء في النذر، ومنه ما صفته في هذا العقد المذكور في القصيدة.

***

وكنتُ سمّيتها:

«عقد الميثاق على محاسن الأخلاق»

فألحَّ عليّ بعض من تعلّق بي في تحشية عليها، تفتح منها كل اغتلاق، فقدّر الله لي وتكرّم بذلك، ويكون اسم هذه الحاشية: «**فتح الخلاق**».

***

[الابتداء بالبسملة]

وقد ابتدأتها بالبسملة المشتملة على الرحمن الرحيم؛ للاستفتاح باسم الله الكريم، والاستمناح برحمته في كل علم وتعليم، وبحصول الثناء بها الكافي في الجملة، ولم أدخلها في الشعر تبرّكاً بنظم القرآن والاتّباع في جميع الشأن.

* * *

فقلت:

أَيا راغباً في وصْلِ حبْلِ مودَّتي ... ويا طالباً منِّي له عقْدَ صُحْبَةِ
ويا مُظهراً صدْقَ المحبَّةِ والإخا ... لديَّ وعند الله علْمُ السَّريرَةِ

أي: ناداه نداء البعيد؛ لبُعد المسافة، أو لبعد المنزلة التي اقتضتها الشروط والتأكيد؛ لأنّ المودة قلبية، والسرية غيبية، فخوطب الطالب بذلك؛ ليتم للمطلوب تبيينُ ما يلزمه على ما يلتزمه في كل محبوب، على حقّ الإيمان الثابت في القلوب.

* * *

[ثواب الحب في الله]

فإنْ كانَ هذا الحبُّ لله وحده ... فيا حبَّذاك الحبُّ في كلِّ خَصْلةِ
فمن حبُّه لله فهو يحبُّهُ ... وذلكَ في الإسلامِ أوثقُ عُروةِ
ويُغْبَطُ أهلُ الحبِّ في الله إذْ لهم ... منابرُ تحتَ العرش أهلُ النبوَّةِ
وآيةُ كونِ الحبِّ لله أن تَرى ... لمرضاتِهِ كلَّ اجتماعٍ وفرقةِ

الحبُّ في الله فضله عظيم، وثوابه جسيم يترتب عليه صلاح أمور الدنيا والآخرة، وكمال صفات الإيمان الباطنة والظاهرة، ففي الحديث: «مثل الأخوين إذا

التقيا، مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى»، وفي حديث آخر: «مَنْ آخى أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء مِنْ عمله»، وفي حديث آخر: «حقّتْ محبتي للذين يتزاورون مِنْ أجلي، وحقّت محبتي للذين يتحابون مِنْ أجلي»، وفي حديث آخر: «أوثَقُ عُرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله».

وفي حديث آخر: «إنّ حول العرش منابر من نور، عليها قومٌ لباسهم من نور ووجوههم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء»، قيل: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: «هم المتحابّون في الله، والمتجالسون في الله، والمتزاورون في الله»، والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة.

[علامة الحب في الله]

ولكن المحبة لله قد تخفى، فتظن أنها لله وهي لغرضٍ آخر، من جلب نفع أو دفع ضر، أو غير ذلك، فاحتاجت إلى علامة تتميز بها؛ لئلا يغتر بها.

فعلامتها أنْ تدوم لله ما دام المحبوب في مرضاة الله، ولا تنقص إذا لم يساعد المحب المحبوب في نفع أو دفع أو هوى أو نفس، فيكون كل اجتماع وفرقة بين المتحابين في مرضاة الله، فإنْ بقيت مع ذلك ولم تنقص فهي محبة لله، وإن نقصتْ فهي لغرض من الأغراض، أو عرض من الأعراض، تثبت بثبوته وتنتفي بانتفائه.

* * *

وإنْ كانَ للدُّنيا على مقتضَى الهوى ... فلا حبَّذا حبُّ الهوى والدَّنيةِ
فإنَّ هوى الدُّنيا هوانٌ وحبُّها ... على كلِّ حالٍ أصْلُ كلِّ خطيئةِ
وما تحتَه من كلِّ أنسٍ ووصلةٍ ... يصيرُ إلى كلِّ انقطاعٍ ووحشةِ

جاء ذمُّ الدنيا ووصف غرورها وحالها ومآلها في الآيات والأحاديث الكثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [يونس: ٢٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ الآية [محمد: ٣٦].

وفي الحديث: «حبُّ الدنيا رأسُ كل خطيئة»، وربّ شهوة أورثت صاحبها حزناً طويلاً. وفي حديث آخر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ على شاة ميتة مُلقاة، فقال: «أترون هذه الشاة هيِّنة على أهلها»، قالوا: نعم لهوانها عليهم ألقوها، فقال: «والذي نفسي بيده لا الدنيا أهونُ على الله مِنْ هذه الشاة على أهلها، ولو كان الدنيا تعدِلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». وفي حديث آخر: «إنّ الله لم يخلق خَلْقاً أبغض إليه من الدنيا، وإنّه منذ خلقها لم ينظر إليها».

نعم ما كان من الدنيا زاداً إلى الآخرة وعوْناً عليها فهو مِنَ الآخرة، فلذلك قيّدتُ الدنيا بكونها على مقتضى الهوى، لا على مقتضى التقوى، وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً أو مُتعلِّماً»، فالدنيا كلّها دنيّة، وهواها يؤولُ بصاحبه إلى الهوان ويدعوه إلى كل خطيئة، والأنسُ بها يصير إلى الوحشة، والوصلُ والوصال بها يرجع إلى القطيعة، واتفق أهل المِلَلِ حتى مَنْ لا يؤمنُ بالآخرة على أنّ الزهد فيها أفضل مِنَ الاشتغال بها؛ لأنّ غالبها شرور، ومتاعها غرور، والسلامة في تركها والزهد فيها في جميع الأمور، والله أعلم.

***

[القيام بحق الأخوة في الله]

فإن كُنتَ لي في الله صاحباً ... صديقاً على صِدْقٍ بأصدَق خِلَّةِ
عليَّ وليْ في الحقِّ بالحقِّ قائماً ... على كلِّ حالٍ في حضورٍ وغيبَةِ

فأنتَ صَديقي حيثُ دُمْتَ على الهدَى — وقمتَ بحقِّ الحقِّ في كلِّ صُحْبةِ
وأنتَ عَدوِّي حيثُ زُغتَ إلى الرّدَى — ونُكِّبتَ عن نهجِ الطريقِ السويَّةِ
وكلُّ صديقٍ ليْ على هذِه وما — خصَصْتُكَ يا هذا بتِلكَ الشَّريطةِ
فإنْ تَقْبلِ الشَّرطَ الّذي قد شرَطتُه — عَقَدتُ على اسمِ الله عقدَ الأخُوَّةِ

لما قدَّمَ فضلُ المحبةِ في الله، وذمّ المحبة للهوى والدنيا، وخاطب الطالب لعقد الأخوّة، فإنه إن كانت الصحبة والمحبة والصداقة لله تعالى في التعاون والتعاضد على ما أمر الله به، وكان صديقاً محباً في الله على طريق صدق بأصدق خلّةٍ في الله فيكون عليه قائماً بالحق، وله قائماً بالصدق في كل حال، في الحضور والغيبة، فهو ما دام على طريق الهدى صديقه، والقيام بحق الحق في كل صحبة وليّه ورفيقه، وأنه عدّوهُ حيث زاغ عن طريق الهدى، ونُكِّبَ عن نهج الطريق السوية إلى الردى، وأنّ هذا الشرط جارٍ بينه وبين جميع أصدقائه، المصادقين في الله، الموافقين لحقِّ الله، المرافقين في طريق الله، ثم عَقَدَ الأخوة على هذا الشرط، وقيّدَهُ بالقبول؛ لكونه عقداً اختيارياً بإتمام القول، وقرَنَهُ باسم الله؛ لأنّ ما قُرِنَ به تمّ على كمال الإحسان، ولا يضرُّ مع اسمه شيء ولا يقربه شيطان.

* * *

[وجوب مناصحة الأخ في الله]

وإنّي بنُصحي مُبتليك فإنْ تكُنْ — صديقي على الصِّدقِ اتَّبعتَ نصيحتي[1]
وحقِّقْ لِحقِّ الحقِّ حقَّ وصيَّتي — وإلا فَذَرْني في خَفِيٍّ حقيقتي
وهذا سبيلي فاتَّبعني على الهُدى — وإلا فَدَعْني في سويٍّ طريقتي

(١) نسخة: وإني بشوري...، امتثلت مشورتي.

تنبيه: الأبيات من بعد هذا البيت إلى قوله: «وما الموت بعد العيش»، لم ترد في النسخة (أ).

فما القصدُ إلا الحقَّ والحقُّ كلّه   أحقُّ حقيقٍ باتّباعٍ ونصرةِ
وبالصِّدقِ نيل القصْد والصدقُ موصلٌ   إلى كلِّ مأمولٍ وأرفعِ رُتْبَةِ

بعد عَقْدِ الأخوّة، اختَبَرَ المخاطب بنصحه في الصدق مع الله، ومع الخَلْقِ على ما أمرَ الله، فمَنْ يكُنْ صادقاً مع صديقه اتّبع نصيحته.

فالنُّصحُ واجبٌ لكل مسلم، وللصديق والأخ في الله زيادة في ذلك، فهو بأمرِ الله في أمر الله على ما أمر الله، ولا طاعة إلا لله، فليحقق حق الحق في كل وصية، ويعرف معروفها على حسب ما علمه، فإن خفي عليه وجه ذلك فيسأل عنه أهل الذكر إنْ كان لا يعلمه، وإلا فيذره وخفي حقيقته، حتى ينوِّر الله بصيرته؛ لأنّ القصدَ الدعاء إلى الحقِّ العلي بالوجه الجلي. فهذه سبيل الحقِّ يدعو إليها على بصيرة من الهدى والحق، من اهتدى إلى الحق، وظهر وجه الحق فيه والدليل، وإلا فيدعه في طريقه السَّوي حتى يتفضل عليه سبحانه وتعالى بمعرفة الإجمال والتفصيل.

فما القصدُ إلا الحق المحقق، في الإطلاق والتقليد، لا ما جهله واعتقده بمجرّد التقييد، إلا ما شرع الله فيه التقليد من الفروع، فإنّ ذلك مِنْ جملة المشروع؛ لأنه تابع لاحقٌ بالحقِّ المتبوع، والحقُّ كلّه أحقُّ حقيق، بالاتباع والنصرة لأهل التحقيق، وإنْ كان غريباً لا يعرفه إلا فريق دون فريق. فإذا صَدَقَ العبدُ مع الله، ولازَمَ أهل الصدق، وَصَلَ إلى معرفة الحقِّ، ونال كل نوالٍ مِنَ الله، وعلا أرفع رتبة عند الله مِنْ رُتَبِ الصدِّيقين، فاصدُقْ أيها الصديق، وكن مع الصديقين، ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

***

[الصدق مع الله في كل حال]

وإنْ شِئتَ كلَّ الخير في كلِّ ساعةٍ   وعافيةٍ من كل شرٍّ ومحنةِ

فكـن صادقــاً لله فـي كــلِّ حـالـةٍ ... ومُعتصمــاً بالحـق فـي كلِّ لحظـةِ
وكـن مخلصاً لله مـا أنـتَ عامـلٌ ... وكلّ الـورى صـادِقٌ بأصـدَقِ لهجـةِ
بِـهِ واثقــاً فـي كُــلِّ أمـرٍ وراضيـاً ... بتـصريـفـه فـي كُلِّ قبضٍ وبسطـةِ
وفـي كلِّ حيــن راغبـاً فيـه طالبـاً ... بـأصدقِ فقْـرٍ وانكسـارٍ وذلـةِ
علـى كل حـالٍ راجيـاً فيـضَ فضلِـهِ ... ومـن عَدْلِـه تغْشَـاكَ أعظـمُ رهبَـةِ
مقيمـاً علـى أعْتَـاب أبـوابِ جُـودِهِ ... بـأطْهـرِ قَلـبٍ فيــه أطيَـبُ نِيَّـةِ
غنيّــاً بـه فـي كــل فَقْـرٍ عـن الـورى ... فقيـراً إلـى نَعْمَـاه فـي كلِّ طَرْفـةِ
بـه مُطمئنــاً عـنــد كــل محـرِّكٍ ... بــه مستعينـاً عـنـد كــلِّ مهـمّـةِ
وكِلْ كُلَّ مطلـوبٍ إلـى مـا قضـاه ... واتـخـذْهُ وكيــلاً عنـد كلِّ قضيَّـة

فمَنْ أرادَ الفوزَ بالخيراتِ الباطنة والظاهرة، في الدنيا والآخرة والعافية من الشرور والأشرار، والسلامة من المحن والأعسار، فليصدق في الله في كل حالة، وليشهد أنّه بالله في كل فعله وانفعاله، وأنه سبحانه بيده جميع ملكوته، وإليه يرجع الأمر كلّه، في جميع ذاته ونعوته، وليعتصم بالحق الذي أنزل، ويستمسك بحبل الله كما أمر الله، ويُخْلِص في جميع أعماله لله؛ ليَخْلُصَ بذلك من النقائص التي تشوبه من عند غير الله، فإنّ الكمال كلّه لله والنقص كله لغيره، وهو الأول والآخر والباطن والظاهر في جميع المظاهر. والخلق في مجالي المقادير ومواضع التأثير، فصادقهم لظهور صفاته فيهم كل لحظة، واعرفه فيهم بأصدق لهجة، وأتم أمره فيهم كما أمر، واعتبر بكل حال فيهم فيمن مضى ومن غبر.

وكن واثقاً بالله في جميع الأمور، وراضياً بتصريفه في جميع الأحزان والسرور، في القبض والبسط في كل مقدور، واطلب منه في كل حين كل خير، وارغب إليه بأصدق فقر وانكسار وذلة، في جلب كل نفع ودفع كل ضر، ولا تفرح بما أوتيت، ولا تحزن على ما فاتك، ففي الله خلف من كل فائت.

ولا توحشكم المعصية عن ستره وعفوه، ولا تؤمنك الطاعة عن عدله ومكره، فارج فضله على كل حال، فكم أوصله إليك، وواصله عليك، قبل الطاعات والأعمال، واخش عدله في كل حال، فكم قد أقامه على أهل مقامات وأعمال، فلا تعوّل إلا على جوده وكرمه، واقفاً على أعتاب أبواب فضله، معترفاً بنعمه، بأطهر قلب، خالياً عما سواه فيه، وأطيب نية في عبادته وتقواه، وانقطع إليه، وكن غنياً به في كل فقر وحاجة عن الورى، فقيراً إلى نعمه وجوده وكرمه، في كل لحظة وطرفة، فلا تجزع من الحوادث، ولا تفزع عند البواعث، فإنّ الأمر كله لله، وكن مطمئناً به، عند كل محركٍ لك، مستعيناً به عند كل مهمة تعرض لك، واتّكل عليه، فالأمر منه وإليه، وارضَ بما قضاه، واتخذه وكيلاً، وكِلْ كُلَّ مطلوب لك في كل قضية إليه، فهو اللطيف الخبير بكل كبير وصغير.

* * *

[اغتنام العمر في التوجه الى الله]

توجَّـه لِوَجْـهِ الـحـقِّ حقّـاً فأينمـا
تُـوجِّـهْ فَوَجْـهُ الحـقِّ فـي كل وِجْهـةِ

فكـلٌّ يُـولِّـي وجْهَـهُ فـي مُـرادِهِ
ومستَبِـقُ الخيـراتِ فـازَ بخيْـرةِ

فَـرِدْ منْهَـلَ الإحسـانِ أطيـبَ منهـلٍ
فَفِيـهِ سبيلُ الخيْـر أجْلَـى جلِيَّـةِ

ألا إنَّ أبـوابَ القبُـولِ علـى الهُـدى
ومِفتَاحُهـا الإقبَـالُ فـي كلِّ قِبْلَـةِ

وَمِـنْ نَفَحَـاتِ الله فـي كلِّ لمحـةِ
سـحائبُ جـوْدٍ وَدْقُهـا كلٌّ نعمـةِ

تَعـرَّضْ لهـا فـي عَـرْضِ كلِّ عبـادةِ
وشِـمْ برْقهـا بالقُـربِ فـي كلِّ قُربـةِ

وأحْمَـقُ مَـنْ يَرْجُـو بغيـر تَعَـرُّضٍ
ويسْتَطْلعُ الآمـالَ مـنْ غيـر كُلْفَـةِ

فَـلا شـيءَ للإنسـانِ إلّا إذا سَـعَى
وعـن سـعْيه يُجـزى بأوْفَـى وفِيَّـةِ

ولا يَدْخُـلُ الأبـوابَ إلا فتـىً غـدا
وأمسَـى لإلْحـاحِ مُـلَازِمَ عَتْبَـةِ

طُرُقُ الحقِّ بالصدقِ واضحةٌ، وأبوابُ فضله للمتوجهين إليه به مفتوحةٌ، وعطاياه للمقبلين ممنوحة، فتوجّه إليه فيما يرضاه بما يرضاه، مِنْ كل جهة ووجهة، فوجهه وجوده وكرمه حيث ما توجّهتَ لطاعته، وكلٌّ مِنَ الناس يُولّي وجهه إلى وجهة يقصدها، ويغدو فبائعٌ نفسه فمعتِقها، أو موبقها، فاغتنم يا هذا عمرك، ودبّر صلاحك وأمرك واستبق الخيرات، فمن استبق الخيرات فاز بها في جميع الأمور، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وإنْ شئتَ شراب المعرفة والنور، والخير والحبور، فَرِدْ منهل الإحسان المشتمل، على الإسلام والإيمان بحيث تستقيم كما أُمرتَ، وتعبد الله كأنك تراه، فإنه أطيب المناهل وأعذبها، وفيها طريق الخير أجلى جلية وأقربها.

فاستمسك بالشريعة، واطلب قويم الطريقة، تشرب من تسنيم الحقيقة، فالهدى هدى الله، وأبوابه فيما أنزل الله، ومفتاح أبوابه الإقبال في كل قبلة إلى الله، وابتغاء الوسيلة إليه، والانقطاع على كرمه وجوده والإقبال عليه، والتعرّض لنفحات إفضاله، فإن له في كل حين نفحات ودُفقها كل نعمة، وسحائبها من الرحمة، يفوز بها المتعرّضون في عرض كل عبادة، وطول كل ورع وزهادة، ويشمّ برْقها من يطلبها، في قرب كل قربة، وفي مجالس أهل الخير في كل رهبة ورغبة، وانفراد وصحبة.

فإن مَنْ يرجوها بغير تعرّضٍ أحمق، ومن يستطلع الآمال بغير كلفة مجنون، ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فقد قرن الله سبحانه المسببات بالأسباب، وجعل السعي إليها أقرب الأبواب، فلا يحصل للإنسان إلا ما سعى، ويجزى على سعيه بأوفى الخصال الوفية كما رعى، ولا يلج الأبواب إلا مَنْ غدا ملازم الأعتاب، وراح في الإلحاح تحت رجاء الملك الوهاب.

ولا عمـلٌ إلا بقصـدٍ وإنـمـا لـكلِّ امرىءٍ ما كانَ في عَقْدِ نِيَّةِ
إذا طابَ قصدُ المرءِ طابَتْ فِعَالُهُ وإلا فإنَّ الخُبْثَ أصلُ الخبيثةِ
وإنْ حَلَتِ الأعمال حلَّت ثمارُها ونِيْطَتْ بها الآمالُ في كلِّ ملَّةِ

النية بذر العمل وأصله، فلا يصح وجود العمل إلا بقصد ينبني عليه ولكل من العاملين ما نوى، ولكل زارع ما بذر، فبذلك يفرَّق بين العادة والعبادة، والطاعة والمعصية، والخالص والمشترك، والعالي والسافل، والصاعد والنازل.

فإذا طاب القصد طابت الأعمال، وإن خبث القصد خبثت الأفعال، وإذا طابت الأعمال وحَلَتْ (تخفيف اللام) حلَّت (بتشديد اللام) أي ثبتت ثمارها، (من حلول الدين، والأول من الحلاوة)، ونيطت أي: تعلّقت بها الآمال، أي: الغايات المقصودة منها المترتبة عليها. فالشأن كل الشأن لكل عامل، تصحيح القصد، وتطييب النية، من جميع الشوائب الرديئة؛ لتطيب الأعمال، وتزكو الأفعال، وتحصل المقاصد والآمال، على أحسن حال في الحال والمآل، وعلى هذا اجتمعت الملل في كل حال وكل محل، والله أعلم.

* * *

وَمَنْ يُرِدِ الدُّنْيا ويحرُثْ حرْثَها يـذُقْ لـذَّةً منهـا بأعظَم ذِلَّـةِ
ومن يُرِدِ الأُخْرَى ويسْعَى بسَعْيها يَنَـلْ كـلَّ مأمولٍ وأنْعَمَ جَنَّـةِ

الدنيا والآخرة ضرّتان، فبقدر القرب من إحداهما والرغبة إليها يُضادُّ الأخرى، فالدنيا طريق إلى الآخرة، والآخرة دار القرار، والآخرة إما جنة ونعيم، أو نار وجحيم، فمَنْ حَسُنَ قصده، وصلح عمله، وطاب سعيه، فهو بوعد الله من أهل الجنة للخلد في النعيم، والرضوان المقيم، عند مليك مقتدر كريم، فالدنيا له سجن؛ لأنها دار الكد والعمل، والسير الحثيث بلا مهل، والنقوصات والفوت، والأمراض

والموت، والمصائب والمقوت، فكيف يميل إليها من هو راحل عنها إلى جنة النعيم، وواصل إلى الملك المقيم، مع أنها دار الفتون والغرور، لا تنال منها لذة إلا بأعظم ذلة، ولا تشرب بلّة إلا بألف بلية، يعرف ذلك كل عاقل له بصيرة، ولا يرتاب فيه إلا كل غافل مغرور، يظن أنه مستقر في بقاء وهو دائم في فناء، ويحسب أنه في غناء، وهو في كل عناء، ويخال أنه نال المنى، والمنيَّة بالفِنا، وأما مَنْ خبث قصده وقُبح عمله، وخاب سعيه، فهو بوعيد الله من أهل النار وقد أحاط به في الدنيا سرادقها من الجهل والحيرة والظلمات، وحاله كحال من هو حيران في ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، حتى إذا مات رمت به سفينته إلى النار، وحل دار البوار، وعرف ما فعل به الاغترار، ورأى أنه في أقبح الأحوال لما اتضحت شمس النهار.

* * *

وَقَدْرُ الفَتَى ما كانَ فيه وفَضْلُه ... على حَسَبِ استكمالِ كُلِّ فَضيلَةِ
وما شَرَفُ الإنسانِ إلا بنَفْسِهِ ... إذا اكتَسَبَتْ من كُلِّ حالٍ شَريفَةِ
ومَا المرْءُ في دُنْياهُ إلا ابنُ دِيْنِهِ ... ولا نَفْعَ إلا فيه يَومَ القِيَامَةِ

قيمة العبد في خدمته، وقدره في منفعته؛ إذ لا يُراد لذاته، وإنما يُراد لآثار صفاته، ومعاني تعيناته، فما كان فيه تكوينه، فهو قدره وتعيينه، وفضل في كل قبيلة، على حسب ما اكتسب من كل فضيلة، فليس شرفه بذاته، إلا إذا اكتسبت أحواله تجلياته، وكُسيت بجلابيب تشرفاته، فقد خلق من ضعف وطين، وماء مهين، خلياً من الفضائل، عارياً من الشمائل، فأعطاه الله ما ينفعه، وكساه ما يرفعه، فضلاً من الله وإحساناً.

فكل ما يجمعه عارية عليه، متى أراد الله استرجعه، فربما غرّته نفسه وقال هذا لي ومعي، وكسبي وجمعي، وضري ونفعي، فاغتر بالصورة وليس يملك في الحقيقة إلا

ضرورة، فهو عبد مملوك لا يملك، أعطي الخلافة من سيده، ليعمل بإذنه في مملكته، فجَهِلَ الحال، وادّعى الاستقلال، والملك والمال، فهو الظلوم الجهول؛ إذ كل أهل العقول يعرفون أنه لا ملك له ولا محصول، ولا فعل ولا مفعول، فهو عبد لا قدرة له إلا بالله، ولا يحرّك ذرة ولا يسكِّنها إلا بحول الله، ولا يملك نفعاً ولا ضراً لنفسه ولا لأصدقائه ولا أعداه، ولكنه ابن دينه فقط في دنياه، فإن تمسك بالحق وتحقّق بما أنزل الله، ورجع إلى الله، واعتصم بحبل الله، سَلِمَ في الدنيا ولم تضر الآفات، وصحَّ له النفع بالدين يوم القيامة؛ إذ لا نفع إلا فيه يوم الجزاء والموافاة، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وأما الدنيا فما يرجع منها إلى الدِّين فهو منه، وهو الذي يبقى ويحصل في الصدور، إذا بُعثر ما في القبور، وأما غيره فيذهب ترهات، ويصير في الظلمات.

***

ومَنْ جدَّ في الأفعالِ سادَ على الورى ... وما ينفعُ الأدنى عُلُوُّ الأبوةِ
وما مجدُ أهلِ المجدِ إلا بجِدِّهِم ... وإلا فما مَجْدٌ يُنالُ بجيفةِ
وَمَا فَخْرُ أهلِ الجودِ إلا بِجُودِهِم ... وإلا فما لِلْمرءِ فخْرٌ بِطِينةِ
ولا نَسَبٌ إلا سَيُقْطَعُ حَبْلُهُ ... سِوَى نَسَبِ التَّقوى أعزُّ تقيَّةِ
وما سَبَبٌ يبقى سِوَى سبَبِ الهُدى ... وما العزَّةُ القَعْسَاءُ غيرُ الفُتوَّةِ
ومَنْ لم يكنْ ثوبٌ عليه مِنَ التُّقى ... فَعَارٍ وإنْ كانتْ له ألفُ حُلَّةِ[1]
وكلُّ الورى لله عبْدٌ وإنما ... يُقَدَّرُ قَدْرُ العبْدِ في قَدْرِ خدمة
وما الموتُ بَعْدَ العيشِ إلا لِيُبتلى الـ ... ـوَرى أيُّهُم خيرٌ وأحسنُ سِيْرةِ

قد تقرر أنّ العبد فقير في جميع أموره في بطونه وظهوره ومضطر في سائر أحواله لا فضل له ذاتي، ولا شرف نفسي، وإنما تعرَضُ له الفضائل على حسب ما أعطاه الله من الخير وكساه من أحسن الشمائل، فإنْ جاد في الأفعال، وسلك طريق الإفضال، ساد على الورى، وزاد في كل منزلة بلا مرا.

وإن لم يكن العبد ذا فضل في جِدِّهِ، وإنما يفتخر بفخر أبيه وجَدِّهِ، فإنّ ذلك فضل لغيره لا يرفعه، وفعل ثمرة يعود لفاعله لا ينفعه؛ إذ ليس للإنسان إلا ما سعى، ولا يلقى إلا ما حفظ ووعى.

فلو كان النسب يعود على الولد، لعاد على الناس كلهم الانتساب إلى آدم ونوح صلى الله عليهم وسلم، ولما حل على بني إسرائيل ما حل من المحنة والذلة والمسكنة وهم أولاد الأنبياء، وقد رغِبَ نوح ﷺ إلى ربه في نجاة ابنه؛ لكونه من أهله الذين وعده بنجاتهم، فأجابه بأنه عملٌ غيرُ صالح، ليس من أهله، فنفا أن يكون من أهله، فالولد وإن خلق من أبيه وانفصل من طينته فهو كالعذرة والفضلات، تخرج من معدته.

فالنسب حقيقي: وهو ما وصله بالإيمان، وتوافقت فيه صفات الولد والوالد على الإحسان. وصوري: وهو ما تباينَ في الأوصاف، وتحقّق بالاختلاف، فالحبال كلّها مقطوعة، والأنساب كلها ممنوعة إلا ما وصل إلى الله بالتقوى واستمسك بالعروة الوثقى، فلا نسب إلا سيقطع حبله سوى نسب التقوى وأهله، فهو أعز بقية لفرعه وأصله، وأنفع عائد في نفعه ووصله.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. وأما غير أولئك ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ

وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦]، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

فلا نسب يوصل إلى الفلاح، إلا الهدى والصلاح، وما العزة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين بالله، فمن اعتز بغير الله ذلّ، ومن استكبر بعزّة من سوى الله هان وقلّ، فما السبب الأقوى سوى حبل الهدى والدِّين، وما العزة القعساء التي هي الدرجة العليا غير الفتوّة، الحاصلة من ثمرة كمال الصبر على المكاره في اتباع النبوّة.

واعلم: أن قيمة العبد تزيد وتنقص بحسب ما يحسنه من الأعمال، ويحكمه من الأفعال، فكذلك قدره عند الله على قدر خدمته لله وطاعته لمولاه، فإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وأبعدكم عند الله أشقاكم، فبالعلم والتقوى قد يبلغ المملوك درجة فوق الملوك، ويرتقي إلى أعلى الرتب من ترقَّى بالصدق في طريق الحق على وجه السلوك، وإنما تظهر العزة والكرامة للمؤمنين ظهوراً تاماً في الدار الآخرة، لانفرادهم إذ ذاك بالحقيقة في المعنى وفي الصورة في الأمور الباطنة والظاهرة وتنقطع المشاركة الصورية الظاهرة في المظاهر الخاسرة؛ ولأن الله سبحانه وتعالى جعل الجزاء في الدار الآخرة لأنها لا تفنى ولا تبيد، بل لا تزال في مزيد.

فإن الجزاء بالمقطوع مشوب بالكدر، وإعطاء الممنوع آخره حذر، فما جعل الله الموت بعد العيش إلا ليبتلي الورى بالتكليف، والاحتكام لأحكامه فينظر أيهم خير مقاماً وأحسن سيرة في لياليه وأيامه فيجازيه في الدار الآخرة الدائمة بأحسن ثوابه وإنعامه، ويجازي غيره بنكال الأبد، جزا معاصيه وآثامه، بعد أن يخلقهم خلقة قابلة للدوام، لا تفنى بتكرير الليالي والأيام، صالحة للبقاء من غير انصرام، في أجلِّ نعيم أو أشدِّ جحيم وإضرام، فإنّ الخلقة الأولى ضعيفة لا تستوعب تلك اللذات الشريفة، والتنعمات المنيفة، ولا تقوى على تلك النكالات العظيمة، والعقوبات الأليمة، الدائمة المقيمة.

***

وَمِنْ نَصَبٍ شُقَّ النصيبُ وقَدْرُهُ ... على قَدْرِهِ فانْصَبْ تُصِبْ كلّ مُنْيَةِ
وما كلُّ مَنْ يَهْوى المعالي يَنالُها ... ولم يرتكبْ في قَصْدِها كلَّ شُقَّةِ
فَلا بُدَّ قبلَ الوَصْلِ من ألَمِ النَّوى ... ولابُدَّ دون الشَّهدِ من سَمٍّ لَسْعَةِ
إذا المرءُ لم يَصْبِر على مِرَّةِ الدَّوا ... سَيَصْبُر مُضْطرّاً على طُولِ عِلَّةِ
وَمَنْ يَكُ ذا صَبْرٍ على شُرْبِ جُرْعَةٍ ... سَيَحْمَدُ عُقْبى الصَّبر في كلِّ صِحَّةِ
ومن يرضَ بالعيش الدنيِّ فإنهُ ... سَيَغرقُ في كلِّ الأمُور الدنِيَّةِ

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧ - ٨] أي: إن هذه الدار الدنيا دار عمل وسفر، لا يبقى العبد فيها على حال ولا لها مقر، وكل وقت سيف، إن قطعته وإلا قطعك، والعمر أيام معدودة، كل يوم مرحلة يمضي فيها على كرهٍ منك، لا تقف ساعة، وربما مضت ضائعة، بلا ثمر ولا عمل، ولا يعرف قيمتها إلا من حضره الموت، وتحقق الفوت، وهو مفرّط في جنب الله فإنه يودُّ لو يؤخر يوماً ليتزوّد للآخرة، ويفتدي بألوف كثيرة.

فمَنْ عَرَفَ ذلك اجتهد في كل حين، دأب الصالحين، فنصيبه على قدر نَصَبِهِ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى في أولاه، حتى يعلم الله صدقه واجتهاده فيتولاه، ويغمره بفضله وولاه، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فإذا فرغتَ من أمر يرضي الله فانصب في آخر، فلا يفوت زمانك في لهو وسهو فتندم وتخسر، وإلى الله سبحانه فارغب في التوفيق، والتفضل عليك والهدى لأحسن طريق، طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أكرم فريق، وأحسن رفيق، فيصيب بذلك النصب أكبر راحة ونصيب، وينال بذلك كل أمنية يتمناها، ﴿لهم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الزمر: ٣٤]، فالمعالي العلية

لا ينالها كل مَنْ يهواها إلا بالجدّ والاجتهاد ومقاساة الشدائد في نيل المراد، وارتكاب كل مشقة عرضت في سبيل الرشاد.

ومن صدق مع الله سهّل له الطريق، ودفعه عنه كل تعويق، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]، فهذه عادة الله في عباده الأخيار، عند إرادة الاختبار، وتطهيره بنار الامتحان من الرعونات والأقذار، بل يجري ذلك في كل مطلب عزيز.

فلا بد قبل وصال المحبوب المحجوب من ألم النوى المذيب للقلوب، ولا بد لمن يشاء العسل من ألم لسع النحل، ولم يجعل الله ذلك في الماء وغيره لعزة المطلوب، فالصدق والصبر مفتاح كل خير وكل صعب بهما يهون، فالمريض الذي يصدق مع الطبيب في وصفه، ويعتمد ما قاله في عرفه، ثم يصبر على تجرع الدواء، فإنه سيحمد عاقبة الصبر في العافية وتمام الصحة، ومن أعرض عن ذلك ولم يصبر عليه، فسوف يصبر مضطراً على وصبه، وطول مرضه.

فصاحب الهمّة العلية، والنفس الأبية، يطلب المعالي، ويسهر في تحصيلها الليالي، وذو الهمة الدّنية لا يبالي، ولا يتفكّر في نفاد عمره بمرور الأيام والليالي، فهو في غفلته ساهٍ، حتى يغرق في الدنيا في كل دنية، وتضمحل خيراته وأموره الدينية، فمن أراد الله له السعادة أيقظه مِنْ نومةِ الغفلة، فراجع دينه وعلمه وعقله، وطلب الله جهده بلا مهلة.

* * *

ألا إنَّ أبْكَارَ المَعالي مهورُها النـ ـفُوسُ وفيها رخصُ كلِّ كَريمةِ
وَلا تَرْتَضي في النَّاس إلا بكُفْئِها فتىً همُّهُ يَعْلو على كلِّ رُتْبةِ

لَـهُ همّـةٌ تسـمو إلـى كلِّ مـا سَمَا ... ولا يرتضــيْ بالعَـوْدِ دونَ الغنيْمـةِ
ومـا قَصَبـاتُ السَّـبقِ إلا لمـنْ غَـدَا ... بـكلِّ اجتهــادٍ طـالبـاً كـلَّ رِفْعَـةِ
ولا يَبْلُـغُ الغايـاتِ في المجـدِ والعُلا ... سِـوَى مَـنْ لـهُ بالمَجـدِ أقـربُ نِسْبَةِ

أبكار المعالي العلية، كالسعادة الأبدية، والشهادة التي بها الحياة السرمدية، لا ترضى من الناس إلا بكفئها، وهم عباد الله المخلَصون (بفتح اللام وكسرها) الذين خلصت حقائقهم لله في كل حال، وأخلصت له في جميع الأعمال، مع همّةٍ علية بالله، مستعلية بقدرة الله، تأتي على ما كان في الإمكان، قربت عليه كل قربة، وسهلت عليه طلوع كل عقبة، وبلوغ كل رتبة.

فمهور تلك الأبكار بَذْلُكَ النفوس فما دونها، فالفتى حقاً من تفتّى بها، ولم يرجع دونها، فهمته تسمو إلى كل ما سما من المراتب، ولا ترضى بالعَوْدِ دون الغنيمة لخوف المعاطب، فالسباق السباق مع أولئك الرفاق، فلا يحوز قصبات السبق إلا مَنْ غدا بالصدق باذلاً كل اجتهاد في ذلك الجهاد، طالباً كل رفعة عند الله في كل شأن، ولكن ما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، فلا يبلغ غايات المجد إلا من ناسب المجد بالقابلية، ولا ينال أعلى المعالي إلا من علا براق الجد في كل علية.

* * *

ألا لا يَـلُـمْ كـلُّ امـرىءٍ غَيْـرَ نفسِـهِ ... إذا حـازَ أهـلُ السَّبـْقِ كُـلَّ عَليّـةِ
وليـس عَلـى ذِي العجْـز لـومٌ وإنمـا ... يُـلامُ صحيـحٌ عنـده فَضْـلُ قـوّةِ
ومـن ظَـلَّ فـي ظـلِّ البطالـةِ قاعـداً ... يَبِـتْ قائمـاً بالعُـدْمِ فـي حَرِّ حَسْـرَةِ
ومَـنْ نامَ وقتَ السَّعْي عن كُلِّ حاجةٍ ... ففـي زَمَـنِ الوِجْـدان يأتـي بخَيْبَـةِ
ومـن راح وقْـتَ الكَـدِّ فـي كُلِّ راحةٍ ... غـدا زَمَـنَ الرَّاحـاتِ فـي كلِّ تِعْبَـةِ

ومن لم يَذُقْ في سَعْيِهِ كلَّ ذِلَّةٍ فلا نَالَ في تحصِيْلِهِ كُلَّ لَذَّةِ
وكُلُّ المعاليْ تُرْتَقى عَنْ سُهُولةٍ مع الجدِّ واسْتِعْمَالِ كلِّ عزيمةِ

قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ * فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [البلد: ٨ - ١١] فكل امرئ أعطاه الله قوة وسهّل له طريقاً إلى الرتب العلية، فإذا لم تساعده نفسه الدنية على قصد المكارم الدينية، والمعالي العلوية، فلا يلم إلى نفسه، فسوف يندم غاية الندم إذا حاز أهل السبق والاجتهاد كل رتبة علية، وقد فاته المطلوب، وهو يمنّي نفسه بنيل كل محبوب، فيلام كل اللوم لتضييعه الوقت والقوة في اللهو والشهوة.

وأما العاجز فلا لوم عليه فيما عجز عنه من الأعمال، لكن عليه الرجوع على الله بالنية الصالحة والآمال، والابتهال إلى الواهب المتعال، في كل منال لكل بال، ومن له قدر وظَلَّ يومه في ظِلِّ البطالة والإهمال، قاعداً عن كل كدٍّ في تحصيل الكمال، فسوف يبيتُ قائماً من تعب العدم، في حرارة الحسرة والندم، إذا رأى أهل التحصيل في أحسن حال.

وكذلك من نام وقت السعي في الحاجات عن كل حاجة له، ففي زمن الوجدان والنجاح، والفوز بالفلاح، يأتي بخيبة، ولا ينفعه الندم ولا البكاء ولا الصياح، وكذلك من راح وقت الكدّ والطلب، في كل راحة فيغدو زمن الحاجات الحاصلة للمحصّلين في كل تعب.

وكذلك مَنْ منعه الكبر والرياسة، عن التواضع لأهل الفضل والسياسة، ولا ذاق الذلة بكل تواضع، فتبقى عليه رعونة نفسه الأمّارة بالسوء، ولا ينال في تحصيله لذات أهل الصفا الفائزين بلذة العلو، فيُحرَم من كل علو.

والحاصل أنّ كل المعالي على علوّ الهمة، وتأمّر العزمة، تُرتَقى عن سهولة مع استعمال الصدق والجد والعزيمة، الواثقة بالله الصادقة فيما أمر الله، والله مع الصادقين.

***

فكيفَ اعْتَـرَاكَ الجبْنُ والحَيْنُ واصلٌ ... ولا بـد أن يُصْمِيكَ سَهْمُ المنيَّةِ
فإن تُبلِ هذا الجسْـمَ فـي الخير خِيْرةً ... وإلا ستُبْليـْه اضطـراراً بتُرْبـةِ
ولـنْ تبلُـغَ المجـدَ الرفيـعَ ولا العُلا ... سِوى ما إذا اسْتَسْهلتَ كلَّ صعوبةِ
وخُضْـتَ فِجـاجَ البَحْـر فـي كلِّ غُبَّةٍ ... وجُبْـتَ بَـرارِي البَرِّ فـي كل بَـرَّة
فحـبُّ البَقَـا يُبْقيكَ في خَفْضِ عِيْشَـةٍ ... ويُثْنيـكَ عـن كلِّ اهتمـامٍ بِرِفعـةِ
وحُبُّـك للدُّنْيَـا أضـرُّ ضـراوةً ... فَـإنَّ هَـوَاهَـا أصـلُ كـلِّ خَطِيَّـة

فكيفَ اعْتَـرَاكَ الجبْنُ والحَيْنُ واصلٌ ... ولا بـد أن يُصْمِيكَ سَهْمُ المنيَّةِ
فإن تُبلِ هذا الجسْـمَ فـي الخير خِيْرةً ... وإلا ستُبْليـْه اضطـراراً بتُرْبـةِ
ولـنْ تبلُـغَ المجـدَ الرفيـعَ ولا العُلا ... سِوى ما إذا اسْتَسْهلتَ كلَّ صعوبةِ
وخُضْـتَ فِجـاجَ البَحْـر فـي كلِّ غُبَّةٍ ... وجُبْـتَ بَـرارِي البَرِّ فـي كل بَـرَّة
فحـبُّ البَقَـا يُبْقيكَ في خَفْضِ عِيْشَـةٍ ... ويُثْنيـكَ عـن كلِّ اهتمـامٍ بِرِفعـةِ
وحُبُّـك للدُّنْيَـا أضـرُّ ضـراوةً(١) ... فَـإنَّ هَـوَاهَـا أصـلُ كـلِّ خَطِيَّـة

مَنْ عَلِمَ أنه سوف يموت، وأنّ وقته سيفوت، وأن جسمه سيبلى، وأنه لا بد أن يصميه سهم المنية، القاطع كل هوى وأمنية، فكيف يعتريه الجبنُ مِنْ بذل أعظم الطلب في المطلوب، وتحصيل كل خير محبوب.

فإنْ أذهب قوته وأوقاته في طائل ففضله يطول، وإلّا فسوف يذهب في غير

---

(١) (أ): ضرورة.

طائل في كل فضول، وإنْ أبلى في جسمه في الخير باختيار في كل خير وقربة، وإلا فسوف يبلى اضطراراً في قبر وتربة، ولن يبلغ المجد الرفيع، والعلا الشامخ المنيع، سوى ما إذا بذل حاله وماله في مطلوبه، وجسمه وروحه في وصال محبوبه، واستسهل كل صعوبة وتعبة، في كل رفعة وقربة، بحيث لو كانت وراء البحار والبراري لخاض فجاج البحر في كل غبة، وجاب براري البر إليها في كل طاعة وبرة (اسم للبر)، فلا سبيل إلى بقاء أيام العمر، ولا دوام على أمر.

فاعمر أيام عمرك بما يبقى، واجعل جميع أمرك فيما يدوم؛ إذ لا سبيل إلا المقام في دار السفر والفناء، فحب البقاء وعدم المخاطرة في طلب المراتب العلية، تبقيك في خفض مرتبة دنية، وتلقى عيشة دونية دنيوية، وتثنيك محبة السلامة عن كل اهتمام برفعة المطالب، وتصدّك عن اكتساب أعلى المراتب، ثم تدعوك إلى الرغبة في الدنيا وهواها، وأن هواها وحبّها أصل كل خطية، إذ هي مغرس الشهوات، وهوى النفوس، وبها يضل إبليس بكل ريّس ومريوس، ويصد عن كل كمال معنوي ومحسوس.

* * *

وحُبُكَ للأولادِ يُلْقيكَ في عَناً ... ويكْسُوك ثوبَيْ ضِنَّةٍ ثم ذِلَّةِ
وحبُّ الغَوَانِي يستميْلُك في الهَوَى ... إلى كلِّ هَوْنٍ من دواعي المحبَّةِ
ولا خَيْرَ في حبٍّ ولا لذَّةٍ بها ... يميْلُ عَزيزٌ عن مُعَدَّلِ عِزَّةِ
وما العَيْشُ إلا العَيْشُ في رَوْحِ راحةٍ ... وعزَّةِ نفسٍ في اجتِماعٍ وفرقةِ

التعلّق بالأولاد بإفراط المحبة، يقتضي التفريط في حقوق الرتب العلية، وتحقيق القرب الدينية، فإنها تغلب عليهم الصفات البهيمية الحسية، والشهوات النفسية، فيجذبون محبهم إليهم، ويدورون به عليها، فيلقى كل عناء وامتحان، ويوردونه الموارد الشاقة في كل شأن.

وفي الآية: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] وعدو لكم، وفي الحديث: «يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأولاده يكلفونه ما لا يطيق ويوردونه الموارد»، وفي الحديث الآخر: «الولد مجبنة مبخلة مذلة»، أي: يحمل والده على الجبن والبخل والذل، والمراد بالضِّنَّة البخل.

فلا ينبغي لعاقل أنْ يسلك مع أولاده في هذه المسالك، فيقع بسببهم في المهالك، فإن رزقهم على الله، ومرجعه هو وإياهم إلى أمر الله، فلو مات وهم صغار، ربّاهم الله أحسن تربية في جميع الأطوار.

وكم تربّى يتيم، رباه الحكيم العليم، ورقّاه في العقل والتعليم، إلى مقام كريم، ومن رباه والده بغذو النعيم، وأطلق قياده مع هوى النفس والشيطان الرجيم، خرج عن الحال المستقيم، والدين القويم، وأرهق والده طغياناً وكفراً بكل تأثيم، وأتلف المال الذي كسَبَهُ له في كل حرام وتحريم، وذلك تقدير العزيز العليم.

وكذلك محبة النساء الغواني، اللاتي يسلبن العاقل عقله في جميع المعاني، فيقع في كل هون من دواعي المحبة، وتصيبه بذلك كل مشقة ونكبة، في طلب الأماني، وفي الحديث: «ما تركتُ بعدي فتنة أضر من النساء على الرجال».

وهنّ حبائل الشيطان يصيد بهنّ ذوي الألباب بكل خيال، فالله الله الحذر الحذر من الغرور، والحور بعد الكور، بالإفراط في محبةٍ أو لذة يميل بها عن معدل العزة بالعقل والفضل، والعدول إلى الغرور والجهل، فليس العيش المطلوب ذلك، وإنما العيش المحبوب أن يكون في روح، أي نسيم راحةٍ من كل عناء، وعزة نفس عن كل ما دنا، في كل اجتماع وافتراق مع أهل الفقر والغنى، وثقة بالله وغنى به واستقامة له، فذاك العيش الهني وحُقّ لصاحبه الهنا، وبه يبلغ الفوز وينال المنى.

***

رحبُّــكَ للأوطــانِ عَجْــزٌ وذلَّــةٌ وَمــا العـزُّ إلا فـي عَنَــا كلّ نُقْلَـةِ
ولـو كانَ في الأوطَانِ عـزٌّ لما مضـى نبـيُّ الهُـدى منهـا إلـى دَار هِجـرةِ
فخُذْ تـارةً نجـداً وفـي الغَـوْر تـارةً إلـى كلّ مجـدٍ وارتَحِـلْ كُلَّ رِحْلـةِ
وسِرْ كلَّ سَيْرٍ في اكتِسَابِ العلى إلى بُلُـوغِ الأمَـانـي أو بـلـوغِ المنيَّـةِ

حب الأوطان إنما ينشأ غالباً من الكسل، وعدم الالتفات إلى تحصيل المطالب العلية، والعزة بطلب العلوم والفضائل الجلية، فمن بقي في وطنه بقي في عجز وذلة، ومن ركب العناء في كل نقلة نال المنى والغنى بكل صلة ووصلة.

وما ورد: «**حب الوطن من الإيمان**»، فالمقصود منه حب العود إليه، والتحنن على أهله، ومن ينسب إليه، فلو كانت الإقامة في الوطن مطلوبة لما شرعت الهجرة واختارها لنبيه وحبيبه المحبوب.

فالحذر الحذر تكسل وتكون كما قيل:

خـلِّ المكــارمَ لا ترحَـلْ لبغيتهـا واقعدْ فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسـي

فيكون همّك المطعم والملبس والمنكح، فإنّ هذا شأن البهائم الحيوانية، التي لا كمال لها إلا في الصفات الشهوانية، وأما أهل الألباب والعقول، فمطلبهم المجد والشرف، والقرب من الله والسفر إليه في كل طرف، فخذ تارة إلى نجد، في كل مجد، وإلى الغور في كل نور، وارتحل كل رحلة.

فمن جعل الله له عينين، ولساناً وشفتين، وهداه النجدين، فلا عذر له في اقتحام العقبة، في كل الأمور، ويطلب إلى الله ويرغب إليه، وكلما فرغ من أمر ينصب إلى أن يبلغ الأماني، في جميع الكمالات والمعاني، أو تبلغه المنية، وقد أعذر في الاجتهاد بالجهاد، والإمكاني الزماني والمكاني.

* * *

وَشِـمْ كُلَّ بَـرْقٍ وانتَجِـعْ كلَّ نُجْعـةٍ   وسِـمْ كلَّ مَرْعـى واتَّبـعْ كلَّ خِصْبَـةِ
لعلَّـك أنْ تَحْظَـى بـأبلَـغِ بُلْغَـةِ   وألا تعُـدْ باليَـأسِ مِـنْ كلِّ عَـوْدةِ
فمـن جَدَّ في قَصْـدٍ يَجِـدْ كلَّ مقْصدٍ   ومَـنْ لـجَّ فـي أمـرٍ يلـجْ كُلَّ لُجَّـةِ

أي: لا تحقرنّ من المعروف شيئاً وإنْ قلّ، ولو أنْ تلقى أخاك بوجه طلق، فانصب في طلبه، وإلى ربك فارغب في حصوله، فاطلبه في كل زمان ومكان، بغية الإمكان، فشم كل برق توسّمت منه المطر، وانتجع كل نجعة يحصل لك بها وطر، وسم نفسك في كل مرعى يحصل به المقصود، واتبع كل أرض خصبة تنال بها المطلوب المحمود. قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩]، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، الآيات.

فلعلك إذا واصلت الترحال، وصلت إلى الآمال، وإلا عرفت الحال، وأيست من كل عودة إلى محال، فمن جد من أهل الجد في قصدٍ من المعالي، فإنه يجد كل مقصد له قريباً سهلاً، ومن لجّ في الدخول في أمر فإنه يلج كل لجّة في كل بحر فينال محبوبه سريعاً فضلاً.

***

فجُـدْ يـا فتَـى بالمالِ فـي خَيْـر مأملٍ   وبالنَّفْـسِ فـي كلِّ المَعالـي النَّفِيسَـةِ
وجُـذَّ بسَـيْفِ العَـزْمِ كلَّ مُعـوِّقٍ   عـن القَصْـدِ مِنْ تَسْـويْفِ عَـزْمٍ وفَتْرَة
وقيِّـد دَواعيْ الجَـزْم بالحـزْم واتّخذْ   دَوامَ لُـزُوم العَـزْمِ خَيْـرَ مطِيَّـةِ

أي: ابذلْ في طلب المعالي، والمقام العالي، كل نفيس وغالٍ، وابذل المال وانفقه في كل مأمل، فإن المال يميل والحال يحول، وما عند الله خير وأبقى لا يفوت ولا يزول، وابذل أعز الأشياء عليك وهي نفسك النفيسة في كل المعالي العلية، واقطع

بسيف العزم على تحصيلها كل معوّق عنها، وعن القصد إليها من تسويف عزم وفترة جزم، فإذا عزمتَ فتوكل على الله.

وقيّد دواعي الجزم والعزم بالحزم في كل الأمور، فربما يغرك بالله الغرور، وتحسب السراب ماء في كثير من الأحوال في البطون والظهور، وإذا قصدتَ لأمرٍ وشرعتَ فاتخذ دوام لزوم العزم مطية في تحصيله، ولا ترجع قبل تمامه ولا تقنع بدون حصوله.

***

وَبَادِرْ حياةً قَبْلَ سَبْقِ منيَّةٍ وأمْناً وسلْماً قبلَ خَوْفٍ وفِتْنَةٍ
وَوَقْتَ فَرَاغٍ قبْلَ شُغْلٍ وَصِحَّةً وشِبَّةَ جِسْمٍ قَبْلَ ضَعْفٍ وشَيْبَةِ

أي: بادر سِتّاً حاصلة معك، قبل ست واصلة إليك، وهي الحياة قبل هجوم الموت، والأمن والسلم قبل الخوف والفتنة، فلا يأمن الدهر ذو حزم، ولو مَلِكاً جنودُه ضاق عنها السهل والجبل، ووقت الفراغ قبل شغل الحال والبال، بطارق الأشغال، الصادة عن صالح الأعمال، وصحة الجسم وشبّته قبل الضعف والشيبة اللذين يحصلان عليه؛ إذ لا بد من وصول ذلك إليه.

***

إلامَ انْتِظَارُ الأمْرِ والعُمْرُ ينقضي وينقَصُ شَطْراً كلَّ يومٍ ولَيْلةِ
وَهبْهُ انقَضَى لَمْ تبقَ إلا حُشَاشَةٌ فَبَاقِيْهِ يَفْنى عنْ لَيَالٍ قليلةِ
مَتَى تَنْقَضِي الأعْذارُ والوقتُ صَالحٌ وأنتَ صَحِيحُ الجسمِ عَدْلُ الطَّبيعةِ
فَمَنْ لَكَ أن تُمْسي بِسلمِ سَلَامةٍ ومن لك أن تَغْدُو غداً غيرَ ميِّتِ

أي: إلى أي وقت موافق، وأي حال مطابق، تنتظر القيام بأمرك، والأخذ في شكرك، والعمر منك ينقش شطراً أي جزءاً، وإنما سمّاه شطراً؛ إذ لعله لم يبقَ منه إلّا

يوم وليلة، فاليوم والليلة نصفه وتنقضي، وما هو موهوم كالمعدوم، وما سيقع فكأنه قد وقع، فهب عمراً انقضى ولم يبقَ منه إلا صبابة مما مضى، فباقيه يفنى عن ليالٍ قليلة؛ إذ لا وثوق لك بالبقاء والخلو عن العناء والشقاء.

فمتى تنقضي أعذارك، ويصفو وقتك وتذهب أكدارك، مع صلاحية الوقت المضيعة، مع صحة الجسم، واعتدال الطبيعة، فتذكَّر بما ذكرتُك وتفكّر فيما عرفتك، فإنك قطعت العمر بالتسويف والتواني، وضيّعت الأمر بالخيالات والتماني، فمن لك ضامن أنْ تمسي من ليلتك هذه في سلم سلامة من الآفات، ومن لك متكفّل أنْ تغدو غداً وأنت غير ميت، فلعلها تحضرك الوفاة.

***

أتنْسَى ولم يَنْساكَ دَاعي الرَّدَى وَهَلْ ... تَنامُ ولا نَامتْ عُيونُ المنيَّةِ

فَلا تأمَنَ الأيامَ في أمْنِها وَلا ... تُسَالِمها في سِلْمِها عَنْ مَكِيدةِ

ولا تنْسَ مكْرَ الدَّهرِ في غَيْرِ مَرّةٍ ... فكمْ قد سَقى كلَّ امرِئٍ كُلَّ مُرّةِ

وكُنْ عَارفاً مَكْرَ الزَّمانِ وخائفاً ... على كلِّ حالٍ مِنْ وُقُوعِ بنكْبةِ

أي: كيف تنسى نفسك بالإهمال، وتطويل الآمال، عن المبادرة بالأعمال الصالحة الباقية للمآل، فإنْ نسيتَ نفسك فاعلم أنّ داعي الردى والهلاك، ووراءك لم ينسأك، (بالهمز) أي لم يؤخرك عن وقتك المعلوم وأجلك المحتوم، وكيف يطيب لك النوم، ولا نامت عنك عيون المنية، أي الموت، ولعلّك تموت في هذا اليوم، فإن الأيام موارد القضاء والقدر التي تأتي بغتة ولا تبقي ولا تذر، فخذ الحذر.

ولا تأمن إذا أمّنتك الأيام في أمنها، ولا تسالمها إذا سالمك سِلْمها، فلعلّ هناك مكيدة واستدراجاً، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، فقد يكون السم في الدسم عند الرواج، (بالجيم).

فقد علمتَ ما فعل الله في الدهر في غير مرة بالغافلين، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فكم سقى الردى كل امرئٍ من الناس كل مُرة (بضم الميم) من البؤس والبأس، وهو في غفلته ساهي في الأماني والملاهي، فندِمَ حيث لا ينفعه الندم، وتمنّى أنْ يعاد بعد العدم، فكن عارفاً ما يجري في الزمان من المكر والحدثان، واغتنم كل حسنى في طريق الإحسان، وخف من وقوعٍ في ورطة وبغتة، وحصول نكبة[1] على كل حال، في جميع الأحيان، فأنت تحت القدر الذي لا ينفع منه مفر، فاجتهد في صلاح شأنك، واغتنم ساعات عمرك وزمانك، وتدارك ما فات بإحسانك.

***

وعَنْ كلِّ سُقْمٍ لا تـغُـرُّكَ قُـوَّةٌ ... وصِحَّـةُ جِسْمٍ وارتَقِبْ كُلَّ عِلَّـةِ
وسِرْ زَمناً وانهضْ كَسيراً وجِدَّ كُلَّ ... جِـدٍّ ولازمْ واغْتَنِـمْ كـلَّ فُـرْصَـةِ
وصابِرْ وعُـدْ، فالعَوْدُ أحمـدُ واجتهدْ ... وجَاهِـدْ وَواظِـبْ واحْتَمِـلْ كلَّ كُلْفةِ
ولا تُذْهِـبِ الأوقـاتَ فـي غيـرِ طائلٍ ... فمـا فَـاتَ مِنْهـا لا يَجُـودُ بِرَجْعَـةِ

أي: لا تغتر بالصحة والفراغ، فكم غَبُنَ فيهما كثير من الناس، فأنت خُلقت غرضاً للآفات، وعرضاً للأمراض فارتقب في صحتك كل علّة، وفي فراغك كل شغلة، ولا تؤخّر العمل، في تطويل الأمل، بل سر إلى مطلوبك زمناً، وانهض بطلبه كسيراً، فلعل تلك الزّمانة لا تزول والكسر لا يحول، ويفوتك ما تستطيعه من الحصول، فجد في مطلوبك كل جد.

وإذا عزمتَ فلازم ولا تنثني في عزمك واجعله فرضك اللازم، واغتنم كل فرصة من زمانك، قبل كل عائق، فيما هو من شأنك، واصبر وصابر في جميع الأمور، ورابط في جميع المظان والثغور.

---

(١) في نسخة: وحصول في نكبة.

وإذا لم تحصُل المطلوب أول مرة فعُدْ فلعل العود كما قيل أحمد لحالك، وأوفق لمنالك، واجتهد ببذل الجهد في كل محبوب، وجاهد على ذلك كل عدو يصدك عن طريق الحق المرغوب، وواظب على العمل، واحتمل كل كلفة تُحتَمَلْ، فبذلك يحصل لك كل مطلوب، ولا تُذهب أوقاتك سُدىً، ولا تُضيّع ساعاتك في غير هُدى، فما فات منها لا يعود بردة، ولا يجود برجعة، فما أبعد أمْس العابر، وأقرب يوم القيامة الغابر.

***

فَيَا ضَيْعةَ الأعمارِ تمْضي سَبَهْلَلاً ... وذَرّتُها تَعلُو[1] على ألْفِ دُرّةِ

فَمَنْ أشْغلَ الأيامَ بالخيْر أثْمَرتْ ... بخيرٍ وإلا أشغَلَتْهُ بحَسْرَةِ

ومن كَانَ في أُوْلاهُ للشَرِّ زارِعاً ... سَيَحْصُدُ في عُقْباه شَرَّ عُقُوبَةِ

فَعَاقِبةُ الأعْمَالِ تعْقُبُها وَرُبّـ ... ـما شَرُّها يأتِيْ على حِيْنِ غفْلَةِ

أي: يا لهفي وتحسّري على ضيعة الأعمار النفيسة، تفوت في الأمور الخسيسة، سبهللاً، أي باطلة، عن الخير عاطلة، وكل ذرة عند من عَرَفَ وأنصف أغلى من ألف دُرّةٍ، وإنما يظهر ذلك إذا حضر الموت، وتحقّق الفوت فيودّ أنْ يؤخّر لحظة، بملء الأرض ذهباً وفضة، فاغتنم ساعات عمرك، واشغلها بالخير تبق في الخير أبداً، وتعش سرمداً، وإلا فإنك ستندم، وتشغلك الحسرة إذا رأيتَ فضل من قَدَمْ؛ فإنّ الأعمال أثمار الأعمار، فمَنْ زرع في عمره الشر، وتولّى في أولاه الأشر والبطر، فسوف يحصد من عمله في عقباه شر عقوبة بما قدمه وأولاه؛ فإن عواقب الأعمال تعقبها بلا إمهال، وربما تأتي على غفلة، ويتورط في الشر فلا يكون له خلاص ولا مهلة.

***

---

(١) في (أ): عزّت.

وما القَصْدُ إلا في العَواقب فاعتقبْ أمُورك واسْدُدْ كلَّ ثُقْبٍ وخَوْخَةِ
فغايةُ فِعْلِ المَرْء أقرَبُ واصلٍ إليه فلا تَغْتَرَّ مِنْ طُول مُهْلَةِ
خُذِ الحِذْرَ من سَهْلِ الدّخولِ فَرُبّما تَرَى في خرُوجٍ منْهُ كلَّ صُعُوبَةِ
ولا تُبْدِ في أمْرٍ ولم يَبْدُ كُنْهُهُ ولا تَقْبَلِ الأخْبَارَ مِنْ غَيْرِ خبْرةِ

أي: إنما المقصود حسن العاقبة في دار القرار، وأما الدنيا فإنها ذكر الفناء والمرور، فهي طريق ليست بدار، فإذا كان الأمر كذلك فدبّر لنفسك أحسن عاقبة بالتقوى، فإن العاقبة للمتقين، واعتقب على ما مضى من عمرك، وانقضى من أمرك، وتأمّل ما فيه من تقصير، واسدد كل خوخة وثقب يدخل عليك منه ضرر وتغيير، فاستغفر من الذنوب، وتنزّه عن العيوب، ورد التبعات، وبادر قبل الموت والفوت لإصلاح ما فات، قبل أن تصل إليك عاقبة الأعمال ومعاقبة الحال؛ فإن غاية العمل أقرب واصل إلى العامل.

فلا تغتر بطول المهلة، فإنها تأتي على حين غفلة، ولا تظن العواقب سهلة، وإيّاك أنْ تدخل في أمور سهلٌ عليك فيها الدخول، فربما ترى المخرج منها عسيراً، والخلاص منها صعباً كبيراً، فتأمّل في الأمور قبل الدخول، ولا تبدأ في أمر قبل أن يبدو وتظهر لك حقيقته، ولا تأخذ بالأخبار من الناس من غير اختبار، فاختبرْ جميع الخصال قبل دخولك فيها بكل حال، تبني على أساس أصح الأعمال.

* * *

وكُنْ جَازماً في كلِّ قَصْدٍ وحَازماً على كلِّ عَقْدٍ من سُقُوطٍ بِعثْرةِ
وجَرِّبْ أمُوْرَ الدَّهْرِ عند مُرُوْرِها وذُقْ من جَناها كُلَّ حُلْوٍ ومُرَّةِ
وَسَلْ فَعَلَاتِ الدَّهْرِ عن كلِّ حيْلَةٍ وسَلْ غَفَلَاتِ المَرْءِ عَنْ كلِّ زَلَّةِ

فَمـنْ لـم تحدِّثه الحـوادِثُ مـا جَرَى　　فَذلِـك مخـدُوعٌ بِـكُلِّ خَدِيعـةِ
إذا أنـتَ لا تـدري الخفـيَّ بمـا بَـدَى　　أتطْمَـعُ فـي اسْتخراجِ كلِّ خَبيَّـةِ
فَجَاهِـلُ تَرْتيـبِ الأدلَّـةِ غـافـلٌ　　على كلِّ حَالٍ عـن لـزُومِ النَّتيجَـةِ

أي: كن جازماً في كل قصد في طلب الأمور، ولا تكثر الخواطر والتردد فتورثك الحيرة والفتور، والتقصير والقصور، وجرّب أمور الزمان، في كل تحوّل ومرور، واعرفها في جميع الخيرات والشرور، وذق من جناها كل حلو ومُر، في كل بطون وظهور، ولا تك غافلاً في غرور.

فإنّ العقل عقلان، فمطبوع ومسموع، والإنسان يترقّى في المعرفة طوراً بعد طور، فسلْ فعلات الدهر في كل يوم وليلة، تعرّفك كل حال، وتخبرك عن كل حيلة، وسل غفلات المرء الغافل عمّا لحقه بسبب غفلته من كل ضرر، وأدركه من كل زلة وخطر، فمن لم يعتبر بالحوادث، ويتدبّر بالبواعث، ويعرف غور ما جرى به الزمان، في كل ابتلاء وامتحان، فذلك مخدوع بكل خديعة في كل شأن.

فكيف يطمع في استخراج الخبايا بعقله واستنتاج النتائج بفعله مَنْ لم يتأمل خفي الأمور بمباديها، ويتطلّع من ظاهرها إلى خافيها، فالجاهل بترتب الأدلة في الأفكار، غافل عن لزوم النتيجة في كل مدار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتأمّلوا بالادّكار، فيما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، تعرفوا الخبايا والأسرار، وتطلّعوا على حقائق الأمور برقائق الأنوار.

***

ألا لا يُهنَّـا العيـشَ إلا فتـىً غَـدَا　　بـكل اهتمـامٍ واجتهـادٍ وعَزْمـة
وكلُّ غنـيِّ النَّفْـس شَهْـمِ الفـؤاد يقْـ　　ـتفي كُلَّ خيـرٍ مُستقيم الطَّريقَـةِ
ذَكـيِّ الحِجَـا والشـوقُ يَبْعـثُ همَّـهُ　　إلـى كلِّ خيـرٍ سـائقاً كُلَّ هِمَّـةِ

أي: لا يهنأ بالعيش والبقاء، إلا أهل الفضل والتُّقى، وهم كل ذي همّة، مطلبها العلو والقرب من الله على الإطلاق، والاتصاف بمحاسن الأخلاق، فيغدو كل يوم بكل اهتمام في خصال الإسلام، وبكل اجتهاد في سبيل الرشاد، بسنة أهل الدين، واتباع سيد المرسلين، وكان شهم الفؤاد، يتوقد من ذكاء الحجى، وهو العقل، يقتني كل خير، مستقيم الطريقة المؤسسة بالشريعة، المتوّرة بالحقيقة، غني النفس بالله عن غير الله، والشوق يبعث همّه إلى كل خير، ويسوق همّته إلى كل مطلوب محبوب بكل سير.

***

مُعَنَّى بما يَعْنِيه في كلِّ شأنِهِ ... وعنْ غَيْرِ ما يَعْنِيه صَافِي الطَّويةِ
قرينَ الوَفَا وَافٍ بكلِّ فُتوَّةٍ ... حَليفُ الصَّفَا صَافي الصِّفاتِ الصفيّةِ
بعيداً عن الدَّعوى بَرِيّاً منَ الهَوى ... أمِينًا على النَّجْوى قَويمَ السجيَّةِ

أي: هذا الذي يُهْنَى بالعيش هو المعني بما يعنيه في كل شأنه، المقبل بكل إقبال على اغتنام ساعات وزمانه، المعرض عما لا يعنيه، فهو صافي الطوية عن الفضول وأعوانه، قرين الوفا بما عليه وما ندب إليه، وافي أي ميزانه وافي بكل فتوّة، على منهج النبوّة، حليف الصفا من كل غش وضرورة، صافي الصفات الصفية التي اصطفاها الله لخيار عباده من كل شوب وكدورة، عارفاً بنفسه وفقره، معترفاً لله بنعمه وشكره، بعيداً من الدعوى في جميع أمره، بريأ من تباع الهوى في حلوه ومرّه، أميناً على النجوى والأسرار، قويم السجية في طريق الأخيار، مباعداً لأهل الشر والأشرار، وأهل الأهواء والأوزار.

***

طويَّتُهُ من كُلِّ شَرٍّ نَقيَّةٌ ... تَنَزَّهَ عن فحْشٍ وسَبٍّ وغِيْبَةِ
أَجَلُّ مِنَ الأَخْبَارِ خُبْراً وقَوْلُه ... يُصَدِّقُه فِعْلٌ عَظيمُ المُروَّةِ
شكُورٌ على الآلا صبورٌ على البَلا ... وَقُورٌ تجلَّى بيْنَ قَبْضٍ وبَسْطَةِ

أي: هذا الذي يهنأ بطول البقاء والعيش، (طويّته) أي داخليته نقية من دواعي الشر، صافية من جميع الغش، تنزه عن كل فحش في ظاهره، وعن السب والغيبة والنميمة في جميع موارده ومصادره، إذا خبرْته وجدته أجل مما تسمع عنه من الأخبار، وتراه في كل حال وقور، لا تزلزله الحوادث في جميع الأطوار والأمور، يصدق قوله فعله، وينال كل أحد فضله، عظيم المروءة في جميع خصاله، شكور عن النعم والآلاء بجميع أفعاله، صبور على البلاء إذا حلّ به في جميع أحواله، تحلّى بكل خُلُقٍ كريم، وتجلّى بين القبض والبسط والخوف والرجاء في أحسن تقويم.

***

فَحَالَاتُه قرَّت بأنْسَبِ هيْئَةٍ ... وأوقاتُه مرَّتْ بأطْيَبِ عِيْشَةِ
سَرِيرتُه زانَتْ بألْيَنِ شِيْمَةٍ ... وأسرارُهُ بانتْ بأحْسَنِ سِيْرةِ
يَبيْتُ قَرِيْرَ العَيْنِ يحسِبُ أَنَّهُ ... حَوَى كُلَّ حُسْنى عِنْدَه كُلُّ نِعْمَةِ
وَنارُ الجوَى تهتَاجُ في لُبِّ جَوْفِهِ ... لِخَوْفٍ مِنَ التَّقْصِيْرِ في كُلِّ خِدْمَةِ

أي: هذا الذي يهنأ بالعيش وطول البقاء تبِينُ سريرته بأطيب شيمة وألين عريكة، إذا أخذتَ ببعضه تبعك كله، وإذا قاربته غَمَرَكَ فضله، فأنواره ترشدك بالعلوم المنيرة، وأسراره تبِينُ لك بأحسن سيرة، وحالاته قد قرّت بأنسب هيئة مطابقة لباطنه، وأوقاته مرت بأطيب عيشة في جميع ساعاته وأماكنه.

يبيتُ قرير العين باعترافه بنعمة الله عليه، يرى أن عنده كل نعمة، وأنه حوى كل حُسنى، لتذكّره نعم الله عليه، وتفكره في آلاء الله التي لا تحصى في كل مخصوص به، وكل منسوب إليه، فإذا عرف ذلك اعترف بقصوره عن الخدمة، وبتقصيره في تعظيم الحرمة، فاهتاجت نار الجَوَى في لبِّ جوفه، واشتعلت حرارة الأسى في رؤيته حقارة نفسه وخوفه.

***

يَرَىٰ نَفْسَه بالذَّمِّ أولَى لأنَّها لِتَقْصِيرِها لم تَرْتَفِعْ كُلَّ رِفعَة
ويَغْدو قَريباً مِنْ أولي العِلْمِ والهُدى بَعيداً عَنِ الجُهَّالِ في كُلِّ نِسْبَةِ
يعدُّ الذي عاداه مَوْلى لأنَّه يَرى أنّ ما يَأْتيه مِنْ حُكْمِ قُدْرَةِ
فهذا الذي يَرضى لَه العيْشَ والذي استَحقَّ العُلا لا عَبْدَ نَفْسٍ وَشَهْوَةِ

أي: يرى نفسه ـ ذلك الذي يهنأ بالعيش وطول البقاء ـ أولى بكل ذم؛ لأنه الله سبحانه فتح لها الأبواب إلى قربه العالي، في جميع الصفات والمعالي، وسبب لها الأسباب وجعل لها خلفة جميع الأيام والليالي، فلم تعطِ الأمر مقتضى حقه، ولم تصرف العمر في رضا مستحقه، ولم ترتفع كل رفعة فيما وهب، ولم تتوصل بكل نعمة إلى قربه فيما أوجب وندب، ويغدو هذا الذي يُرتَضَى له البقاء وطول العمر قريباً من أهل المعروف والعلم والهدى، بعيداً من الجهال وأهل المنكر والردى، في كل نسبة في الطريق، وحق مطلب التحقيق، يعد كل من عاداه مولى له فيواليه، ويرى أن ما أتاه من عداوته وابتلاه إنما جرى بقدرة الله وبحكمه وحكمته، ابتلاه به لتقصيره، واختبره به في أموره؛ ليعرف أنه المبتلي لا غيره، ولا يشرك بعبادة ربه في ملكه أحداً، ولا ينظر إلى غيره أبداً، فهو الذي يُرْضى له العيش، والذي استحق العلا، لا عبد نفس وشهوة.

***

ولَكِنَّهُ دَهْرٌ يَحُطُّ أُولي العُلا وَيَرْفَعُ أَهْلَ النَّقْصِ في كُلِّ رُتْبَةِ
وَقَدْ فاضَ فيه الشَّرُّ والخَيْرُ غَاضَ والأ عِزَّة ذَلُّوا عِنْدَ عِزِّ الأذِلَّةِ

هذا الموصوف بمحاسن الأخلاق، المُقبل بكل شأنه على الإطلاق، في رضا ربه الخلاق، المنعم الرزاق، هو الذي يستحق العلا في كل شأنه، لعزته بالله الذي أنعم عليه بأحسن محاسن خصال الإسلام والإيمان.

وليس الشرف والعُلا لعبد الهوى والنفس والشهوة والشيطان، فإنهم من أعداء الله، ومَنْ عبدهم فهو عند الله من أهل الحرمان، في غاية النقصان والخسران، ومآله على الذلة والهوان، والهلاك والنيران، ولكن الله سبحانه له الحكم، وقد جعل مظهر هذا الزمان انحطاط أولي العُلا والكمال والرضوان، بين أهل الدنيا وعبيد النفوس وأعوان الشيطان، وارتفاع أهل النقص والعيب في كل رتبة وميزان، في وزن أهل الجهل والعصيان، وذلك لغيرة الله على عباده وخاصته وأهل رشاده، أن يواليهم أهل النقصان، أو يميلوا إليهم في شأن، بل حماهم من الدنيا وأهلها، وبغَّضها إليهم وأذلَّها، ولنقصها جعلها للكفار والفجار، فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآيات [الزخرف: ٣٣]، وقد فاض في هذا الزمان الشر، لظهور أهله، والخير غاض، أي نقص لقلّة فعله، والأعزّة من أهل الخير ذلوا عند عزّ الأذلة من أهل الشر بالشوكة والسلطان، ورأينا العُراة العالة يتطاولون في البينان، ويتقلبون في البلاد بلا عنان.

***

وَما ذاكَ في الدُّنْيا عَجيبٌ فإنَّها ... بِطينَتِها مَعجُونَةٌ كُلَّ كُرْهَةِ
وَلَمْ يَبْقَ إلا الاقْتِصادُ بِكُلِّ ما ... بِه القصْدُ والتَّسْليمُ في كُلِّ مِحْنَةِ

ليس تبدل الأمور، وتحول الأحوال بالكراهات والمكروهات، في كل منال بعجيب في أمر الدنيا، فإنها دار الزوال، وطينتها معجونة بكل مكروه وكل خبال، فلا تغرّك زينتها التي هي خيال، لا حقيقة لها بحال، ولم يبقَ بها لذي القلب السليم إلا الرضا والتسليم، فيما أقامه الله فيه من شكر أو صبر أو بلاء أو نعيم، فيسلِّم لحكم الحكيم العليم، ويقتصد بالزهد في الدنيا في كل ما يحتاج إليه في كل ضرورة، وتسليم في كل محنة، ويقول: هذا قسمي من ربي الذي هو أعلم بما هو

الأصلح لي، ذلك تقدير العزيز العليم، وتدبير الخبير الحكيم.

* * *

إذِ النَّصْرُ عِنْدَ الصَّبْرِ فاصْبِرْ لِكُلِّ ما تَنوبُ بِهِ الأيَّامُ مِنْ كُلِّ كُرْبَةِ
وَعِنْدَ اشْتِدادِ الكَرْبِ يَدْنو انفِراجُه إذِ اللُّطْفُ مَعْقودٌ على كُلِّ شِدَّةِ
ويُسْرانِ عِنْدَ العُسْرِ قَدْ وُكِّلا بِهِ وَلَنْ يَغْلِبَ اليُسْرَين عُسْرٌ بِقوةِ

أي: إذا أقامك الله فيما اختاره لك من البلاء، وتوالى عليك الضرر والقِلا، فاعلم أنّ الله قد ابتلى من هو خير منك، فأشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ولعلّ الله قد ابتلاك ليقرّبك إليه في كل علا، فاذكر نعمة الله تعالى بالهدى والتقوى، فهي أفضل كل حال وأعلى، ولتشرح صدرك بما في ألم نشرح، من كل تسلية وتسليم لأفضل الخلق في كل اعتلاء.

واعلم أنّ الله قد جعل النصر مع الصبر، والمزيد مع الشكر، فاشكر نِعَم الله عليك يزدك من كل إنعام، واصبر في كل ما تنوب به الليالي والأيام من كل كربة ومضام، وانتظر الفرج من الله فانتظاره عبادة، وعند اشتداد الكرب يدنو انفراجه، سنّةٌ مِنَ الله وعادة، عوّدها عبادة، فإنّ اللطف معقود على كل شدة بحكم القدرة الإلهية والإرادة، وقد جعل الله مع كل عسر واحد يسرين، قد وُكِّلا به في كل شأن، في كل حالة وكان، ولن يغلب العسر الواحد يسرين، تواليا عليه بقوّة، بل الغالب غلبة الأكثر الأقل، في كل جليّة مجلوَّة ومكان.

* * *

وما اليُسْرُ بَعْدَ العُسْرِ إلا معاقِبٌ إذا غابَ هذا نابَ هذا بِبُرْهَةِ
فَلا بُدَّ بَعْدَ اللُّطْفِ مِنْ طَيْفِ شِدّةِ ولا بُدَّ بَعْدَ البُؤْسِ مِنْ عَطْفِ نِعْمَةِ

أي: أنّ الله تعالى بحكمه وحكمته في هذا العالم الدنيوي، جعله معجوناً بالخير والشر، والعسر واليسر، والشدّة والرخاء، وغير ذلك من الأضداد، فلا يزال العبد بين هذه الأحوال، إذا غاب هذا بُرهة ناب عنه ضده برهة أخرى من الزمان، فإذا كنتَ مِنَ الله في لطف وإحسان، فلا تأمن أنْ تطرقك شدّة وامتحان، وإذا كنتَ في بؤس وضرورة، فلا يبعد أن يعطف عليك النعيم، وكل ما تحبه في كل صورة.

***

فَـلا تَـكُ ذا حُـزْنٍ علـى فائـتٍ وَلا ... تَظَـلَّ بمـا أُوتيـتَ فـي ظِـلِّ فَرْحَـةِ
وَهَـبْ كُلَّ حَـالٍ لا مَحالـةَ حَائِـلٌ ... كَـذا كُلُّ مـالٍ مائـلٌ بَعْـد لَمحَـةِ
وَرِزقُـكَ مَضْمـونٌ علـى كُلِّ حَالَـةٍ ... وَحَظُّـكَ مَقْسُـوم بِأَعْـدَلِ قِسْـمَةِ

إذا عرفتَ حال الدنيا وتقلبها بأهلها، وأنّ ذلك حكم الله، وأنك إلى الله وعلى الله، فلا تفرح بما أوتيت، فلعله يزول، ولا تحزن على ما فات فإنه بحكم الله الذي إليه كل أمر يؤول، ولعلك تنال من الله خيراً منه في كل مأمول، وهب كل حال أنت فيه حائل، وكل مال بيدك مائل، بعد مدة، بل بعد لمحة، وقد قيل ما سُمّي المال مالاً إلا أنه يميل، ولا الحال حالاً إلا أنه يتحول.

فكم قد رأيتُ وسمعتُ ما ملأ الأبصار والأسماع من تحولات الأحوال، وذهاب الأموال، وانخفاض أهل الارتفاع، وافتراق أهل الاجتماع، فارجع إلى الله، وارض بالله، فأنت خلْقهُ وعبده، وإليه يرجع الأمر كلّه، وقد تضمن لك برزقك، وأعطاك قسمك المقسوم بقسمته، التي هي أعدل قسمة، فليس ربك بمتهوم، ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، وهو الحي القيوم، مدبّر الخلائق أجمعين، كل حين وكل يوم.

***

وَلا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ فَعُمْرُكَ يَنْقَضِي ... ومن تَرْكُ أمْوالٍ سوى سَتْرِ عَوْرَةِ
فإن كُنْتَ تَخْشى الفَقْرَ فالفَقْرُ واقِعٌ ... وكَيْف تَخافُ القَتْلَ دونَ المَنِيَّةِ
أَتَجْمَعُ أمْوالاً لِغَيْرِك نَفعها ... وَتَحْمِلُ مِنْها كُلّ بَلْوَى وَعُهْدَةِ

أي: أن الذي يطلب البقاء، ويحرص عليه، ومطلبه الغنى ولا بقاء في هذه الدار، ولا غنى عن الاضطرار في الافتقار، فلا بد من الموت فعمرك ينقضي، ومِنْ تَرْكِ أموالك لغيرك، فلا تُزَوّدْ منها إلا خرقة الكفن للاستتار، فإن كنتَ تخشى الفقر، فالفقرُ واقعٌ بك، ونازل عليك.

وكيف تخاف القتل إذا أوعدك عدوك به، وهو مشكوك في حصوله، ولا تخاف الموت الذي لا بد من وصوله، وليس له أمد معلوم، ولا تقدر على تأخيره ولو نصف يوم، ولو سلّط الله عليك كل ما يؤذيك من آدمي وحيوان، وجان وشيطان، ففعلوا فيك كل ما قدروا عليه، لم يبلغوا إلا ما يبلغه الموت، من ذهاب الحال وفراق المال، فكيف تجزع منهم، ولا تجزع منه، وهو مُنتهى فعلهم، مع أنه يمكن الهرب منهم، والاعتصام بمن يكفيهم، ولا مهرب منه، ولا كفاية، فتدبّر في نفسك، فكل ما هو آت فكأنه قد أتى.

ولا تُذهِبْ أوقاتك سُدى في جمْعِ المال الذي تخلّفه، فيكون لغيرك نفعه، وعليك حسابه ووباله، وعهدة حرامه وحلاله، وخسارته ونكاله، ولعلك تقول: أرزق به ولدي، فتدّعي أنك الرزّاق، فيبتلى ولدك منك بإتلافه في المعاصي وأخس الأخلاق، فتكون معيناً له على الهلاك، بما خلفت له من الأملاك، ويرجع في فقر وعنا، ولا ينفعه ما خلّفت له من المال والغِنى.

***

وَيُؤْذيكَ في الدُّنيا عَناها وَجَمْعها ... وَيُلْقيك في كُلِّ امتِحانٍ وَوَرْطَةِ
أَتَنْفَعُ يا مَغْرور غَيْرَك بِالَّذي ... يَضُرُّكَ في الدُّنيا وَيَوْمَ القِيامَةِ
وَما لك مِنْ مَالٍ سِوى ما أَكَلْتَ أَوْ ... لَبِسْتَ وَما قَدَّمْتَهُ في مَثُوبَةِ

أي: إلى متى في خدمة الأموال بكل عنا، وتشتت الأحوال في طلب الغِنى، فيؤذيك في كل حين جمعها، وتشقى بها، ولا يحصل لك نفعها، ويلقيك طلبها في كل امتحان، وتقع كل يوم في ورطة وافتتان، فتنفع عدوك الوارث، أو الناهب أو الظالم أو الآخذ بكل باعث بالذي يضرك، ويكدر صفو عيشك، ويشغلك عما عليك من حق ربك في الدنيا، ويكون سبب بعدك وطردك عن حضرة الملك الكريم، الرحمن الرحيم، يوم القيامة، وأنت تقول: مالي مالي، وما لَكَ من مالٍ سوى ما أكلته، أو لبسته، أو قدّمته في مثوبة يعود عليك، فتجده محضراً يوم القيامة، فيرجع إليك.

* * *

وَإِنَّك إِنْ تَقْنَعْ تُعَزَّ فَإِنَّ في الـ ... ـقَناعَةِ كَنْزاً لا يَقِلُّ بِنَفقةِ

أي: إن في طلب الأموال كل ذلة، وفي حملها كل هون وعلّة، فترى صاحب المال أبداً في خوف واحتراس أكثر من كل الناس، وصاحب القناعة باليسير، والزهد الكثير، في عز وسيادة، وغنى نفس وزيادة، فكنزه لا يقل بنفقة؛ لأنه واثق بالله وبما عنده، وكنوز أهل الأموال الكثيرة تفنى، وهم في كل فقر بذلك الغنى؛ إذ هم المحتاجون إلى جميع الناس، في خدمة المال وجمعه وكل احتراس.

* * *

وَما لك والدُّنْيا الدَّنِيَّة إنَّها ... مَجالُ البَلايا دارُ كُلِّ مَضَرَّةِ
وَما ذاقَ مِنْها أهْلُها قَط بَلَّةً ... عَلى عَلَّةٍ إلا بِأَلْفي بَلِيَّةِ
وَما ساغَ يَوْماً مَّا لهم مِنْ شَرابِها ... سوى جُرْعَةٍ مِنْ قبلِها كُلُّ غصَّةِ

وإنْ سَرَّهم حِيناً سرورٌ بِها فَما انْـ ـقَضى الحِينُ إلّا في شُرورٍ كَثيرَةِ

أي: يا هذا المغرور بدار الغرور، مالك[1] ولها، وأنت راحل عنها، وخارج منها، إلى كم تتكلف بها وهي دنية في ذاتها، مجال كل بلية في حالاتها، دار كل مضرة في أوقاتها، فما ذاق أهلها قط بلّة منها إلا بألفي بلية، تكدّر صفوها، وتنغّص عفوها، وهذا واقع وليس للمبالغة؛ إذ يمكن أنْ يعدّه الألمعي الخبير، فإنّ كل نَفَسٍ يتذكّر فيه صاحبه كل غصّ يأتي إليه بالفوات والمنازعة، والسلب في كل قليل وكثير، فيعد ألفاً فما يسوغ له من شرابها على شدة غلته، وعظيم نهمته، إلا جرعة ينال من قبلها كل غصة، ولا يسره حيناً من الأحيان سرورٌ بها في شأن، فما ينقضي ذلك الحين إلا وهو في شرور كثيرة، من حوادث الزمان، وبواعث الامتحان.

***

وَذو العَقْلِ لا يَرْضى الدَّنِيَّة سِيرَةً وَلا يَطْلُبُ الدُّنْيا لِغَيْرِ ضَرورةِ

يُدَبِّرُ أَسْبابَ المَعيشَة سَالماً مِنَ النَّقْصِ والتَّدْبيرُ نِصْفُ المَعيشَةِ

وَما القَصْدُ إلّا سَتْرُ عُرْيٍ وَشَبْعَةٍ بِأي طَعامٍ كان أَوْ أي خِرْقَةِ

أي: ذو العقل يفكّر في عواقب الأمر وما تؤول إليه، وكيف يصير، ولا يرضى بدار الغرور الدنية داراً، ولا يرضى بخدمتها سيرة، ولا يطلبها إلا للضرورة، حيث احتاج إليها، فهي كبيت الخلاء لا يدخله إلا كل مضطر إليه، ولا يسكن فيه، ولا يركن العاقل إلا عند الضرورة إليه، فهو يطلب السلامة من الدنيا ووبالها، ويدبّر أسباب معيشته منها، سالماً من النقص، والتحلّي بأحوالها وما عليه بالتدبير ذم، إذا أقامه الله فيه، فإنه نصف المعيشة، فإنْ رفعه الله إليه بالتوكل عليه تولّاه وأولاه بفضله ووالاه، وما القصد من الدنيا وما فيها إلا ستر عري للبدن، وشبعة تملأ البطن بأي

(١) في نسخة: وما لها.

طعام كان، أو أي خرقة من قطن أو كتّان، وكل يوم له رزق جديد، يضمن به العزيز المجيد لجميع المخلوقات والعبيد.

***

وَلا مالَ إلا ما يَقي النَّفس بِذلَةً ... وَيحفَظُ ثَوْبَ العِرْضِ مِنْ كُلِّ سَبَّةِ
وَلا الكَنْزُ إلا ما بِهِ المَرْء يَغْتَني ... وَيَسْلمُ مِنْ تَطْيير ماءِ المروءةِ

أي: ليس المال إلا ما ينفع صاحبه، فإنه يبقي به نفسه ودينه، ويظهر به جوده وزينه، ويحفظ به ثوب عرضه من كل سبة وذم، ولا الكنز إلا كنز الحمد والثناء، وما به يحصل للعبد الغِنى، من كل فتنة وعناء، ويسلم من إخلاق ديباجة وجهه، وتطيير ماء مروءته، فهذا هو المال المحمود، لا ما يؤول بصاحبه إلى المهارشة والخصام، والوقوع في الدنيات[1] والآثام.

***

وَليسَ الغِنى إلا غِنى النَّفْس لا الغِنى ... بِكَثْرَةِ أَمْوالٍ وَأَوْسَع غَلَّةِ
وَأَحْسَنُ رِزْقٍ كُلُّ وافٍ مُكافِئ ... بِلا كِثْرةٍ تُطْغي وَلا فُحْش قِلَّةِ

أي: ليس الغنى الحقيقي إلا غنى النفس لا الغنى بكثرة الأموال واتساع الغلات؛ لأن في الأول السلامة والراحة في كل حال، وفي الثاني العناء والمشقة والتعب بكل مجال، وأحسن الرزق القوت، وهو الوافي بالحاجة، الكافي عن النظر إلى ما عند الناس، من غير كثرة تؤول بصاحبه إلى الطغيان، ولا فحش قلة يحتاج معها إلى الناس في شأن.

***

(١) في نسخة: في الرزيات.

وفي الدَّيْنِ شؤمُ الدِّين وهو عَلى الفَتى إذا ما بَدا عارٌ وَهَمٌّ بِخَلْوةِ
وَعِزُّ الطَّوَى يُغْنِي الفَتى عَنْ وُقوفِهِ بِبابِ لَئِيمٍ في تَناوِلِ لُقْمةِ
وَيَكْفِيهِ مِنْ سَبِّ الغَرِيمِ وَفُحْشِهِ امتِصاصُ سِواكٍ وامتِلاءٌ بِشَرْبةِ
وَأَسْوأ حالاً مَنْ يُوسِّعْ رَبُّه عَليه وَيَحْمِي نَفْسَه فَضْلَ مِنْحَةِ
وَأَنْفع مِنْ خزْنِ الخَزائِنِ خَزْن كُـ ـلِ حَمْدٍ وَأَجْرٍ وَاكْتِسابِ مَودَّةِ

أي: في الدَّين على العبد شؤم في دينه، فإنّ كان واجداً، فمطله ظلم، وإن كان فاقداً فهو تبعة بعد الموت، يؤاخذ بها، ويقضي الغريم من حسناته، ونفسه مرهونة بدَينه حتى يُقضى، وقبل الموت به ذلة من الغريم، وعار عند كل مطالبة وتغريم، وهو همٌّ في خلوته، وأرقٌ عند نومته؛ إذ هو حق لازم لغريم ملازم، فإن كان لا يهتم به فهو قليل المبالاة ليس له مروءة تحمله على حسن الخُلُقِ مع خَلْقِ الله.

وعز الطّوى: وهو خلو البطن من الجوع والصبر عليه، يغني الفتى الكريم، عن الوقوف بباب اللئيم، في تناول اللقمة من دون، أو مباشرة خدمته[1] في هون، وحال غير مستقيم، ويكفي الفتى من الدَّين وسبّ الغريم، وفحشه في كل مطالبة وتغريم، امتصاصه السواك، والتعلل بتاثنه وشوصه[2]، وامتلاء بشربَةِ ماء، عن كل إزراء عليه وانتهاك.

وأسوأ الناس حالاً، من يوسّع الله عليه في المال، ويمنع على نفسه، ويبخل عليها بنعمة الله، فقد بخل على نفسه وظلمها، وحرص على جمع المال وخزْنِهِ لوارثه وعدوه، فهذا أسوأ الناس حالاً، وأخسرهم مآلاً.

وأنفعُ مِنْ خَزْنِ الخزائن، خزنُ كل حمد وأجر، واكتساب مودة، أي أنفع من خزن المال والتربص به للحوادث والمآل، وهو بصدد الفوات والزوال، خزنُ كل حمد

---

(١) في نسخة: في تناول لقمة من دون مباشرة خدمة في هون وحال غير مستقيم.
(٢) في نسخة: امتصاصه السواك والتعلل بنفاثته وشوصه.

في قلوب الرجال، واكتساب كل مودّة عند أهل الخير، ومهادات أهل الكمال، فإن ذلك يورث المحبة منهم والإقبال.

وأحسن من ذلك صِدْقُهُ في رضا الله في كل حال، والتصدّق على الفقراء والتقرّب به إلى الله، فيكون ذخراً عند الله وأجراً يجده حاضراً يوم لا ينفعه بنون ولا مال.

***

وما الجودُ إلا جُودُ غَيرِ مُكافِئٍ ... وَلا طَالِبٌ شُكْراً وَلا قَصْد سُمْعَةِ
وما البَذْلُ إلا البَذْلُ عِنْدَ ضَرورةٍ ... وَما الوَصْلُ إلا الوَصْلُ عِنْدَ القَطيعَةِ
وما البِرُّ إلا بِرُّ مَنْ كان أهْلُهُ ... بِدونِ أذى مَطلٍ وَلا عِقْدِ مِنَّةِ
وَمَنْ وَضعَ المعروفَ في غَيرِ أَهْلهِ ... سَيُجْزى بِإيذاءٍ وكُفْرانِ نِعْمةِ

أي: ليس الجود إلا الجود لغير علّة، والبذل من غير خوف ولا ذلة[1] فأما مَنْ جاد لأجل مكافأة مَنْ جاد عليه، فذل إنما أوفى بها عليه، وبذل بدل ما وصل إليه، وأما من قصد شكر الناس، وملك قلوبهم، فذلك وإنْ كان حسناً، لكنه إنما بذل في غرض نفسه، وملك أبناء جنسه، وكذلك مَنْ قصد الرياء والسمعة، فقد أسخط الله، واشترى ما لا ينفعه في الدنيا ولا عند الله، فقد خاب بالخسران المبين في الدنيا والدين. وما يعرف البذل بالجود، والسخاء بالموجود، إلا عند الضرورة والاحتياج، فهذا الجود الحقيقي عند أهل البصيرة، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وضرورة.

وكذلك وصل الأقارب ليس عند المواصلة، فإنه مكافأة ولكن الوصل الصدق إنما هو عند القطيعة بحق الحق، والبر إنما هو موالاة أهل، ومواصلة الأخيار من غير أذى منٍّ ولا مطل، ولا رؤية نفس ولا استكبار، وإنّ مَنْ وضع المعروف في غير أهله

---

(١) في نسخة: ليس الجود إلا الجو لغير فاعله والبذل من غير خوف في باذله.

من الأشرار، فسيُجزى منهم عن انقطاع الوصل، أو عروض الفضل، بكل إيذاء وإضرار، وكفران الصنيعة والعداوة والإنكار.

* * *

وَما في لقاء النَّاسِ جَدْوَى سوى اللِّقا   لإصلاحِ حالٍ أَوْ لِتحْصيلِ حِكْمَةِ
وَما أَحْسَنَ الإنْسانُ في جَوْفِ دارِه   وَأَسْلَمَه مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَريبَةِ
وَما أَجْمَلَ السَّاعي عَلى شَأْنِ نَفْسِهِ   وَأَبْعَدهُ مِنْ كُلِّ طَعْنٍ وَوَصْمَةِ
نَعَمْ لا غِنَى لِلمَرءِ عَنْ جنْسِهِ وَمَنْ   يَعيشُ غَنيَّ العمْرِ عنْ كُلِّ خِلْطَةِ؟

أي: ليس في لقاء الناس والاجتماع جدوى في حال، أو نفع في منال، وإنما أكثره قيل وقال، يؤول إلى مماراةٍ أو جدالٍ، أو فتنةٍ وضلالٍ، نعم: إنْ كان اللقاء لإصلاح شيء من الخصال، أو ضرورة في حال، أو تحصيل العلم والحكمة من أفواه الرجال، فذلك من مسالك الفضل والإفضال، وإلا فالعزلة عن الناس أعزّ له في كل حال، فما أحسن الإنسان في جوف داره، مشتغلاً بما يعنيه في كل شأن، وما أسلم مَنْ حبس نفسه، ليسلم الناس من شره، ويسلم من كل شر وريبة وبؤس وبأس.

وما أجمل من خرج من بيته ساعياً في حاجته، مُقبِلاً على شأنه، عارفاً بأهل وقته وزمانه، فهو بعيد عن الفضول، سالماً عن كل طعن في سيرته، يرمي بوصمته، وهي العيب في بصيرته، نعم لا غنى للمرء عن جنسه، فتكون الخلطة بقدر الضرورة، مع أهل الخير والمروءة عند الحاجة، فقلَّ مَنْ يعيش غنياً في طول عمره عن كل خلطة في كل أمره، فقد خُلِقَ الإنسان ضعيفاً، لا ينال مطالبه للمعاش والمعاد إلا بمخالطة العباد.

* * *

وَطَبْعُ الوَرى عَجْزٌ وَمِنْ شَأنِ عَجْزِهم   قُصورٌ معَ التَّقْصيرِ في كُلِّ خصْلةِ
وَكُلٌّ لَه قولٌ عَلى قَدْرِ عَقْلِهِ   وَكُلٌّ لَه فِعْلٌ عَلى وِفْقِ هِمَّةِ

وَإكْمالُ فِعْلِ المَرْءِ فَرْعُ كَمالِهِ وَنُقْصانُه مِنْ نَقْصِه في الحقيقَةِ

أي: إنّ طبع الورى والخلق العجز والفقر، وإنما تُصرِّفهم الأقدار، على ما اختار الواحد القهار، فلا ينفعون الطالب في محبوب، ولا يقدرون على رد فائت ولا مهروب، ضعف الطالب والمطلوب، ومِنْ شأن عجزهم القصور في جميع الأمور، في كل خصلة من المأمور والمشكور، وكل له قولٌ على ما يعطيه عقله القاصر في كل معنى، وفعله على وفق عزمه الفاتر، وهمّته في كل مبنى، فإكمال فعله فرع كماله في عقله وفضله، وكمال عقله إنما هو بالدِّينِ، وتمام فعله وعزمه إنما هو بالثقة برب العالمين، فما أرسل الله كل رسول إلا لتنوير البصائر، وتكميل العقول، وما شرع الدين إلا لتهذيب النفوس في الرذائل، وتطهيرها بالفضائل من كل فضول.

* * *

وَلا يَنْظُرُ الإنسانُ إلا لِما بدا لَه عِنْد بُرْءِ العَيْنِ مِنْ كُلِّ عِلَّةِ
وكُلٌّ لَهُ رَأي عَلى قَدْرِ فَهْمِه عَلى حَسب ما يُعْطيهِ نُورُ البصيرَةِ
وَمَنْ لامَ ذا رَأْيٍ عَلى نَقْصِ رَأيِه كَمَنْ عاتبَ الأعشى عَلى نقْصِ رُؤْيَةِ
فَإنْ شِئْتَ مِنْ كُلٍّ دَوامَ إصابَةٍ وَحُسْنٍ فَقد كَلَّفْتَهُ فَوْقَ قُدْرَةِ

أي: الناظر نظرة على بصيرة، عند سلامته من كل علّة، على حسب القرب والبعد في كل منزلة، فكذلك العاقل، فهْمهُ على قدر عقله وبصيرته، حسب ما يعطيه نور البصيرة، وذكاء الذهن وسلامة السريرة، ومن لام ذا فهم على سوء فهمه، أو عاقل على سوء رأيه وعلمه، فهو كمَنْ عاتب الأعشى على نقص رؤيته، بسبب عشاه وعلّته، فإنه لا يقدر على كمال النظر إلا بصحة البصر، ولا يصدر منه كمال الرأي والمشورة إلا على قدر صفاء البصيرة والفطرة المنيرة.

فحَقٌّ كل عاقل أنْ لا يدّعي كمال عقله، ولا يعتقد تمام فضله ونبله، أو أنه على الصواب في قوله وفعله، فليجمع عقول الناس إلى عقله ويستشرْ كل فاضل وعاقل في فصله ووصله، ويستتر بهم من ظهور نقصان عقله، وشوب جهله، فلعله يجد فهماً أحدَّ من فهمه، وعقلاً أحسن من عقله، وعلماً أتم من علمه.

فمَنْ أراد مِنْ كل إنسان دوام إصابة وإحسان في كل شأن، فقد كلّفه فوق قدرته وقَدْرِهِ، كما لو كلّفه النظر إلى ما لا تصل إليه رؤيته لسوء بصره ونظره.

***

وأبْعـدُ مِنْ بِيض الأَنُوق وُجُودُ مَنْ ... حَـوى كُلَّ حُسْـنٍ سـالِماً مِـنْ نَقِيصةِ
فَرِدْ كُلَّ صَـافٍ واجْتنِبْ ذا كدورةٍ ... وَدَعْ كُلَّ عَيْـبٍ فـي خَبا كُلِّ عَيْبةِ
وَيَسِّرْ ـ وَبَشِّرْ ـ واحْتَمِلْ كُلَّ جاهِلٍ ... وَخُـذْ كُلَّ حِـذْرٍ واجْتَنِـبْ كُلَّ تُهْمَـةِ

أي: وجود مَنْ حوى كل حُسنٍ، وسلِمَ مِنْ كل نقص، نادرٌ فهو أبعد وأعز من بيض الأنوق، وهي طائر الرخمة؛ لأنها تحصنه في أعلى القلل الصعبة الطروق، وإذا كان الخلق مجبولين على الضعف والقصور، ومطبوعين على النقص والشرور، فخذ منهم كل خير ودع كل شر، ورِدْ كل صاف، واجتنب كل كدر، واقبل كل إحسان، واصبر على كل إساءة، واغفر كل ذنب، واستر كل عيب واتركه مخبوءاً في كل عيبة، ولا تفْشِهِ بسبٍّ ولا غيبةٍ، ويسّر إلى الحق كل سبيل، وسهّل بالصدق كل جليل، وبشّر أهل الخير بكل جميل، واحتمل كل جاهل في كل تجهيل، وخذ كل حذر مِنْ كلّ ضلال وتضليل، واجتنب مواضع التهم وأهلها في كل كثير وقليل، وإجمال وتفصيل.

***

وَجَمِّلْ وَسَهِّلْ ما استطَعْتَ بِما تَرى وَسـدِّدْ وَقَـرِّبْ بُعْـدَ كُلِّ بَعيـدَةِ
فَـلا يَبْلغ المقصودَ في طُـولِ عُمْرِهِ الـ ـذي يَطْلُـبُ التفْصيلَ فـي كُلِّ جُمْلَةِ

أي: خذ كل جميل بالإجمال والاختصار والتسهيل، واحذر من التطويل والتفصيل، الذي يمل ويخل بكل ذهن كليل، فإنّ العبد ضعيف عليل، لا قدرة له غلا على الإجمال في كل تأصيل، لا يتسع وقته لكل تفريعه وتفصيل، لكل نازل ولكل نزيل، فسهِّل ما استطعت بما ترى في كل مطلوب لكل طالب، وسدّد في كل طريق وقرب المسافة في كل الأمور وقارب، واطوِ كل بعيدة في جميع المطالب، فكل مطلوب يتم بإذن الله، في كل أمر، للصادق الراغب، ولا يبلغ المقصود في طول عمره الذي يطلب التفصيل في كل جملة، عند التحصيل، كقصة بني إسرائيل في البقرة التي قصّها الله في التنزيل: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

ولو استمروا في طلب كل بيان، لبقوا على ذلك إلى آخر الزمان، في تفصيل بيانها، وأسنانها وقرونها، وشعرها وبشرها، وعظامها وأظلافها، ومقدار كل شيء من ذلك ووزنه، وأجزاء كل جزء، وذلك كله لا يعلمه إلا الله.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] لا بكل ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا ببعضه، ولا تفصيلَ جزء منه وإنما يعلمونه بالإجمال وفهْمِ صورة منه.

***

وَمَـنْ يَمتحـنْ فـي خِلِّـهِ كُلَّ خلَّـةِ فَمـا فـي الـوَرى يَصْفـو لَـه ودُّ خِلَّـةِ
فَخالِـقْ جَميـعَ النَّـاس فـي كُلِّ حالـةٍ بِأَحْسـنِ أَخْـلاقٍ وَأَلْيَـنِ شِـيمَةِ
وَدَعْ عَنْكَ فـرْطَ الحُبِّ والبُغْضِ رُبما يُعاقِـبُ فَصْل البُغْض وَصْـلَ المحَبَّةِ

أي: أن الناس محلهم القصور في جميع الأمور، والتقصير في كل خلة في البطون الظهور، فمَنْ أراد منهم الكمال في كل حال، فقد طلب المحال، ومَنْ يختبر في خليله كل خلّةٍ مِنَ الخلال، فما يصفو له قط خُلّة مِنْ أحد مِنَ الرجال، فما بقي إلا المسامحة والصفح والعفو في كل فعل ومقال، فخذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، وخالق الناس في كل حالة من أحوالهم بالصبر والتغافل والحلم، واستعمل معهم أحسن الأخلاق فيك، وألين شيمة منك، فإنْ كنتَ فظاً غليظ القلب انفضوا من حولك، وإذا أحببتَ فأحبب حبيبك هوناً ما، عسى أنْ يكون بغيضك يوماً ما، وكذلك إذا أبغضتَ فلا تفرط في البغض والحب، فربما يعاقب وصل المحبة فصل القطيعة.

وقد قيل:

اِحْـذَرْ عَـدُوَّكَ مَـرَّةً ... وَاحْذَرْ صَديقَك أَلْفَ مَرَّةْ

فَلَرُبـما انْقَلَـبَ الصَّديـقُ ... فَكانَ أَعْرَف بِالمَضَـرَّةْ

***

وَخاطِبْ جَميعَ النَّاسِ حَسْبَ عُقولِهِم ... وَلا تَبْلُهـم إلا عَلـى قَـدْرِ قُـدْرةِ

وَزِنْ كُلَّ عَقْـلٍ بالتَّغافُـلِ واعْتبِـرْ ... بِقَـدْرِ البَـوادي قَـدْرَ كُلِّ خَفِيَّـةِ

وَقابـِلْ ذَوِي الخيْـراتِ بِالخَيْـرِ واحْتَمِلْ ... أَذى كُلِّ مُـؤْذٍ وَاعْـفُ عَـنْ كُلِّ زَلَّـةِ

أي: إذا عرفتَ أحوال الناس وأنهم مجبولون[1] على الضعف والعجز والانتقاد، فلا تبلهم أي: تختبرهم بحال، إلا على قدر قدرتهم العاجزة على الأفعال، وبلوغ الكمال، وخطابهم يكون على قدر عقولهم، فإنهم إن لم يفهموا ما تقول على وجهه افتتنوا به، والمرء عدو ما جهله، فاعتبر عقولهم وزِنْها بالتغافل، يظهر مقدارها، واعتبر بقدر البوادي من أحوالهم، قدر كل خفية من أسرارهم، في أفعالهم وأقوالهم، فإذا عرفتَ

(١) في نسخة: أنها مجهولة.

أحوالهم فقابل ذوي الخيرات بالخيرات والقبول، وأهل الشر بالإعراض، واحتمل أذى كل مؤذٍ منهم، واعفُ عن كل زلة فإنهم مجبولون على كثرة الخلل وتواتر الزلل.

***

وَخُذْ ما حَباكَ النَّاسُ مِنْ وُدِّهِمْ وَلا ... تُعَوِّلْ عَلَيهِمْ فِي بُلوغِ مُهِمَّةِ

وَضَعْ كُلَّ ذِي قَدْرٍ بِأليقِ مَنْزِلٍ ... وَدَعْ طَرَفي إِفْراطِ خَفْضٍ وَرِفْعَةِ

تَواضَعْ تَجِدْ غِبَّ التَّواضُعِ رِفْعَةً ... وَمِنْ ثَمراتِ الكِبْرِ أَكْبَر ذِلَّةِ

أي: لا تترك الأنس بالناس ومع الناس، وخذ ما حباك الناس من ودّهم، فإنّ مِنَ الناس مَنْ يُعينكَ على الخير ويقرّبك إلى الله، وينفعك بعلم ونور بإذن الله تعالى، ويعاونك على التقوى، ومع ذلك فلا تعوّل عليهم في هذه الأمور ولا غيرها، وليكن على الله اعتمادك وإليه استنادك، فإنهم مسخّرون لقهره، ومنقادون تحت أمره، فمَنْ رفعه الله منهم بطاعته فارفعه، ومَنْ وضعه منهم فضعه.

وضع كل ذي قدر في الدنيا مِنْ أهل العلم واليقين، وعباد الله المتقين، بأليق منزل أنزله الله فيه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ودع طرفي إفراط وتفريط في رفع مَنْ رفعته، وخفض مَنْ خفضته، فالأمر فيهم إلى الله، وما تدري ما عقبة أمرهم، وما يؤول إليه آخر عمرهم، فارجع الأمر إلى الله فيهم، وتواضع لله معهم، فقد خلقهم بقدرته، ونوّعهم بحكمته، وغذّاهم بنعمته.

فإذا عرفتَ الله فيهم وتواضعتَ له معهم، وجدتَ غبَّ هذا التواضع رفعة عند الله، وتمكيناً في معرفته، وإنْ نظرتَ إلى ما خصّك، ولاحظتَ فيه نفسك، فأعجبتَ بها واستكبرتَ على عباد الله، وجدتَ ثمرة هذا العجب والكبر أكبر ذلة، يسلب الله بها عنك النعمة، ويبدّلها بنقمة في الدنيا والآخرة، في الأمور الباطنة والظاهرة.

***

خُذ الحِلْمَ طَبْعاً والمدَارَاةَ دائماً ... مَعَ النَّاسِ وَضْفاً واحْتَمِلْ كُلَّ هَفْوَةِ
فحلمُ الفَتى يَكْفيهِ كُلَّ سَفاهَةٍ ... وَيَبْقيهِ في ثَوْبِ البَها والمُروَّةِ
وَإِنَّ مُماراةَ السَّفيه سَفَاهَةٌ ... وَمَنْ عاوَدَ المفْتونَ عَاد بِفتْنَةِ

أي: إذا عرفتَ ربك وقدرته، وعرفتَ خلْقه وما جبلهم عليه، وابتلاك بهم في حبٍّ أو بغضٍ، فاعلم أن الله يريد أن يبتليك بهم، ويختبرك فيهم، فاصبر لله بالله، وخذ الحلم معهم طبعاً، والمداراة دِرعاً، وهي بذل الدنيا لصلاح الدين دائماً معهم وضعاً، تبني أمورك عليه، وموضعاً تجعل مرورك فيه، واصبر على كل زلة، واحتمل كل هفوة فقد أعلمك ضعف الإنسان وما بنى عليه خلْقته من الجهل والعجز والنسيان، فيكون الحلم لك صيانة من كل جاهل، ويكفيك كل سفاهة في جميع المنازل، فتبقى عليك ثياب البهاء والمروَّة، وترتقي إلى درجات الحكماء وأهل الفتوّة، وإن سافهتَ السفيه مزّق ثياب مروءتك، وفضحك بين إخوتك، فما معاودة[1] المفتون إلا من الفتنة، وما مراجعته بمثل سفهه إلا بلية عليك ومحنة، تظهر منك كل خلق ذميم في كل غضب وشحنة.

* * *

وَما أَجْمَلَ الإِنسانَ في دِسْتِ حِلْمِهِ ... إذا حَلَّ خَطْبٌ نازِلٌ كلَّ حبوةِ
وَلا خَيْرَ في حِلمٍ إذا لَمْ يَكُنْ لَه ... بَوادرُ تَحْمي كُلَّ عِزٍّ وَحُرمَةِ
لِكُلِّ زَمانٍ ما يَليقُ بِأَهْلهِ ... فَيَصْلحُ فيهم مِنْ وِصالٍ وَفِرْقَةِ

أي: إنّ الله جميل يحب الجمال والتجمّل، فتجمُّل النساء بلباس الثياب الحسنة والحلي، وتجمّل الرجال بمحاسن الأخلاق وكل حالٍ جلي، كالصدق والعلم، والصبر والحلم، فما أجمل الإنسان إذا كان في دسْتِ حلمه! أي: ثياب سكينته ووقاره، وصبره

---

(١) في نسخة: فما معاداة.

واختياره، إذا ثبتَ عند الخطوب، والمهمات والكروب، حتى تتبيّن له وجهة المخرج من ذلك، وتتضح له السلامة في أي المسالك.

فإنّ العجلة قد تُفضي بمن هو مطيش في عقله، ومستعجل في فعله بجهله إلى الهلاك، كالمخنوق كلما جرّ الخناق ازداد ضيقاً عليه وأتلفه، فاتئد حينئذٍ في كل نازل، إذا حلّ حي القوم خطب نازل، تحصل لك السلامة وتسلم من اللوم.

فالحلم محمود على كل حال، إلا أنه ربما يتجرأ بسببه الجهّال على أهل الكمال، فلا خير فيه حينئذٍ إذا لم يكن له بوادر مِنْ أهل القدرة والفعال، بالفتك في الجهال؛ ليعرف لهم أنه حلمٌ لا عجزٌ، فيحمى كل عِزٍّ له وحرمة، في كل فعل وحال وذِمّة. وقد أنشد النابغة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصيدته التي يقول في آخرها:

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

والرواية بذلك مسلسلةٌ بالشعراء إلى النابغة.

وورد أنه لما أنشد البيتين المذكورين قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا فضّ الله فاك» مرتين، فعُمِّر عمراً طويلاً وهو من أحسن الناس ثغراً، كلما سقطت له سن عادت أخرى مكانها.

والحاصل أنّ الحلم في محلّه محمود، والجهل عند الحاجة إليه مقصود، ولكل زمان ما يليق بأهله مِنْ حال، وما يصلح معهم مِنْ مقال، في كل فرقة ووصال، وفصل واتصال، فالعاقل بحسن تدبيره، يعامل كل صديق وغيره، بما يعرف في أثره مِنْ تأثيره، والعاقل له على نفسه بصيرة، في كل مذهب وسيرة، في ظاهر الأمر وفي السريرة.

***

وَكُلٌّ لَـه قَـوْلٌ عَلـى قَـدْرِ حَالـهِ وَكُلٌ لَـهُ حُكْـمٌ يَـليـقُ بِحِكمـةِ
وَسِـرُّ الفَتـى يَعْلـو أَسـاريرَ وَجْهـهِ وَيَرْشَحُ فَوْقَ الجِسْـمِ ما في السَّـريرَةِ
وَمـا كُلُّ مَـنْ يُبْـدي الوَفـا ذا صَداقـةٍ وَمـا كُلُّ مَـنْ يُبْـدي الجَفـا ذا عَـداوَةِ

أي: إنّ الحكيم يزنُ المقال بقدر الحال والبليغ يخاطب بمقتضى الأحوال، وملاحظة الحكمة في كل حكم شأن أهل الكمال، فإن انكشف الأمر وظهر السر في الحال أو الأفعال، فالخطاب مبنيٌّ عليه في كل جواب وسؤال، وإنْ لم تظهر حقيقة ما في البال، فليرجع إلى التفرّس في جميع الأحوال.

فإنّ سرّ الإنسان دائماً يظهر على أسارير وجهه عند كل وَجَلٍ وخجلٍ في جميع الخصال، وغضب وجفاء وغيرها في كل انفعال، ولابد أنْ يرشح فوق الجسم ما في السريرة مِنْ حقٍّ أو ضلال، فالحكيم يجس نبض السريرة في كل فعل وانفعال، كما يجس الطبيب نبض العروق ليعرف الصحة أو المرض في نقص أو كمال، فكم من جاف بحديثه وهو صافٍ في سريرته، ووافٍ بمحبته، وكم من صديق في الظاهر، مُظهِرُ البشر والبشائر، وهو في باطنه عدو غادر، والعاقل يأخذ بالحزم في كل حال، ويتأنّى ويحاذر، فالقلوب بين أصبعين من أصبع الرحمن، يقلبها كيف شاء مِنْ كُفرٍ أو إيمان، ومِنْ عداوة إلى صداقة ومِنْ شرٍّ إلى خير وعكس ذلك، وذلك ظاهر، معروف في جميع المظاهر.

***

وَمـا أَحَـدٌ إلا وَلا بُـدَّ أَنْ تَـرَى لَـه مُبغِضـاً فـي النَّـاسِ أَوْ ذا مَحَبَّـةِ
فَـلا بُـدَّ مِـنْ مُثْـنٍ عَليـك وَشـامتٍ وإنْ كُنْـتَ مَرضيـاً قَويـم الطَّـريقَـةِ
فَـلا تَرْتَقِـبْ أَنْ تَجْمَـعَ النَّـاسَ في هَـوًى فَـلا بُـدَّ فيهـم مِـنْ خِـلافٍ وَفُرْقَـةِ

أي: لا تحقق الخبر قبل الاختبار، ولا تحكم بالخيرية قبل الاختيار، وما أحد من الأخيار إلا وله عدو من الناس، مبغض له من غير بأس، وما أحد من الأشرار إلا وله مُوالٍ في سيرته من الأرجاس، فعليك بالاحتراس، من قبول إخبار الناس عن الناس، وأنت إذا تأملت نفسك وجدتَ الناس نصفين في حقّك، مُثنياً عليك بالكمال، وشامتاً بما أصابك مِنْ حال، ومبغضاً لك وإن كنتَ مرضيَّ السيرة كريم الأفعال، فلا ترتقب أنْ تجمع الناس عليك، أو يتوجهوا بوجه المحبّة إليك، أو يكون هواهم واحداً فيك، ولابد فيهم من خلاف وفرقة وتنافٍ، في جميع الأمور والأوصاف، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩] فطُبِعُوا على الاختلاف.

***

وَإِنْ شِئْتَ نُجحاً في المَطالِبِ فاحْتَفِظْ ... بِما رُمْتَهُ واجْعَلْه كَنْزَ السَّريرَةِ

ألا إِنَّ حُسْنَ الظَّنِ في كُلِّ ما انْطَوتْ ... عَليه طَوايا النَّاسِ أَحْسَنُ ظَنَّةِ

أي: إنه غلب الحسد وسوء الظن في كل أحد، فاستعن على حوائجك بالكتمان، وإذا كان لك مطلب ورُمْتَ الوصول إليه فاجعله كنزاً في سريرتك لا يطلع عليه إنسان، فإن الأمر إذا ذاع ضاع، والسر إذا ظهر في الأسماع شاع، وأظهر المعادي لك والمعاند أخبث الطباع، في كل ما انطوت عليه طوايا الناس.

فهم إخوانك وأنت منهم، ولكن إبليس بالمرصاد، يغير قلوب العباد، بكل فساد، فاحترس من كل أحد وأحسن ظنك، فحسن ظنك بهم من أحسن خصال الدين، والاحتراس منهم لكونهم محل وسوسة الشيطان اللعين في كل حال وحين من أحزم الفعال.

***

فَلا تَعْتَمِدْ بَادي الأمُورِ فَرُبَّما يَظُنُّ الفَتى شَرّاً بِأَحْسَنِ سِيرَةِ
فَلا بُدَّ أنْ يَعْلو الفَتى في اخْتِلاطِهِ عَلامةَ ما يَأتيهِ في كُلِّ خلْوَةِ
وَسِرُّ الفَتى يَبْدو بِكُلِّ مُهِمَّةٍ وَعِنْدَ الهَوى أَوْ عِنْدَ صَدْمِ بَلِيَّةِ

أي: إذا كان حسن الظن بالمسلمين أولى ما اعتمده الإنسان، فإن ظهر لك ما اقتضى سوء الظن فأوِّل ما يقبَلِ التأويل، ولا تعتمد بادئ الأمور (بالهمز وتركه) أي: أوَّل النظر، أو ظاهر المنظور، حتى تقف على الحقيقة، فربما يظن الفتى ذلك شراً وهو خير، ويتوهّم أنه سوء وهو أحسن سيرة، ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

لا بد أنْ يظهر لك موضع الغلطة في كثرة الخلطة، ويبدو في الجلوة ما يخفى في الخلوة، وينكشف سر الفتى وما يخفيه في قلبه عند مهماته؛ لأن المهمات فيها يُعرَفُ الرجال، وعند الغضب والشهوة، وعند غلبة الهوى عليه، أو صدم بلية تصل إليه، فتتضح حقيقة سرّه، ويفتضح في هواه وأمره.

* * *

فَخُذْ كُلَّ حِذرٍ قَبْلَ غُدْرِكَ واحْتَرِسْ دَواماً بِسوءِ الظَّنِّ في كُلِّ عِشْرَةِ
وَداخِلْ جَميعَ النَّاسِ في كُلِّ مَدْخَلٍ عَلى دَخَلٍ في كُلِّ قِلٍّ وَكَثْرَةِ
وَسايِرْ جَميعَ الخَلْقِ في كُلِّ سِيرَةٍ بِعُسْرٍ وَيُسْرٍ في رَخاءٍ وَشِدَّةِ

أي: إنّ حسن الظن بجميع المسلمين محبوب، لكن الاحتراس منهم على كل حال مطلوب؛ لأنهم وإنْ كانوا بصفة الأخيار، فإن الشيطان وأعوانه يفتنونهم بكل وسوسة لهم ويحركونهم بالشرور مع الأشرار.

فخذ حذرك قبل أنْ يغدرك الشيطان، بصحبة إنسان، واحترس منه بسوء

الظن في كل عشرة مع الإخوان، فالخَلْقُ كلّهم موضع التشبيه والاشتباه، والتقلّب في كل حال في كل رقود وانتباه، فداخلهم في كل مدخل على دَخَلٍ (أي احتراس) مِنْ كل خلل وخطل، في كل قلّة وكثرة من الأمل والعمل، وسايرهم في كل سيرة بمقتضى ضعفهم وعجزهم، في كل يسرٍ أو عسرٍ بحسبه في كل رخاء وشدّة، وفي كل قصد ونسبة، وثِقْ بالله في أمورك كلّها، وتوكّل عليه في عَقْدِهَا وحلها، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

***

وَعِـشْ خالياً مِـنْ كُلِّ غِـشٍّ ولا تَخُنْ سِـواكَ وَغِـبْ عَـنْ كُلِّ عَيْـبٍ وَغِيْبَـةِ
وَلا تَـكُ ذا كِبْـرٍ وَلا حَسَـدٍ وَلا رِيـاءٍ وَلا عُجـبٍ وَلا عَبْـدَ شَـهْوَةِ

أي: اجعل عيشك كلّه في صفا من العيوب، وتصفية للقلوب، مِنْ كل غشٍّ للمسلمين، فإنه قدح من الدِّين، وخلل في القلب مبين، ولا تخن سواك فإنّ الخيانة بئست البطانة، وهي صفة الشيطان اللعين، والمسلم من سَلِمَ المسلمون منه، فغبْ في حضورك عن كل عيب لغيرك، وعن كل غيبة لأحد من المسلمين، فذلك إذا صدر منك شاهدٌ بنقصانك، وظهور خبثك وعصيانك.

وإيّاك والعلل القلبية، والموبقات التي هي في الإيمان قادحة وسلبية، مثل الكبر فإنّ الله يمقت المتكبرين، ويطبع على قلوبهم فلا يذوقون الحق ولا اليقين، وكذلك الحسد فإنه اعتراض على الله في قسمة رحمته ونعمته.

ولا تخادع الله مثل المنافقين، وتعمل رياء في الدِّين، فتشـرك بعبادة رب العالمين، وتزعم أنّك من المحسنين، ولا تعجب بنفسك إذا كساك الله ثوب فضله، وأيّدك بوصف أهله، فإنّ ذلك منك غرور عظيم؛ إذ لا تقدر على ذرة، ولا تجلب منفعة لنفسك ولا تدفع عنها مضرّة، وإنما ذلك لك من الله فاعرفه واعترف له، وخف

من نسبة ذلك إليك أنْ يسلبه، ويحوّله نقمة عليك، فكن عبده ولا تكن عبد الدرهم ولا الشهوة ولا عبد الهوى فأنت عبد لما قادك[1]، وملك قيادك من مرادك، والله ولي التوفيق بالهداية لأحسن طريق.

* * *

وَكُنْ فَكِهاً حُلْوَ المَذاقةِ طَيِّباً ... قَريباً رَقيقاً ذا بَشَاشٍ وَبَسْطَةِ
صَبوراً وَقوراً لوذَعِيّاً مُهَذَّباً ... أبِيّاً رَضيّاً ذا انبِذالٍ بِعِفَّةِ
وَخُذْ كُلَّ مَعْروفٍ وَدَعْ كُلَّ مُنْكَرٍ ... وَعَنْ غَيْرِ ما يَعنيكَ في النَّاسِ فاسْكُتِ

أي: أنّ مِنْ أحسنِ ما منَّ به الخلاق، في عطاياه محاسن الأخلاق، فليجتهد العبد الموفق للتخلّي مِنْ قبائح الفعال في الفضائل، وليتحلّى بأحسن الشمائل، وليتخلّق بأخلاق الله في صفات الدين واتباع سيد المرسلين.

ويكون مع ذلك زين الفكاهة مع الصيانة، حلو المذاقة في كل شأنه مع الديانة، طيّباً في باطنه وظاهره من كل غش وخيانة، قريباً محبوباً عند الناس، رقيقاً في شمائله إلا عند الحرب والبأس، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، و﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

ويكون بسّاماً وبشاشاً بوجه طلق، حلو الشمائل في كل حال، ذا بسطة في الخُلُقِ، لين الجانب في كل مجال، صبوراً في كل الأحوال، وقوراً عند كل اشتغال، لوذعياً في الذكاء والفطانة، مهذباً في الزكا والزيانة، أبيّاً عن التدنّي بلا عناد، مرتفعاً بهمّته عن كل فساد، راضياً عن الله لرؤيته منه كل جميل، وعن خَلْقِ الله؛ لأنّ الله عليهم وكيل، وذا انبذالٍ في كل نفع وتعليم، وإحسان وتكريم، مع عفّة في جميع الخصال، يأخذ كل

(١) في نسخة: لمن قادك.

معروف بالمعرفة والعلم، ويترك كل منكر، وينهى عنه بإيمان وعزم، وعن غير ما يعنيه صافي الطوية، سليم القلب عن كل غلٍّ وحقدٍ وغويةٍ.

***

وَفي الصَّمْتِ لِلإنسانِ سَمْتٌ وَحِكْمَةٌ ... وَسِتْرٌ عَلى ما فيه مِنْ كُلِّ عَوْرَةِ
وَكُلُّ امْرِىءٍ ميزانُه في مَقالِه ... وَمِنْ نُطْقِه تَبْدو لَه كُلُّ قِيمَةِ
وَما زايدُ الأَقوالِ إلّا نَقيصَةٌ ... وَكَثْرَتُها أَصْلٌ لِكُلِّ مَزَلَّةِ

السَّمْتُ الحسن: عنوان الإيمان وفي الصمت أحسن السّمتِ؛ لأنّ البذاءة من النفاق و﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ الآية [النساء: ١١٤] وفي الصمت أيضاً حكمة؛ لأنّ الحكيم مَنْ يضعُ كل لفظه في محلّه، ولا يملك ذلك إلا مَنْ غلَبَ عليه الصمت وملك لسانه، وقلّ هذيانه.

وفي الصمت أيضاً ستر على الإنسان مِنْ ظهور نقصه وقوله[1]، لقلّة علمه وعقله، وكثرة جمعه وجهله، فكل امرئ ميزانه في مقاله وميكاله في سيرته وأفعاله، فيعرف من نطقه قيمته، وترتفع أو تسقط به حرمته، فحق العاقل أنْ يقتصر مِنَ الكلام على ما قلّ ودل، وطابقه الفعل وتحقق بالعمل، فيقتصر من الأقوال في كلّ أمر وصورة على ما تقتضيه الحاجة وتوجبه الضرورة، فإنّ زائد الأقوال على مقتضى الحال نقصان في السّمتِ والعقل، وعنوان على الهذر والجهل، وكثرة الأقوال أصلُ كل مذلّة وخطأ في كل حال.

***

وَلا يَحْصُدُ الإِنْسانُ مِنْ شُؤْمِ لَفْظِهِ ... مَدى الدَّهْرِ إلا كُلُّ بُغْضٍ وَحَسْرَةِ
فَلا تَحْتَقِرْ شَأْنَ اللِّسانِ فَجِرْمُهُ الـ ... ـصَّغيرُ لَه جُرْمٌ كَبيرُ الضَّرورةِ

---

(١) لعله: في قوله

فَأَلْيَقُ قَوْلٍ ما بِه القَصْدُ يَنْجلِي بِلا خَلَلٍ يَبْدو وَلا نَحْو كُلْفَةِ

أي: في الكلام ما هو شوم، وصاحبه مأثوم، وعليه تبعة لكل مظلوم، وبه يحصل البغض من القوم، والحقد واللوم، فيقع صاحبه في الندم والحسرة كل يوم، وفي الحديث: «وهل يُكَبُّ الناسُ في النارِ على مناخرهم إلا حصائدَ ألسنتهم».

وغالب الفتن والمحن إنما تترتب على شؤم الألفاظ في كل زمن، فطوبى لمن ملك لسانه، وعقل جَنانه، ووسِعَهُ بيته وعرف زمانه، فإيّاك ثم إياك ثم إياك أن تحتقر شأن اللسان، فإن به الكفر والإيمان، والفوز والعصيان، وجرمه وإن كان صغيراً فله جرمٌ كبيرُ الضرورة، قد هلك به المتنطعون والمتفيهقون والثرثارون، فهم أهل العار في الدنيا والنار في الآخرة، بآفات ألسنتهم البادرة بكل فاقرة.

فإذا قصدتَ المخاطبة فاقتصر على ما يليق، وهو ما به القصد ينكشف بالتحقيق، بلا خلل في اللفظ والمعنى يظهر في كل جمع وتفريق، بلا تكلّف ولا تشدّق ولا تساهل ولا تدقيق.

***

وَمِنْ حُسْنِ مَعْنى القَوْلِ يَظْهَرُ حُسْنُه فَما القَوْل لِلمَقْصودِ غَيرُ وَسيلةِ
وَلا خَيْرَ فيما لَيْس في نَحْوِ حِكْمَةٍ(١) وَإصْلاح ذاتِ البَيْنِ أَوْ نُصْح أُخوةِ
فَلا شيء مِثل النُّصح يَهْدي بِه الفتَى أَخاهُ إلى الخيْراتِ أَوْ سَتْرِ عَوْرةِ

أي: إنّ القول وسيلة إلى المعنى، نثراً كان أو نظماً، فحُسن القول بحُسنِ معناه، وفضله على مبناه، فلا خير في الأقوال إلا ما كانت في خير من علم وأعمال، وحكمة ينتفع بها في كل حال، وإصلاح ذات البَيْنِ، ونصح الأُخْوَةِ في الدِّين، وعامة المسلمين، لا قيل ولا قال، وملاغاة الجهال، وملاحاة الرجال، فذلك كله وبال، يعود على صاحبه

(١) في (أ): فلا خير فيما لم تكن فيه حكمة... إلخ.

بأسوأ الأحوال، ومَنْ عرَفَ أنّ قوله من عمله صرفه في كل خير وأحسن منال، في علم وتعليم، ووعظ وتسبيح، ودعاء وابتهال، وأمر بمعروف وإصلاح بين الناس، وفي الحديث: «الدين النصيحة»، فإنّ الإنسان بالنصيحة يحفظ أخاه من الفضيحة، ويهديه إلى الطريقة الصحيحة، والتجارة الربيحة، ويستر عوراته، ويحفظه من زلاته، وأحسن ما نصح به العبد لربه في نفسه[١]، وحفظ بحق الدين كل عقله وحسبه.

❋ ❋ ❋

وَما حَقُّ بَذْلِ النُّصحِ إلا لِمُنْصفٍ ... عَلى كُلِّ حالٍ قابلٍ للنَّصيحةِ
وَما نَصْحُ مَنْ لا يَرْعَوي عَنْ ضَلالِهِ ... سِوى تَعَبٍ مِنْ غَيْرِ جَدْوى مُفيدَةِ
وَإعجابُ ذي رأيٍ رديٍّ بِرَأيِهِ ... عَلى حَسْبِ ما يَهْواه شَرُّ بَلِيَّةِ

أي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم مطلوب[٢] على الدوام، في ملة الإسلام، ما لم يظهر العناد، ويترتب عليه الفساد، أو ينفتح باب القتال، ويزيد الضلال، فذلك يرجع إلى الحكام وأهل الشوكة وكل إمام.

فمن حق المسلم أن يقصد بنصحه كل منصف عند المقال، متصف بالقابلية والقبول من الناصح في كل حال، لا تأخذ العزة بالإثم ولا الكبر ولا التعالي، فإنّ ذلك من أقبح الخصال، فإن من لا يرعوي[٣] عن ضلاله وجهله، وإذا قيل له اتقِ الله تخبّط في قوله وفعله، وتغلّط في عمله وعقله، فإنّ نَصْحَهُ تعبٌ يؤدّي إلى كل شديدة، ويحمل على كل بعيدة، مِنْ غيرِ جدوى مفيدة، وأصل ذلك كلّه إعجابه بنفسه، وادّعاء كمال عقله وحسه، وترفّعه على أبناء جنسه، فهو في الأخسرين أعمالاً، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]، فأيّ علّة أعظم

---

(١) في نسخة: ما نصح العبد لربه.
(٢) في نسخة: مطلوبان.
(٣) في نسخة: فإن نصح من لا يرعوي.

مِن علَّة الجهل المركب، وأي فساد أفسد للحياة من انقياد العقل بالهوى في كل مركب، ومن استحسن رأيه الرديء وحالها الغوي على ما قاده هواه الهوي فقد وقع في شرٍّ بلية، وأخس حالة رديئة، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ [القصص: ٥٠].

* * *

وَإِنَّ كَمالَ العَقْلِ لا يَغْتَني الفتَى ... بِه عَنْ هُدى نُصْحِ وَعَرْضِ مَشورَةِ
فَإِنْ طابقَ القصْدَ المُشيرُ بِقَولِهِ ... وَإِلا فَما ضَرَّ الفتَى بَذْلُ كَلمَةِ

أي: مِنْ حقِّ العاقل أن لا يستغني بعقله، ولا يأمن من دسائس جهله في قوله وفعله، فليطلب النصيحة، من كل ذي معرفة صحيحة، ويعرض المشورة في كل معنى وصورة على كل عاقل عالم عارف بها يُستشار فيه في كل سيرة، فقد أُمر أَعقل العاقلين سيد المرسلين بمشاورة الصحابة في الدِّين، وجهاد الكافرين، وأنّ المستشير يجمع عقل العاقلين إلى عقله، ويختار منها ما هو أوفق في كماله وفضله، وعلى كل لا نقص على المستشير ولا يستفيد إلا الخير؛ لأنه إنْ طابق الحق والقصد رأيُ المشير فهو المطلوب وإنْ لم يطابق فما يضر الفتى بذل كلمة في طلبِ محبوب.

* * *

وَلا بُدَّ للإنسانِ مِنْ ذي صَداقةِ ... يَلوذُ بِه عِنْدَ الأُمورِ المهِمَّةِ
فَعِنْدَ الغِنَى يَكْفيه كُلَّ مؤونةِ ... وَعِنْدَ العَنا يَكْفيهِ كَلَّ مَشَقَّةِ
وَإنْ عُدِمَ المعْوَانُ في ذا الزَّمان فالضّـ ... ـرورة قَدْ تُلْجئ لِدُون العَلِيَّةِ

أي: إنّ الإنسان خُلِقَ ضعيفاً في جسمه وفعله، وفهمه وعقله، وكما يحتاج إلى المشهورة لتتميم عقله وفهمه، كذلك أيضاً يحتاج إلى المعاونة من أهل الصدق والصداقة لضعف جسمه عن بلوغ مقصده في كل فعلة، فلا بد له من ذي صداقة يلوذ به عندما يعرض له من الأمور المهمة، والعوارض الملمة.

فعند الفقر والحاجة ومع الغنى والقدرة عند صديقه، يكفيه كُل مؤونة (بضم الكاف) أي جميع المؤونة؛ لأنّ الصديق الحقيقي من واساك، بل آساك، أي دخل معك في كل سوء عرض لك ليدفع عنك الضرر، فيكفيه عند العناء (بالعين المهملة) كَل (بفتح الكاف) أي ثقل كل مشقة عرضت عليه.

فقد قيل: إن أخاك من آساك لا مَنْ واساك، فإنْ كان الزمان قد عُدِمَ فيه المعوان من الإخوان، والصادق من الخلان، فالضرورة قد تلجئ بصاحبها إلى مَنْ وجده مِنْ كل ذي حال حلية، وإنْ كان دون الرتبة العلية، فإنّ هذه الأيام أيام الصبر وغربة الدين، فطوبى للغرباء الصابرين، الذين ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

***

وَكُلُّ امرئٍ لا يَغْتَني عَنْ مُعاونٍ ... وَحافظِ سِرٍّ في حُضورٍ وَغيبَةِ

نَعَمْ كُلُّ إِنسانٍ يُقَاسُ بِصحْبهِ ... بِكُلِّ مقامٍ فاتَّخِذْ خَيْرَ صُحْبَةِ

وَكُلُّ امْرِىءٍ يَسْري لَه مِنْ جَليسهِ ... مُناسبُ ما يَأتيهِ مِنْ سِرِّ سِيْرةِ

فَصاحِبْ أُولي المعْروفِ وَالعِلْمِ والهُدى ... وَأَهْلَ المَعالي وَالنَّدى والفَضيلةِ

أي: كل إنسان وإن كمُلَ في فضله، وعظُمَ في أهله، بوفور فهمه وعقله، لا يغتني عن معاون له في دينه ودنياه، ومعيشته وتقواه؛ لأنّ مُسبّبَ الأسباب، جعل أمر الإنسان مبنياً على الحاجة في كل باب، ليعرف حقيقة أمره، واضطراره وفقره، ومع ذلك وظهوره ما سلم من عجبه وكبره، ودعواه والغلو في أمره، فالصديق من أهل الصدق، والرفيق من أهل الرفق، أولى ما يعوَّلُ عليه في كل طريق، عند كل فريق، فينبغي للعبد الموفق أن يصاحب أهل المعروف والمعرفة، ومَنْ له في الخير حسن حالة وصفة، من أهل العلم والهدى، والنور والندى؛ لأنّ كل إنسان يقاس بصحبه،

ويسري إليه من جليسه سرٌّ يسري إلى جسمه وقلبه، مِنْ سريرته ووصف سيرته، إما من الهدى وإما إلى الردى، فيكون صاحبه عليه دليلاً، ويقول إذا حصحص الحق ﴿ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٨].

* * *

فَخُذْ مئتي بَيْتٍ وَخمْسين قَدْ خَلَتْ … بِها حِكْمَةٌ لله مِنْ خَيْرِ حِكْمَةِ
فَصيْحَةُ أَلْفاظٍ صَحيحَةُ مَقصدٍ … بِها تَمَّ مَقْصودي وَتَمَّتْ قَصيدَتي
فلله رَبِّي الحمْدُ في كُلِّ حَالةٍ … عَلى كُلِّ حَالٍ في رَخاءٍ وَشدَّةِ
وَأَزْكى صَلاةٍ ثُمَّ أَزْكى تَحِيَّةٍ … عَلى خَيْرِ مَبْعوثٍ بِأَكْرَمِ مِلَّةِ
مُحَمَّدٍ المُختار مِنْ خَيْر عُنْصُرٍ … وآلٍ وأصْحابٍ وأتباعِ شرْعةِ

ختمَ الكتابَ بالحمد كما بدأ به لفظاً، والبسملة خطاً ولفظاً، وهي مشتملة على الحمد أيضاً؛ لأنه من المطلوبات في الدين، والشكر لرب العالمين، على ما أنعم به من تمام هذه القصيدة، وتمم بالصلاة، وبالتحية التي هي السلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، واتباع شريعته وحزبه؛ لأنهم الواسطة في كل خير ودين، وتقوى ويقين، وشكر الواسطة في النعمة من شكر المُنعِم عند العارفين.

والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب

* * *

(١٥)

رفع الأستار

شرح القصيدة المسمّاة

«مفتاح الأسرار في تنزّل الأنوار»

تأليف

سيدنا الإمام العلّامة والحبر الفهامة علّامة الدنيا

الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

العلوي التريمي

نفعنا الله بعلومه

آمين

هذا الكتاب:

شرح وضعه علامة الدنيا على قصيدة لامية من نظمه، سماها «مفتاح الأسرار في تنزل الأنوار وإجازة الأبرار»، أجاز بها مفتي زبيد السيد العلامة يحيى بن عمر الأهدل الزبيدي، المتوفى بزبيد سنة (١١٤٧هـ)، ووضع هذا الشرح عليها في سنة (١١٥٥هـ)، بعد تكرر الطلب من بعض محبيه، كما جاء في مقدمة الكتاب.

هذه الإجازة المنظومة، لها قصة وحكاية جرت في زبيد، وثّقها علماء زبيد في مصنفاتهم، منهم السيد العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (ت ١٢٥٠هـ)، حفيد السيد يحيى في كتابه النافع الجليل «النفس اليماني»، عند تعداد شيوخ العلامة أحمد شريف مقبول الأهدل، تلميذ جده يحيى، وجعله خاتمة شيوخه، فقال:

«الإمام العارف بالله تعالى، ذو التأليفات الواسعة، عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي، أجاز السيدَ المذكور[1] لما وفد إلى مدينة زبيد، وأجاز من كان في ذلك الوقت من العلماء، وقد سبق أنه أجاز شيخنا الوالد رحمه الله بمنظومة طويلة. وكذلك أجاز سيدي الجد يحيى بن عمر بمنظومة طويلة، وجعل عليها شرحاً نحو ثلاثة كراريس[2]. ووفد على سيدي الجد وأكرمه إكراماً عظيمًا.

ومن عجيب الاتفاق، كما ذكر لي شيخنا الوالد رحمه الله: أن سيدي الجد كان يقرر مسألة مشكلة، فذكر في أثناء التقرير: أن هذه المسألة سأرفعها إلى

---

(١) يعني به: السيد أحمد شريف مقبول الأهدل.

(٢) هو كتابنا هذا «رفع الأستار».

سيدي السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، يحرر فيها كلاماً.

وكان السيد المذكور وصلَ في ذلك الوقت، وقعد في الحلقة يسمع الدرس، ولم يكن سيدي الجد قد عرفه، فلما ذكر سيدي الجد ذلك إذا بعض من هو صحبة السيد المذكور، عرّف بعض الطلبة أن السيد عبد الرحمن حاضر في المجلس. فلما عرفه وعرف سيدي الجد، عظُمَ عليه ذلك، وسار به إلى منزله[1].

ووقعت بين المذكورين مشاعراتٌ. من ذلك هذه القصيدة من السيد عبد الرحمن، وجهها إلى سيدي الجد:

يـا مُغرمينَ بوصْـلِ ذات الخالِ نجـمُ اللقـا في طَالـع الإقبـالِ

انتهى المراد من «النفس»، وستأتي القصيدة والجواب عليها من السيد يحيى الأهدل، في خاتمة هذا الشرح.

---

(١) قصة وصول مؤلف الكتاب إلى زبيد، وردت في المصادر الحضرمية المحلية، بصورة قريبة مما جاء في «النفس اليماني». فممن ذكرها الشيخ محمد بن عوض بافضل (ت ١٣٦٩هـ) فيما دوَّنه من أخبار «الرحلة المكية» لشيخه السيد الإمام أحمد بن حسن العطاس، قائلاً على لسان شيخه المذكور: «ولما توجه الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه من حضرموت إلى الحرمين من طريق البر، هو وخويدمه، على قدم التجريد، ووصل إلى زبيد. وجد السيد سليمان بن يحيى الأهدل في درسه، فجلس بجنب أحدِ الطلبة، فألقى السيد سليمان عليهم مسألةً، فسكتوا. فقال الحبيب عبد الرحمن للذي بجنبه: قل: الجوابُ كذا. فقال: يا سيدي، جواب هذه المسألة كذا وكذا. فقال: من أين لك هذا؟ فقال: من هذا الدرويش. فقام السيد سليمان إلى الحبيب عبد الرحمن، وقال له: من أنت؟ فقال: عبد الله. فقال: قد علمنا أن الخلقَ كلهم عبيدُ الله، ما اسمكَ؟ قال: عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، فقال: تتنكر علينا إلى هذا الحد!. فقال: الحاجُّ أشعث أغبر، فأخذه السيد سليمان إلى بيته وأكرمه، وبقي الحبيب عبد الرحمن في زبيد أياماً، يملي عليهم في معنى البسملة، بل في معنى الباء، بل في نقطة الباء، ثم توجه إلى مكة». انتهى. والفروق بين القصتين واضحة للمتأمل.

النسخ المعتمدة في تصحيح الشرح:

النسخة الأولى: من مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، وهي الكتاب التاسع ضمن مجموع رقمه ٢٧١١، تقع في ٣٣ ورقة، وبآخرها قصيدة أخرى للمؤلف وجواب العلامة يحيى الأهدل عليها. وهذه النسخة في مجلد تقع بعد نسخة الكتاب السابق «فتح الخلاق»، الذي نسخه عبد الرحمن بالرقيبة الأحمدي الحضرمي، وعلى طرة الورقة الأولى من نسختنا هذه، ما يفيد أنها مرسلة من حضرموت الى مليبار، عقب وفاة السيد المؤلف بمدة وجيزة.

النسخة الثانية: من مكتبة خاصة، تقع عقب نسخة «شرح القصيدة الفريدة»، الذي تقدم ضمن هذا المجموع، وهي في ٢٥ ورقة، غير مؤرخة.

❊ ❊ ❊

تنبيه

تم ترقيم أبيات القصيد بأرقام صغيرة في نهاية كل بيت، كما تم ترقيم فقرات الشرح أيضاً تبعاً للأبيات المناسبة لها، حيث إن المؤلف، رحمه الله، كان يورد الأبيات ذات الموضوع الواحد معاً، ويشرحها تارة شرحاً منفرداً لكل بيت، وتارة يمزج شرح البيتين، وكل ذلك واضح للمتأمل.

❋ ❋ ❋

١٢٢

كتاب رفع الأستار عن مفاتيح
الأسرار للشيخ الإمام الفاضل
العلامة الحبيب عبد الرحمن
بن عبد الله بن أحمد
بلفقيه
نفع الله به والمسلمين وبوأه منازل المتقين آمين

٥١

[illegible]

٢٧٤

[illegible]

هذه الرسالة مسماه رفع الاستار
عن مفتاح الاسرار شرح قصيدة
سيدنا الامام الوجيه السيد الشريف
عبدالرحمن بن الامام عبدالله بن احمد
بالفقيه باعلوي قدس الله سره
المنتقل الى الدار الآخرة اواخر شهر
جماد الاخيره سنه 1162
تغمده الله برحمته واسكنه
بحبوح جنته آمين
امين

هذه القصيدة المسمّاة
مفتاح الأسرار في تنزّل الأنوار وإجازة الأبرار

سُبحَانَ رَبِّ العِزَّةِ المُتَعَالِي ... عَنْ كُلِّ ما يَصِفُونَ مِنْ أَقْوَالِ
جَلَّ العَظِيمُ عَنِ الحُروفِ وَوَضْعِها ... وَعَنِ الحُدودِ وَعَنْ قُيودِ البالِ
فَلقَدْ تَعالى في سَمَاءِ سُمُوِّهِ ... عَنْ وَسْمِهِ بِسِماتِ رَسْم بالِ
وَلَقَد تَنَزَّلَ جودُه بِوجُودِه ... في الكَائِناتِ بِكُلِّ مَعْنى عَالِ
سُبحانَ مَنْ سُبُحاتِ وَجْهِ جَلالِه ... أَعْمَتْ عُيونَ قَوابِلِ الإِقْبالِ
مَعْناهُ ما يَعْنِيهِ في تَعْيِينِه ... في عَيْنِ مَعْنى العِزِّ والإِجْلالِ
بَانَتْ مَبانِي بَيِّناتِ بَيانِهِ ... في صادِ والفُرقانِ والأنفالِ
فَبِه تَجَلَّى في مَعانِي قُدْسِهِ ... بالحَقِّ في الأَوْصافِ والأفْعالِ
وَبِه جَلا أَبْصارَ صَفْوةِ خَلْقِهِ ... ببصائِر الإنْباءِ والإِرْسالِ
حَتَّى غَدَوا أقْمارَ شَمْسِ جَمَالِه ... وَلها قُلوبُ المُؤمِنينَ مَجالِي
كُلٌّ على قَدْرِ الصَّفاءِ والاقْتِدا ... نالَ الهُدَى في أَحْسَنِ اسْتِقبالِ
حَتَّى بَدا وَهَدى بِهدْيٍ جَامِعٍ ... لِجوَامِعِ الإِعْطاءِ والإِرْسالِ
المُصْطَفى خَيْرُ الوَرَى فأفاضَها ... في حزْبِهِ مِنْ صَحْبِه والآلِ
فَتظَاهَرَتْ أَنْوارُه فيهِم بِهِمْ ... في التَّابِعِينَ وَكُلِّ وَاعٍ تَالِ
وَتَوَاتَرَتْ في تابِعيهِمْ ثُمَّ في ... كُلِّ العُصورِ على الهُدى المُتوالِي
كُلٌّ يُبَلِّغُ عَنْه ما هُو بَالِغٌ ... في العِلْمِ أو في الذَّوْقِ والأَحْوالِ

وِبِـه المُبَلَّـغُ قـد يكـونُ لِوَعْيـه فَـوْقَ المُبَلِّـغِ فـي هُـدى وَكَمـالِ
فـي حُبِّـه أوْ قُـرْبِـه أوْ ذَوْقِـهِ أوْ شَـوْقِه بـالفَضْـلِ والإفْضـالِ
بـالفَضْـلِ والإِفْضالِ فيما شَا كَما شـاءَ بِمـا شـاءَ مِـنَ المنْـوالِ
حَتَّى اسْتَفادَ مِنَ الرَّسـولِ حَقائقاً لَـمْ يَسْـتَفِدْهـا حـامـلُ الأقـوالِ
بَـلْ رُبَّمـا فاجـأهُ نُـورُ الحَـقِّ فـي وَجْـهِ الرَّسـولِ فَنـال كُلَّ مَنـالِ
والله وَهْـوَ الْحَـقُّ أَظْهَـرَ خَلْقَـهُ بِـالحَـقِّ فـي عَـدمٍ بِخَيْـرِ مِثـالِ
والنُّـورُ أَجْمَـعَ نُـورَهُ وَبِه استوَى كُـلُّ الوجُـودِ بِأَبْـدَعِ استِكْمالِ
فَجَميـعُ ذَرَّاتِ الوجُـودِ لِكلِّهـا وَجْهَـانِ وَجْـهٌ بالوجُـودِ يُلالـي
وَظُهـورُ مَعْنـى الحقِّ فيـه ظُهورُه وَبِـهِ تَجَلَّـى فـي أَجَـلِّ مَجالِـي
تُتْلَـى بِـه آيـاتُ فَيْـضِ وجُـودِهِ ككلامِـــه يَـتْـلـوهُ بالأَشْـكـالِ
وَبـه يُسَبِّـحُ كُلُّ شَـيءٍ سَـرْمَدا يُثْنِـي مَثـانِـي عِـزَّةٍ وَجَـلالِ
وكتَــابُـه فـي وَجْهِـهِ بِيَمينِـهِ والمُعْرِضـونَ بِظَهْرِهـمْ وَشِـمالِ
والثَّانِـيْ مِـنْ وَجْهَيِهِ أَبْـدَعُ صورَةٍ وَتعيُّــنٍ يَبْـدو بِشِبـهِ خَيــالِ
فَتَـرى وَتَسْـمَعَ فيـهِ سِـرّاً باهِـراً مِـنْ غَيْـرِه وَبِـهِ بِـكُلِّ مَجالِ
إنَّ الـكَلامَ بِـهِ المَعَانِـي تَنْجَلِـي وَهْــوَ الهَـواءُ لِمقْطَـعٍ وَفِصـالِ
والواحِدُ الفَرْدُ الَّذِي ظَهَرَتْ بِه الـ أَعْـدادُ والأضْـدادُ فـي الإِجْمـالِ
جُلِيَـتْ عَلَيْـهِ مَلابِـسٌ مِـنْ صُورَةٍ نُسِـجَتْ بِأَحْسَـنِ مَنْظَـرٍ وَجَـلالِ
بِعَجـائِـبٍ وغَـرائِـبٍ وَصَنـائِـعٍ بِبَدَائِــعٍ فـي أَمْثَـلِ الأَمْثَـالِ
بِتَوافُــقٍ وَتَحـالُـفٍ وَتَـكَـثُّـرٍ بِتَوَحُّـدٍ فـي سَـائِرِ الأَحْـوالِ
وَبِـهِ العُقولُ صَفَتْ فَأَشْرَقَ وَجْهُها بِسَـنَا القَبُـولِ بِعَكْـسِ كُلِّ ظِـلالِ

إنَّ الحقائـقَ فـي الرَّقائـقِ تنجلـي   بظُهـورِ معْنـى الحَقِّ في اسْـتقْبالِ

وَظُهـورُ نـورُ الحـقِّ أظْهـرَ كوْنَها   فَبـهِ انجلـتْ وَعلَـتْ بِـكُلِّ معالِي

فَهُـوَ المُحيـطُ بِـكُلِّ شَـيْءٍ جُوْدهُ   وَوجُـودهُ وَخِصـالُ كُلِّ خِصـالِ

فَلَـهُ الكَمـالُ جَميـعهُ وَلِخلقِـهِ   إمْـدادهُ بـالجُـودِ والإكْمـالِ

أجْلَـى البَصائِـرَ فانجلـتْ آياتـهُ   لِلْعَقْـلِ فـي فِكْـرٍ وَفـي اسْـتِدْلالِ

فَتَظَاهَـرَتْ أَسْـرارُها وَتَباهَـرَتْ   أَنْـوارُهـا بِـجَـواهِـرٍ وَلآلـي

وَتَنَوَّعَـتْ أَشْـجارُها فَزكَـتْ بِهـا   أَثْمـارُهـا بِـالفَضْـلِ والإفْضـالِ

فَبـه كَسـاها حُلَّـةً مِـنْ جُـودهِ   فتـأَهَّـلَـتْ لِلْفَيْـضِ والإنْـزالِ

وَبـهِ تَـراهُ وَهَـلْ تَـراهُ بَصِيْـرَةٌ   ظَهَـرَتْ بـه فـي كُلِّ بَـالٍ بـالِ

لَكِنْ يَكونُ وجُودُها في خِلْقَةِ الإنْـ   ـسانِ بَعْـدَ حَـواسِه وَخيالِ

وَتَمَكَّنَـتْ بـالطَّبْـعِ مِنْـهُ فَإنَّهـا   مِـنْهـا تُـشَـابُ بِظُلْمَـةٍ وَخَيَـالِ

فـإذا أرادَ الله تَطْهِيـراً لَـهَـا   مِنْهـا وَتَقْديسـاً لِكُـلِّ وِصـالِ

سَلَكَتْ سَبِيلَ الاجْتهادِ وَصابَرَتْ   وَصْـلَ الجِهادِ وَفَصْـلَ كُلِّ فِصَالِ

وَاسْـتَقْبَلَـتْ مِـرْآتَهـا مِـرْآةَ مَـنْ   حَصَـلَ القَبـولُ لَـهُ مِـنَ الإقْبالِ

كَـذِوي العُلـومِ العَامِلِينَ وَكالشُّـ   ـيُـوخِ العَارِفِينَ وَصَالِحِي الأبْدَالِ

أَوْ غَيْرِهـم مِمَّـنْ تَلَقَّـى وَصْلَهُـم   بتَعـلُّـقٍ فَـتَخلُّـقٍ فَـنَـوالِ

فـي تَـوْبَـةٍ فَـإرَادَةٍ فَـتَعَلُّـم   فَـتَعَمُّـلٍ فَـتَوَصُّـلٍ لِوِصَـالِ

بِالْعِلْمِ والأَعْمالِ أوْ بِالذِّكْرِ والإقْبـ   ـالِ أَوْ بـالجِدِّ والتِّرْحـالِ

بِعِبـادَةٍ وَعُبـودَةٍ بِعقِيـدَةٍ   مَعْقُـودَةٍ مِـنْ خالِـصِ الإرْسالِ

مُتَقَلِّداً لِلصَّـالِحـاتِ مُـقَلِّـداً   لِلْحَقِّ غَيْـرَ مُقَيِّـدٍ فـي حَـالِ

فَمِنَ الحَضِيضِ عُروجُه فَوْقَ العُلا وَخُروجُه مِنْ ظُلْمَةِ الإِضْلالِ
وَيَرى الأُمُورَ جَمِيعَها بالله والْـ إِفْضالِ بالطَّاعَاتِ والأَعْمالِ
وَالخَلْقُ في جَهْلٍ وَعَجْزٍ مَا لَهم في سائِرِ الأَكْوانِ مِنْ مِثْقالِ
وَيَرى الوجُودَ جَمِيعَهُ والجودَ مِنْ فَيْضِ الكَريمِ بِوابِلِ الإِفْضالِ
فَيَقِرُّ في إيمانِه ويفرُّ في الإِحْـ سانِ للْمُعْطي لِكُلِّ سُؤالِ
وَيُقيِّدُ الأَهْوا بِتَقْوى مُخْلِصٍ والطَّبْعَ يَقْهَرُهُ بِحُكْمِ العالِي
فَبِذاكَ يَخْرُجُ عَنْ هَواهُ وَطَبْعِهِ بالامْتِثالِ لِشَرْعةِ المُتعالي
فَيَصيرُ قَصْداً واحداً مَقْصُودُه وَيَصيرُ عَبْداً خالِصَ الأَحْوالِ
بِأَدَائِه المَفْروضِ ثُمَّ بِقُرْبِه في كَثْرَةِ الطَّاعاتِ والأَنْفالِ
وَبِصدْقِهِ في قَصْدِه وَدَوامِه في ذِكْرِه مُسْتَهْتَراً مُتَوالِ
لَما تَوَلَّى الحَقّ في طاعاتِه بالحَقِّ كانَ لَه أَجَلُّ مُوالِ
فَبِذاكَ أَخْرَجَهُ إِلى نورِ الهُدى مِنْ ظُلْمَةِ الدُّنْيا وَكُلِّ ضَلالِ
وَهُناكَ يَفنى عَنْ شُهودِ شُؤونِه وَيَصِيرُ مِثْلَ الرَّسْمِ في اضْمِحْلالِ
وَيَغيبُ عَنْه وجُودُهُ في جُودِه وَيَرى بِمَعْنى الحَقِّ كُلَّ مَقالِ
فَبِه يَرَى وَبِه يَقولُ وَيَحْتَذِي وَبِه يُحاوِلُ سَائِرَ الأَحْوالِ
وَيصيرُ مَوجُوداً بِجُودِ الحَقِّ في كُلِّ الوجُودِ ووَصلِ كُلِّ وِصالِ
وَيَعودُ مُنْعَكِساً بِه نُورُ الهُدَى بَيْنَ الوَرَى لِلْحَقِّ مِنهُ مَجالِي
فَتَراه خَلْقاً وَهُوَ حَقٌّ جَامِعُ لِمجامِعِ الإِفْضالِ والإِنْزالِ
وَالحَقُّ يُذْكَرُ حَيْثُ يُذْكَرُ نَعْتُهُ وَلَهُ بِذِكْرِ الحَقِّ ذِكْرٌ عَالِ
وَمَتَى بَدا أَبَداً بَدا نُورُ الهُدَى فَيَراه مُعْتَقِدُوه كُلَّ جَلالِ

وَيفوزُ مَنْ وَالاه في مَوْلاه مِنْ … أَحْبابِه بِنِهايَةِ الآمالِ
وَيكون كالمِشْكاةِ وَالمِصْباحِ والزَّ … يْتِ الَّذِي بِزُجاجَةٍ مُتلالِي
رَقَّ الزُّجاجُ وَرَقَّ ما في جَوْفِه … فَتَشابَها فَتَشاكَلا في الحالِ
وَالحَمْدُ لله الحميدِ بِحَمدِه … مِنْ فَضْلِه نِلْنا أجَلَّ مَنالِ
وَبِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ اتَّصَلَتْ لنا … أسْنى الصِّلاتِ بِأَكْمَلِ الأَوْصالِ
وَبِهِ بَلغْنا كُلَّ خَيْرٍ فَائِضٍ … بالجودِ في التَّفْصيلِ والإجْمالِ
وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِه اتَّضَحَتْ لَنا … سُبُلُ الرَّشادِ وَنَهْجُ كُلِّ كَمالِ
أَنْوارُ تَحْقيقٍ بِكُلِّ حَقيقَةٍ … قَدْ طابَقَتْ لِلْحَقِّ في الإِكْمالِ
بِرِسالَةٍ وَنُبُوَّةٍ وَوِلايَةٍ … بِشَرِيعَةٍ وَطَرِيقَةِ الإيصالِ
فاضَتْ عَلَيْنا مِنْ بِحارِ مُحَمَّدٍ … بِمَعارِفٍ وَلَطائِفٍ وَعَوالي
إِرْثُ الشُّيُوخِ العارِفينَ أُولِي العُلو … مِ العامِلِينَ مَطالِعُ الآمالِ
كَالوَالِدِ الشَّيْخِ الإمامِ وَجَدِّي الْـ … حَبْرِ الهُمامِ وَخَالِي المِفْضالِ
فَلَقَدْ حَظِيْتُ بِقُرْبِهِم وَبَلَغْتُ آمـ … الِي بِهِم وَبِهِم سَبَقْتُ رِجالِي
وَبِغَيْرِهِم مِنْ سَادَةٍ وَأَئِمَّةٍ … وَمَشايِخٍ كُبْرى وَصَلْتُ حِبالِي
مِنْ سَاكِني الحَرَمَين واليَمَنَيْن مَع … شَامٍ وَمِنْ أَهْلِي وَأَهْلِ حِلالِي
بالعرض والتَّحدِيث والإسْماعِ أوْ … بِإجازَةٍ وَوِجَادَةٍ وَنَوالِ
في الفِقْهِ والأَصْلَيْنِ والتَّفْسير مَعْ … عِلْمِ الحَدِيثِ مَسانِد وَعَوالِ
بَيْني وَبَيْنَ الحافظينَ ثَلاثَةٌ … واثْنَينِ بالفُقَهاءِ كَانَ وِصالي
وَرَقائِقٌ وَحَقائِقُ بِمَسالِكٍ … عَرَبِيَّةٍ وَمَدارِكُ العِقَالِ
بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ وَتَعَلُّقٍ … وَتَخَلُّقٍ لِتَحَقُّقٍ وَنِزالِ

والأَخذُ فـي التَّلْقِين والإلْباسِ في ... عَهْـدٍ بِوَصْـلِ سَلاسِـلِ السِّلْسـالِ
بِطَرائِقٍ مَشْهُورةٍ نَافَتْ على العشْـ ... ريـن قَـدْ عُرِفَتْ بِخيْـرِ نَـوالِ
وَالإذْنُ في الإرْشادِ والتَّحْكيم والتَّـ ... دْريـسِ والفَتْـوى لِكُلِّ سُـؤالِ
هـذا اجْتِهـادِي ثُـمَّ مَنَّ الله بالْـ ... فَتـحِ العَظِيـم وَفَـوْقَ مـا فـي بالي
أَعْطَـى عَطَايـا لا تُحَدُّ ونِعمـةً ... لَيْسَـتْ تُعدُّ بِـكُلِّ حـالٍ حالـي
إنْ قُـلْتُـهـا مُتَحَدِّثـاً عَـنْ أَمْـرِه ... فـي شُـكْرِه مِـنْ ذِكْـرِه بِمقـالي
فالأمْـرُ مِنْـه لَـه إلَيْـهِ وَلَيْـسَ لـي ... فـي كُلِّ مـا قَـدْ قُلْـتُ مِـنْ مِثْقـالِ
فالعجْـزُ فـي ذاتـي وَجَهْلـي لازِمٌ ... والفَقْرُ سـارِي في جَميعِ خِصالي
وَبِهِ وجُودي في الذَّواتِ وَقَدْ كَسا ... نـي فـي الصِّفـاتِ بِقُـوَّةٍ وَمَحـالِ
وَبِـذاكَ حَمَّلنـي الْأمانـاتِ الَّتِـي ... عنهـا السَّـما والأرضِ ذَاتِ كَلالِ
وَأَنـا الظَّلومُ إذا ادَّعَيْتُ الحَمْلَ لي ... وَأَنـا الجَهـولُ إذا جَهِلْـتُ لحالي
فَبِـه حَمَلْـتُ أي احْتَمَلْـتُ لِحُلَّـةٍ ... مِـنْ جُودهِ سترتْ جميـعَ خِلالي
أيغُرُّنـي لُبْسِـي لأحْلـى حُلَّـةٍ ... وَأَنـا العَليـمُ بِعُنْصُـري وَمَآلـي
مـا كـان ذاتِيـاً فَلَيْـسَ يَـزول بالْـ ... عَـرَضِ وَلَـوْ يُكسـى بِـكُلِّ كَمـالِ
وَلِـذاكَ يُمْقَـتُ مُعْجَـبٌ بِجَميلـهِ ... لِغُـرورِه عَـنْ نَفْسِـهِ بِخَيـالِ
لا يُوجَـبُ النُّعمـى عَلَيْـه عُلوُّهـا ... بَـلْ حِفْظُهـا بالشُّكْرِ والإذْلالِ
والخَـوْفُ مِنْ مَوْلاه إنْ أعْطى فَلَم ... يُشْـكَرْ فَيُبْلِيـهـا بِكُلِّ زَوالِ
بَـلْ خَوْفُـهُ فـي نِعْمَـةٍ دِينِيَّـةٍ ... أَوْلـى لِفَضْـلِ مـآلِهـا وَالْحـالِ
بَـل لا يَـرى أَمْثـالَـه أَهْـلاً لَهـا ... لِقُصُـورِهِ عَنهـا بِكُـلِّ مُحـالِ
بَـلْ لَيْس يُمْكِـنُ شُكرَ نِعْمَـةِ رَبِّهِ ... إلّا بِـنِعْمـتِـه وَشُـكْرِ تـالِ

الشُكْرُ مِنه لَه يَكُون بِفَضْلِهِ ... وَالشُكْرُ مِنْكَ بِغَيْرِهِ كَمُحالِ
فَاسْأَلْه شُكْراً مِنْه عَنْكَ لنَفْسِهِ ... وَبِهِ اسْتَعِنْ في سَائِرِ الأحْوالِ
وَبالافْتِقارِ بِكُلِّ ما حاوَلْتَه ... وَالاضْطِرارِ بِأفْضَلِ اسْتِعْمالِ
وَإذا فَرَغْتَ مِنَ القِيامِ بخصْلَةٍ ... فانْهَضْ لثانيةٍ بِلا إمْهالِ
وَارْجِعْ إِلَيْه بِما فَعَلْتَ مُوَحِّداً ... في الذَّاتِ وَالأَوْصافِ وَالأَفعالِ
وَاحْمدْهُ للتَّوْفِيقِ مِنْه بفعلِهِ ... وَارْغَبْ إِلَيْهِ لِبَسطِ كُلِّ نوالِ
وَاهْرُبْ إِلَيْه مِنَ الوَرَى وَشُهودِهِم ... وَاشْهَدْهُ فيهم في أَجَلِّ تَعالِ
وَاخْشَ الوقُوفَ أَوِ الرُّكونَ إلى الـ ... سِّوَى مِنْ طاعَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ أعمالِ
تُعطِي الحَقِيقَةَ حَقَّها وَتَكُون بالْـ ... فَقْرِ الحَقيقِيْ في الْغِنى المُتعالِي
وَتَصيرُ أنْتَ بِهِ بِكُلِّ تَعَيُّنٍ ... وَيَعودُ منْه عَلَيْكَ كُلُّ مَنالِ
وَتَبِيْنُ منْه عَلَيْكَ أَجْمَلُ صُورَةٍ ... عُلوِيّةٍ فيها أَجَلُّ جَمالِ
وَوَصِيَّتي لَك يا أخِي كُنْ عَبْدَهُ ... أَبداً بِما أَوْلاكَ مِنْ مِنْوالِ
وَامْحِ الرُّسومَ وَكُلَّ دَعْوَى غَيْرِهِ ... وَاحْذَرْ تكون بِما عَلَيَّ وَما لي
وَخفِ الغرورَ مِنَ القُصورِ بِغَفْلَةٍ ... في نَظْرَةٍ أو خَطرَةٍ أو بَالِ
والعِلْمُ أَشْرَفُ ما طَلَبْتَ ولكِنِ الـ ... عِلْمَ اللَّدُنِّي المَنْهلِ الإِنْزالِ
يَهْدي إلى عَيْنِ الهُدَى وَيُرَى بِهِ الـ ... حُكْمِ الجليّ بِكُلِّ مَعْنى عالي
وَبِه الحَقِيقَةُ في الرَّقيقَةِ تَنْجلي ... وَيُذاقُ طَعْمُ الرُّشْدِ في الأعْمالِ
والله بُدُّكَ لَيْسَ بُدُّك غَيْره ... وإلَيْهِ مِنْكَ يؤولُ كُلُّ مآلِ
فاطْلُبْ بِعَجْزِك مِنْه أَكْمَل قُوَّةٍ ... وبفَقْرِكَ ارْغَبْ في الوَلا المُتَوالي
وَبنورِه اغْسِلْ كُلَّ جَهْلِكَ[1] ثُمَّ قِفْ ... في الظِّلِّ تَحْتَ الفَيْضِ والإِفْضالِ

---

(١) في نسخة: وجهك.

قُلْ رَبِّ يا مَوْلاي عَبْدُك واقفٌ بالبابِ يَرجُو غايَةَ الآمالِ
خُذها مُذَكِّرةً وَكُنْتُ نَظَمْتُها لِأخٍ عَلى حُبِّ الحَبيب مُوالِ
طَلَبَ الوَصِيةَ والإجازَة فاقْتَضى الْـ حالُ الجَوابَ بِهَذهِ الأقوالِ
فَأَجَزْتُهُ فيها وفيما قُلْتُه مِنْ نظْمٍ أو نَثْرٍ وَحلِّ سُؤالِ
وكَذاك كُلُّ أخٍ وَطالِبِ حِكْمةٍ ومرافِقٍ لِلْحقِّ بالإقبالِ
والحَمْدُ لله الحَميدِ بِحَمْدِهِ في حَمْدِهِ المَحْمودِ في الآزالِ
ثمَّ الصَّلاة على النَّبي مُحمّدٍ وَعلى الصَّحابةِ كُلِّهم والآلِ
والتَّابِعين مَعَ السَّلامِ وَخَتْمِها سُبْحانَ رَبِّ العِزَّةِ المُتَعالي

انتهت القصيدة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ لله على ما أنعم من مشارع الإسلام والإيمان، ومطالع الإحسان والعرفان، والصلاة والسلام على عبده الجامع لجميع الكمالات العبدية في كل شأن، الفاتح، القاسم، المانح لأتباعه من فضل ربه بكل ما يخصّه من إرشاد وبيان، وآله وأصحابه وأتباعه مدى الأزمان.

وبعد؛

فقد ألحّ عليَّ بعض الإخوان، الموالين في الله على الحق والإيمان، أن أشرح قصيدتي المسمّاة «**مفتاح الأسرار في تنزل الأنوار، وإجازة الأبرار**».

فتعذّرتُ إليه عن ذلك بأنها مشتملة على أشياء من علوم الطريقة وأسرار الحقيقة، التي تُصَانُ عن غير أهلها السالكين بتلك المسالك، ولا يحسن بذلها إلا لعارف بتلك المدارك، فلم يعذرني عن ذلك. ورأيتُ القصيدة قد شاعت فربما يفهم السامع منها مِنْ غير شرح ما ليس مُراداً فيقعُ في المهالك.

فعلّقتُ عليها هذه الحواشي، وأستمِدُّ التوفيق بعون القادر المالك، وذلك أوائل شهر رمضان عام خمس وخمسين بعد مئة وألف، وسمّيته:

«رفع الأستار عن مفتاح الأسرار».

***

سُبحَانَ رَبِّ العِزَّةِ المُتَعَالِي عَنْ كُلِّ ما يَصِفُونَ مِنْ أَقْوَالِ(١)
جَلَّ العَظِيمُ عَنِ الحُروفِ وَوَضْعِها وَعَنِ الحُدودِ وَعَنْ قُيودِ البالِ (٢)
فَلقَدْ تَعالى في سَمَاءِ سُمُوِّهِ عَنْ وَسْمِهِ بِسِماتِ رَسْمِ بالي (٣)

(١) أي تنزّه الله تعالى في ذاته وصفاته وآياته وكلماته وأفعاله وتجلّياته، تنزيهاً يليق بعظيم جلاله في كلّيات الأمر وجزئياته فهو مالك العزّة كلّها وإليه يرجع الأمر كلّه وله الكمال المطلق الذي لا يشوبه تقييد، المحيط بكل كمال بلا تخصيص ولا تحديد، فهو المتعالي عن كل ما يصفون ـ أي العباد ـ من أقوال تصدر عنهم؛ لأنها مقيّدة بقدر قدرتهم في الألفاظ والمعاني والإفراد والتركيب في المباني، فلذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

(٢) أي تعالى العظيم، المطلق في كلِّ تعظيم، عن الحروف أي حروف الهجاء التي هي المباني، والكلمات التي هي ظروف المعاني، ووضعها لمبنى منصوص، أو معنى مخصوص، وعن الحدود التي في مبانيها، وكذا معانيها، وعن قيود فهم الذهن وتقييد البال، في كل علم ومقال.

(٣) أي تعالى الله في سماء تنزيهه وسموِّه، وعظيم جلاله المطلوب وعلوِّه، عن وسْمِهِ في شيء من قديم شأنه بسمات المحدثات أو رسم أسمائه برسم بال أي محدثٍ؛ لأنّ المحدَث لا وجود له حقيقة، وإنما وجوده بالحق عند أهل الحقيقة، فلا يقوم الباقي الذي لا حدّ له بالمحدود الفاني بأي طريقة.

* * *

وَلَقَد تَنَزَّلَ جودُه بِوجُودِهِ في الكَائِنَاتِ بِكُلِّ مَعْنى عَالِي(١)
سُبحانَ مَنْ سُبُحاتُ وَجْهِ جَلالِهِ أَعْمَتْ عُيونَ قَوابِلِ الإِقْبالِ (٢)

(١) أي مع أنه سبحانه رفيع الدرجات في سماء علوّه، وآيات سموّه، أحبَّ أنْ يُعرف بصفاته، وتظهر آثارها في مكوّناته، فتتنزل بفضل جوده، في نوره ووجوده، فأخرج الكائنات مِنْ حندس الظلمات، ومِنْ عدمِ العدم، فأظهرها بأنواره، وميّزَها بأسراره، بتعيّنِ كلٍّ منها بمعنى من معانيه القدسية، وتبيّن لكل خلقه ما يستحقه في ذاته وصفاته ومبانيه في النوعية والجنسية، ومع ذلك لا يشبهها ولا تشبهه في كل حال فهي به قائمة في كل المحال، بلا اتصال ولا انفصال، ولا تقييد ولا إشكال، بكونها ذات حدود وذوات أشكال.

(٢) أي تنزّه الله تعالى تنزيهاً يليقُ بعظيم جلاله وعليِّ كمالِهِ عن أنْ يُكيّفه وَهَمٌ، أو يحققهُ عِلْمٌ، فإنّ سُبحاتَ وجههِ العظيم أي أنوار ذاته التي دونها سبعون ألف حجاب لو تجلّى بها على خلْقِهِ لأحرقتهم وتلاشى وجودهم عندها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقد أعمتْ هذه الأنوار قوابل الفهوم، المُقبلةِ عليها بالعقول وبالعلوم، وطلب الوصول، فكل مَنْ أقبل بقوّته رجع كسيراً، وكل مَنْ توصّل عاد طرفه كليلاً حسيراً، إذا علمتَ ذلك: علمتَ أنّ الله تفضّل على عباده فأذن لهم أنْ يذكروه بألفاظهم المخلوقة القاصرة عن معاني الجلال العظيمة الباهرة، فيتلون بها كتابه العظيم، ويذكرون بها صفاته العلية عن الفهم والتفهّم، وقد جاء في الحديث: «الحمد لله الذي أذن لي بذكره»، والله أعلم.

* * *

مَعْناهُ ما يَـعْنيـهِ في تَعْيينِـه ... في عَيْنِ مَعْنى العِزِّ والإجْلالِ (١)

بَانَـتْ مَبانِي بيِّنَـاتِ بَيـانِـهِ ... في صادِ والفُرقانِ والأنفالِ (٢)

فَبِـه تَـجَـلَّى في مَعـانِي قُدْسِـهِ ... بالحَـقِّ في الأوْصـافِ والأفعالِ (٣)

(١) أي المعنى السّاري، في جميع الأكوان من سرِّ الباري، معناه لا يكيّف وهو معروف، ولكنه لا يُعرَّف، وهو موصوف، فعَينه ظهرت بها الأعيان، وتميّزت

الأعراض والعوارض في جميع الأكوان، وإليه يرجع الأمر في تعينه في عين إطلاقه في كل كمال، وإنما القيود في الصورة هو الظاهر بالأشكال، فيما ظهر وما بطن في عين معنى العزة والإجلال، فله الجود والوجود والكمال، لا يزيده وجودها ظهور، ولا عدمها خفاء في جميع الأمور، وقد كان قبل أنْ يَخْلُقَ الخَلْقِ والزمان والمكان، منفرداً بجميع الكمال، وهو الآن على ما عليه كان، في كل شأن.

(٢) أي ظهرت مباني بيّنات بيان المعنى المقدّس الساري في الأكوان، في تنزيل القرآن، بكل فكرٍ وإمعانٍ، فهو في كل سورة ظاهر، وفي صاد والفرقان والأنفال باهر، ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شيء عليم﴾ [الحديد: ٣] ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: ١٢٠] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

(٣) أي إن الله تجلّى بالمعنى الحق القدسي، في الأوصاف والأفعال في جميع الكون المعنوي والحسي، فظهر بذلك المعنى في كل صورة، وأعطاها كمالها اللائق بها في ذاتها وصفاته المنشورة، فهي في ذلك ظهرتْ بالحق وتعيّنت على التحقيق، ولولاه لكانت من الباطل والعدم عند أهل الفهم والتدقيق، فلا تظن هناك غيرية ولا فرق ولا تفريق، ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] أزلاً وأبداً في كل طريق.

***

وَبِـه جَلا أَبْصـارَ صَفْـوةِ خَلْقِهِ ... ببصـائِرِ الإنْـباءِ والإِرْسالِ (١)

حَتَّى غَـدَوا أَقْمارَ شَـمْسِ جَمَالِه ... وَلهـا قُلوبُ المُؤمِـنِينَ مَجالِي (٢)

كُلٌّ عـلى قَدْرِ الصَّفـاءِ والاقْتِدا ... نالَ الهُدَى في أَحْسَنِ اسْتِقبالِ (٣)

(١) أي فبالمعنى الإلهي القدسي جَلَا سبحانه أبصار صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين، وكحلها بنورٍ خاصٍّ مِنْ نوره ليظهر لهم بخاص تجلّيه عليهم، خصائص تنزّلُ إليهم، ببصائر الإنباء عنه والإرسال برسالته، فاصطفاهم لذلك رحمة بعباده، وأيّدهم بما هنالك ليفتح بهم لخلقه أبواب رشاده، ليتقرّبوا إليه بنور توفيقه وإرشاده.

(٢) أي إنّ صفوة الله من عباده مِنْ الأنبياء والمرسلين في تلقي الأنوار، والترقّي في الأسرار، والتحلّي في الآثار، مثل الأقمار، تتلقى أنوارها من الشموس، ثم يفيض ذلك النور عنها على جميع ما يتلقّاه منها بالتجلّي المعكوس، على مقدار محسوس، وغير محسوس، فكذلك المؤمنون يتلقّون تلك الأنوار من الأنبياء والمرسلين، بواسطةٍ وغير واسطة في كل دين.

فإذا صح التلقّي، ووضح الترقّي، انطمست الواسطة في الأعيان حال ظهوره، وتحقّقَ بالتحقيق أنّ الحق هو الهادي بنوره وأنه ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ الآية [النور: ٣٥].

(٣) أي كلٌّ مِنْ عباد الله المتقين ينالون الهدى والكمال، على قدر الاستعداد بحسب صحة الإقبال، في أحسن الاستقبال، لقبلة الحق على كل حال، بقدر صفاء عقولهم، واقتفاء رسولهم، في طريق الحق بالعلم والعمل على التوحيد والصدق في كل اعتقاد واحتمال.

* * *

حَتَّى بَـدا وَهَدى بِهـذْي جَامِعٍ	لِجَوَامِعِ الإِعْطاءِ والإِرْسالِ (١)
المُصْطَفـى خَيْرُ الوَرَى فأفاضَها	في حزْبِـهِ مِنْ صَحْبِه والآلِ (٢)
فَتَظَاهَـرَتْ أَنْـوَارُه فيهِـم بِهِـمْ	في التَّابِعِـينَ وَكُلِّ وَاعٍ تَـالِ (٣)
وَتَوَاتَـرَتْ في تابِعيهِـمْ ثُـمَّ في	كُلِّ العُصورِ على الهُدى المُتَوالِي (٤)

(١، ٢) أي لم تزل أنوار الحق تتنزّل بواسطة رسله من لدن آدم ﷺ أوّل الرسل، لكل رسول وحي منصوص، بوجه مخصوص، إلى أنْ بدا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو خير الورى أي الخلْقِ مِنَ الرسل وغيرهم وخاتم النبيين، فأظهر للجميع مناهج الهدى، وكل ما يتجّي من كل ردى، وجاء بهدي جامع لجميع ما جاءت به الرسل، فجَمَعَ فيه كل مفرّق، فعمّت رسالاته كذلك جميع الخلق، وأشرقت أنواره في كل الطرق إلى الحق، فهو وارثُ جميع الأنبياء في جميع أنوارهم، وهم له مقدّمة، وهو حائز جميع أسرارهم، في جميع أحوالهم وأطوارهم، وأفاضها على حزبه المفلحين، وصحبه المنجحين، وآله الأكرمين، فهم ورثته الكاملون، العالمون العاملون، كل منهم متودّى، على ما قسم الله له من ظاهر أو باطن أو كلاهما في قاصر ومتعدى.

(٣، ٤) أي تظاهرت أنواره صلى الله عليه وآله وسلم في آله وصحبه، وتباهرت أسراره في أتباعه وحزبه، فأفاضها كذلك على التابعين لهم بإحسان، وحفظ عنهم كل واعٍ بنورِ البصيرة، تابع لهم على الطريق المستنيرة، في كل شأن، وهكذا في جميع العصور والأزمان، بالهدي المتوالي بالإسلام والإيمان، بين أهل العلم والإيقان والعرفان، إلى آخر أوان.

واعلم أنّ الحق والهدى ثابت لا يزول، وإنما يخفى لما أراد الله من ظهور الجهل والفتن والفضول، فإنّ الدِّين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فلا تظن أنه يزول.

***

كُلٌّ يُبَلِّغُ عَنْه ما هُو بَالِغٌ ... فِي العِلْمِ أو فِي الذَّوْقِ والأحْوالِ (١)
وِبِه المُبَلَّغُ قد يكونُ لِوَعْيِه ... فَوْقَ المُبَلِّغِ فِي هُدى وَكَمالِ (٢)
فـي حُبِّه أوْ قُرْبِه أوْ ذَوْقِهِ ... أوْشَوْقِه بالفَضْلِ والإِفْضالِ (٣)

بالفَضْلِ والإِفْضالِ فيما شَـا كَما ... شـاءَ بِما شـاءَ مِـنَ المنْـوالِ (٤)

حَتَّى اسْتَفادَ مِنَ الرَّسولِ حَقائقاً ... لَمْ يَسْـتَفِدْها حامِلُ الأقوالِ (٥)

بَـلْ رُبَّـما فاجـأَهُ نُـورُ الحَـقِّ في ... وَجْهِ الرَّسولِ فَنال كُلَّ مَنالِ (٦)

(١) أي كل مَنْ هداه الله باتباع الرسول، ووفّقه لنيل الهدى بصحة الإقبال ومطابقة القبول، فقد آتاه الله الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ونوراً منيراً، فإذا تحقّق بذلك الحق فهو وارث لأفضل الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في حرثِ الهدى حارثٌ في قلوب المؤمنين، يبلّغ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العلم المنقول والمعقول، أو في الذوق المقبول، فيرِثُ العلم الذي هو ميراث الأنبياء والمرسلين، ويكتسب المقامات والأحوال التي ارتقى إليها أكابر الأولياء والصالحين.

(٢، ٣) أي ربما كان المُبَلَّغُ (بفتح اللام) أوْعَى للعلم من المُبَلِّغ (بكسرها) وأزكى في الفهْمِ من المعلِّم، فينال مِنَ الهدى والكمال، ما لم ينله معلِّمه في جميع الخصال، فيفوقه بالجذبة من الله، ويكون فوقه في حبّه لله، وقربه من الله، وذوقه لمعاني ما جاء عن الله، وشوقه إلى لقاء الله، في التلقي عن الله، وذلك واقعٌ بالفضل من الله يختص برحمته من يشاء.

(٤، ٥، ٦) أي ربما كان المبلّغ حامل فقه غير فقيه، فيبلغ القول كما سمعه فيستفيد منه المبلَّغ (فتح اللام) حقائق من المعاني، ودقائق من المباني، لم يستفدْها الناقل لتلك الأقوال، والمبلِّغ إنما أخذ عنه الأقوال فقط، وإنما استفاد الفقه والمعاني من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل ربما ارتفعت الوسائط وفاجأه وجه الحق فيما قاله الرسول بوجهه الذي بلغه، فاستفاد عن الله، ونال كل منال في معرفة الله ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]

بفضل الله، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] إنما النبي قاسم والله معطٍ، والله أعلم.

***

والله وَهْوَ الحَقُّ أَظْهَرَ خَلْقَهُ بِالحَقِّ في عَدمٍ بِخَيْرِ مِثالِ (١)

والنُّورُ أَجْمَعَ نُورَهُ وَبِهِ استَوَى كُلُّ الوجُودِ بِأَبْدَعِ استِكْمالِ (٢)

(١، ٢) أي إنَّ الله هو الموجود الحق، المنفرد بالوجود الحقيقي المحقق، فأحب أنْ يُعرَفَ بظهور أسمائه وصفاته، بآثارها في الكون في كليّاته وجزئياته، فأظهر الخلق بنور القِدَمِ، بأحسن مثال بديع الحُكْمِ والحِكَمِ، فليس مِنَ الإمكان أبدع ممّا كان، كما قدّره القضاء وقرّره القلم، وكيف يكون وقد أبرزه بعلمه، وخصصه بإرادته، وأتقنه بقدرته، وأبدعه بحكمته، بأبلغ وجهٍ وأتم، والله نور السماوات والأرض ونور كل شيء ولولا نوره المحيط بكل شيء لما ظهر شيء، فالنور أجمع نوره، وبه استوى في كل شيء تَعيُّنِهِ وظهوره، فظهر بأبدع استكمال، في كل صورة، لما أفاضه الحق عليه مِنْ صورة الكمال المجازي، وأنار نوره.

***

فَجَميعُ ذَرَّاتِ الوجُودِ لِكلِّها وَجْهانِ وَجْهٌ بالوجُودِ يُلالي (١)

وَظُهورُ مَعْنى الحَقِّ فيه ظُهورُه وَبِهِ تَجَلَّى في أَجَلِّ مَجالِي (٢)

تُتْلَى بِهِ آياتُ فَيْضِ وجُودِهِ كَكلامِهِ يَتْلوهُ بالأَشْكالِ (٣)

(١، ٢) أي إن جميع ذرّات الوجود من البسائط والمركبات، والجزئيات والكليات، لها وجهان، وجه في حدِّ ذاتها، وهو عدمٌ محض، وظَلَم، لم يشم رائحة الوجود والنور، ولم يخرج عن ظلمة العدم في شيء من الأمور، وسيأتي الكلام عليه، والثاني من وجهيه، الوجه الذي إلى الله، الذي أظهر الله فيه نوره، وتجلّى فيه بأحسن

صورة، فهو بالوجود يلالي (بقلب الهمزة ياء) أي يشرق، فليس له ظهور في نفسه، وإنما ظهوره بظهور معنى الحق فيه، وإشراق أنوار الوجود عليه، وتجلّيه في أجلّ تقديس وتنزيه، من غير اتصال ولا انفصال، ولا مماثلة ولا أشكال، ولا مقابلة ولا استقبال، فظهر الكون بأجلّ مجال من مجالي الحق، وللحق كل الجمال والكمال.

(٣) أي إن آيات الله الباهرة، وتجلّياته الباطنة والظاهرة، يتلوها في صفحات الكائنات كل عارف، وتنكشف لكل ذي نور مكاشف، وهو غير حال فيها، ولا متصل بها، ولا منفصل عنها، كما يتلو آيات القرآن العظيم، والوصف القائم بذات الله القديم بالحروف والكتابة في كل قراءة وتعلّم وتعليم، فهو مكتوب في معنى مصاحفنا، مقروء بألسنتنا، محفوظ في قلوبنا، غير حال فيها، وهو صفة من صفاته، فكذلك في بقية الصفات، فالقدرة الإلهية مثلاً تتجلّى في عضو الفاعل، بأنوار الحق، فلله الخلق وحده لا شريك له في كل قابل، وللعبد النسبة في ظهور التجلّي فيه من غير حلول ولا اتحاد، مثل ما قدّمنا في الكلام في حقّ القائل، والله أعلم.

***

وَبِـه يُسَـبِّحُ كُلُّ شَيْء سَرْمَـدا	يُثْنِـي مَثـانِي عِـزَّةٍ وَجَـلالِ (١)
وكِتَـابُـه فِي وَجْـهِـهِ بِيَمِينِـهِ	والمُعْرِضـونَ بِظَهْرِهـمْ وَشِمالِ (٢)
والثَّـانِي مِنْ وَجْهَيهِ أَبْدَعُ صُورَة	وَتَعـيُّنٌ يَبْدو بِشِـبهِ خَيـالِ (٣)
فَـتَرى وَتَسْـمَعَ فيـهِ سِرّاً باهِـراً	مِـنْ غَـيْرِه وَبِـهِ بِكُلِّ مَجَـالِ (٤)

(١، ٢) أي كل شيء من مخلوقات الله يسبّح الله لفظاً ومعنى، سرمداً تثني على الله بأنه المنفرد بالعزة والجود، والنور والوجود، والجلال والكمال، ليس لغيره ذرّة مِن ذلك بحال، فالمقبلون على الله وهم جميع المخلوقات، ما سوى قلب العاصي المعرض، ﴿نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] يسبّحون بالأمر والقهر، والعاصون المعرضون عن

الله نورهم خلف ظهورهم وعن شمائلهم في كل أمر، فالحق ظاهرٌ فيهم، وباهر نوره عليهم، ولكن لا يعقلون، فهم يسبحون الله قهراً بكل جزء منهم، سوى القلب الغافل من جهة وجهة العاصي ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

(٣) أي الثاني مِنْ وجهيه أي المخلوق، الصورة الظاهرة بأبدع تصوير، وأحسن تعيين وتقدير، وهي في وجودها وحدودها وقيودها شبه خيال في التعبير؛ لأنها إنما قامت بغيرها، وتعيّنت به في صورتها وتصويرها وتقديرها، صنع الله اللطيف الخبير.

(٤) أي هو وإنْ كان شبه خيال، فهو ظلال، ظهر فيه شعاع الجلال والجمال فإنه ظهر بالنور الظاهر، وبطن في السر الباهر، من حضرة الكمال، تراه فيه به بكل مجال في جميع أطواره الحسية والمعنوية، والمثالية والخيالية.

* * *

إنَّ الـكَلامَ بِـهِ المَعَـانِي تَنْجَـلي ... وَهوَ الهَـواءُ لِمَقْطَعٍ وَفِصالِ (١)

والواحِدُ الفَرْدُ الَّذِي ظَهَرَتْ بِهِ ... الأَعْـدادُ والأَضْـدادُ في الإِجْمالِ (٢)

جَلِيَتْ عَلَيْهِ مَلابِسٌ مِنْ صُورَةٍ ... نُسِجَتْ بِأَحْسَنِ مَنْظَرٍ وَجَلَالِ (٣)

بِعَجائِـبَ وغَرائِـبٍ وَصَنائِـعٍ ... بِبَدَائِـعٍ في أَمْثَـلِ الأَمْثَـالِ (٤)

بِتَـوافُـقٍ وَتَـحـالُـفٍ وَتَكَثُّـرٍ ... بِتَوَحُّـدٍ في سَـائِرِ الأَحْوالِ (٥)

(١) أي انظر واعتبر تكوين الكلام الذي به تنجلي المعاني، وتُتلى الآيات والمثاني، وهو هواء يخرج من الجوف فيعتمد على مقطع من مقاطيع الفم واللسان، ويكون له فصال، فيحدث به أشكال الحروف في كل بيان، ويظهر فيها المعنى المعروف، على الوجه المألوف في كل شأن.

(٢) أي واعتبر في العدد بالواحد الفرد الذي ليس بعدد، وبه ظهرت جميع الأعداد، فإنها للاثنين ظهور الواحد مرتين، والثلاثة ظهوره ثلاث مرات، فظهرت بذلك الكثرة في عين الوحدة، والزوجية في عين الوترية، والتفصيل في عين الإجمال.

(٣) أي جليتْ على الوجود الخلقي، الذي هو شبيه الخيال، ملابس من نور الجلال والجمال بصورة نُسجت بمنوال التقدير والتصوير في أحسنِ منظرٍ وجمالٍ وأظهرِ مظهرٍ وجلالٍ.

(٤، ٥) أي إنّ هذا الوجود الخلقي، الظاهر بالمعنى الحقي، ترى فيه العجائب التي تُبهر العقول، والغرائب التي تحيّر منها في معناها الفحول، والصنائع المحكمة في الفروع بالأصول، والبدائع التي لم يسبق بها منقول، ولا يعقلها معقول، في أجلّ الأحوال وأمثل الأمثال في كل قبول، ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ - ٤]. فتراه في توافق في معنى التخالف، وتكثُّرٍ في عين التوحّدِ، واستمرار في تحيّر، مع انفصال في أعراضه، وتحوُّل في أحواله، ليظهر في ذلك التصريف، بسرّ المعنى الباهر الشريف.

* * *

وَبِهِ العُقولُ صَفَتْ فَأَشْرَقَ وَجْهُها ... بِسَنَا القَبُولِ بِعَكْسِ كُلِّ ظِلالِ (١)

إِنَّ الحَقائِـقَ فـي الرَّقائِـقِ تَنْجَلـي ... بظُهورِ مَعْنى الحَقِّ في اسْتِقْبالِ (٢)

وَظُهـورُ نـورُ الحـقِّ أَظْهَـرَ كَوْنَها ... فَبِهِ انْجَلتْ وَعَلَتْ بِكُلِّ مَعالِ (٣)

(١) أي مِنْ أعظم الوجود الخَلْقي، أنوار العقول، التي صفت فأشرق وجهها لقبول كل مقبول، فظهر فيها سناء الجلال، بعكس كل ظلال، من أنوار الحق في كل تَعلٍّ ونزول.

(٢) أي إنّ الحقائق العلمية، تنجلي في الرقائق الحكمية، على الصورة الوهمية، بظهور معنى الحق للعقول، عند استقبال القلوب في كل وحي منقول، وفهم مقبول.

(٣) أي بظهور نور الحق وجود وجوده، ظهر كَوْنُ كل كونٍ وبيّناته في ذاته، وتبيّن وتميّز في تعيُّناته، وعلا بمعانٍ فائضة عليه من ذي الجود في جميع آياته، في جميع المباني والمعاني والوجود، بحسب ما أعطى مِنَ الحدود والقيود، في جميع حالاته.

* * *

فَهُـوَ المُحيـطُ بِـكُلِّ شَيْءٍ جُوْدُهُ وَوجُـودُهُ وَخِصالُ كُلِّ خِصالِ (١)

فَلَـهُ الكَمـالُ جَميعُـهُ وَلِخلقِـهِ إِمْـدادُهُ بالجُـودِ والإِكْـالِ (٢)

أَجْـلَى البَصائِـرَ فانجلـتْ آياتهُ لِلْعَقْلِ فِي فِكْرٍ وَفِي اسْتِدْلالِ (٣)

(١، ٢) أي إنّ الحق هو المحيط بكل حقيقة، ولا حقيقة إلا لوجوده، ووجود كل شيء وجوده، وخصال كل خصلة منه، وقيوده إنما وُجدت بإشراق سعوده، فأظهر نوره ذرات كل شيء وصفاته، وأبان إعراضه وحدوده في جميع تعيّناته، فله الكمال جميعه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بصيغة (الحصر) وبيده القوّة جميعاً وهو بكل شيء محيط ﴿يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] وما لخلقه إمدادات، على حسب الإرادات والاستعدادات، بالجود في الوجود وغيره من النسب، بكل شرط وسبب، ولهم الإمداد بالكمال، بكل ما فاض منه من كل عطاء ونوال، من غير تحقق بكمال، فبذلك لا يزال في كل حال، سريع التحوّل والزوال، في زيادة ونقص وانتقال.

(٣) قد تقدّم أنّ العقول مِنْ أعظم أطوار الوجود، ومواهب ذي الجود، فإنه سبحانه أجْلَى بصيرة العقل لتجولَ في عالم الحس والقدر، بقوة الاستدلال والفكر، فتتجلّى له آيات الحقّ بالتحقيق، وتبيَّنُ له بكل بيان، في كل جمع وتفريق، فتحصل بكل تعريف في

كل طريق ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨] ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ولا يدركها إلا مَنْ ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

***

فَتَظَاهَرَتْ أَسْرَارُها وَتَباهَرَتْ ... أَنْوارُها بِجَواهِرٍ وَلآلي (١)

وَتَنَوَّعَتْ أَشْجَارُها فَزَكتْ بِها ... أَثْمارُها بِالفَضْلِ والإِفْضالِ (٢)

فَبِه كَساها حُلَّةً مِنْ جُودِهِ ... فَتَأَهَّلَتْ لِلْفَيْضِ والإِنْزالِ (٣)

وَبِهِ تَراهُ وَهَلْ تَراهُ بَصِيْرَةٌ ... ظَهَرَتْ به في كُلِّ بَالٍ بالِ (٤)

(١، ٢) أي فتظاهر أسرار العقول، من حيث هي قابلة ومفكّرة في كل محسوس ومنقول، وتباهرت أنوارها بتركيب القضايا في البراهين الساطعة في آفاق القبول، فرجعت مِنَ الغوص في بحر الكون بجواهر مِنَ المعاني ولآلئ من العلوم يبلغ بها العبد كل سُؤْل، وينال بها كل مأمول، ثم بعد ذلك تفرّعت أنوارها، وتنوّعت أشجارها، وزكت بها أثمارها، باتّباع الرسول، بالوهب الرحماني، والفضل الإحساني، والإفضال العرفاني، من ذي المنِّ الطول.

(٣، ٤) أي إنّ الحق سبحانه كسا العقول حلّة مِنْ نوره ووجوده فتأهّلت لقبول الفيض الأقدس، والسر الأنفس، بالإطلاق الكلّي في جميع الكون وحدوده وقيوده ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] فصعدت في سلَّم الإسلام وحق الإيمان، وصدقِ الإحسان فتنزّلت إليها السكينة، ونزلَتْ عليها المعرفة بالتحقيق والإيقان، فبذلك النور الذي كساها به سبحانه تراه في كل شيء رؤية إثبات وتنزيه، لا إحاطة

وتشبيه، وكيف تراه بصيرةٌ ظهرتْ بنوره في كل قلب محدود، وبال بالٍ، أي فانٍ، ليس له في حق الوجود وجود، ولكن ترى المعنى الإلهي بالعين، وترى الصفات الصفية، بالأنوار الوهبية، من غير أينية ولا كيفية.

* * *

لَكِنْ يَكونُ وجُودُها في خِلْقَةِ الإنْـ ... ـسانِ بَعْدَ حَواسه وَخيالِ (١)

وَتَمكَّنَتْ بالطَّبْعِ مِنْهُ فَإِنَّها ... مِنْها تُشابُ بِظُلْمَةٍ وَخَيَالِ (٢)

فإذا أرادَ الله تَطْهِيراً لَهَا ... مِنْها وَتَقْديساً لِكُلِّ وِصالِ (٣)

سَلَكَتْ سَبِيلَ الاجْتهادِ وَصابَرَتْ ... وَصْلَ الجِهادِ وَفَصْلَ كُلِّ فِصَالِ (٤)

(١، ٢) أي لكن العقول وإنْ كانت نوراً، وكساه الله النور بالوحي الإلهي، فهو نور على نور، إلا أنها لكون وجودها في خلقة الإنسان، الذي هو روح عالم الإمكان، والمظهر الجامع لجميع المعاني والأعيان، إنما ظهرتْ بعد الحواس الخمس التي لا قدرة لها إلا على عالم المقدار والأشكال، وبعد الوهْمِ يتلوّن بالوهْمِ والخيال، وقد تمكّنت هذه الأشياء بالجبلّة مِنْ خِلْقَةِ الإنسان، فغلبت عليه وساعدتها الطبائع الجسمية، كالشهوة والبهيمية، فجاءت العقول غريبة فلا تنازعها في إقبالها، وتعاندها في استدلالها، بما صنعت العقول وانقادت للحس الكاذب والوهْمِ والخيال، فتشاءب نورها بالظلمة الأكوانية، والخيال الذي به تعطيل قواها النورانية؛ لأنها صارت مغمورة بالأمور النفسانية والعوارض الشهوانية، والدسائس الشيطانية.

(٣، ٤) أي إذا أراد الله تطهير ذوات العقول، وتنوير بصائرها، لينطبع فيها من الأنوار كل قبول، وتقديس سرائرها لتكون أهلاً لكل وصال ووصول، سلكتْ في طريق الحق سبيل الاجتهاد، وبادرتْ بقطع كل عادة ومألوف مِنْ لوازم الطبع والجِبلّة، وأحرقت بنار الاجتهاد كل ما رانَ على البصيرة، وغان على السريرة مِنْ

ظلمات النفوس، ودخان الشهوات، وخيالات الحواس، وصبرتْ على كل فطام مِنْ تلك العادات، ومِنْ كل فصال مِنْ تلك الرضعات، فلا بد مع بذلك الاجتهاد من وصل الله، ومع مواصلة الجهاد مِنْ فتح الله ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* * *

وَاسْتَقْبَلَتْ مِرْآتُها مِرْآةَ مَنْ ... حَصَلَ القَبولُ لَهُ مِنَ الإِقْبالِ (١)

كَذَوِي العُلُومِ العَامِلِينَ وَكَالشُّـ ... يُوخِ العَارِفِينَ وَصَالِحِي الأَبْدَالِ (٢)

أَوْ غَيْرِهِم مِمَّنْ تَلَقَّى وَصْلَهُم ... بِتَعلُّقٍ فَتَخلُّقٍ فَنَوالِ (٣)

(١، ٢) أي لا يتم لها كمال الاستعداد، ببذل الاجتهاد، ووصل الجهاد، في طريق الرشاد، إلا إذا استقبلت مرآتها الصقيلة، مرآة مَنْ حصل القبول والفضيلة، وصارت مرآته نور الله تتنزّل عليها الأنوار الإحسانية، والأسرار العرفانية، والإمدادات الرحمانية، وذلك ثمرةُ السلوك بصالح الأعمال، مِنْ صحيح الإقبال، في طريق الإيصال، وهم أهل العلوم العاملون بها، والشيوخ العارفون بالله معرفة حملتهم على القرب منه والحب له في كل حال، بحسبها، وصالحو الأبدال الذين قاموا بحقوق الله وحقوق العباد، على حسب ما قَسَمَ اللهُ لهم في كل حاضر وباد، فنفعهم للخلق شامل بكل باطن وظاهر، وكلما مات رجل منهم أبدله الله بآخر مكانه فصحبةُ هؤلاء إكسير لكل عبد كسير ينقلب به الضمير، في كيمياء السعادة ذهباً خالصاً ونوراً صافياً مِنْ كل شوب وتكدير، بصيراً بكل معنى كبير، في كل اعتبار وتعبير.

(٣) أي أو غير الكاملين، مِنَ الوسائط الصادقين، والروابط اللاحقين، الذين حملوا الأمانات بحالها، وأدّوها إلى أهلها، وتقدم أن المبَلَّغ قد يكون أوعى مِنَ السامع،

فرب حامل فقه غير فقيه، وأوّلُ السلوك تعلّق بالحق مع توسّل، ثم تخلّق مع توصّل، ثم نوال بكل قرب، ووصال وتحمل به.

***

فِي تَوْبَةٍ فَإِرَادَةٍ فَتَعَلُّمٍ ... فَتَعَمُّلٍ فَتَوَصُّلٍ لِوِصَالِ (١)
بِالْعِلْمِ والأَعْمالِ أَوْ بِالذِّكْرِ والإِقْبـ ... ـالِ أَوْ بِـالْـجِـدِ والتَّرْحَـالِ (٢)
بِعِبَادَةٍ وَعُبُودَةٍ بِعقيدَةٍ ... مَعْقُودَةٍ مِنْ خالِصِ الإِرْسالِ (٣)
مُتَقَلِّداً لِلصَّالِحاتِ مُقَلِّداً ... لِلْحَقِّ غَيْرَ مُقَيَّدٍ فِي حَالِ (٤)

(١، ٢) أي يكون التعلّق وما بعده أولاً بالتوبة النصوح والانقطاع إلى الله، والإرداة التي لا يبقى معها سوى وجه الله، والتعلم لعلم السير والسفر إلى الله، والحذر من كيد النفوس ودسائس الشيطان القاطعة عن الله، والعمل بذلك بتكلّف العبادات، حتى تصير عادة محبوبة بحب الله، فيتوصل بذلك إلى كمال العبودية الله ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات: ٤٠] ويكون ذلك بالعلم الذي يقرِّب إلى الله، والأعمال الخالصة لوجه الله، وبدوام الذكر لله، والمراقبة والإقبال على الله، أو بالجذبة والترحال لقطع منازل الطريق إلى الله تعالى.

(٣، ٤) أي يكون التعلّق وما بعده بما تقدّم في عبادة من صالح الأعمال، مع عبودية في غاية الاستجابة ونهاية الامتثال، على عبودةٍ بأخلص إخلاص، مِنْ شوائب الحظوظ في الدنيا والآخرة بأصدق إقبال، وذلك كلّه مؤسَّسٌ بعقيدة صافية من كل تشبيه وتعطيل، وفكر ووهْمٍ وعقل وتخييل، وإنما هو وحي يوحى معقود من خالص ما جاء به في الإنباء والإرسال، ومتقلّداً للصالحات في كل ذِكْرٍ وشكرٍ بأمرٍ ونهيٍ مقلّداً للحق في جميع الخصال، غير مقيّد في حال من الأحوال، صاعداً إلى الله بما نزل

من عنده، معتصماً بحبل الله الذي وصله برشده ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠].

***

فَمِنَ الحَضِيضِ عُروجُه فَوْقَ العُلا　　وَخُروجُـه مِنْ ظُلْمَةِ الإضْلالِ (١)

وَيَـرى الأُمُـورَ جَمِيعَها باللـه والْـ　　إفْضـالِ بِالطَّاعَاتِ والأَعْمالِ (٢)

وَالخَلْـقُ فـي جَهْلٍ وَعَجْـزٍ مَا لَهم　　في سـائِرِ الأَكْوانِ مِنْ مِثْقالِ (٣)

(١) أي عن العبد المريد يصعد من حضيض أسفل السافلين، ويعرج إلى الله بالنور المبين، في منازل الدين، ومناهل اليقين، على سلّم الإسلام والإيمان، في يفاع المراقبة والإحسان، إلى فوق كل علا معلوم، وحال محسوس ومعقول وموهوم، وبذلك الخروج والعروج، يخرجه الله الحق المبين، بنور اليقين، من ظلمات الجهل والتكوين، التي يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءها لم يجدها شيئاً ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

(٢، ٣) إي إذا خرج العبد من ظلمات التكوين، بعلم اليقين، وعرج إلى الله في عين اليقين وحق اليقين، عَرَفَ الحق بالحق، وشهِدَ الخلْقَ في جهلهم وعجزهم الذاتي والصفاتي، وإنما ظهر الحق فيهم بنوره، وكساهم العلوم والصفات بظهوره، فهم باقون في جهلهم الحقيقي، إلا مَنْ هداه الله في مَنْ هداه، وهم متحققون بعجزهم الخليقي إلا من أذِنَ الله له وأتاه، فما لهم في الأكوان الكائنة فَهْمٌ، وفي الآفاق مِنْ مثقال ذرة، ولا طرفة ولا خطرة، ولا شعيرة ولا شعرة، بل ذلك كلّه لله المنفرد بكل الأفعال، المتوحِّد بالكمال ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بربك أنه عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] فيشهد العبد في كل حال المنّة لله بالإيجاد والإمداد، والإفضال عليه بالطاعات والأعمال، وأنها نعمة عليه لا يُقدِّر قدرها، ولا يبلغ شكرها.

***

وَيَرى الوجُودَ جَمِيعَهُ والجُودَ مِنْ ... فَيْـضِ الكَرِيمِ بِوابِلِ الإفضالِ (١)

فَيَقِرُّ في إيمانِـه ويفـرُّ في الإحـ ... سـانِ للْمُعْطي لِكُلِّ سُؤالِ (٢)

وَيُقَيِّدُ الأهْـوا بِتَقْـوى مُخْلِصٍ ... والطَّبْعَ يَقْهَرُهُ بِحُكْمِ العالي (٣)

فَبِذاكَ يَخْرُجُ عَنْ هَـواهُ وَطَبْعِهِ ... بالإمْتِثـالِ لِشَرْعـةِ المُتعالي (٤)

(١، ٢) أي إذا عَرَفَ العبدُ الحق رأى جميع الوجود في البطون والظهور، وجميع التكوين الفائض عن الجود بكل إيجاد وإمدادات ونور، إنما هو من فيض وابل الإفضال، ومن سجم هواطل الإنزال، من الكريم الوهاب بلا أكدار ولا زوال، فيقرُّ العبد أي يستقر في حق الإيمان والسكينة، وتحصل له الجمعية المبينة، ويفرُّ إلى الله في الإحسان في كل حال، فإنه المعطي لكل سؤال في جميع الشأن والأقوال والأفعال.

(٣، ٤) أي إذا عَرَفَ العبدُ ربَّه، ورأى حقيقة جوده بوجوده وإمداده وقربه تَبرّأ من كل دعوى، ورفض دواعي الهوى، وقيّدها بكل تقوى، على طريق العباد الخواص، في تحقيق التقوى وتخليص الإخلاص، مِنْ شوب كل نسبة ودعوة واختصاص، فحينئذٍ يقهر كل طبع، بحكم العلي المتعالي في كل إعطاء أو منع، ويخرج عن هواه وطبعه في كل عقل وفعل وكل حسٍّ ونظر وسمع، وينطبع بكل إذعان وامتثال، للشرع المتعالي، بعلوِّ مالِكِ الضر والنفع.

***

فَيَصيـرُ قَصْداً واحـداً مَقْصُودُه ... وَيَصيـرُ عَبْداً خالِصَ الأحْوالِ (١)

بِأَدَائِـه المَفْـروضِ ثُـمَّ بِقُرْبِـه ... في كَثْرَةِ الطَّاعاتِ والأنْفالِ (٢)

وَبِصِدْقِـهِ في قَصْـدِه وَدَوامِـه ... في ذِكْـرِه مُسْتَهْتِراً مُتَـوالِ (٣)

(١ ٢) أي فيصير هذا العبد بصدق العبودية، والتحقق بالإخلاص في سائر الأحوال الوجودية، عبداً خالصاً لله، خاصّاً به في كل ما والاه وأولاه، وذلك بأدائه

المفروضات على الكمال، والاجتهاد في التقرّب إلى الله بكثرة الطاعات والأنفال، من النوافل وكثرة الاستغفار والتضرع والابتهال، فبذلك صح قربه من ربه، واتّضح عليه شاهد تقريبه له وحبه، وخلّصَهُ من كل ما سواه، لإخلاصه في تقواه.

(٣) أي مِنْ أقرب الطرق إلى الله، والقرب منه حق التقرّب إليه بتقواه، وصدق القصد إلى الله ومع الله، في كل أمر ودوام الذكر والاستهتار به استهتاراً متوالياً على كل حال، في جميع الساعات والأعمال، حتى يغلب عليه المذكور، وتشرق عليه لوامع النور في كل طور في جميع الأمور.

***

لَما تَوَلّى الحَقّ في طاعاتِه ... بالحَقِّ كانَ لَه أجَلُّ مُوالِي (١)
فَبِذاكَ أَخْرَجَهُ إلى نورِ الهُدى ... مِنْ ظُلْمَةِ الدُّنْيا وَكُلِّ ضلالِ (٢)
وَهُناكَ يَفنى عَنْ شُهودِ شُؤونِه ... وَيَصِيرُ مِثْلَ الرَّسْمِ في اضمِحْلالِ (٣)
وَيَغيبُ عَنْه وجُودهُ في جُودِه ... وَيَرى بِمَعْنى الحَقِّ كُلَّ مَقالِ (٤)

(١، ٢) أي إنّ هذا العبد لمّا كَتَبَ الله له السعادة، وأهله للحسنى وزيادة، تولى الله في الإقبال عليه بطاعته، واستقباله قبلة جوده في جميع عناياته، فاتخذه الله ولياً أي متولياً لأنواره، مخزناً لأسراره؛ وذلك لأنه صدق مع الله بأفضل الصدق وحقق القصد بالحق، فكان الله له ولياً أي متوالياً فهو له أجلّ موالٍ فهو ولي الله بمعنى أنّ الله تولّاه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فبذلك التولي إلى الله، وتولي الله له إيّاه، أخرجه الله من ظلمات الدنيا والتكوين، إلى نور الهدى واليقين، وعمل المتقين، وأهل التمكين، فهو بنوره يمشي في الدين، على الحق المبين، خارجاً عن كل ضلال، وشك وإشكال ومَيْنٍ، في كل حالٍ وكل حين.

(٣، ٤) أي إنّ العبد بذلك التجريد من العوائد والتقييد، والتحقيق بالتوحيد، والتحقق في مناهل التفريد، يَفْني في الله مطلوبه وشهوده، ومحبوبه عن جميع شؤونه ووجوده، وتتلاشى جميع خواطره وشكوكه وظنونه، ويصير جميع رسمه في اضمحلال عن النظر إليه في جميع فنونه، فيغيب عنه وجوده في وجود الحق بالحق، ويرى بمعنى الحق كل حق في كل حال، وكل صدق في كل مقال، فلا يشهد إلا الحق في جميع مناهج الخلق وليس في الحق من ضلال، ولا شك ولا جدال.

***

فَبِه يَرَى وَبِه يَقولُ وَيَحْتَذِي ... وَبِه يُحاوِلُ سَائِرَ الأَحْوالِ(١)

وَيصيرُ مَوجُوداً بِجُودِ الحَقِّ في ... كُلِّ الوجُودِ ووَصلِ كُلِّ وِصالِ(٢)

وَيَعودُ مُنْعَكِساً بِه نُورُ الهُدَى ... بَيْنَ الوَرَى لِلْحَقِّ مِنْه مَجالِي(٣)

فَتَراه خَلْقاً وَهُوَ حَقٌّ جَامِعُ ... لِمجامِعِ الإِفْضالِ والإِنْزالِ(٤)

(١، ٢) أي إنّ هذا العبد الموفّق إذا تحقّق مع الله بقربه، وفيه بحبّه، وتلاشى وجوده في جوده، صار أمره كلّه لله وبالله، وصار الله سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فلا يسمع إلا بالله، ولا يبصر إلا في الله، ولا يطلب إلا مِنَ الله، ولا يقول إلا بالله، ولا يحاول جميع ما يفعله من الأفعال أو يتحوّل فيه مِنَ الأحوال إلا بحول الله وقوّته، ولطفه وتوفيقه وقدرته، في جميع الأعمال، ويصير موجوداً بالله في جميع الشهود، ووجوده الحق ظاهر عليه في جميع الوجود، وإليه يرجع كل نوال مِنَ الله بكل جود، ووصل كل وصال مِنَ الله عند كل موجود، فهو مِنَ الله وإلى الله وعلى الله في الانطلاقات والقيود، من غير حلول ولا اتحاد ولا شيء مما يقول أهل الجهل والجحود.

(٣، ٤) أي إنّ هذا العبد إذا صار فانياً في الله، وعاد باقياً بالله، لا يحجبه الخلْقُ، ولا يدهشه الحق عن الخلق، صار كالقمر المنير يتلقى أنوار الشمس وينعكس على العالم،

فتشرق به أنوار الحق في الخلق، فله فيهم منهم مجالي، على أشرف التقديس والتنزيه في جميع المعالي، فتراه أنشأه خلقاً بَشَراً سَوِيّاً وهو حق، قد غمره نوره الحق، وصارت بشريته مطوية في نورانية خصوصيته، كما انغمر البدر بنور الشمس عن ظلمانيته، فهو عبد الله الجامع لجميع مظاهر الأسماء والصفات يعبد الله بجميع الأطوار في جميع الهيئات، مظهراً لمجامع الجمعيات، في العقليات والسمعيات، يتواتر إليه الإفضال بجميع المطالب والهبات، ويتوالى عليه الإنزال بكل خير في جميع التنزّلات.

***

وَالحَـقُّ يُذْكَرُ حَيثُ يُذْكَرْ نَعْتُهُ ... وَلَـهُ بِذِكْرِ الحَقِّ ذِكْـرٌ عَالِ (١)

وَمتَـى بَدا أَبَـداً بَدا نُـورُ الهُدَى ... فَيَراه مُعْتَقِـدُوه كُلَّ جَلالِي (٢)

(١، ٢) أي إنّ هذا العبد الملحوظ بنور الله، المحفوظ بعين عناية الله، حيث صار عبداً خالصاً خاصاً بالله وله، إذا رُئِي ذُكر الله وإذا نُعِتَ نُعِتَ الله، وله بذكر الله ذكرٌ عالٍ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فلا يُذْكَر الله إلا ويُذْكَر أهل ذِكْرِهِ، ولا يُوْصَف جُودُه إلا ويَظْهر أهل شُكْرِه، ومتى بدا هذا العبد أي أبداه الله بالوجود، وأظهرَ به الجود، أشرق به نورُ الهدى في الوجود، فيراهُ معتقدوهُ كلَّ جلالي من جلالِ الله، وطريق كل كمال إلى القرب مِنَ الله، والحبُّ في الله وإنْ أخفاه فهو مصونٌ في حفظِ الله، مضنونٌ به في عيونِ أهلِ الجهلِ والغِرَّةِ بالله، فيرونه مذمماً، ولا يعرفونه محمداً، والحكم لله ﴿لَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

***

وَيَفـوزُ مَـنْ وَالاه في مَـوْلاه مِنْ ... أَحْبـابِه بِنِهـايَةِ الآمـالِ (١)

وَيكون كالمُشْكاةِ وَالمِصْباحِ والزَّ ... يْتِ الَّـذِي بِزُجاجَة مُتَلالِي (٢)

رَقَّ الزُّجـاجُ وَرَقَّ مـا في جَوْفِه ... فَتَشابَها فَتَشـاكَلا في الحالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي إنّ هذا العبد كل مَنْ والاه إلى مولاه وأحبّه لله، واتّبع سبيله في الله نال نهاية الآمال من الله، فإذا جعل قبلته إلى الله، وأقبل بكليته على الله قَبِلَهُ وقابله بالقبول إنْ تقرّب إليه شبراً تقرّب إليه الله ذراعاً، وإنْ تقرّب إليه ذراعاً تقرّب منه باعاً، وعلى قدْرِ تولّيه لهذا العبد يتولاه الله؛ لأنّ هذا العبد مظهر أنوار الله مثل نور الله في ظهوريته وتجليه عليه: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] فطوبى لمن طاب به فؤاده، وتمكن فيه وداده، وصح معه جهاده، فلقد صحَّ رشاده، وانفتح به للحق اجتهاده ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فإذا تأمّلت عبدية هذا العبد، وجدتها تلاشت في عنديته، فصار كما قال الشاعر:

رَقَ الزُّجاجُ وَرَقَتِ الخَمْرُ ... فَتشابَها فَتَشاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّما خَمْرٌ وَلا قَدَحٌ ... وكَأَنَّما قَدَحٌ وَلا خَمرُ

وإيّاك يا مَنْ قلبه عليل، وفهمه كليل، أنْ تظن في أهل الرشاد والإرشاد، ظنون أهل الإلحاد، والحلول والاتحاد، وقد مرّ لك التمثيل بالقمر وبتلقّيه نور الشمس من غير اتصال ولا اتحاد.

* * *

وَالحَمْدُ لله الحميدُ بِحَمدِه ... مِنْ فَضْلِه نِلْنا أجَلَّ مَنالِ (١)
وَبِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ اتَّصَلَتْ لنا ... أسْنى الصِّلاتِ بِأَكْمَلِ الأَوْصالِ (٢)
وَبِهِ بَلغنا كُلَّ خَيْرٍ فَائِضٍ ... بِالجودِفي التَّفْصيلِ والإجْمالِ (٣)
وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ اتَّضَحَتْ لَنا ... سُبُلُ الرَّشادِ وَنَهجُ كُلِّ كَمالِ (٤)
أَنْوارُ تَحْقيقٍ بِكُلِّ حَقيقَةٍ ... قَدْ طابَقَتْ لِلْحَقِّ في الإِكْمالِ (٥)

(١، ٢) أي إنّ الله مَنَّ علينا أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببعثة رسوله فأنقذنا به من الضلال، وأوضح به لنا طرق الحق والكمال، ونلنا به أجلّ منال في جميع الصفات والأحوال، وجميع المطالب والخصال، وبعبده ورسوله اتّصلت بنا ووصلت إلينا منه أسنى الصلات من العلوم والأعمال، والمقامات والأذواق في المواجيد والأحوال، بأكمل الأوصال، في كل قرب ووصال.

(٣، ٤) أي إنّا بلغنا برحمة الله إيانا، وبمنّته برسوله المختار، وببعثته بالأنوار والأسرار، كل خير ونور وفوز وهدى وكل جود فائض في الغيث المدرار على المقربين والأبرار، في التفصيل والإجمال في جميع الأعيان والآثار؛ إذ لا تسعه السطور، ولا يحصيه العلم ولا الزبور، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] وذلك بصحبة الأخيار، من آله وصحبه وأتباعه الذين هم الشموس والأقمار، فاتضح لنا بهم سبل الرشاد في كل إقبال، وانفتح لنا باب القبول في نهج كل كمال.

(٥) أي إنّ هذه الأنوار التي وصلت إلينا مِنْ رسوله وتواصلت علينا بآله وصحبه وأتباعه وحزبه، فنلنا بها كل مَنال، من كل قُربة ومحبّة، وكل خير ومنّة، ووصل وهبة، هي أنوار تحقيق للحق في كل حقيقة، يشهد بها الحس والنظر والعقل في كل رقيقة، ويقوم البرهان علينا والذوق والوجدان مِن كل طريقة، قد طابقت للحق في كل حال، بشواهد الكمال والإكمال، فلا يظن مَنْ لا سلوك له في هذا المجال أنّ في الدين في نفسه قصور أو تقصير، ويدخل عليه نقص بذلك أو فيه اختلاف ومخالفة في قليل أو كثير، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فالخلاف إنما هو في الفهم لا في العلم، فليس خلافاً في الحقيقة، وإنما هي مفاهيم في المعاني الدقيقة، في أشياء تابعة في الشريعة والطريقة، فكأنه لا خلاف

في الحقيقة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تركتكم على المحجّة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

* * *

بِرسالةٍ وَنُبُوّةٍ وَولايةٍ ... بِشَرِيعةٍ وَطَرِيقَةِ الإيصالِ (١)
فاضَتْ عَلَيْنا مِنْ بِحارِ مُحَمَّدٍ ... بِمَعارِف وَلَطائِفٍ وَعَوالِي (٢)

(١، ٢) أي ظهرت الأنوار، واتّضح سبيل الهدى، وانفتح نهج الكمال واستنار، برسالة يخص الله بها مَنْ يشاء من الأنبياء لتنزيل الأحكام والاحتكام، بما اختاره العزيز العلام، في شرعه في منازل الإيمان والإسلام، ومناهل الإحسان والاستسلام، ونبوة تظهر بها الأنوار، وتبهر بها الأسرار، على كل منار، وولاية تولّى الله بها مَنْ تولّاه مِن الأبرار، ووالى بها مِن الأخيار، فكل رسول جمع الرسالة والنبوة والولاية، وكل نبي له النبوة والولاية، وهي ولاية أخص من ولاية الأولياء المجردة عن النبوة، لأنها باطن النبوة والرسالة، وولاية الأولياء خاصة يخص الله بها المقربين من عباده، فهم أخص من ولايةِ عموم المؤمنين، فإنّ لكل مؤمن مِنَ الله الولاية العامة ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣] وبهذه الرسالة والنبوة والولاية، ظهرتْ الشريعة بالحق والتحقيق، كما تقدّم في التقليد بالأحكام، لكل امتثال واحتكام، لكنها تعمّ العوام والطغام من أهل الإسلام، فلا بد من طريق خاص للخواص، يتحقّق فيها المتحقق بالصدق وتحقيق الإخلاص، وهي طريق أهل الإخلاص، فهي السير بالشريعة التي أنزلها الله، وتنزيه القلب عمّا سواه، والتعويل في كل حال عليه، مع تهذيب الأخلاق والفضائل، مِنْ جميع الشوائب والرذائل.

وهي طريق الإيصال إلى القرب مِنَ الله، والحب في الله، والانقطاع إليه،

والذهاب فيه فيظهر بها على المخلص أنوار الحقيقة، والمعرفة الحقّيَة في كلّ رقيقة ودقيقة، فيفيضُ بذلك على العبد المخلص السالك مِنْ بحار سيدنا محمد وعلومه الأنوار، وتتنزّل المعارف واللطائف والأسرار، ومعاني عوالي لا تُحيطُ بها الأفكار، ولا تسعها العبارة، فمَنْ عبَّر عنها وقع في الشطح ووقع عليه الإنكار، والله يتولّى السرائر بحفظه في كل مدار.

❊ ❊ ❊

إرْثُ الشُّيُوخِ العارِفِينَ أُولِي العُلو ـمِ العـامِلِيـنَ مَطـالِعُ الآمـالِ (١)
كَالوَالِدِ الشَّيْخِ الإِمـامِ وَجَدِّي الْـ ـحَبْرِ الهُمامِ وَخَـالي المِفْضالِ (٢)
فَلَقَدْ حَظيْـتُ بِقُرْبِهِـم وَبَلَغْتُ آمـ ـالِي بِهِم وَبِهِم سَبَقْتُ رِجالي (٣)

(١، ٢، ٣) أي إن العلماء ورثة الأنبياء في الميراث الأعم والأخص على حسب القسمة «**إنما أنا قاسم والله معْطٍ**»، فقد فاضت علينا الأنوار، واستفاضت الأسرار، في الشريعة والطريقة بالمعارف واللطائف في الحقيقة، بواسطة شيوخنا العارفين العاملين العالمين، المتحققين بحقيقة الدين، وصفات المتقين، في كل علم ومعرفة ويقين، كشيخنا ووالدنا السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه، والإمام محمد بن عبد الرحمن باعلوي.

فأما والدي فإنني بحمد الله قد لزمتُ مجالسته ولازمته في جميع خلواته وجلواته نحواً من عشر سنين، وأخذتُ عنه في جميع علوم الدين، ومقدّماتها ما لم أحصه بالعدِّ ولا أحصره بالتعيين، وله مؤلفات كثيرة، ومجامع شهيرة، تشهد له بذلك في كل تبيين، وخصني بخصائص في الفضل المبين، وشرّفني بالإلباس والتلقين، وأجازني إجازة خاصة مكتوبة بخطه، وعامة في جميع العلوم وما تلقّاه عن مشايخه العاملين، الأئمة العارفين، ولم يزل عليَّ وبي براً إلى أنْ توفي في شعبان سنة عشر ومئة وألف، وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، واستخلفني في حياته للتدريس والفتوى ونشر العلوم الدينية، وقد كان إمام وقته، وفضله معلوم، جامعاً لجميع المعارف والعلوم، في الشريعة

والطريقة والحقيقة ورسوم القوم، مع محبّته الخمول ومحو الرسوم، وصدق العبودية للحي القيوم، وستر الحقيقة في الخصوص عن العموم.

وأما جدّي، فهو جدّي لأمي الشيخ الإمام، الحبر الهمام، محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس، ففضله مشهور، وهو بكل علم وتحقيق وتدقيق مذكور، وإليه في حياته مرجع الخاصة والعامة في جميع الأمور، وعليه لظهوره جميع مطالب الأخيار في بلده تدور، وقد قرأتُ عليه كُتباً كثيرة، واستفدتُ منه فوائد منيرة، وخصني بالعناية والرعاية، وألبسني خرقة أهل الولاية، ولقنني الذكر في طريق الهداية، وأجازني إجازة خاصة بخطه الشريف، في جميع ما تجوز له روايته في كل تعليم وتعريف، ولازمته إلى أنْ توفي سنة اثنتي عشرة ومئة وألف.

وأما خالي فهو السيد عبد الرحمن بن محمد المذكور وهو السيد المفضال الجامع في مجامع الفضل لجميع الخصال، الذي أجمع الجميع عليه في كل حال، وأنه واحد العصر الذي تُشَدُّ إليه الرحال، ويحل كل إشكال، وقد قرأتُ عليه جملة كثيرة، مِنَ الكُتبِ الشهيرة، في جميع العلوم، وانتفعتُ به نفعاً خاصاً وعاماً في كل معلوم، وألبسني الخرقة ولقّنني الذِّكرَ مراراً عديدة، وكانت له اليد الطولى في طريق القوم، وله مؤلفات كثيرة ومجامع تشهد بصحة المنقول وتحقيق المنظوم والمفهوم، وقد أجازني فيما تجوز له روايته وكتب لي ذلك بخطه، ولازمته إلا أن توفي سنة ثلاث عشرة ومئة وألف.

فهؤلاء الثلاثة هم أصلُ نجحي، ومفتاح فتحي، وفجر صبحي، وأنا رُبيتُ بتربيتهم، ونشأتُ في حجرهم وأنديتهم، فحظيت بقربهم، وبلغتُ آمالي بهم، في جميع المطالب، وبهم سبقتُ لداتي، ورجال ساعاتي، فجزاؤهم على الله بالرِّضا والرضوان والحسنى والزيادة بل حسنى وإحسان.

***

وَبِغَيْـرِهِـم مِـنْ سَـادَةٍ وَأَئِمَّـةٍ ... وَمَشايخ كُبْرى وَصَلَتْ حِبالِي (١)

مِنْ سَاكِنِي الحَرَمَين واليَمَنَيْن مَع ... شَامٍ وَمِنْ أَهْلِي وَأَهْلِ حِلالِي (٢)

(١، ٢) أي وصلتْ إلينا الأنوار، مِنْ مواريث الأنبياء والأخيار الصالحين، والعلماء العارفين والأبرار، بواسطة آخرين غير الثلاثة من العلماء الكبار، والسادة الأطهار، فاتصلتْ حبالي بحبالهم، وتواصل وَصْلي بوصالهم وإيصالهم، فمنهم مِنْ أهلي وأهل بلدي، ومنهم مِنْ أهل الحرمين وأهل اليمنين، أي تهامة والجبال، ومنهم مِنْ أهل الشام، فقد أخذتُ عن صنوي جمال الدين محمد بن عبد الله المتقدّم ذكره، وكان مِنْ خواص المتَّقين، وأهل العلم واليقين والعلماء العارفين، وله رسائل مفيدة، وأشعار فائقة فريدة، وأخذتُ كثيراً مِنْ علوم الدين في عدة سنين، عن سيدنا الإمام العارف العلمي بالإرشاد، في منهج الرشاد، السيد عبد الله بن علوي بن محمد الحداد علوي، قرأتُ قراءات كثيرة، في كتب شهيرة، واستفدتُ منه فوائد كثيرة، ولي منه عناية خاصة، ومحبّة خالصة، وألبسني الخرقة، ولقّنني الذّكر مراراً عديدة، وكتب لي الإجازة بما تجوز له روايته، وحثني على ملازمة التدريس ونشر العلم في حياته، ولم أزل أتردّد إليه، ولازمته إلى أنْ توفي سنة اثنين وثلاثين ومئة وألف.

وأما السيد أحمد بن عمر الهندوان العالم الشهير، الحقيق بتحقيق علوم الدين في جميع الشأن، فقد قرأتُ عليه مدّة، في كُتُبٍ عدّة، ولازمته واستفدتُ منه وانتفعتُ به في كل رخاء وشدة، ولبست منه الخرقة الشريفة مراراً، وأجازني إجازة خاصة وعامة لفظاً تجاه قبر العيدروس، وصَحِبْتُهُ إلى أنْ توفي سنة إحدى وعشرين ومئة وألف، ولبستُ الخرقة الشريفة من السيد الفاضل العارف بالله علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين العيدروس، وهو لَبِسَ مِنْ السيد عبد الله بن علي صاحب الوهط، ولبستُ الخرقة أيضاً من السيد الصالح شيخ بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم،

وهو لبسها من أبيه عن جده، وغير هؤلاء مِنْ أهلِ جهتنا مِنْ آل باعلوي، وغيرهم ممن يكثر تعدادهم، ويعسرُ حصرهم وإيرادهم، أدام الله علينا أمدادهم، ونفعنا بهم.

وأما أهل الحرمين، فقد ألبسني الخرقة مراراً كثيرة الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي المدني بإرسال ذلك مِنَ المدينة الشريفة، وأجازني إجازة خاصة وعامة في حياة والدي، وتوفي سنة إحدى ومئة وألف. وكذلك أجازني السيد الشهير محمد بن رسول البرزنجي المدني رحمه الله إجازة عامة في عموم أوراد والدي[١]. وكذلك الشيخ حسن بن علي العجمي المكي أجازني إجازة خاصة وعامة وكَتَبَ لي بخطه، وكذلك الشيخ أحمد بن محمد النخلي أجازني إجازة عامة وخاصة، وكتب لي بخطه، وكذلك الشيخ عبد الله بن سالم البصري أجازني إجازة خاصة وعامة بخطّه وأطال في لفظه.

ثم قدّر الله لي السفر إلى الحج، واجتمعتُ بالشيخ أحمد النخلي، والشيخ عبد الله البصري، وسمعتُ منهما (حديث الأولية) أوّل ساعة اجتمعتُ بهما فيها، وما زالا مدّة إقامتي بمكة يترددان إليّ كل يوم، واستفدتُ منهما فوائد في جميع العلوم، ولم يزالا يكتبان لي بأفضل العلوم وأحسن الأعلام في كل عام، إلى أنْ تُوفّيا ببلد الله الحرام، ومِنْ جملة ما كَتَبَ به إليّ الشيخ عبد الله البصري: (إلى مجمع بحري الشريعة والحقيقة، عمدة أهل المعرفة والطريقة) وهذا بخطه لحُسْنِ ظنّه بي في كل رقيقة، وغيرهم مِنْ أهل الحرمين ممن يكثر عددهم، ويشقّ سردهم.

ومِنْ أهل الشام، السيد العلامة الجليل إبراهيم بن محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي، نقيب الأشراف بالشام، وصَلَ إليَّ مِراراً بالمدينة الشريفة، وطلب مني الإجازة فأجزته، وطلبتُ منه الإجازة فكَتَبَ لي إجازة خاصة وعامة بخطه، وتوسّط

---

(١) لعله: والده.

لي في الإجازة من الشيخ أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي نفع الله بهم.

وأما اليمنيون، فقد اجتمعتُ في سفري إلى الحج بجماعة من علمائها، كالسيد يحيى بن عمر الأهدل مقبول، والسيد أبي بكر بن علي، والشيخ الزين بن محمد المزجاجي، والشيخ علاء الدين أخيه، والعلامة إبراهيم الناشري، وابن جعمان، وغيرهم وكلّهم طلب مني الإجازة فأجزتهم، وأجازوني إجازة عامة لفظاً، ولم أزل مدّة إقامتي بزبيد وهم مجتمعون عندي لاقتباس الفوائد والتماس الفرائد وبهم اتّصلتْ سلسلتي بالأسانيد اليمنية، والسلاسل العالية السَّنية، نفع الله بهم أجمعين، وجمعنا بهم في مستقر رحمته وبحبوح جنته يوم الدين.

***

بالعرضِ والتَّحدِيثِ والإسْماعِ أوْ بِإجـازَةٍ وَوِجَـادَةٍ ونَـوالِ (١)

فـي الفِقْهِ والأصْلَيْنِ والتَّفْسِير مَعْ عِلْمِ الحَدِيثِ مَسانِد وَعَوالي (٢)

(١، ٢) أي أخذتُ عن هؤلاء المشايخ العارفين، العالمين، العاملين، ورثة سيد المرسلين، بأنواع الأخذ مِنَ العرض، وهو القراءة على الشيخ، والتحديث بقراءة الشيخ وهو أعلى من العرض، والإسماع بقراءة غيري وأنا أسمع، والإجازة الخاصة والعامة، والوجادة بخطوطهم أو بخط غيرهم منسوب إليهم، مع الإذن منهم لي في نقل ذلك عنهم، وروايته منهم، والمناولة منهم لكُتُبٍ كثيرة في مواصلات شهيرة، وذلك في جميع العلوم، من فقه الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، والأصلين أصول الدين، وأصول الفقه، والتفسير، وعلوم الحديث بأنواعها، التي تنيفُ على سبعين نوعاً، وغير ذلك من علوم الآلات، وطريق الصوفية، ولي مع ذلك اتصالات في أمالٍ وأسانيد عوالٍ، في كل علم فيما أعلم، وإلى كل كتاب فيما أظن وأفهم.

***

بَيْنـي وَبَـيْنَ الحافظـينَ ثَلاثـةٌ   واثْنَينِ بالفُقَهاءِ كَانَ وِصالي (١)

(١) أي إنّ الله سبحانه وتعالى مَنَّ عليَّ بالاتصال بالأسانيد العالية الشهيرة، فبيني وبين الحافظِين بالجمع، كالشيخ جلال الدين السيوطي، والحافظ عثمان الديمي، والحافظ نور الدين بن علي الهيثمي، والحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، والحافظ عبد الرحمن الديبعي اليمني، ثلاثة من الوسائط.

فإنني أخذت عن والدي وعن الشيخ إبراهيم الكردي، وعن الشيخ حسن العجمي، وعن الشيخ أحمد النخلي.

وهم أخذوا عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي المدني، وعن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وعن الشيخ محمد العجل[١] اليمني.

بأخذ هؤلاء الثلاثة[٢] واتصالهم بالسماع والإجازة من الشيخ محمد بن أحمد صاحب «النهاية شرح المنهاج»، والشيخ أحمد بن محمد بن حجر المكي صاحب «التحفة»، والشمس الخطيب الشربيني، والشيخ بدر الدين الغزّي[٣]، والشيخ عبد الرحمن بن زياد اليمني صاحب «الفتاوى».

وهؤلاء الفقهاء والمشاهير اتصلوا بالإجازة والسماع من الحفاظ المتقدم ذكرهم، وتعداد شيوخهم وطرقهم واتصالاتهم لا تسعه هذه السطور، وهو في الفهارس معلوم ومشهور، عند كل من له عناية بعلم الإسناد، العلم المنشور.

* * *

---

(١) لعله الشيخ أحمد بن العجيل العجيلي، توفي سنة ١٠٧٤هـ.

(٢) أما الرملي فإدراكه ممكن لبعضهم، لتأخر وفاته، حيث توفي سنة ١٠٠٤هـ، وأما القشاشي والزمزمي والعجيلي، فبينهم وبين الشيخ ابن حجر وابن زياد والشربيني، وبقية من ذكروا، واسطة لابد منها. يراجع: عقد اليواقيت الجوهرية: ١/ ٥٨٢-٥٨٣.

(٣) وقع في بعض الطبعات المقري، وهو تصحيف.

وَرَقائِقٌ وَحَقائِقٌ بِمَسالِكٍ عَرَبِيَّةٍ وَمَدارِكُ العِقالِ (١)
بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ وَتَعَلُّقٍ وَتَخلُّقٍ لِتَحَقُّقٍ وَنِزالِ (٢)

(١، ٢) هذا عطف على الفقه وما بعده، أي إنني بحمد الله كما اتصلت بالعلوم الظاهرة بما تقدم كذلك أخذت الرقائق، وحصلت لي الحقائق، وغيرها من علوم القوم، وأهلني الله لذلك، وجعل في قلبي قابلية لحفظ العلوم النقلية، والإدراكات العقلية، في جميع المسالك العربية، والفنون الأدبية، فصار أخذي بتفهم للمعنى وتعلم من الصدور، وتعلق بالحقيقة، وتخلق بأخلاق أهل الطريقة؛ ليكون التحقيق بالاتصال، والمنازلة بكل نوال في كل طريقة.

فقد حفظت في أول عمري القرآن العظيم، وقرأت من أوله إلى سورة الأعراف[١] بالقراءات العشر جمعاً وإفراداً، على الشيخ عبد الرحمن أبي الغيث المدني والشيخ إبراهيم بن محمد المصري، وأجازاني بباقيه وجميع ما يجوز لهما، وكتبا لي ذلك بخطوطهم، ومما كتبا: «والحقُّ أن الإجازة في الأداء لمن تأهلَ وقرأ جملةً صالحة من القرآن؛ لكون الباقي كالمكرر معها كافيةٌ، والله أعلم». وقد أخذا عن الشيخ أحمد البناء صاحب «إتحاف البَشَر بالقراءات الأربعة عشر».

وحفظت كتاب «الإرشاد» لابن المقري في الفقه، و«المُلحة»، و«ألفية ابن مالك»، وأكثر «ألفية السيوطي» في المعاني والبيان، و«ألفية البرماوي» في أصول الفقه، و«ألفية الحديث» للعراقي، و«الشاطبية» في القراءات، و«الرائية» في الرسم، ومنظومات أخر في المنطق والعروض وغير ذلك، ثم قرأتها وحققتها على المشايخ المتقدم ذكرهم.

ولم أزل منذ أجلسني والدي في مجلس التدريس سنة تسع ومئة وألف إلى

---

(١) كذا في النسختين، وفي ط. بينما في عقد اليواقيت ٢/ ٨٥٧: آل عمران.

الآن وأنا حريص على نفع المسلمين، وتفقيه المتفقهين، وتفهيم المبتدئين، وتذكير المستمعين، وتدريس علوم الدين في كل حين، وتأسيس القواعد، وتأليف الفوائد، في النظم والنثر واتباع سيد المرسلين، والاقتداء بورثته الكاملين، والحمد لله رب العالمين، على ما أعطى من فضله المبين، فله المنّة وبه على الشكر نستعين.

***

وَالأَخْذُ في التَّلْقِيـن والإِلْباسِ في ... عَهْدِ بِوَصْلِ سَلاسِلِ السِّلْسالِ (١)

بِطَرائِقٍ مَشْـهُورةٍ نَافَتْ على العشْـ ... ـرِيــن قَدْ عُرِفَـتْ بِخيْرِ نَـوالِ (٢)

وَالإِذْنُ في الإِرْشادِ والتَّحْكيم والتَّـ ... ـدْريـسِ والفَتْوى لِكُلِّ سُـؤالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي إنني أخذت في الطريق من أهلها أهل التسليك والتحقيق بالتلقين منهم لي بأذكار عديدة، في آثار وأنوار شهيرة، ولبست منهم الخرقة الفخرية مراراً كثيرة، في صحبة أكيدة، وقابلية مستفيدة، وأخذوا عليَّ العهد الخاص والعام في الأمور القديمة والجديدة، فاتصلت لنا منهم سلاسل بأكمل اتصال، ونوال إلى وصالهم بكل نوال، وشربتُ من مناهل معرفتهم العذب البارد السلسال، واتصلت بواسطتهم لي بطريق الصوفية الصفية على الإكمال، من طرق تزيد على عشرين طريقاً منسوبة إلى المشايخ الكبار، والمشهورين في الأقطار.

كالعلوية المنسوبة إلى سيدنا الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي.

والعمودية المنسوبة إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي.

والعبَّادية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله باعباد.

والقادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني.

والرفاعية المنسوبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي.

والشاذلية المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

والسهروردية المنسوبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي.

والكازرونية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم بن شهريار الكازروني.

والبدوية المنسوبة إلى الشيخ السيد أحمد البدوي.

والمدْيَنيَّة المنسوبة إلى الشيخ أبي مدين.

والأويسية المنسوبة إلى سيدنا أويس القرني الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والخضرية المنسوبة إلى الخضر المحكوم بنوبته وولايته وبقائه إلى الآن عند كثيرين.

والقشيرية المنسوبة إلى الشيخ عبد الكريم بن هوازن صاحب «الرسالة».

والفردوسية الكبروية المنسوبة إلى الشيخ نجم الدين الكبري.

والشطارية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله الشطاري.

والحبشتية المنسوبة إلى الشيخ أبي إسحاق الحبشتي.

والطيفورية المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامي.

والهمدانية المنسوبة إلى الشيخ علي الهمداني.

والنقشبندية المنسوبة إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند البخاري.

والجلوَتية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الجلوتي.

والعادلية المنسوبة إلى الشيخ بدر الدين العادلي.

والغوثية المنسوبة إلى الشيخ محمد الغوث.

والدسوقية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي.

فهذه نيِّف وعشرون طريقة اتصلت بحبالها، وتعقلت بسلاسلها وهي وإن تفرقت رسومها وتنوعت علومها، ترجع إلى أصل واحد، وتدور على تقريب الطريق إلى الأحد الواحد، فبعضها راجع إلى بعض في السنة والفرض، ولا خلاف بين القوم إلا في الهيئات والرسوم.

وليست الطريقة إلى الله منحصرة في تلك الطرائق، بل طرق على عدد أنفاس الخلائق، فكم فتح الله على عبد في ذكر، وكم قربه في تذكير وفكر، وكم جذبه إليه في جذبة وهبية فأغنته عن المسالك في كل أمر، فحق العبد أن لا يزال معرضاً عن غير الله، متعرضاً في كل حين لنفحات الله، ومن صح اجتهاده، وتحقق على الحق اعتماده، فقد نجح مراده ووضح رشاده ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فليوزع أوقاته ويضبط أنفاسه، ويعمر العمر بالطاعات والعلوم فيكون التفقه همه وعلوم القرآن والسنة ديدنه ورسمه، والتصوف سره في سريرته وكتمه، ومن حضره الموت عرف قيمة عمره، لو طلب أن يؤخر يوماً لتدارك أمره، لبذل ألوفاً من يسره وعسره.

* * *

هـذا اجْتِهـادِي ثُمَّ مَـنَّ الله بالْـ ... فَتحِ العَظِيم وَفَوْقَ ما في بالي (١)

أَعْطَـى عَطَايـا لا تُحَـدُّ ونِعمـةً ... لَيْسَتْ تُعدُّ بِكُلِّ حالٍ حالي (٢)

(١، ٢) أي أن جميع ما ذكرته من تطلبي العلم، وتكسبي بالفهم، وتوصلي بالعلماء الأعلام، وتوسلي بالأولياء الكرام، في العلم والعمل، والتقرب إلى الله عز

وجل، هذا اجتهادي ونصبي وتعبي، فلم أزل كلما فرغت أنصب، وإلى الله أرغب، في نيل كل مطلب.

فلما علم الله صدق جهادي وصحة اعتمادي عليه، واستنادي إليه، مَنَّ الله عليّ بالفتح العظيم لكل مطلوب، وأعطاني فوق ما يخطر ببالي من كل موهوب، وخصني بعطايا لا تحد، ونعم لا تحصى ولا تعد، بكل حال حالي، ومنال عالٍ، فحكيته بالإجمال وسكتُّ عن التفصيل؛ لأني لو فصلت لكُذِّبت، ورُمِيتُ بكل تجهيل، ولست مبالياً بما أصابني في الله، ولا ناظراً في الخلق في حق الله، ولكن صح: «لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله».

فتركت التفصيل رحمة مني بهم عن التضليل، وهذه سنة الله فيمن سبق وليس لسنة الله من تبديل، قال الغزالي في «فيصل التفرقة»: واستصغر من لا يُحسد ولا يُقذف، واستحقر من لا بالكفر والضلال يُعرف... إلى آخر ما ذكره، وإلى الله ترجع الأمور، وهو العليم بذات الصدور.

***

إِنْ قُلْتُهـا مُتَحَدِّثـاً عَـنْ أَمْـرِه ... في شُـكْرِهِ مِنْ ذِكرِهِ بِمقالي (١)

فالأَمْـرُ مِنْـه لَـه إِلَيْـهِ وَلَيْـسَ لي ... في كُلِّ ما قَدْ قُلْتُ مِنْ مِثْقَالِ (٢)

(١، ٢) أي إن ذكر نعم الله على عبده والتحدث بها، من شكره وذكره، واعتراف بأنها منه وإليه، وذلك إما فرض أو سنة مع شهود الأمر كله لله، ومن الله، وأن له الفضل والمنة، فقد أمره الله بذلك، فهي عبودية للمنعم المالك، وليس للعبد شيء من ذلك من مثقال ذرة، وإنما هي هبات فضليَّة، وصفات عليّة، الأمر فيها إلى الله من الله لا ملك فيها للعبد حقيقة في جليلة ولا دقيقة، وإنما أعطاه الله نسبة الظهور،

وتجلي ذلك الوصف عليه في جميع الأمور، وإليه يرجع الأمر كله، وإنما هو فضله أو عدله وفصله.

***

فالعجْـزُ فـي ذاتـي وَجَهْلـي لازِمٌ ... والفَقْرُ سـارِي في جَميعِ خِصالي (١)

وَبِهِ وجُودي في الذَّواتِ وَقَدْ كَسا ... ني في الصِّفـاتِ بِقُوَّةٍ وَمَحالِ (٢)

وَبِـذاكَ حَمَّلنـي الْأمانـاتِ الَّتِـي ... عنها السَّماء والأرضِ ذَاتِ كَلال (٣)

وَأَنا الظَّلـومُ إذا ادَّعَيْتُ الحَمْلَ لي ... وَأَنا الجَهولُ إذا جَهِلْتُ لحالي (٤)

فَبِـه حَمَلْـتُ أي احْتَمَلْـتُ لِحُلَّـةٍ ... مِنْ جُودِهِ سترتْ جميعَ خِلالي (٥)

(١، ٢) أي إن ذاتي في التحقيق لم تخرج من العدم إلا بالإمكان، فأشرق عليها أنواره، فلذلك، العجز وصفٌ لها ذاتي والجهل لها حكم لازم، والفقر فيها سارٍ في جميع الخصال، وإنما الحق أمدها بالوجود وقيدها بالصفات والجود، في جميع الحدود والقيود، وحباها بقوة ومحال، فصح بها إليها نسبة الصفات والأعمال، وصحة الثواب والعقاب في كل حال، والاختصاص والملك في الخصوصيات والأموال، وبذلك صحت للإنسان الخلافة كما كساه الله أوصافه وصح في الحديث: «**تخلقوا بأخلاق الله**»، في كل نسبة وإضافة، فاتضح أن الله خلق الإنسان على صورته في الأسماء والصفات، وألبسه نعوتاً وحباه ألطافه، وأبرزه في أحسن تقويم، على هيكل قويم لا تحصى أوضاع تكريمه ولا أصنافه، فأهله لكل فضل، وقابله بكل وصل، فنال ما لم ينل غيره من كل ذي شرف وإنافة.

(٣، ٤) أي لما خلق الله الإنسان على صورته، وجعله له خليفة في أحواله وسيرته، وأعطاه نسبة إليه في كل وصف وزينة، وأبدعه في أحسن تقويم وأعظم دينه، فحمّله أمانة الخلافة والتكليف، والمعرفة والتعريف، التي لم تطق حملها

السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، فإن حملها العبد بربه ووكلها إلى قدرته وتحقق هو في حمله بالعجز والكَلال، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله في كل فعل وانفعال، في كل حال، وكل قبول وإقبال، فهو خليفة قائم بحق الصورة، عارف ومعترف أن لا له في حمل الأمانة إلا نسبة المحل والصورة، وإن حملها بنفسه، وتكلفها بقوته وحوله وعقله وحسه، فهو الظلوم؛ لأنه ادعى ما هو لله وبالله لنفسه، وهو لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء هو وجميع أبناء جنسه، وهو الجهول بحاله إذا لم يعرف عجزه في جميع خلاله، ولم يدرك كنه حقيقته في ذاته وصفاته وأفعاله، فتراه ينسب الأشياء التي هي ملك لله إليه، ويحول الخلق الذي خلقه الله عليه، ويعزم على ما ليس يدري هل يصل إليه، فما يدري ماذا يكسب بعد الآن، وماذا يحدث عليه من حوادث الزمان، فمن حقه أن يحمل ما حمَّله الله بالله، ويصلي لله بالله، ويرى أن الصلاة هدية من الله، ويرى أن جميع أفعاله واختياره حلة ألبسها الله إياه، سترت جميع نقصه وعجزه في الصورة في الوجود، ولا يصح هذا المعنى بالتحقيق إلا لأهل الغناء الذين صح لهم الفناء بالله، وترك كل عناء.

❊ ❊ ❊

أَيَـغُـرُّنــي لُـبْسي لأحْـلى حُلَّةٍ   وَأَنا العَليمُ بِعُنْصُري وَمَآلي (١)

مـا كان ذاتِيـاً فَلَيْسَ يَـزول بالـ   عَرْضِ وَلَوْ يُكْسى بِكُلِّ كَمالِ (٢)

(١، ٢) أي كيف يغتر من عرف نفسه بحقيقة العدم وحق الاضطرار والافتقار في كل شيء بكل حال، وأمن لظهوره في عارية عليه من النعم، وكسوة عارضة من فيض الجود والكرم، ومعاني العز والقدم، فإن ما هو ذاتي لا يزول بالعرض بحال، فالنقص الذاتي لا يزول وإن كُسي بكل كمال، فمن لبس حلة خلية، لا يرتفع ما في بدنه من النقائص الجبليَّة، والرقيق إذا رفع في المراتب العلية، لا يزول عن الرق وغيره

من العيوب الجبليَّة، فالعارضي بالحري أن يزول، ويتحول الحال ويعود الأمر إلى الذاتي الذي لا يحول.

***

وَلِذاكَ يُمْقَتُ مُعْجبٌ بِجَميلِهِ لِغُرورِه عَنْ نَفْسِهِ بِخَيالِ (١)
لا يُوجَبُ النَّعما عَلَيْه عُلوُّها بَلْ حِفْظُها بالشُّكْرِ والإِذْلالِ(٢)
والخَوْفُ مِنْ مَوْلاه إنْ أعْطي فَلَم يُشْكَرْ فَيُبْلِيها بِكُلِّ زَوالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي لكون النظر إلى النعم والغفلة بها عن المنعم ونسبتها إلى النفس مجرد اغترار بخيال ولبس، صار العجب بها من الكبائر، والمعجب بها ممقوت عن أهل البصائر؛ لأنه اغتر بالعارض من النعم، والعارية من الفضل والكرم، فنسبه إلى نفسه، فافتخر به على أبناء جنسه، وذلك خيال لا يحققه بعقله ولا حسه، فإنما الفضل لله والحول والقوة به في كل حال، والإنعام منه وإليه في كل فعل وانفعال، لا يوجب زوال النقص الذاتي ولا يثبت للذات العبدية كمال، فالعزة والعلو لله وللعبد الانخفاض والإذلال.

فإن النعم توجب الشكر، والشكر عبودية، والعبودية ذلة، وهو لازم في كل مجال، وإلا عادت النعم إلى الزوال، فإن النعم اقتضت الشكر، والعبودية للمنعم بكل حال، والخوف من المولى عند التقصير في الأعمال فيبتليه بالطرد والزوال، فالشكر بالعبودية والخوف من التبديل والزوال يورث كمال الانخفاض والاعتراف تحت تجليات الجمال والجلال.

***

بَلْ خَوْفُهُ في نِعْمَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْلى لِفَضْلِ مآلِها وَالحالِ (١)
بَلْ لا يَرى أَمْثالَه أَهْلاً لَها لِقُصُورِهِ عَنها بِكُلِّ مُحالِ (٢)

بَلْ لَيْس يُمْكِنُ شُكرَ نِعْمَةِ رَبِّهِ ... إلّا بِنِعْمتِه وَشُكرٍ تالِ (٣)

فالشُّكْرُ مِنه لَه يَكُون بِفَضْلِهِ ... وَالشّكْرُ مِنْكَ بِغَيْرِه كَمَحالِ (٤)

فَاسْأَلْه شُكْراً مِنه عَنْكَ لنَفْسه ... وَبِهِ اسْتَعِنْ فِي سَائِرِ الأَحْوالِ (٥)

(١، ٢) أي إن جميع النعم الوهبية والكسبية، تقتضي الشكر والعبودية، والخفض تحت الخوف والعزة الإلهية، فإنه هو الذي أقدر العبد عليها، وخلق له أسباباً ونِسباً توصله بقدرة الله إليها، وليس ذلك في النعمة الدنيوية فقط بل النعمة الدينية أولى بذلك؛ لأنها أفضل في الحال والمآل وبها الاقتراب من الله في النسبة العلية والإفضال، فمن وفقه الله للعلم والأعمال الصالحة، فقد خصه بأفضل النعم الراجحة، فيتواضع لله فيه، ويعترف بفضل الله عليه، بل إذا عرف نفسه وما جبلت عليه، رأى أنه وامثاله ليسوا أهلاً للقيام بالعبودية والشكر ولا للتخصيص بالجود والكرم، مع لزوم النقائص الذاتية والفقر الحقيقي والعدم.

(٣، ٤، ٥) أي إذا عرف العبد نقصه الحقيقي عرف أنه ليس أهلاً للنعم، لولا الفضل والكرم، وذلك أن النعم تقتضي الشكر وهو لا يقدر على الشكر إلا بإقدار الله عليه، وسوق نعمة أخرى هي الشكر منه إليه، وإذا كان ليس قادراً على الشكر، فكيف يكون أهلاً للنعم التي توجب الشكر، فإن إقدار الله له على الشكر بطاعاته وذكره وامتثال نهيه وأمره، نعمة جديدة مِنَ الله عليه تقتضي شكراً منه ثانياً وهلمَّ جرا، كل شكر نعمة، وكل نعمة يجب عليها شكر آخر، بنعمة أخرى، فيعلم بذلك أن الشكر لله وإنما يكون بالله ونسبته إلى العبد مجاز بفضل الله.

وأما الشكر من العبد بغيره فإنه كالمحال؛ إذ لا حول ولا قوة له على حال، وإنما قال كالمحال لئلا يدخل في حيز الجبر ونَسَبِه، ونزع نسبة الأعمال عن العبد.

فارجع أيها العبد إلى الله بالتضرع والابتهال، اللَذيْنِ هما أيضاً من نعم الله عليك، واسأل الله أن يحليك شكراً منه لنفسه وبه استعن في سائر الأحوال، فشكره منه من ذاته لذاته، في جميع أفعاله وصفاته، وهو اللائق بكمال شكره في جميع هباته، فقد مَنَّ بالنعم من غير سابقة من العبد، وتفضل بالشكر ثانياً، فهو الشكور المطلق والشكر كله منه وإليه بغير قيد ولا حد.

* * *

وَبالافْتِقــارِ بِكُــلِّ مــا حاوَلْتَـهُ   وَالاضْطِرارِ بِأَفْضَلِ اسْتِعْمالِ (١)

وَإِذا فَرَغْـتَ مِنَ القِيـامِ بِخصْلَـةٍ   فـانْـهَـضْ لثانيـةٍ بِلا إِمْهـالِ (٢)

وَارْجِـعْ إِلَيْـه بِمـا فَعَلْـتَ مُوَحِّـداً   في الـذَّاتِ وَالأَوْصـافِ وَالأَفعالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي إنّ الله لما أعطاك نعم الإيجاد والإمداد، وكساك أثواب الصفات بمحض الفضل والكرم، فقد جعل لك نسبةَ ذلك إليه منه، وخلافةً لك في ذلك عنه، فاحذر أنْ ترى لك استقلالاً أو غنى بحال، فامتثل ما أمرك به من عبادته وأقبل عليه بغاية الافتقار ونهاية الاضطرار في كل ما حاولته مِنَ الأعمال، وأفضل الفعل والانفعال والعمل والاستعمال.

واعلم أنّ كل لحظة ولمحة تأتي عليك فيها نعم كثيرة، تشهدها إنْ كانت لك بصيرة منيرة، فأعطها حقّها بصرفها فيما هو لازم عليك من الأمر في العبودية والشكر، وبادرْ كل ما فرغتَ مِن القيام بخصلة فانصب لثانية بلا مُهلة، فإنّك إنما خُلقتَ للعبودية وارغب إلى الله في التفضّل عليك بدوام ذكره، وامتثال أمره، والتحقّق بشكره، واعرف نفسك وأنّك على صورة مِن الأمر، وإنّ الله إليه يرجع الأمر كله، فوحِّده في الذات والصفات والأفعال، ولا تنسُبْ لنفسك عملاً أو حالاً بحال، إلا كما أثبته بالفعل والانفعال، واعرف واعترف أنّ الشكر والعبودية والأعمال، هدية مِنَ الله وَمِنَّـةٌ منه عليك.

فقد تظن إذا قلتَ: «أصلّي لله»: أنك تهدي الصلاة إليه، بل قل: أصلي بالله، بل صلّى الله لي، أي خلق فيَّ الصلاة وحلّاني بها ونسبها إليّ فضلاً وجوداً، وكذلك يكون الحال فيما أولاك مولاك مِن الأعمال.

***

وَاحْمدْهُ للتَّوْفِيقِ مِنْه بفعله وَارْغَبْ إِلَيْهِ لِبَسطِ كُلِّ نوالِ
وَاهْرُبْ إلَيْه مِنَ الوَرَى وَشُهودِهِم وَاشْهَدْهُ فيهم في أَجَلِّ تَعالي
وَاخْشَ الوقُوفَ أَوِ الرُّكونَ إلى الـ سّوَى مِنْ طاعَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ أعمالِ

أي إنّ الله أظهرك مِنَ العدم، وأمدّك مِنَ النعم، بنعمة الإيجاد والإمداد بالجود والكرم، ووفّقك لذكره وشكره وجعلك مِنْ جملة الخدم، فاحمده للتوفيق بفعله لفعله، وذلك منه وإليه، وفيه وعليه، وارغب إليه في إجابة كل سؤال وبسط كل نوال؛ إذ لا مُعطِي في حال بحال، فالحذر الحذر مِنْ رؤية الخلق وشهودهم، في مشاهدتهم ووجودهم، فإنّه سبحانه هو الظاهر فيهم والباطن فيما نُسِبَ لهم، فاشهده في جميع أحوالهم في وُجُوْدِهِمْ وَجُوْدِهِمْ، في أعزّ تعالٍ عن سِمات المحدثات، وتقييد الصفات، وتحديد الذوات، فإنهم في غاية الفقر والاضطرار في جميع المعاني والتعيّنات، فاخشَ مِنَ الوقوف عند خلقِ الله، أو الركون إلى سوى الله، مِنْ كُلِّ مخلوق ولو كان طاعة لله، وعلماً بأحكام الله ومعرفة به وأعمالاً له، فإنّها كلّها خلْقٌ وكذلك الجنة والنار، والملائكة الأبرار، والأنبياء الأطهار، فكلّهم خلْقٌ مسخّرون ومملوكون ومدبّرون به، فارجع إليه في جميع ذلك، واشهده فيهم في جميع المهالك والمسالك، فهو الحق المالك، واتّكِلْ عليه في جميع أمورك.

***

تُعْطِي الحَقِيقَةَ حَقَّها وَتَكُون بِالْـ ... فَقْرِ الحَقيقِيِّ في الغِنى المُتعالِي (١)
وَتَصيرُ أَنْتَ بِهِ بِكُلِّ تَعَيُّنٍ ... وَيَعودُ منه عَلَيْكَ كُلُّ مَنالِ (٢)
وَتَبِينُ منه عَلَيْكَ أَجْمَلُ صُورَةٍ ... عُلويَّةٍ فيها أَجَلُّ جَمالِ (٣)

(١، ٢) أي إذا صدقتَ مع الله، وفنيتَ بالفقر الحقيقي إلى الله في الله، ولم يبقَ لك كون مع الله، ولا ركون إلا غير الله، أعطيتَ الحقيقة أي حقيقة الأمر حقها، وطابقتَ الواقع في جمعها، ووجهتَ وانخلعتَ مِنَ الرّسوم الوهْمِيّةِ، والعلوم الرسمية، وتحققتَ بالحقائق العلمية، فتكون بذلك الفقر إلى الله والفناء فيه في غاية الكمال، والغنى به في كل حال، وتصير أنتَ بالله في كل معنى وتعيُّن في جميع الأعيان والصفات والأعمال، ويعود منه عليك كل نسبة ونوال، في جميع الهِبات والطاعات والأعمال.

(٣) أي إذا رجعتَ بالبقاء له بعد الفناء عن نفسك وشؤونك، والغِنى به بعد الفقر التام في جميع معانيك وعيونك، ظهرتْ عليك معاني أنواره في كل صورة بأجمل جمال، وسَرَتْ فيك مثاني أسراره في جميع الحال، بأكمل كمال في أحوال عليَّة، ومواهب عُلويَّة، لا يحددها مقال، ولا تُقيد بحال.

***

وَوَصِيَّتي لَك يا أَخِي كُنْ عَبْدَهُ ... أَبداً بِـما أَوْلاكَ مِنْ مِنْوالِ (١)
وَامْحِ الرُّسومَ وَكُلَّ دَعْوَى غَيْرِهِ ... وَاحْذَرْ تكون بِها عَلَيَّ وَما لي (٢)
وَخفِ الغرورَ مِنَ القُصورِ بِغَفْلَةٍ ... في نَظْرَةٍ أو خَطرَةٍ أو بَالِ (٣)

(١، ٢، ٣) قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، إلى آخر السورة [العصر: ١ - ٣] فإنه سبحانه أوصى عباده، وأمرهم بالتواصي بالحق والصبر، فلذلك أوصيك يا أخي في الدين وجميع المسلمين بأنْ تكون مسلِماً مُسلّماً لله مؤمناً آمنا بالله، وكن لله عبداً

خالصاً، حنيفاً لله قانتاً، غير مشوب بنظر إلى غير الله، وأثبت بالعبودية والصدق معه والإخلاص له فيما أقامك فيه من حال، ووضعك فيه من نوال ومنوال، ولا تنقل نفسك عنه فتُسِيء الأدبَ مع العليم الخبير بما أعطاك، فهو أعلم وأنه أولى بك مِنْ كل الخصال، فإذا أرادك لغير ذلك فمنه النقل ومنه الانتقال، فكن به وامح جميع الرسوم المنسوبة إليك، والعلوم الواصلة إليك.

واترك كل دعوى لك أو عليك، واحذر من نسبة الأشياء إليك، بما عليّ من الحقوق، أو ما لي مِنَ الأموال والرفوق، فإنها نِسَبٌ وهْمية، تتلاشى عند ظهور حضرته العلية، بالحقائق العلمية، وخف من غرورك بشيء من الصفات أو نظر إلى معنى من المعاني في جميع التعينات، في حضرة ذي الجلال، الذي أجلاك في وجوده، وألبسك ملابس جوده، وأبرزك في حلّةِ الكمال.

***

والعِلْمُ أَشْرَفُ ما طَلَبْتَ ولكِنِ الـ ... عِـلْـمَ اللَّدُنِّي المَنْهـلِ الإِنْزالِ (١)

يَهْدي إلى عَيْنِ الهُدَى وَيُرَى بِهِ الـ ... حُكْم الجليّ بِكُلِّ مَعْنى عالي (٢)

وَبِـه الحَقِيقـةُ فـي الرَّقيقـةِ تَنْجلي ... ويُذاقُ طَعْمُ الرُّشْدِ في الأعْمالِ (٣)

والله بُدُّكَ لَيْسَ بُدّك غَيْره ... وإليْـهِ مِنْـكَ يـؤولُ كُلُّ مـآلِ (٤)

فاطْلُبْ بِعَجْـزِك مِنْـه أكْمَـل قُوَّةٍ ... وبفقرِكَ ارْغَبْ في الوَلا المُتَوالي (٥)

(١، ٢، ٣) أي إنّ العلم أصل كل خير فمَنْ سهّل الله له طريقاً إلى العلم فقد سهّل له طريقاً إلى الجنة وإلى كل خير، فهو الوسيلة إلى العمل، والدليل عن كل قصد وأمل، ولكن العلوم العقلية مشوبة بالخيال، ومأخوذة من الحواس، والحواس تابعة للصورة وللمقال، قلّ ما تصفو مِنَ الشّوائب الكونية، والأخلاط الشّؤونية، إلا أنها وسيلة إلى العمل، والعمل وسيلة إلى التقوى، والتقوى منزل العلم اللدني الإنزالي،

من المنبع الأقدس، المطهر من كل دنس، بالوابل السلسالي، فإنّه طاهر طهور، نور على نور، يهدي بالحق إلى حقائق الأمور، ومعنى الهدى في كل بطون وظهور، يُرى به الحكم الجلي، في كل معنى علي، وتنجلي به الحقائق، خالصة من شوب الرقائق، ويذاق طعم الرشد والإيمان، في الأعمال بالمعرفة والعُرْفِ والإيقان، واتقوا الله ويعلمكم الله في كل شأن، إنْ تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً بكل بيان.

(٤، ٥) أي إنّ الله بُدّك اللازم لك الضروري الملازم، فهو الذي أظهرك في الوجود، وأمدّك بالموجود في كل صدور وورود، فإليه تؤول في كل حال، وإليه ترجع في كل غاية ومآل، فعنْهُ الأصل وبفضله وفصله، وإليه مرجع الأمر كلّه فلا تتوهّم أنّ لك قوّة وأعمالاً، وقدرة وأفعالاً، حقيقة في كل حال، بل لك الفقر الذات والعجز الحقيقي في جميع الخصال.

فإذا عرفتَ نفسك واعترفت بعجزك وفقرك، ورجعتَ إليه في ذلك، مخلصاً مِنْ كلِّ دعوة مُتبرّئاً مِنَ الحَوْلِ والقوة، أيدك بأكمل قوّة منه ووالاك بالغِنى عن غيره بكل فضل منه، وصِرْتَ له ولياً، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

* * *

وَبِنورِهِ اغْسِلْ كُلَّ جَهْلِكَ[1] ثُمَّ قِفْ ... في الظِّلِ تَحْتَ الفَيْضِ والإِفْضالِ (١)

قُلْ رَبِّ يا مَوْلاي عَبْدُك واقفٌ ... بِالبابِ يَرْجُو غايَةَ الآمالِ (٢)

خُذْها مُذَكِّرةً وَكُنْتُ نَظَمْتُها ... لِأخٍ عَلى حُبِّ الحَبيبِ مُوالِ (٣)

طَلَبَ الوَصِيةَ والإِجازَةَ فاقْتَضى الْـ ... حالُ الجَوابَ بِهذِهِ الأقوالِ (٤)

(٢،١) أي إذا أظهرَكَ اللهُ بظهوره، وفتح لك أبواب نوره، فاغسل جميع صفاتك الناقصة بكمال طهوره، وطهِّر جميع جهلِك وظلمات حسّك وعقلك بصفاء نوره، وقف في منزل العبودية والفقر، تحتَ نوازل القهر والأمر، في ظل الرحمة واللطف، وبرد الرأفة والعطف، مُنتظراً للقبول والإقبال، والفيض بالفضل والإفضال، وقل يا رب يا رب يا رب ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤] فأنا عبدُك على كل حال، واقفٌ تحت باب السؤال للنوال، أرجو منك غاية الآمال، وبالقربِ منك في جميع الخصال، والتحقّق بالحق في معنى الحقيقة في جميع الأحوال.

(٣، ٤) أي خُذْ هذه القصيدة الفريدة تذكُرُكَ مطالع الأنوار ومنافع الأسرار، في متابعة الأخيار، ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠]. فهي مُذكِّرَةٌ عامة، ودعوة تامة، وإن كنتُ نظمتها باسم أخ خاص، فهي في معنى مخصوص، وذلك أنّ بعض الإخوان في الله، المُوالين على محبّةِ الله، الحبيب المحبوب في جميع الأمور، صافي الحق بالحق بعد أنْ طلبَ منّي ذلك الآخر الوصية المخصوصة، التي أمر الله بها في الآيات المنصوصة، وكذلك طلب الإجازة منّي فيما استفاده من العلوم، وعرفه من طريق القوم، وتحقق به في حقّ الحي القيوم، وهو السيد العلامة الجامع بين المعقول والمنقول، العارف بالله تعالى السيد يحيى بن عمر مقبول الأهدل الحسيني رحمه الله، وبلّغه في حضرته كل سول، فاقتضى الحال بحسب القابلية منه الجواب بهذه الأقوال التي ذكرتها في القصيدة؛ إذ الجواب يختلف على السؤال الواحد بحسب مقتضى الحال، الذي عليه مدار البلاغة في جميع الأقوال.

❊ ❊ ❊

فَأَجَزْتُـهُ فيهـا وفيمـا قُلْتُـه   مِنْ نظْمٍ أو نَثْرٍ وَحلِّ سُؤالِ (١)
وكَـذاك كُلُّ أخٍ وَطالِبِ حِكْمةٍ   ومرافِقٍ لِلْحـقِّ بالإقبـالِ (٢)

أي قَبِلتُ سؤال ذلك الأخ وقابلته بمراده مِنَ الوصلة التامة، في الإجازة العامة، فيما يجوز لي روايته، وله مما أتقنَ في درايته، وتأهّل لروايته، مِن جميع العلوم، وبهذه القصيدة وما لي من منثور أو منظوم، وجواب سؤال، وإيضاح إشكال، مما صحّ نسبته إليّ بوجه معلوم، عند أهل العلوم، من جميع العلوم، وكذلك عمّمتُ لكلِّ أخٍ في الله وطالب مطلوب بأمر الله.

* * *

والحَمْـدُ لله الحَميـدِ بِحَمْـدِهِ ... في حَمْدِهِ المَحْمودِ في الآزالِ (١)

ثـمَّ الصَّـلاة عـلى النَّبـي مُحمّـدٍ ... وَعَلى الصَّحابةِ كُلِّهِم والآلِ (٢)

والتَّابِعـينَ مَعَ السَّـلامِ وَخَتْمِها ... سُـبْحانَ رَبِّ العِزَّةِ المُتَعالي (٣)

(١، ٢، ٣) أي الحمد لله حقّ الحمد، لازم لذات الله الجامع لجميع الكمالات، المستحق لجميع الطاعات والعبادات، فلا حَمْدَ حقيقة لغيره؛ لأنّ وجوده إنما هو بغيره، فالله سبحانه وتعالى هو المحمود وهو الحامد، وله الحمد بحمده الذي يُوافي نعمه ويكافئ مزيده، في جميع المشاهد وهو حمد نفسه لنفسه المحمود به في الأزل الذي لم يزل، الذي شرحه فيما نزل، لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

ثم المسؤول من الله دوام الصلاة بالرحمة والتشريف، للسيد الشريف الذي أقامه الله واسطة في كل معروف وتعريف، في عالم المسالك من التأليف في كل تكليف، ودعوة إلى سبيل الخبير اللطيف، وعلى أصحابه نجوم الهدى، ورواة الحق والتحقيق عنه في كل اهتداء، فهم كلّهم عدول، ومَنْ قَدَحَ فيهم فقد قَدَحَ في دينه المنقول، وعلى آله وعترته المقرّبين في الهدى بالقرآن في القبول، وعلى التابعين لهم بإحسان في مناهج الإسلام والإيمان والعرفان مع السلام بمعنى التسليم في كل حال يَحُولُ، وقوّة وحَوْل.

وختم هذه القصيدة بما ابتُدِئ به من التسبيح، فإنه كختم المجالس في القياس الصحيح، وأشار إليه البخاري في ختم «الجامع الصحيح»، والعَوْدُ بما بدأ شأن أهل الهدى، وآخرُ دعواهم كأولها: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

انتهى

* * *

إلحاقٌ

تقدمت الإشارة الى أن السيد الإمام المؤلف رحمه الله، تبادل الأشعار مع السيد العلامة يحيى بن عمر مقبول الأهدل الزبيدي، وقد أورد بعض تلك الأشعار العلامة السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، في كتابه «النفس اليماني». وكان من تمام التوفيق أن يسر الله الوقوف على نسخة خطية من تلك الأشعار، وفيها تسمية السيد المؤلف لقصيدته التي قالها في السيد الأهدل، ومعها الجواب أيضاً.

***

جاء في النسخة المنقول عنها، والمقابل ما في «النفس اليماني» عليها:

«قال سيدنا المؤلف المذكور، وهو الناظم والشارح، نفعنا الله به:

وهذه قصيدة أخرى مسماة بـ:

«التشويق لأهل الطريق إلى الحق والتحقيق»

أحببت أن ألحقها مجردة عن الشرح؛ لأنها في معنى الشرح لآخر القصيدة المتقدمة، في تفصيل بعض المعاني المقدمة، والشرح هذا في معنى الشرح لها في الدرر المنتظمة، والجواهر المكرمة، وهي هذه.

وكنت أرسلتها إلى السيد العلامة، الموالي في مولاه على ما أولاه، من فضله وولاه، وهو المشار إليه بالأخ فيما تقدم في طلب الوصية والإجازة. وهو السيد يحيى ابن عمر الأهدل مقبول الزبيدي، رحمه الله، فأجاب عن القصيدة بجواب دال على

القبول، وتحقيق المقبول، فأوردت جوابه أيضاً، لتتم الفائدة والعائدة، في كل معنى في كل مقولٍ؛ لأنه أهل للشهادة فيما يقول، أحد العارفين العدول، وصارت هذه الثلاث القصائد متعلقةً بعضها ببعض، وإليها فيها النسبة تؤول.

فالقصيدة هي هذه:

يـا مغرميـن بوصـلِ ذاتِ الخـالِ ... نجـمُ اللّقـا فـي طالـعِ الإقبـالِ
هبّتْ نسـيماتُ القبـولِ فهل إلى ... ذاك القبيـلِ مسـاعدٌ فـي الحـالِ
بالله يـا أهـلَ الغَـرامِ ودينِـهِ ... حـيَّ هـلاً للوصْـلِ والإيصـالِ
فلقـدْ دعا داعي الحبيبِ ومَنْ دُعي ... فأجـابَ فـازَ بمنتهـى الآمـالِ
مـاذا التّوانـي والزمـانُ مسـاعدٌ؟ ... والحـالُ حـالِ والعطـا متـوالِ
كيف التباطؤ والسـبيلُ قد استوى ... بدلائـلِ الإنبـاءِ والإرسـالِ
تلكَ البـروقُ بروقُ أنـوارِ الحمى ... وشـروقُ أنـوارِ الجنَاب العالـي
فلقدبدتْ شمسُ الشُّموسِ وأُجْليَتْ ... تلـكَ العـروسُ بغايـةِ الإجـلالِ
فاسـتعبدَت كلَّ النفـوسِ وغيبَتْ ... كلَّ الحسُـوسِ وبلبَلَـتْ بالبـالِ
واستظهرتْ كلَّ القلوبِ وطهَّرتْ ... كـل العيُـوبِ بـواردٍ سَلسـالِ
مُحِيَـتْ بها كلُّ الذُّنـوبِ وفتّحتْ ... منهـا الغيـوبُ وبـانَ كلُّ جمـالِ
شـهدتْ بها كل البها بلْ شاهدتْ ... لنهايـةِ التفصيـلِ فـي الإجمـالِ
بحقـائـقٍ ودقـائـقٍ برقَائـقٍ ... قـد راقَ فيهـا سلسـبيلُ الحـالِ
ولطائـفٌ وعـوارفٌ بمعَـارفِ ... تجلـو صـدَى الإبهامِ والإشـكالِ
وطـوالِـعٌ أبديّـةٌ بمطَـالـعِ ... أحديّـةِ وجَـلاء جـلَّ مجـالِ
بشـريعـةِ وطريـقَـةِ وحقيـقـةِ ... ترياقُهـا شـافٍ لـكل عضَـالِ

أبـداً تـراهـا ليـلُهـا كنهارِهـا ولهـا معـــانٍ فـوقَ كل مقـالِ
الله أكبــر جـلّ منـجـزُ وعـدِه لعبيـده عـن خلـفٍ اَوْ إمهـالِ
علـى علـيٍّ عطائـهِ ومزيـدِه عـن شَـوبهِ بالنَّقـصِ والإقـلالِ
مـا كانَ أثبتَـهُ بصـادقِ قولِـهِ فـلـهُ البقــا أبـداً بغيـرِ زوالِ
سبحانَ مَنْ يدعو العبادَ إلى النّدى ويعمّـهـم بالفضـلِ والإفضــالِ
حاشـاه أن يدعـو لوابـلِ جـودِهِ ويـخيــب الراجـي لأي نـوالِ
حاشـا الكريـمَ بفضلـه ونوالِـه قـد قـام فـي الأشـيا بـكل كمـالِ
ظهـرتْ مظاهـرُه ببـذلٍ شـاملٍ وبعدلِـه تعديـلُ كـلِّ مجـالِ
كل الوجـوه لـه عنَـتْ وتوجهَـتْ كل الشـؤون بسَـائرِ الأحـوالِ
وبحمـدِه تسبيحها وسـجودها بـذواتهـا أبـداً وكل ظـلالِ
كـل نمـدّ بـهـذه وبـهـذه وبـه إليـه مـآل كـل مـآلِ
مـا خـابَ إلا جاحـدٌ أعمَـى توهّـ م غيـره شيئاً بـوهْـم خيـالِ
والله ألبسَـــهُ صفـاتٍ ظنهـا مـن نعتِـه الذاتـي بـكل خيـالِ
أمسـى يقول فعلـتُ ذا وتركتُ ذا وغـدَا بـمـلـكٍ واثقـاً وبمـالِ
عجبـاً لـه ولعجبـه بملابـس عاريّــةٌ جلبـتْ بخيـرِ مثـالِ
أعمَى حجًى من لا يشـاهدُ نفسَـهُ عدَمـاً وفقْـراً فـي جميـعِ خصـالِ
أيتيـه مـن نعـم عـواري عالـمٌ أن لا لـه فـي الأمـرِ مـن مثقـالِ
فهـو الجهـولُ بنفسِـه فـي حملـهِ لأمانـةٍ ثقلـتْ علـى الأجبـالِ
وهـو الظلـومُ إذا ادَّعـى أثـراً لـه فــيمـا يـراه الحـقّ مـن أفْعـالِ
إنْ شـئتَ كلَّ سـعادةٍ فـي قربـه وسيــادةٍ وبلُـوغِ كلِّ منَـالِ

فاشهدْه فيكَ وفي سِواك وكُن به ... عبداً له في سائرِ الأحوالِ
واخلعْ لباسَ النفسِ عنك وقمْ به ... وله استقمْ في أقوَمِ استقبالِ
وتخلَّ عن حَولٍ ودعوَى قوّةٍ ... وله استجِبْ في صالحِ الأعمالِ
ومتى تجدْ سوءاً فلُمْ نفساً جنَتْ ... شراً عليكَ فعُوقِبَتْ بنكالِ
فارجعْ إلى اللهِ الكريمِ فإنه الـ ... ملجا فحسبُ لسائرِ الأهوالِ
ولذنبك استغفرْهُ فاستغفارُهُ ... منْجَى لكل بليةٍ ووبالِ
وبذكره استهتِرْ دوامَك طالباً ... حسْنَ القبولِ بأحسَنِ الإقبالِ
وانزلْ بظلِّ نوالِه واهتفْ وقُلْ ... يا ربِّ يا ربِّ استجبْ لسؤالِ
ثمَّ الصلاةُ على النبيِّ وآله ... والصّحبِ والتَّسليمِ بالإكمالِ
ما قام داعٍ بالهدى وأنشدَتْ ... يا مغْرمينَ بوصْلِ ذاتِ الخالِ

* * *

[جواب السيد يحيى بن عمر الأهدل]

وهذا جوابٌ عليها من سيدي الجد يحيى بن عمر الأهدل، رحمهم الله:

هبَّ النسيمُ من الجنابِ العالي ... يروي الشَّميمَ من الخزامَى الغالي
وتسلسَلَ الإنباءُ من أهلِ النقَا ... بلطافَةٍ كالسلسبيلِ الحالي
فارتاحَتِ الأكوانُ منه بلطفِه ... وتنوحَتْ من عرْفِه[1] الميالِ
وترنَّحَتْ أرواحُنا بخطابِه ... وتروّحَتْ برضابه السَّلسالِ
وتفكهت أسرارُنا بجماله ... وتنبَّهتْ بزلالِه السيّالِ
لم لا ومن سُوحِ الحبيبِ هبوبُه ... بنوافحِ النفحَات والإفضالِ

---

(١) في «الفنس»: وتناوحت من عرفه.

أوليس مطلعُ شمسِه أفقُ العلا ... وورودُه من معدنِ الإجلالِ
بحقائقٍ مكنونةٍ ودقائقٍ ... مصنونةٍ ورقَائقٍ وعوالِ
ومعارفٍ غيبيةٍ وعَوارفٍ ... وَهْبيةٍ ولطائفٍ ومعَالِ
وسرائرٍ نبويّةٍ وذخائرٍ ... علويةٍ وجَواهرٍ ولآلي
وطوالعٍ سريّةٍ ولوامعٍ ... دريةٍ وسَواطعٍ ومجالِ
ونفائسٍ أحديّةٍ وعرائسٍ ... مهديةٍ من مانحِ الآمالِ
أكرِمْ بشيخٍ حازَ كلَّ فضيلة ... وجميلةٍ ورقَى المقام العالي
سرٌّ من الأسرارِ مبتهجٌ حوَى ... أزكى الخلالِ وأكملِ الأحوالِ
حلّتْ محاسنُه الوجودَ جميعَهُ ... يا سعدَ معتقدٍ له ومُوالِ
بحْر الحقائق والمعارف عابد الـ ... رَحمنِ والموصوف بالإجلالِ
حبرُ الحقيقةِ والطريقةِ جامعُ الـ ... عِلمَينِ والشرفين باستكمالِ
كم خاضَ في بحر الكتّاب فجاء بالـ ... عجَب العُجابِ وحل كلّ سؤالِ
حازَ الفصُوصَ إلى النصُوصِ بفهمه ... فجَلا الفصوصَ ونالَ كلَّ منالِ
والله يُهنِيهِ الفتوحَاتِ التي ... فتحَتْ له ويزيدُ بالإكمالِ
ويعيدُ من بركاتِه ويمدّ من ... نفحاتِه بالعائد المتوالي
يا أيها النفاحُ من ذاكَ الحمى ... عُدْ مسرعاً جنَّبتَ كل كَلالِ
واقرِ السّلام وقبِّلِ الأقدام في ... ذاكَ المقامِ على الإمامِ ووالِ
واعكُف بحضرته الشريفة مُنشِداً ... في ذلك المغنَى بصوتٍ عالِ
بتأدُّبٍ وتهذُّبٍ وتخشُّعٍ ... وتذلُّلٍ وتمكُّنٍ في الحالِ
يا ابنَ عبد الله يا شمسَ الهدى ... يا عيدروسُ ويا عظيمَ الحالِ

يا ابنُ الفقيه ويا عظيمَ القدر يَا … أقصى المرامِ وغايةَ الآمالِ

جُدْ بالدعاءِ لشيِّقٍ متعلِّقٍ … في كلِّ آنٍ لم يفُزْ بوصَالِ

عبدٌ لكم لا تقطعوه نَوالكم … لازلتم أهلاً لكلِّ نوالِ

فعسَى يعدُّ محبكُم من حزبكم … ويمَدَّ بالإخلاصِ في الأعمالِ

ثمَّ الصَّلاةُ مع السلام مؤبداً … للهاشميِّ وصحبه والآلِ

ما خَطَّ في طرسٍ بنانُ محقّقٍ … سطراً يحلّ مسائلَ الإشكالِ

وشدَا محبٌ بالترنُّمِ مُنشِداً … هبَّ النَّسيمُ من الجنابِ العالي

تمت المنظومة التي في سلك الفضل محكومة

لمن تقدم ذكره، وعلا فخره

نفعنا الله بهم آمين

❋ ❋ ❋

(١٦)

منظومَة يُمْنَـةُ الـمُدَارِسِ

وزِينةُ الـمَدَارِس

لناظمها

الإمام النحرير العارف بالله تعالى والدال عليه

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

نفعنا الله به وبعلومه آمين

هذه المنظومة:

منظومة مباركة للإمام علامة الدنيا، الحبيب عبد الرحمن بلفقيه، رحمه الله ونفعنا بعلومه، جمع فيها علماً غزيراً، وفهماً واسعاً لعلوم الحديث، ذكر فيها أخذه عن شيوخه، ومقروءاته عليهم، وعرج على آداب طلب العلم، وما ينبغي أن يتحلى به حملة العلم الشريف، وغير ذلك مما يهم طالب العلم.

النسخ المعتمدة في التصحيح:

النسخة الأولى: من مكتبة الإمام عيدروس بن عمر الحبشي، بحضرموت، تقع ضمن مجموع، بقلم محمد بن رضوان بن أحمد بارضوان بافضل، فرغ من نسخها يوم الخميس ٢٣ محرم سنة ١٢٩١هـ، بعناية صاحب المكتبة، وكان نقلها «من نسخة صحيحة بقلم المعلم العلامة عبد الرحمن باوزير، نفع الله به، قرئت فيما أظن على مؤلفها»، وجاء تعداد أبياتها ١٠٥ أبيات، أخذاً من كلمة «يمنة = ١٠٥».

النسخة الثانية: نسخة من مكتبة خاصة، تقع في ٤ ورقات، بقلم أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن عيدروس بن عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، فرغ من نسخها ضحى الأربعاء ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢هـ.

النسخة الثالثة: نسخة محفوظة في مكتبة الأحقاف بتريم، وهي الكتاب الثاني ضمن مجموع يحمل رقم ٢٨٣٧، تقع في ٤ ورقات، لم تؤرخ ولم يسمِّ ناسخها، وخطها وورقها حديث. والكتاب الأول في ذلك المجموع هو قصيدة الرشفات، الآتية.

هذه المنظومة المسماة بهجة المدارس وزينة المدارس •

لناظمها سيدنا وبركتنا وشيخنا الامام الخبير •

العارف بالله تعالى والدال عليه عبد الرحمن •

بن عبد الله بن احمد بن عبد الرحمن بن •

الفقيه محمد باعلوي •

نفعنا الله به •

وبعلومه •

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على وصل المسند • اليه بالرفع الصحيح المعتمد •
وحفظه الفرد الضعيف المنقطع • اليه من عضل وقدح ان تبع •
طرقوا على مرسل بوارد • توقيف تعديل الحريز الشاهد •
بالحسن المأثور في الاخبار • من سنن المختار في الانوار •
رسالة من مطلع العوارف • ومجمع الاسرار واللطائف •
في فقه اصل الدين والفروع • في العلم بالمعقول والمسموع •
نفع احيا منهج الارشاد • في روضة الاسعاد بالامداد •
وجمع معنى تحفة الهداية • بالمطلب الاسنى الى النهاية •
في غاية التفصيل والتفريع • خلاصة التنقيح والتوضيح •

بالمنهج

[illegible]

[illegible]

فصار فيهم حاجباً النورة ... عنهم فما ذاقوا جنا ما نوره
فملكوا القسوة وكبر ... وحسد وعجب ومكر
نعوذ بالله من الخبال ... والعود بعد الحق في الضلال
فالذم منهم لا من العلوم ... فانها من طاعة القيوم
فحق من يخشى مقام ربه ... ان يعتني بعين معنى قلبه
ويجتهد بكل ما في دينه ... يزيده بالحق في يقينه
وان يديم الذكر بالامعان ... والفكر فيه في جميع الشان
ليغرس التحقيق باليقين ... في طي قلبه بالحق والتمكين
حتى يكون عند موت جسمه ... حي الحجا بنوره وعلمه
طوبى لمن طاب له نواده ... بالعلم والتقوى عليه زاده
فسار بالشرع على طريقه ... في الحق يهتدي به الى الحقيقه
على اتباع المصطفى نبيه ... في القول والفعل وعقد النيه
فتبلغ الفضل بكل جود ... ببركات احمد المحمود
صلى عليه ربنا واله ... وصحبه وتابعي احواله
مسلماً عليه بالدوام ... والحمد لله على التمام

تمت وبالخير عمت ضحى يوم الاربعا
في ٩ ربيع ثاني ١٣٤٤ نفعنا الله
بناظمها الدليمي
امين

نظم الفقير الى ربه ... [illegible]

وبعد فان الشعر من حيث وزنه وتحقيقه ومراعاة نفي زحافه ملاحظ فيه مناسبة الاصوات والاغاني وما يؤول اليه الخلو بسبقها لتلك المباني وقد لا يعول على ذلك من اراد حصر الالفاظ وضبط المعاني اذ المقصود تحصيل المقتضى البياني وتسهيل الملفوظ اللساني فلذلك لم يراع اكثر اهل المنظومات في انواع العلوم الكثيرة خصوصا اهل الاراجيز في الفنون الشهيرة هذا التدقيق في الاوزان والموازنة في منظوماتهم لان قصدهم التحقيق في مجموعاتهم وتبليغ معلوماتهم وبالله الهداية الى سواء الطريق انتهى نقلته من خط الشيخ محمد عبد الله باسودان وهو نقله من خط والده الشيخ عبد الله وهو نقله من خط الحبيب طاهر بن الحسين بن طاهر وقال وجدته على نسخة الحبيب طاهر المذكور ونقلته من خط

- ب -

وقال سيدنا عبد الرحمن عبد الله بلفقيه الحضرمي رضي الله عنه ونفع به

الحمد لله على وصل السند ... اليه بالرفع الصحيح المعتمد

وحفظه الفرد الضعيف المنقطع ... اليه من عضل وقدح ان تبع

طريق اعلى مرسل بوارد ... لتوفيق تعديل العزيز الشاهد

بالحسن المأثور في الاخبار ... من سنن المختار في الاثار

رسالة من مطلع العوارف ... ومجمع الاسرار واللطائف

في فقه اصل الدين والفروع ... في العلم بالمعقول والمسموع

بفتح احيا منهج الارشاد ... في روضة الاسعاد بالامداد

يجمع

متن المنظومة

الحمـدُ لله على وَصْل السَّنَدْ إليـهِ بالرّفعِ الصَّحيحِ المُعْتَمَدْ
وحفظِهِ الفردَ الضّعيفَ المنقطِعْ إليـه مـن عضـلٍ وقـدْحِ انْ تبـعْ
طريــق أعْلـى مُرْسَلٍ بـوارِد توقيــفُ تعديـلُ العزيـزِ الشّاهدِ
بالحسَنِ المـأثُـورِ فـي الأخْبَـارِ من سُنن المختـارِ[1] فـي الأنْوارِ

***

رسـالةً مِـنْ مَطْلَـع العـوارِفِ ومجْمَـع الأسْـرار واللّطائـفِ
فـي فقـهِ أَصْـل الديـنِ والفـروعِ فـي العلـم بالمَعْقول والمَسْمُوعِ
بفتـح إحيـا منهـجِ الإرْشـاد فـي رَوْضـة الإسْـعاد بالإمْـدادِ
وجمـع معنـى تحفـة الهدايـةْ بالمطلـب الأسْـنى إلـى النّهايَـةْ
فـي غايـة التّسـهِيل والتّصْريـحِ خـلاصـة التنقيـح والتـوضيـحِ
بالمذهَبِ الحَقِّ الحنِيْفي الأحمدي من شـافعي عـن مالِكي وسَيّدي
صَلّـى عليـه رَبّنـا وسَـلّما وآلـهِ وصحبـهِ وكـرّمـا
مـا وصَلَـتْ سلاسـلُ الرّوايـةِ تـواتـر الآحـادِ فـي الـدّرايـةِ

***

---

(١) جاء في هامش النسخة (أ): «فيما قبله تورية بأسماء المصطلح، وفيما بعده تورية بأسماء كتب. من خط المعلم ع ب». وبلغ عدد أنواع المصطلح التي في الأبيات: ٢٣ نوعاً، وعدد الكتب: ٣٥ كتاباً، كتبت أرقامها باللون الأحمر في النسخة المذكورة.

هـذا وإِنَّـا أُمَّـةُ المختـارِ نختـصُّ بالإِسنـادِ فـي الإِخبارِ
وهـو أصحُّ نسبةٍ وَلُحْمَةٍ لدفـعِ كُـلِّ تـهـمـةٍ ووَصْمةٍ
والأوّلـون واصَلُـوا الترحـالَ لَـهْ في العَرْضِ والتـحدِيْثِ والمُنَاوَلَهْ
ولـم يَـروا أَنْ بَلَـلَ الإِجَـازَهْ يُـرْوِيْ فبَعْـض القـوم مـا أجَـازَهْ
حتـى رُويِ للشـافعِيِّ المنعُ بـلْ للاتفـاقِ صـاحـبُ الحـاوي نَقَلْ
لكِـنْ أجـازَ سـائرَ الأنـواعِ مَـنْ بعدَهُـمْ فصـارَ كـالإِجمـاعِ
قالـوا لعجـزِ النـاسِ عـمَّـا قلُّـوا إنْ لـم يُـصِبْـهـا وابـلٌ فـطَـلُّ

***

ولـيْ بـحـمـدِ الله فـي عُـلـومِ كثيـرةٍ فـتـحٌ مـن القَـيُّـوْمِ
وَلِـيْ أسَـانيـدٌ بـهـا اتِّـصَالِـيْ إلـى جميـع الكُتْـب والرِّجـالِ
لأنـنـي أكثـرتُ عَـنْ كثيرِ فـي الفقـهِ والحديْـثِ والتفسيرِ
وغيـرهـا لكـنْ هُـنَا مـرادي مـن الشيُـوخ عـالـي الإِسْنادِ

***

وقـد قـرأتُ فـي عُلُـومٍ جمّـةْ علـى شيُـوخٍ قـادةٍ أئـمّـهـة
كوَالـدِيْ الشيخ الإِمـام العَـالِـم بـأخـذِهِ عـن عِـدَّةٍ أكـارِمِ
مثل القشاشـيّ وعيسَى الجعفريْ وابنـي إمـام الشـافِعي الطبَـري
والمغربـيْ والزمزميْ فـي كلّ فَنّ وغيرهِـمْ من حَضْرمُـوتَ واليمَنْ
وقَـدْ قـرأتُ وسـمعتُ عنـهَ مـا أحَـلَّ مـا ألَّـفَـهُ أوْ نـظـمـا
وخَـصّـنـي بالحُكـم وَالتحكيـم واللُبْـس والتلقيـنِ والتـقـديـمِ
لـكُلّ تدريـسٍ وفتـوى مُعضِلـهْ ولـيْ أجـازَ كُلَّ مـا قَـدْ جـازَ لـهْ

***

كذاك عَنْ جَدّي لأُمّي العَيْدروسْ محمد العلامةِ المُحيي الدُّرُوْسْ
منه لبستُ وأخذتُ عنهُ ما قد جازهُ ممَّا رَوى أو علما
بأخذِهِ عَنْ عِدّة منْ بلدِهْ وَلِيْ أجاز كلَّ مَا في مُسْنَدِهْ

***

كذاك عن خاليْ ابنه الوجيهِ العالم العلّامة النَّبِيْهِ
أخذتُ عنهُ كلَّ ما قَدْ عَلَّمهْ وَكُلَّ ما ألَّفَهُ أو نظَمَهْ

***

كذاكَ في الإلباسِ والتحكيْمِ وغيره من سائر العُلُوْمِ
بأخذِه عَنْ والدِيْ ووالدهْ وجُملةٍ أجلّةٍ من بلَدِهْ
والسيِّد الشليّ والعِصامي والمغربيِّ والعجيْميْ السَّامِيْ(١)
وغيرهم وكم سمعتُ منهُ ولِيْ أجاز ما يجوزُ عَنْهُ

***

كذاك عن صِنوي جمالِ الدِّين محمد أخذتُ في فنونِ
وكانَ ذاك في ابتداءِ عَيْشي عن شيخه الكُردي والبشيشي
وغيره وكان جُلّ جُملته عن والدِيْ وعَنْ شيُوخِ بلدته

***

وغيرهم من عُلماءِ القومِ والفقهَا أخذتُ في علومِ
كالسيّدينِ قُدْوةِ العِبَّادِ العارفِ المعروفِ بالحدَّادِ
والهندوان العالم الشهير فعنهُما أخذتُ في كثيرِ

---

(١) في نسخة: والعجمي الشامي، وهو تصحيف. والصواب ما أثبت.

وكَمْ سمعتُ ولبِسْتُ منهُما ولِيْ أجازًا ما يَجُوزُ عنهُما

***

والعالم الكُرديّ والعجَيْمي وابن الرسُول السيّد المَعْلُوْمِ
كذا ابنِ حمزة النقيبِ الثاقبِ والحافظ الشامي أبو المواهبِ
وَجُملةٌ بالحَرمينِ واليَمَنْ وبلدِيْ كلٌّ أجازَ كُلّ فَنْ

***

وَقَلَّ أن يُرى كتابٌ معتمَدْ أوْ عالمٌ إلا ولِيْ مِنْهُ سَنَدْ
فبعضهم شافهني مخاطبه عمَّمها وبَعْضَهُم مُكَاتبه
وبعضُهُم حَيٌّ وبالفضل رُعي لم أرْوِ عنهِ خَوْفَ نهي الشافِعي

***

فهاك منِّي يمُنة المُدارسِ تعريفَها المَعْلُومَ في الفهَارِس
نظمتها للآخذين عَنّي وَبَعضُهُمْ قد استجازَ مني
فقد أجزتُ كلَّ ما ذكَرْتُهُ لَهُمْ كذا لكُلِّ مَنْ عَلّمتُهُ
وكل من قدِ استجاز مِنّيْ في العِلم والأخذ بكُلِّ فنّ
وَكلّما ألّفتُهُ فيْ علمِ أو قلتهُ في حكمةٍ أو نَظْمِ
فليَرْوِ مَنْ شاءَ على أيِّ صِفَةْ إجازةً فيها التُّقى والمَعْرِفَةْ
بشرطِهِ المعروفِ عندَ أهلِه في أخذِه وحفظِهِ وبَذْلِه

***

فالعلم أصْل الدين والإحْسانِ طريقُ كلِّ الخَيْرِ والجِنانِ
فهوَ مع التقوى هُدًى ونورُ وهوَ مع الزيغ بذًا وبُورُ

فالعلم إِنْ زادَ ولَـمْ يـزددْ هُـدَى ... صاحبـه لـم يَـستفِدْ إلا ردى
فلا تَعُـدَّ ذاتُـه فضيْـلـة ... إِنْ لـم يكـن إلـى الهُدَى وَسِيْلة
فإنـهُ كـالكـذبِ والـخيـالِ ... يكـون عنـد الخلفِ للأعْمـالِ
فحقّ أهـل العِلـم صِدْقُ النيّـةِ ... والاجْتهـاد فـيْ صفـا الطويّـةِ
والجدّ فـي التقْـوَى بخَيـر سِيرةْ ... ليستقرَّ العلـمُ فـي البَصيـرةْ(١)

***

فعِلـمُ ذي الأنـوار فـي جَنانـهْ ... وعلـم ذي الأوزار فـي لسَـانهْ
وإن عُنْوانَ علـوم الدّيـنِ ... فـي الصِّدق والخشيةِ واليقيـنِ
وأفضـل العلُـوم علـم يقتـرِبُ ... بـه الفتـى مِـنْ ربّـهِ فيمـا يُحِـبْ
فليبـذل الجهـدَ بمَـا يَزِيْـدهُ ... نـورَ الهُـدَى فـي كُلِّ مـا يُفيْـدُهُ

***

وصرفُ فضل الوقتِ مِنْ ذي الفَهْمِ ... والحفظِ أَوْلى في اكتساب العِلمِ
فهـوَ مـعَ التقـوى وحُسْـن النِّيـة ... أولـى تـقـى فـي رُتبـةٍ عليّـة
روايـةً يـكُـون أوْ دِرَايـهْ ... فرضـاً علـى العَيـن أو الكفايـهْ
فبـالأهَـمِّ فـالأهَـمِّ يَـنْتَقـيْ ... مـن كُـلّ فـنٍّ مـا يفيـدُ مـا بقـيْ
فـإنَّ أنـواعَ العُـلـومِ تختلِـطْ ... وبَعْضُهـا بشـرط بعضٍ مُرتبـطْ
فمـا حـوَى الغاياتَ في ألفِ سَنةْ ... شـخصٌ فخُـذ من كل فنٍّ أحسَنَهْ
بحفـظ متـنٍ جامـعٍ للراجـحِ ... تـحلُـهُ علـى مفيْـدِ ناصـحِ
ثـم مـعَ الفرصـةِ فابحـثْ عنـه ... حَقِّـقْ ودَقِّـقْ مـا استُمِـدَّ مِنْـهُ

***

---

(١) هذا البيت مزيد من النسخة الثالثة.

لـكـنّ ذاكَ بـاختـلافِ الفـهـمِ مـختلفٌ وبـاختـلافِ العِلـمِ
فالمُبتَدِيْ والفـدمُ لا يطيـقُ بحثـاً بـعلـمٍ وجـهـهُ دقِيْـقُ
ورُبَّمـا يـضـرُّ بـعـض العِلـمِ بعض الورى في الدين أو في الجسم
فمـن يَكُـنْ فـي فَهمـه بَلادَه فليَـصْـرف الوقـتَ إلـى العِبَـادهْ
أو غيرهـا مـن كُلّ ذي ثـوابِ ولـو بحُسْـن القصد في أسْبَابِ
فليَـعْـمـر العُـمـر فكُـلّ ذرّة رخيْـصـة منـهُ بـألـف دُرَّة
فيـضبـطِ الأَوْقـاتَ بالمَوقـوتِ مـن قبـلِ سَبْـقِ فتنـةٍ وفَـوْتِ
والعلـمُ ذكـرُ اللـه فـي أحكامِـهِ على الـورَى كالشـكرِ فـي إنعامِه
فذكـرهُ فـي الـذاتِ والصّفـاتِ كالذِّكـرِ فـي الأَحْكامِ فـي الآياتِ

***

لكـنْ كثيـراً غفـلـوا بـالعِلـم وحكمـهِ عـن رَبّهِـمْ ذي الحُكـمِ
وأدخَلُـوا فيـه الجـدالَ والمِـرَا فكَثُـرَتْ آفـاتُـهُ كـمـا تـرَى
فصَـارَ فيـهـم حـاجـباً لنُـورِه عنهـم فمـا ذاقـوا جنَـا مأثـورِه
فَهـلـكُـوا بـقـسْـوةٍ وكِبْـر وحسـدٍ وعُـجُـبٍ وَمَـكـر
نـعُـوذُ بـالله مِـنَ الخَبـالِ والعَـوْدِ بَعْـدَ الحـقِّ فـي الضَّلالِ
فالـذمُّ منـهُـمْ لا مِـنَ العُلـومِ فإنَّـهـا مـن طـاعَـةِ القيُّـوْمِ

***

فحـقُّ مـن يخشـى مقـامَ ربِّـهِ أن يَغْتنِـي بـعَيـن معنـى قلبِـهِ
ويـجـتهِـدْ بـكلّ مـا فـي دينِـهِ يـزيـدُهُ بـالـحـقِّ فـي يَـقِيْنِـهِ
وأن يُـديـمَ الـذِّكـرَ بـالإمْعـانِ والفـكـرَ فيـه فـي جميـعِ الشَّـانِ

لِيَغْرِسَ التحقيق باليَقينِ ... في قلبه بالحقِّ والتّمكينِ
حتى يكون عند مَوتِ جسْمهِ ... حيّ الحجَا بنُوره وعِلمهِ

* * *

طُوبَى لمَنْ طابَ لَهُ فُؤادُه ... بالعِلم والتَّقوى عليهِ زَادُهُ
فسارَ بالشرعِ على طريقَةْ ... في الحقِّ تهدِيْهِ إلى الحقِيْقة
على طريق المُصْطَفَى مَبْنِيّة ... في القَوْلِ والفعلِ وعَقْدِ النِيَّةْ
فيَبَلْغ القصدَ بكلِّ جُوْدِ ... ببرَكاتِ **أحمد** المَحْمُودِ
صلَّى عليهِ رَبُّنا وَآلِهِ ... وصحبهِ وتابعِيْ أَحْوَالِهِ
مُسَلِّماً عليهِ بالدَّوَامِ ... والحمدُ لله على الإِتْمامِ

تمت

المنظومة الفريدة

نفعنا الله بناظمها آمين

* * *




(١٧)

منظومة

عُمدَةُ المحقِّقِ
في أصول الدين

لناظمها

الإمام علامة الدين خاتمة المحققين

السيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه باعلوي

نفع الله به



هذه المنظومة:

منظومة جليلة المباني، عظيمة المدركات والمعاني، فريدة في بابها، عصية على خطابها، لم تزل في خدرها محجوبة عن الأحداق، لم يتداولها طلاب العلم إلا على أضيق نطاق، لولا أن شرحها إمام جليل ظهر بعد عصر ناظمها، فعرفها لأهلها، ولفت الأنظار إليها. فقال متحدثاً عن أهميتها ومنزلتها: «**أما بعد**؛ فلما كانت المنظومة الفريدة، المسماة «**عمدة المحقق**»، للإمام المحقق، والحبر المدقق، شيخ مشايخنا على الإطلاق، وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، من أحسن ما صنف في معرفة الخلاف، فهي مع قلة ألفاظها تشابه المختصرات ومع كثرة معانيها تسايل المطولات ضمنها علوماً قل أن تجمع في كتاب، فهي شاهدة لمؤلفها أنه ممن أوتي الحكمة وفصل الخطاب».

ذلك الشارح هو السيد الأجل، والعالم الأنبل، علوي بن سقاف بن محمد الجفري باعلوي التريسي، المتوفى بها سنة (١٢٧٣هـ)، وسمى شرحه عليها: «النهر المتدفق على حدائق عمدة المحقق»، كما سيأتي ذكره.

والمنظومة تقع في ٣٤٠ بيتاً، وهي على قافية اللام ألف، فرغ منها ناظمها صبح الخميس السابع من شعبان سنة (١١١٠هـ)، أي إنه نظمها في مقتبل عمره، في حياة أبيه وجده لأمه، وهما عمدته في الطلب وبهما تخرج في العلوم.

قال الناظم في ختام نظمه:

وتمَّ صبحَ خميسٍ سبعَ شعبانَ عشـ ـرٌ قبلها مئةٌ والألفُ قد كملا
عقد مئينِ ثلاثٍ درراً نظـ ـمت بأربعين بخيط العسجد اتصلا

النسخ الخطية المستعان بها في تصحيح المنظومة:

النسخة الأولى (أ): نسخة في مكتبة الأحقاف بتريم، محفوظة ضمن المجاميع، وهي الكتاب الخامس عشر من مجموع يحمل الرقم ٢٦٠٥، كتبت بخط نسخي بقلم عبد الله بن عمر بن محمد بن هارون بن علوي باحسن جمل الليل، فرغ من نسخها عصر الخميس ٢٢ ربيع الآخر سنة (١٢٣٩هـ)، تقع في ٩ ورقات.

النسخة الثانية (ب): تقع في ١٠ ورقات، كتبت بخط نسخي، يشبه خط الشيخ محمد باسودان، فرغ منها ناسخها ضحى يوم الجمعة ٣ شعبان سنة (١٢٤٧هـ).

النسخة الثالثة (ج): من مكتبة خاصة بحضرموت، ضمن مجموع يضم منظومات أخرى للناظم نفسه، منها نظم رسالة المريد، الآتية ضمن هذا المجموع المبارك، وهي في ٩ ورقات أيضاً، غير مؤرخة.

نسخة الشرح:

أما الشرح، فله نسخة فريدة، محفوظة في مكتبة خاصة بتريم، تقع في ١٤٧ ورقة، بقلم عبد الرحمن بن عيدروس بن علي بن محمد الجفري، فرغ من نسخها أول وقت العصر من يوم الاثنين ٢٥ شهر رمضان المبارك سنة (١٢٦٣هـ)، وكان الشارح فرغ من تبييض شرحه بكرة السبت ٢١ شوال ١٢٦٠هـ، وهذه النسخة كتبت بعناية السيد محمد بن إبراهيم بن عيدروس بلفقيه (ت ١٣٠٧هـ).

❋ ❋ ❋

عمدة المعقول [illegible] يد المحب [illegible] بن [illegible] رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على [illegible]

الحمد لله أولى الحمد متصلا • المبدع الكائنات المرسل الرسلا

والمصطفى الصلاة الدهر تغشاه • مع التسليم والآل والصحب الرضا سبلا

وبعد فالعلم أصل الدين أفضله • جم الفضل والنظم أحسنا الدلا

وعمدة الجامع النظم الملقب عمدة • المحسن منه الأصل والوصلا

نزر وحتم وعلم الله فالملك في • [illegible] وفضل [illegible] أن يصلا

وأسأل الله نفع المسلمين وأن • يرضى علي به فيما حلا وولا

مقدمة

إدراك معنى ولا حكم التصور أو • ما الحاكم حكم والتصديق قد شملا

والعلم حكم بجزم مبتغ النقض أو • لا فاعتقاد يطبق الحال صح ولا

والموجب العلم إما الحس بالخمس أو • بالباطنات أو عقل به اتصلا

أو ما تركب منها كالتواتر والحدسي • والتجربي أو جزء ما كملا

أو ما حكى الله والمعصوم أو ودنه • جزم مك أو وهم أو ظن دع وعلا

والنظر الفكر إن صح اقتضى العلم • واستغنى الضروري عنه خشية أو عقلا

وإنما الغيب عند الله أو مطلع الإله • ملائكة والأنبياء الوحي وأعز لا

أو طارق الشرع إلهام الزكي أو • الرؤيا وحي لمعصوم وإن علا

أو بعد بدوا ورؤيا المصطفى صدق • ولو بتعبير رؤيا الله فانفصلا

لا من بحر بتنجيم ورمل وسعيان • وطبع ولا جن لهم حصلا

ولا يرى الحكم إلا الله بل كان قبل • الشرع في علمنا وقفا وما عقلا

وإنما العقل ذا عجز بتصور إما • ما تحتم أو ما جاز أو حظلا

والحسن ما مدح الشرع وما ذمه • قبح وواسطة ما عنهما انعزلا

وجوروا

كشك او جحد او عناد بجحد • معلوم الضرورة من دين وما اشتملا

لا باجتهاد وآثام وغبط ذا اجرا • ومتصلا بالموت ما عملا

فلا يكفر من يستقبل البيت الا • ما بالصريح بلا بالبدع انعزلا

والبحث حظر بذات الله بل كلمات • يستلزم الشك في عقد او الزللا

والفاسق العامد الذنب الكبير • واصرار الصغير عن الايمان ما انفصلا

وطاعة الله مثل العبد ينتظم • الاحسان اي يكمل الطاعات ما وصلا

ولا يزال الفتى بالنفل يقرب من • مولاه حتى تولى الله ما فعلا

وصار يسمع بونا وفي الكل منسوبا • ويعليه حتى يبلغ الاملا

في زمرة القوم من جلت حالهم • الملا المعدومة المثلا

وتم صبح خميس تسع شعبان عشر • قبلها مائة والالف قد كملا

عقد مئين ثلاث درر نظمت • واربعين نحيط العسجد اتصلا

ونحمد الله حمدا لا يعد ولا • يحصي بشكر الايادي كلها اشتملا

ثم الصلاة وتسليم على المصطفى • والآل والصحب والاتباع ما اتصلا

[illegible]

تمت النسخة المباركة عصر يوم الخميس لعله ٤ في شهر ربيع

ثاني احد شهور عام [illegible] سعد ولدا بي

وستين والف من هجرة المصطفى

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

آمين

ام

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

هذه المنظومة المسماة عمدة المحقق

لسيدنا الامام شيخ الاسلام وعلم

الايمة الاعلام السيد الشريف

العارف بالله خاتمة المحققين

وجيه الدين عبدالرحمن

بن عبدالله بن احمد

بالفقيه باعلوي

نفعنا الله

وبعلومه

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

فايدة الحمد لله ذكر المرشدي رحمه الله في شرح عقود الجمان في المعاني والبيان للعلامه السيوطي رحمه الله ان اهل المنظومات في العلوم الايلة يتهمون دقايق العروض ولا يحتفلون الزحاف انتهى نقله عنه السيد العلامه عبدالرحمن بالفقيه باعلوي على ظهر كراسه نظم فيها ما ظهر له اسعا من اصول الفنين وفيها عليه قال السيد ولا يكون عيبا ... ما ذكر من الزحاف الا في قصايد الغنا لانه المقصود منه دون قصايد العلوم وهو من زيادته على كلام المرشدي فاعلم والله التوفيق انتهى من خط العلامه عمر الطيب الناشري

باق بموت وتعليق المشيه لا • بالشك في الحال المندوب وقد جعلا
وزاده البراو عكس ويقطعه • المكلف لقاصد المختار ما جعلا
بقصد او قول او فعل المكفر • في التعليق والعزم ممن جدا وهزلا
مشكل وجدا وتكفير مجمع • معلوم الضرورة من دين وما اشتملا
لا باجتهاد واثام ويحبط ذا • اجرا ومتصلا بالموت ما عملا
فلا يكفر من يستقبل بيت الا • بالصريح بلا ما ابدعه ان عزلا
والبحث خطر بذات الله بل كملا • يستلزم الشك في عقد والزللا
والفاسق العامد الذنب الكبير • واصرار الصغير عن الايمان ما انفصلا
وطاعة الله مثل العبد ينظره • الاحسان اي يكمل الطاعات ما وصلا
ولا يزال الغني بالنقل يقرب من • مولاه حتى تولى الله ما فعلا
وصار محبوبا وفي الكل منسوبا ويعليه حتى يبلغ الاملا
في زمرة القوم ممن جل حالهم • في جلية الملا المعصومة المثلا
وتم صبح خميس سبع شعبان • عشر قبلها ما به والا انعقد كملا
عقد مئين ثلاث دهرا نظمت با • ربعين بحبط المسجدا نصلا
وبحمد الله حمدا لا يحد ولا • يحصى يشكر الايادي كلها اشتملا
ثم الصلاة وتسليم على المصطفى • والال الصحب والاتباع ما انفصلا
تمت بحمد الله صحى يوم الجمعة ٣ في شعبان ١٢٤٧ سنه

متن المنظومة

الحمدُ لله أولى الحمدِ متّصِلا ... المبدعِ الكائنات المُرسِلِ الرُّسلا
والمصطفى الصلوات الدهر تغشاه بالتـ ... ـسليم والآلِ والصَّحبِ الرضا شملا
وبعدُ فالعلمُ أصلُ الدين أفضلُه ... حَتْمُ التعلم والنظمَ اجتنَى النبلا
وعمَّ ذا الجامع النظم الملقب «عمـ ... ـدة المحقق» منه الأصل والوُصَلا
بدءٌ وختمٌ وعلمُ الله فالخلقُ فالرّ ... سل ففصلٌ فحشْرٌ نشرُه اتّصلا
وأسألُ اللهَ نفعَ المسلمين وأن ... يرضى عليَّ به فيما خلا وولا

مقدمة

إدراكُ معنًى ولاحكمٌ تصورٌ او ... بالحكم حكمٌ وتصديقٌ بها اشتملا
والعلم حكمٌ بجزمٍ يمنعُ النقض أو ... لا فاعتقادٌ بطبقِ الحال صَحَّ وِلا
والموجَب العلمُ إما الحس بالخمس أو ... بالباطنياتِ أو عقلٌ به اتصلا
أو ما تركّب منها كالتواتُر والـ ... ـحدْسي والتجربي أو حفٌّ ما كملا
أو ما حكى الله والمعصوم أو دون جز ... ـمٍ شكٌّ أو وهمٌ أو ظنٌّ دنَا وعلا
والنظرُ الفكرُ إن صحَّ اقتضى العلم واسْـ ... ـتغْنى الضروري مما حُسَّ أو عُقِلا
وإنما الغيبُ عند الله أو يطلع الأمـ ... ـلاك والأنبياء الوحي وانخزلا
أو طابق الشرع إلهامُ الزكيِّ أو الر ... ؤيا وحقٌّ لمعصوم وإن عدلا
أو بعد تبدُو ورؤيا المصطفى صدَقتْ ... ولو بتجْسيم رؤيا الله فانفصلا

لا من محرّم تنجيمٍ ورمل وشعـ ـبانٍ وطبع ولا جنٌّ لهم حصلا
ولا يرى الحكم إلا الله بل كان قبـ ـلَ الشرع في علمنا وقفاً وما غفَلا
وإنما العقل ذو عجز يصوِّر إمْـ ـمَـا تحتَّم أو ما جاز أو خطلا
والحسْنُ ما مَدح الشرعُ وما ذمّه قُبـ ـحٌ وواسطةٌ ما عنهما انعَزلا
وجوّزوا أن يكلّف المحالُ وفي ما يعلم الله أن لا يحصل اتصلا
كذاك ما شرْطُه الشرعي تخلّفَ والتـ ـكْليفُ يعلم إثرَ الأمرِ متّصِلا
وليس إلا على فعلٍ ولو مكرهاً كالـ ـمُتعدي السكرَ لا الملجَأُ ومن غفلا

معرفة الله

والله محضُ الوجودِ الحتْمِ للذاتِ لم يعلم حقيقتَه سواهُ جلَّ عَلا
ومنهُ كلُّ وجودٍ مستفيضٍ فلم يزلْ كما كانَ فرداً حازَ كلَّ عُلا
وواجبٌ أولاً على المكلف علـ ـمُ ما له واجبٌ أو جازَ أو خطلا
فواجبٌ **كصفاتِ السلب** من قِدَمٍ بلا افتتاح وفي استمراره اتصلا
وخُلفُ كل الورى في كل شيءٍ ووحـ دانيةُ الذات مع وصفٍ وما فعلا
ومن قيامٍ بنفس بغير احتيا جٍ من محلٍّ وتخصيصٍ وما عملا
أو **المعاني** فعلمٌ كاشفٌ كلَّ مذْ كُورٍ بتفصيل جُزْئيٍّ وما جملا
والسمعُ والنظرُ الموجود أبلغ والـ ـكَلامُ يشملُ ما في علمِه أزلا
منوعاً ومسمًّى بالخطابِ ومسْمو عاً وبالصّوت والتنزيه قد قبلا
وقدرةٌ أثّرت فيما تخصص وفْـ ـقَ العلم من ممكن إرادةٌ بجلا
والتابع[1] الجامع الكل الحياة وفي الإ دراكِ خلفٌ وكُنْهُ الكلّ ما عُقلا

---

(١) في نسخة: السامع.

وغاير النَّدبُ والتكليفُ والحبُّ والـ ـكـرهُ الإرادةَ أو مـا شـاء أو فعَـلا
وكـلها أزلـيٌّ دائـمٌ قـائم بالـذْ ذَات غـايـرَه فهمـاً ولا انفصَـلا
ولا اتحـادٌ ولا حـدٌّ ولا عـرَضٌ ولا تنـافٍ ولا خلفٌ بهـا اتصَـلا
ومـا تعلـق مـن شـأنٍ فمـن قِـدَم فمـا بتغييـر شـيءٍ حالُـه انعـدَلا
بهـا عليـمٌ سـميعٌ مبصـر متكـ ـلـمٌ قديـرٌ مريـدٌ حـيٌّ اشـتَملا
وليـس يطلـق للـه اسـمٌ أو صِفـةٌ إلا بتوقيـفِ نـصٍّ صـحَّ مـا احتمـلا
كالـذات والنفـس أو شيء ولا الموهـم التشـ ـبيـهَ و النـقْـصَ والتّغييـر فانخطـلا
ولا تفاضُـلَ من بيـن الصفات ولا الأ سمـاءِ والأعـظـمُ الله الـذي قبـلا
ولـم يحـط بهمـا غيـرٌ وعُلِّـم للتـ عريفِ والنفع قسماً منهما الكُملا[1]
وضـدُّ ما وجـبَ الممنوعُ مـن مثْلٍ أو حـدوثٍ أو شـركٍ أو فقْـرٍ ومـا ابتذلا
والاسـم عيـن المسـمى مثلـه الله أو غيـرٌ كمبـدي وحـيٌّ عنهمـا انعـزلا
ككل نَقـصٍ وتعليـل وجارحـةٍ ونحـو وُلْـدٍ وتقييـدٌ بمـا كمـلا
وجائـز فعلـه أو تركـه كل مقـ دورٍ ففـي حقـه الحـالان مـا انفصـلا
فليـس حتـمٌ ولا منـعٌ عليـه ولـم يظلِـمْ فـكلٌ لـه خلـقٌ ومـا عمـلا
والخير والعقل واللطف والأصلح والتـ تعويـضُ فضـلٌ وفي أضدادهـا عَدلا

معْرفةُ الخلقِ

في أحسنِ الخلقِ أجلى الخلقَ من عدمٍ فضـلاً بـلا غـرضٍ بالحكمَة اشـتملا
بصنعـه لا بتـوليـدٍ ولا عـمَـلٍ ولا كُمـونٍ ولا نسْـخٍ بـه اتّصـلا
ولا لسـرٍّ ولا طـبـعٍ ولا سـببٍ جدوى ومـا اختارَ رفقاً عندها حصلا

---

(١) في النسخة (ج): ولا يحط بهمت وعلم غيرِ للتعريف ** والنفع قسما منهما الكملا

ويكسب العبدُ مختاراً بقدرتِه التـ ـــي تُسوِّي بإذن الخالقِ العمَلا
وخلقه للهُدَى التوفيقُ أو ضده الـ خُذْلانُ واللطفُ كالتوفيق أو فَضُلا
والطبعُ والختمُ والإقفالُ والكنّ(١) خلـ ـقُ الغي في القلب وإلإهدا الهدى جعلا
ولا وجودَ بمقدُورٍ ولا عدم أولى ولا بين ذين الوَسْط انْجَدلا
وكل ماهيةٍ بالجعلِ ثابتةٌ معلومةٌ الذات والأعراضِ للعُقَلا
وعينُ تلك الوجودُ الخارجي فلا الـ مَعدُومُ شيءٌ ولا ذاتٌ ولا انتقلا
وركّب الخلقَ من عينٍ وجوهرُها(٢) حقٌ ومن عرَضٍ حتماً بها اتصَلا
ولا يدومُ ولا يحوي محلين والمثـ ـلانِ بالنوع كالضدَّين ما جملا
وينتفي جمعٌ او رفعُ النقيضين لا مجموعة العين والعينَان ما ادَّخلا
ومنهما الجسمُ والأبعاد حُدَّتْ وبُعْـ ـدٌ حُدَّ يقبلُه الخالي المكان خلا
والوقتُ تقييدُ موهومِ المحدّد بالـ ـمَعلُومِ والحكمُ معدومٌ وإن عُقِلا
وحكمة الخلق أن تجلَى بدائِعُهم كي يعرفوا يعملوا يسْتَوجبوا النزُلا
ولم يحط غيرُ باريهم بهم وأتى من نُورِ أحمدَ كلُّ العالم انفصلا
والأول القلمُ الجاري بتفصيل كُلْـ ـلِ الخلقِ في اللوح تحتَ العرش فانفعلا
وكل ما فيه يأتي الخلقَ بالقدَر المقـ ـضيِّ بالعلم حتماً خلقه انخطَلا
كالسعدِ بالموت بالإيمان والشقوة الـ ـعكسُ انقضى ما اقتضَى الإبطال والعملا
ورزقُه النافعُ الأحْيَا ولو حرجاً والموتُ إن ينتهي المحيا فما انخزلا
وكل فعلٍ وتفعيلٍ وعاقبةٍ وفي جبينِ جنينٍ كتبُها نُقِلا
وغلّب الحسنُ الإحسانَ والعكس والأ لْواحُ تحتمل التغيير والبدلا

---

(١) في النسخة (ج): الكل، وهو تحريف.
(٢) في النسختين (أ، وج): ومفردها.

والملك في البضع[1] والأملاك للعبد ... والتكليـف بالعقل حتى موتـه انعزلا
والنعمـةُ النافـعُ المحمـودُ عقبَاه لن ... تحصـى فبالكافر استدراجُه اختُلا
والأعظم العرشُ مخلوقٌ على الماء والسـ ... ـبْعُ الجنـانُ ففـردوسٌ فمـا نَـزلا
مـوجـودةٌ ذات أبـوابٍ ثمـانـيـةٍ ... وعرْضُهـا كالسـما والأرض متّصـلا
وجـاء بنيـانُـهـا تبـرٌ ودرٌّ ويـا ... قـوتٌ وكالحجَريـن الروضَـةُ انتقَـلا
فيهـا قصـورٌ وأغنـامٌ وطيـرٌ وأشـ ... ـجـارٌ وما يشتهي مـن كلّ مـا احتُمِلا
وسلسـبيلٌ وتسـنيمٌ والأنهـار والأ ... عْلَـى وكوثرُهـا للمصْطفـى جعِـلا
وَشَـمْأَلٌ وظـلالٌ بالـدوامِ وولـ ... دانٌ وحـورٌ بأعلـى منظـرٍ وَحُـلا
وغيـر ذلـك مـن مخفـي وفـي درَجٍ ... كـالآي أو مئـةٍ أو فـوقَهـا نُقِـلا
والصّور والحجْبُ والكرسي والنور والسـ ... ـبْعُ الطباقُ السـماواتِ العُلَى شَـمِلا
وسـدرةُ المنتهى العظمى والأنهار والمعـ ... ـمُور فيهـا وشـهْبٌ حفظُهـا كَمُـلا
والشمسُ والقمرُ النـورُ المقدَّرُ والنُّـ ... ـنجـومُ كلٌّ علَـى تقديـره اتصـلا
ولـن تـؤثّـر فـي نفـعٍ ولا ضـرَر ... بل تكشفُ الفضلَ والأوقاتَ والسُّبُلا
ولا بسـعـدٍ ولا نحْـس تقلبُهـا ... وفـي تغيرِهـا التخويـفُ للعقـلا
وترسَـلُ الريـحُ فـي خير وشـرٌّ وسَـو ... قِ السحب والحمْلِ إذ ماءُ السما نزلا
والجوُّ والأرَضونَ السبعُ الطباق والـ ... ـبَحْـران حـدّاً ومـا في ذلـك انخذلا
ومُهّـدتْ بالرواسـي والمعـادنِ والـ ... أنهـار والنبـتِ والأشـجَار فاحتمـلا
وبـثَّ مـن كل مـوزونٍ ومـاش لنفـ ... ـعٍ أو لضُرٍّ وسـوَّى العيـش والعملا
وسـخَّر الطير والأنعَام والوحش والـ ... ـمَركُوبَ والفلكَ في ما انحلّ أو حملا
والنّـار سـبعٌ وأبـوابٌ كـذا وأتـى ... مرمّـى بسـبعينَ عامـاً قعرُهـا وصَـلا

---

(١) في (أ، وج): الصنع. وهو تصحيف، والصواب المثبت موافقاً لما في الشرح.

سوداءُ موجودةٌ حرٌّ كسبعين من ... هذي وأسفَلُها بردٌ أشَدّ قِلا
وجاءَ منها شديدُ الحرِّ والبرد والـ ... ـحُمّى وأوديةٌ فيها وشرٌّ بَلا
والرّوحُ من أمْرِ ربي قوم الجسْم لَنْ ... يفنَى وبالموت يجري الدهرَ ما عملا
وعادةٌ فقدُه موتٌ ويَقْبضُ عَزْ ... رائيلُ كلًّا وبالأعوان قد نقَلا
وجاء رُوحُ ذي الإيمان تسكُن علـ ... ـيِّينَ والغي سجّيناً أو ارتحلا
والعقلُ في القلبِ نورٌ يكشف العلم أو ... ما يقتضي الطبع أو ما شانَ أو كَمُلا
ثم الملائكُ أجسامٌ مطهّرة ... بالنورِ واللطْفِ أو تبدو بما شكلا
ما فارقوا البر معصُومونَ كالرسل لا ... أنثى ولا ذكرٌ فيهم وما احتُمِلا
وجاءَ لن يصحبوا كلباً ولا جنباً ... ولا المصوّرَ أو ما جلجلاً حملا
كالحاملي العرْشَ والمدنينَ والرسل والـ ... ـخُزّانِ والحافظي الأشيا ومن نَزَلا
والكاتبي كلّ شأنِ العبدِ فالخير ذو الـ ... ـيمْنِ الأميرُ(١) وذو اليسرى الردي مَهلا
ولازمَا القبر من موتٍ إلى الحشر مع ... ذكرِ لمهديْ ولعن المرتدي نقلا
والسايحي الأرضَ للذكْرى وملأ السـ ... ـسَّما والذي يدخلُ المعمورَ ما دخَلا
والجنّ كالأنسِ في لطفٍ ونار وبالأ ... شكَال يبدون تكليفاً وما اشتَمَلا
وبعثةً في ثوابٍ أو معاقبةٍ ... وجاء يثنَى لهم في العَظم ما انفصلا
ومنهم إبليسُ أشقَى الخلق يؤذي بإذْ ... نِ الله من شَاءَ حتى النفخة انعزلا
يغشى الشياطينَ من جنّ وأنس بإ ... ضلالِ وضُرٍّ وذكر شرّهم خطلا
واستخلفَ الأكرمين الإنس في الأرض بعـ ... ـد الدار آدم حوًّا منه وانْتَسَلا
وأخرجَ الله من فيهم وأشهدهم ... للحقّ قالوا بلَى فامتدَّ وانخزلا

---

(١) في النسخة (أ): الأمين.

إنباءُ الأنبياءِ

فبلغ الوحيَ بالفضل النبيون منـ ـهُم بالرشَاد فمن يهدي ومن خُذلا
والرسلُ بالمعجزاتِ الخارقاتِ على وَفْقِ التحدّي فلم يلفَوا لها مثلا
من بلّغ الوحيَ بالأمرِ الرسولُ وإلا فالنبيّ فما خصَّ الرسُولَ علا
في ضِعْف ستين بعد اثنين ألفاً وخمـ ـسٌ في ثلاثٍ[1] وستين اصطفى الرسلا
ومنهم الخضر الباقي الصّحابي لا لقمان والبرُّ ذو القرنين بلْ فُضِلا
والأول آدمُ ثم الختم أحمدُ والـ ـوَصْفانِ ليسا بكسبٍ دون ما نزلا
ليسوا سوى ذكرٍ حرٍّ سليمٍ من الدْ دَنية في الأصل أو ما فيه أو فعلا
أعلى أولي العصر في خلقٍ وعقل ورأ يِ كامل القلبُ عما نفّر انعَزلا
معصوم محياه عن كل الذنوب ولو كرهاً وسهواً كذا تغيير ما حملا
أو نحو طاعة شيطانٍ ونَوم حِجًى ونحو حلمٍ وإرثٍ منه بل عقلا
لا الحل أو جهل عيب غير عقدٍ وفتـ ـوَى كاجتهادٍ ولا يخطي كما عملا
وبعضُ الكتُبَ القرآنَ والصحْفَ والتـ ـوراة والزبرَ الإنجيلَ والجملا
والكل مشتركٌ بين القديم كلا مِ الله لا مشبه الفاني ولا انفصلا
باللفظ يذْكَر والآذان يسمع والأ شْكالِ يكتَبُ والألبابِ قد عُقِلا
والحادثُ المنزل الحقُّ المفصّل للـ إرشاد طبقٌ وذو التكليف ما جهلا
وما تشابه منه الحبر[2] يَعْلَم والتفويضُ أولى ومنسوخٍ وما جملا
والجامعُ الأفضل القرآن فيه جميـ ـعُ العلم بالحدِّ غضاً حفظُه اتصلا
وكلّه العربيُّ الأبلغُ المعجِزُ الدهـ ـرَ الورَى اللفظُ والمعنى وما اشْتَملا

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (أ، وج): الخير.

ميسَّـر الذكـر متلوٌّ على العَشْـر فيـ ـه اللفظُ بالأجر في القَدْرِ السما نزلا
حبـل الرشَـاد ومـا سـنَّ النبـيُّ بـه فـي القول والفعلِ والتقرير ما انفصَلا
ووفْق مجتهدي عـصرٍ على الأمر بعـ ـدَ المصطفـى وقيـاسٌ حيثمـا قبـلا
وسـنة الصَّحـبِ والآل الكـرام ومهـ ـديّ اجتهـادٍ وإلا ثيـب إن بـذلا
والشـافعيُّ وسـفيانٌ ونعمـانُ والطـ ـيبـيْ وأحمـدُ مهديـون فـي الكُمَـلا
ويلزم الاجتهـادُ الـكلَّ والعاجزَ التقـ ـليـدُ فـي الفـرع ممـن مـرَّ أو وصـلا
والناقلـون الأحاديـثَ الصحيحـةَ أو مَـا حالُـه الحسـنُ أو تبييـنُ مـا نقـلا
ومـا يرى الأشـعريُّ الحبـر والماتريـ ـديُّ الإمامـان واللفظـيُّ مـا انفصلا
والتابعـون الموالـون الجماعـة والـ ـمصـروفُ مبتـدعٌ من عنهمـا انعَزلا
وسـنة القـوم أتبـاعِ الجنيـد ومـن والاه فـي العلمِ والتقـوى وما احتَملا
وما استحَبُّوه في الآدابِ والعهْدِ والتـ ـلْقيـنِ حـقٌّ وإلبـاسٌ كمـا اتصـلا
والخلفُ في الأمـة الفرعيّ رفقٌ وفيـ ـهـا فـوقَ سـبعينَ فرقـاً فـردٌ امتثـلا
وليـس في الدِّين من نقـصٍ ولا خَللٍ لكـن دنَـا العقـلُ والتوفيـقُ أو كمـلا
والمتقـي الحـقَّ والخلـقَ الولـيُّ ولا ساوى نبيـاً ولا تكليفُـه انخـزَلا
وكـم كرامـاتِ حـقٌّ صدّقتـهُ ولـلـ ـمتبـوع معجـزةٌ مـن كلِّهـا احتمـلا
ولـو بمـوتٍ وإحيـاءٍ وبالعَـون للـ أدنـى وتظهـرُ عنـد المبطـلِ الخطـلا
وليـس يؤمَنُ قبل الموتِ سـلبٌ وتغـ ـييـرٌ علـى غيـر معصُـومٍ وإن كمُـلا
ويُبتلى الخلقُ بالأعراضِ للحُبِّ والتـ ـكْفيـر بالأجْـر أو تعذيـبُ من عضَلا
والسـحرُ والعيـنُ حـقٌّ والتأثـر بالـ ـعـدوى ويفني الدّواءُ الدّاءَ فاغتَسِـلا
وجـاءَ أدويةٌ منها سـوَى الموت حتى مـن رُقـى الذكـر والأسـما إذا عقـلا
ولا تنافـي المـداواةُ التوكلَ كالـ أسْـبابِ والكسـبَ والتدبيرَ بل شَملا

وفـي التجرد والأسـبابِ تختلـفُ الـ ... أحـوالُ فاختلـف الأولـى بمـا كمُـلا

ولا الدعـاء لنفـعٍ بالإجابـة أو ... نحـو ادّخـارٍ لحـيٍّ أو مـن انتقـلا

بشـرط علـمٍ وإخـلاصٍ وحـلٍّ وظـ ... ـنّ النفع بالجزْمِ والحسْنى ولا انخطَلا

وسُـنّ طهـرٌ وتقديـمٌ وختـم بحمـ ... ـدٍ والصـلاةُ وتسـليمٌ ومـا نقـلا

وترتجَـى دعـوةُ الأبـرار والغيب والـ ... ـمَظلُـومِ والأصْلِ لابـنٍ أو بما فضُلا

وسـبح اللـه لفظـاً كلُّ شـيء وإن ... لـم يَـدْرِ أو يَنْـمُ بل مـن قلبـه انخزلا

والبالـغ العاقـل المختـارُ كلّـفَ بالـ ... ـطّاعاتِ بالشرطِ كي يجزَى بما فعلا

وحُـطَّ للأمـة النسـيانُ والكـرهُ والـ ... أخْطـاءُ والفكـر لـم يعـزم ولا عمـلا

ومـا أتـى الكافـرُ الأصلـيُّ يغفَـر إنْ ... يُسـلِم وإلا فتكليـفٌ بـه اشـتمَلا

والوضـعُ كُلاً لنظمِ الشـانِ من سـبَبٍ ... أو شـرطٍ اَو مانـعٍ أو صـحَّ أو بطـلا

وحفـظ ديـنٍ فنفـسٍ ثـم عقـلٍ فأنـ ... ـسابٍ فمـالٍ فعِـرْضٍ حتـمٌ اتصـلا

ونصبُ مجتهـدٍ أهلَ الشـهادات يكـ ... ـفـي من قريـشٍ إماماً فالـذي حصَلا

مـن مثلِـه أو بشـورَى أو ببيعَـة أهـ ... ـلِ العَقـد والحـلِّ حتى فـردٌ احتُمِلا

فطوعـه فـي جميـع الحـلّ حتـمٌ ولو ... غيراً عـلا واعتدى أو يكفُـرِ انعزلا[1]

تفصيل التفضيل[2]

والخلق في الأصل أشباهٌ وفضِّل بالتـ ... ـتّوقيفِ والعلـم[3] الأحوال أو عدلا

والفـضـل بالقُـرْب والتقوى لدى الله ... والأعـراضُ ترفعُ أو يدنـو بها العمَلا

---

(١) هذا البيت عدل في حاشية النسخة (ب). وهو في الأصل وفي النسختين أ وج هكذا:

يطـاعُ حتـماً بحـلِّ لا بـضرٍ ولـو ... غيراً على واعتـدى وبكفرِ انعزلا

(٢) كذا في النسخة (أ)، وفي (ب): معرفةُ الخلق، وفي (ج): كتب العنوانان بجوار بعضهما.

(٣) سقطت من (ب) و(ج).

فمكـة البيـت والأراض[١] مكـة تتـ ـلوها المدينةُ والأرضُ السّما فضُلا
وزمـزمُ المـاءُ والقبـرُ الرضـيّ البيـ ـتُ والأرضُ المساجدُ تتلو الأربعَ الرحلا
وليـلـةُ القـدر فـي العـشـر الليالـي والأيّامُ ذو الحجّ ثم الجمعةُ اتصلا[٢]
فالعشــر مـن رمضان فالبواقي فتســ ـعُ الحـجّ الغـرُّ فالباقـي فما حصلا
وأفضـلُ الخلـقِ أتقاهُـم محمـدٌ الـ ـمخصُوص بالحبّ حاوي الجامعِ الفضلا
وبعثُه رحمةٌ بالسـهل ذي النسخ والتأ ييـدِ ختـمُ النبييـن الـورَى شمِلا
وباللوا ومقامِ الحمْدِ والحوضِ والتـ ـتقديـمِ في البعثِ حتّـى يدخلَ النزُلا
والنصر بالرّعبِ والذكر العليِّ وجمـ ـعِ القَولِ في حـلٍّ اَو إيجابِ ما جزُلا
والشـقُّ والغسلُ والإسـراء ليلاً على متـنِ البـراق إلـى الأقـصـى وأمَّ مَـلا
ومـا رأى ثـمّ والمعـراجُ منـه إلـى فـوقِ السـماوات واللاقي به الرسُـلا
وعايَـنَ السـدّرة الكبرَى وما غُشِيتْ والنـارُ والجنـة العليـا ومـا اتصـلا
وقـاب قوسـين أو أدنـى وكلـمَ بـلْ عينـاً رأى اللـه بالجسْـم الجميعِ عَلا
فغيـره من أولـي العـزمِ الخليـلُ فمو سَـى فابـنُ مريـمَ أو نوحٌ علا الرسـلا
فباختـلافِ جميـعُ الأنبيـاءِ فمخـ ـصوصُ الملائك فالباقي تلا الكُملا
كالأفضلِ السابق الصديق فالناصر الـ ـفـاروقِ فالمجتبى عثمـانَ من عدلا
فـذي المعالـي علـيٌّ والخلافـةُ كالتـ ـفضيـل حقـاً وبالسـبط التمـامُ وِلا
فستـةُ الصحـبِ فالبـدريّ فالأُحُـديّ فالحديبـيُّ فالباقـي الرضـا شـملا
ويفضُل الآلُ أو ذو العلم والسبق منـ ـهُـم بل ونسـلُ النبيِّ الطهر مـا عُدِلا

---

(١) في (ب، وج): الأرض.

(٢) هذا البيت وما قبله تم تعديله في (ب، وج)، وهو في (أ):

وزمـزم المـاء والقـبر الـرضي البيـ ـت والأيام ذو الحج ثم الجمعة اتصلا

وبـاجتهـادٍ وأجْـر كـلّ فتنتِهـم والكفّ عن ذكرِهـا الأَوْلى لِمَا حُمِلا
ومـذْ معاويـةُ البرُّ استقلَّ فـذو مُلْكٍ ووجهاً حسينٌ في الخروجِ جَلا
ووالـدا المصطفى الإيمانَ حـازا وبا لإحيـاءِ جاءَ ومـا بالفَاحـشِ اتَّصـلا
وأفضـلُ النسـوةِ الزهـراءُ فـالأم فالـ ـغيـراءُ عائشـةُ الممنوعـة الخطَـلا
فآيـةُ الإفـكِ تنزيـهٌ لهـا وكـذَا مـن كلِّهـنَّ جميـعُ الموهِـنِ انعـزَلا
وقيـلَ حفصـةُ تتلوهـا فسائر أز وَاجِ النبـيّ وعـن تسـع قـد انتقـلا
فالصاحبـاتُ فباقـي المؤمنـات على حُـورٍ وحُسـناً أتى فـي الجنـة اتصلا
والتابعـون أويـسُ البـرُّ فالحسَـنُ البـصـريُّ أو بعـدَ مهـديٍّ فمن كملا
وفـي القبائـلِ آلُ المصطفـى فقريـ ـشٌ فالكنانـي فالعرْبُ الـذي فضلا
فنسـلُ يعقـوبَ ثـم الآدميـونَ ثُـمْ مَ الجـنُّ والفضْـلُ عمن يكفـر انعزلا
وقــرنُ أحمـدَ فالثّانـي فثالثُهـا خيـر القـرون فمِن بعدُ الهـدَى حملا
ويجبـر الآخـرَ الإيمانُ بالغيـبِ والتـ ـقْـوَى مع الغـيِّ والبلـوى بما حَصَلا
وأمـةُ المصطفـى الحمـادة الأمـم الـ ـمعصُومـةُ الجمـع المرفوعـةُ الثقلا
أهلُ الشهادةوالتحجيلِ في الحشر والتـ ـجْميـعِ والقَدْر فيما شـهرُها اشـتملا
مع السلام والاسترجاعِ والخمس والتـ ـتأميـنِ فـي حـلٍّ أو إيجـاب ما جملا
وجـاء لا زال تُعلـي الديـنَ طائفـةٌ منهـم وفـي مئـةٍ تجديـدُه اتصـلا

الحشر

وقـد أتـى لا يعم الأمـةَ الهلـكُ حتى الدّيـنُ ينسَـى فتأتـي السـاعةُ الهمَـلا
ولـن يحيـطَ بهـا علمـاً سـوى الله والأشراطُ آتٍ ومصحوبٌ وماانفصلا
كفتنةِ الصحْـبِ والأتبـاعِ والمنطوي فيها مـن الجور أو مـن بعدها حصلا

وفتنـة التّـرك والنـارِ التـي خرجَـتْ ... وملـكُ قـنٍّ وإن عـن أهلـه انتقـلا
وكثرةُ المالِ والزلزالُ والقحطُ والطـ ... ـطاعونُ والخسـفُ أو مسخٌ بِهِ اتصلا
والرفضُ والريحُ حمرا والتغير في النـ ... ـنُجـومِ والأرضِ بـل كـم هائـلٍ نقلا
وحمـرةٌ وظـلامٌ فـي السـماء ومَـ ... ـوتُ البغت والحرُّ واستعلاءُ من سَفُلا
وتـركُ مـا ينبغـي بالديـن والعقل ظلـ ... ـمـاً كالـزكاةِ وصدْقِ والخشُـوعِ ولا
كـذا ثلاثـونَ دجـالاً تنبأ ودجـ ... ـجَّالـون جَـاروا ويـزدادُ الفسـاد علا
كقتلـةِ النـاس فـي تبـر الفـرات وأهـ ... ـلِ الملك ذي الجور سُفيانيّهم خزلا
قـاسٍ ويطـردُ أهـل البيـتِ طـرداً فقا ... سـاهُ الدعـاةُ التميمـيُّ الهاشـميُّ ولا
وقتلـةُ الحـجّ والمهـديُّ يقفـو إلـى ... بيـن المقاميـن يدعُـو إذْ أتَـاه مَـلا
وبايعـوا عَـدَّ بـدرٍ مكرَهـاً وهو للبـ ... ـبطَيـنِ نجـلٌ وعبـاسٌ بـه اتصـلا
كالمصطفَى خلقةً واسمٌ كذا اسمُ أبٍ ... أزجّ أبلجُ أقنى الأنفِ عينان قَد كحَلا
في خدّه الخالُ براقُ الثنايَا مضـيءُ الـ ... ـوجـه ضـربٌ هزيـلٌ فَخْـذُه اعتـدلا
يبطي به القول حتى يضرب الفخذ بالـ ... ـيُمْنَـى وثَـمّ نُمـي فـي طيبـة انفصلا
يبدو عشـاءً بسيف المصطفى واللوا ... العهـدُ للـه فيهـا والقميـصُ حَـلا
فيبعـث الأمـويُّ الجيشَ تخسِـفُهُ الـ ... ـبيـدا فيرحـلُ نحـو الشّـام والجمَـلا
يلقى بوادي القُرَى الراياتِ سوداً دعا ... ةُ الـشـرق والكـفّ بـادٍ والنّـدَا بِـوِلا
يقفُـو ولا يتعـدَّى أربعيـن وملـ ... ـكَ الأرض يحوي ويقوي المقدس النزلا
آياتـه كَهُـوِيّ الطيـر والعُـود مخـ ... ـضـرّاً وينصـرهُ الأمـلاك والبُـدلا
وقاتلَ الروم في عظمَى الملاحم بالتَّـ ... ـكبيـر يفتـح قسـطنطينةَ المثـلا
يرضَى به الخلقُ والأشرارُ تهلكُ والـ ... أرْزاقُ تفشـو فيحثـو والغِنـا شَـملا

فيملأ الأرضَ عدلاً بعد ما ملئَتْ جوراً ويسلك نهج المصطفى عمَلا
ويظهر القحطُ والدجالُ شرُّ بلا إذ حَلَّ ليسَ ابنَ صياد وقيلَ بلى
ضخمٌ عقيمٌ مسيخُ العين والغَيِّ جَعْـ ـدُ الرأس جداً ثنى بالأدْمة العقَلا
حمارُهُ وهْوَ هَوْلُ الخلقِ والأمُّ فرْ ضَاخٌ وأنفُ أبيه الضَّرْبُ قد مطلا
يبدو من الشرق يبدي الدين يعفي فدعواه النبيّ فدعوى الله منعزلا
وبين عينيه بهَجْوِ المسلمين كَفَر والعينُ تعْشَى والأُذنُ الأيسر انخزلا
ومن بلاه امتثالُ الشمس والأرض والأمطار والبحر في أشياءَ ما انتحلا
والنار والجنة المظنون ضدّهما والماء واللحم كالأكْل اقتفَى[1] جبلا
يفشي الشياطينَ تغْوي الناسَ في صورة الـ ـمَوتى وموتى وأحيا سِحرُهُ شملا
وأكثر التابع الأضعافُ والهودُ أو بدوٌ ويدفع بَدءُ الكهف ما عَمِلا
يأتي القُرى الكلَّ إلا المكّتين فبالـ أملاك حيطا ومفتونٌ به اتصلا
يبقى إلى الأربعينَ اليومُ كالـ ـعام واليومان كالشهر والأسبوع واعتدلا
والعام كالنصْف أو كالشهر والسبت أو أدْنى وكل فعل لنحو الخمس ما انعدلا
إذ يطلبُ المؤمنَ التكذيب يهلكه شراً فيحييه فاستعلَى فما وصلا
ويحضر القدسَ والمهديُّ فيه فإذْ عيسَى على اثنينِ أو من قبلِ ذا نزلا
فَيُسْتَأمُّ فمهدياً يقدّم فالدّ جّال ينذاب خوفاً إذ أتى قَتلا
يموتُ من ريحِهِ كفّارُ منظرِه والسترُ ينطق إلا الغرقَداتِ فلا
وحكمه الشرع في كلٍّ ومنْه إذا كسرُ الصليبِ وخنزيرٌ وقرد جلا
ويفرد الدينُ حتى الجزيةُ ارتفعَت والسقمُ والضر عن كلٍّ وكل قلا
والسمّ يرفعُ والأرزاق تنبتُ والدْ دُنيا تعافُ ففرْضُ المال ما قبلا

---

(١) في (ب): اكتفى. والتصويب من أ وج.

يبقَى إلى الأربعين الولْدُ يأتيه بالتـ ـتزويجِ والعدلُ فيها والهدى كملا
وحجَّ والناسَ والمختارَ زارَ ويأ تي الموتُ والقبر عندَ المصطفى جُعِلا
ويفتح السدُّ عن ياجُوج أكثر أصـ ـنافاً ونسلاً ومن نوحٍ غدا همـلا
فيشربون مياه الأرض والخلق إلا الطـ ـطور بالقحط عيسَى والملا كفلا
ففوقُ يرمون يدْمَى السهمُ فالله يدعو الناسَ إذْ نغَفُ الخلقِ العِدا قتَلا
وبعد شكر المواشي الكلّ والطيرُ تر ميهم ببَحْرٍ وغيثٌ ما بقي غَسلا
والأرضُ والعيشُ طابَا ثم منصور قحْـ ـطان بعشْرِي الهدَى والمقْعَد انخزلا
وآخرون كجَهْجاهٍ وطيبةُ تخـ ـلو لوَحشٍ فيها كذا يتلو البلادَ[1] بَلا
ويهدم البيتَ حبشّيٌ أفيجحُ ذو السُّـ ـوَيقَتين فلا يُبنَى كما نقلا
وطالَ ليلٌ فتأتي الشمس والقمر الغر بَ أسودين وعَادا عندما اعتدلا
وجاء يغلَقُ باب التوبة الدهرَ والشـ ـشيطانُ تابَ وكتْبُ الحافظِ انعزلا
وفي ضحَاهُ خروجُ الدابة الآية الـ ـعظْمَى بمكة أو وقتينِ قيلَ خلا
تعدو وتصرخ إن الناس آتيَها ومن ترُمْ لم يفتْ أو رامَ ما وصَلا
أو بالعَصا وجهُ هادٍ نوّرتْه ووجـ ـهُ الكافر اسْودَّ إذ بالخاتم اتّصَلا
ويذهبُ العلمُ والقرآنُ يرفَعُ من كلِّ المصاحفِ والألبابِ متَّصلا
والعقمُ في النسوةِ الساري وتقبضُ أر ياحٌ جميعَ ذوي الألبابِ فارتحلا
ويعبد الجبتُ الأصنامُ في هرَجٍ فيهجَر الذكرُ حتى الله ما عُقِلا
فيحشر الناسَ سوقُ النارِ من عدنٍ أو حضْرموتَ إلى الغربِ الجميعُ جَلا
وآخر الناس حشراً راعيانِ يريـ ـدانِ المدينة إذْ ما الناسُ فانخزلا

(١) في (ج): تبلو البلاءَ.

وجاء في منتهى الدنيا مع الجمع ألـ ... ـفٌ ثم زاد ونصفُ الألف ما وصلا

ونفخة الصُّور تفني كلَّ خلقٍ وتأ ... تي بغتةً حيثُ من يلهو بما عملا

إلا الجنانُ وما فيها كنارٍ ولا ... مسَّ النبيَّ وعَجْباً والشهيد بِلا

بل جاء يحيى نبيٌّ والشهيدُ على الطْـ ... ـطاعاتِ والرزقُ بعد الموتِ متصلا

ونعمة الميتِ أو بلواه حقٌّ بإدر ... اكٍ ويسمع تلقيناً كما نقلا

ويسأل الميتَ حياً منكر ونـ ... ـكير عن إلهٍ ودينٍ والنبيِّ ولا

غير النبيّ وتالي ﴿الملك﴾ للنوم أو ... في جمعةٍ أو زمان الطعْن متكلا

كذا المرابطُ أو مَن لم يكلفْ كمبـ ... ـطونٍ ثلاثاً أو سبْعاً جاء واحتُمِلا

فيرزق المؤمن التصديق والوسع أو ... بالطرف والضيق لا أدري من انعزلا

النشْرُ

ونفخة الصُّورِ بعد الأربعين وغيـ ... ـثٌ يُنبِتُ الأعجبُ الأجسامَ إذْ نزلا

تعاد بالعَين والأعراضِ عن عدمٍ ... بالرّوح مع كلّ جزءٍ دامَ أو وصلا

ولو بخلفِ انفصالِ ذين موتٌ وكل ... العُجْمِ بعد اقتصاصٍ موتُها اتصلا

والسقطُ ذو النفخِ ثم الكل غُرْلاً ... عراةً يحشرون حفاةً شدةً ذهلا

والشمس تدنو ورشْحُ الناس يلجم والـ ... ـخلَيلِ أول من يُكسَى كما نُقِلا

واستشفعوا الرسلَ والمختارُ قامَ مقا ... مَ الحمد من بعد الثنا قبلا

وخصَّ في الفضْل أو تركَ الحساب وتر ... كِ النار للبعضِ أو تخفيفُ من دخلا

وبعدُ شاركَ كلُّ المؤمنين بإخـ ... ـراجٍ من النارِ أو إعلاءِ مَن نزلا

أو في عذابٍ بقبرٍ والشفاعة كُـ ... ـلَّ الذنب ترفعُ إلا الكفر ما انتقلا

فيعرضون ويؤتى المؤمنُ الصحفَ بالإ ... يمانِ وذو الكفر باليسرى فما جهلا

وحوسبَ البرُّ يسـراً والشقيّ بعُسـ ـــرِ والصلاةُ ابتداءً والدمُ انفصلا
لا الأنبياءُ ولا من لا يكلفُ ولا سبعُون ألفاً ومع كلّ كذا دخلا
مع اختصام وإيفاءٍ وسترٍ وإصـ ـلاحٍ وهتكٍ وتعذيبٍ به اشتملا
وتوزن الصحفُ في ميزانِ قسطٍ أو الـ أعمالُ حقاً وناجٍ خيرُه ثقلا
وجاء للطاعة اليمنى من النور والعكـ ـكسُ اليسار كأرضٍ والسما حملا
وطاعة الله فوقَ الأجر والعشرة الـ أمثالُ بالفضلِ أو ما زاد أو نزلا
أو حققَ الأجر في المعدوم بالقصد والـ أعْذارِ أو همّ عصيانٍ له انخزلا
ويغفر الذنبُ غير الشركِ فضلا لمن يَعْصي وإن لم يتب أو عاد أو قتلا
ومنه ما خصّه الوعد الكبيرةُ منـ ـها الأكبر الشركُ والعدّا اقتضى جُمَلا
أولى الصغيرةِ تقريباً وكفّرها ترك الكبائر أو بعْض الذي عُمِلا
وكفّر التوبةُ النّوعينِ لا حقّ مخـ ـلوقٍ فيعطاه أو يوفى به عَمَلا
والتوبةُ الحزنُ والإقلاع في حلّ أو ورد الحقوق وعزم الترك متصلا
والشرط قبل طلوعِ الشمس بالغرب أو كشف العذاب أو الموت الذي نزلا
وموجِبُ التوبة العصيانُ فوراً وحدّ الذنبِ كفارةُ الذّنبِ الذي فُعِلا
ويضرَبُ الجسرُ فوق النارِ ذو الحد والـ ـدّقّ الصراطُ فكلاً جازَ ما نكلا
وجاء بالخلق مثل اللمْح فالطير ثم الـ ـسَّيرُ فالزحفُ أو من لظَى انعدلا
له كلاليبُ تردي كل غَاوٍ وذا حتم الورودِ بها أو موردٌ سَهُلا
وقادَ كلّ إلهٍ عابديه كذا الشّمـ ـسُ أو شبهُ عيسَى للحميم وِلا
ويورَدُ المؤمنين الجنةَ الله مهـ ـما ينظروه وبالسُّورِ الرّدي انفصلا
ويلزم النارَ أهلُ النار ذو الكفر بالتـ ـخليدِ والمذنبُ[1] المجزي بما عملا

---

(١) هذا البيت ناقص في (أ)، وكلمة (بالتخليد) سقطت من النسخة (ب) وهو تام في (ج).

يلفون شر عذابٍ لا يلمُّ[1] بهم   رَوحٌ وشغلٌ لأدنى ما الدماغ غلا
وفي السلاسل والأغلال والأكل زقـ   ـقومٌ كشرب حميمٍ والصديدُ غلا
وعُظْم ذي الكفر حتى ضرسُه أحدٌ   وأربعون ذراعاً جلدهُ نقلا
وبعدُ يخرجُ كلُّ المؤمنين إلى   نهر الحياة فعَدْنٍ بعد أن غسلا
ولا يعذبُ ذو جهلٍ بعذر ولا   ذو فتنةٍ غير عَمْرو مثل من نقلا[2]
وحوضُ أحمد منه البرُّ يسْقى فلا   يظمى وذو الغيِّ أو من بُدِّعَ انعزلا
وجاء مقدارُ شهرٍ والأباريق تعـ   ـدادَ النجوم وفاق الدَّرَّ والعسلا
ويدخل الجنةَ المختارُ فالأنبياء   الكل فأمة الهادي فمن دخلا
وجوهُ أولهم كالبدر فالنجم   والإدخالُ بالفضْلِ والإعلا بما عَملا
يؤتونَ كل نعيمٍ لا يلمُّ بهم   موذٍ دواماً وحالاً ما اشتهوا حصلا
وجاء زائدُ كبد الحوت أول أكـ   ـلٍ ثم أو مثلَي الدنيا الأخير ولا
وجا زوجين مع مهدية بعْدُ لم   تُنكَح وأكثر ولدانٍ وحُور حَلا
مخلّدون بلا موتٍ وسقْم ولا   همّ وكالنفَسِ التسبيحُ متصلا
والرشح والأكلُ يجشَا مثل مسك ولا   لغوٌ ولا قذَرٌ فيها ككل قلا
وجلّ أهل الجنان البلهُ والسّبْق أهـ   ـلُ الفقر والنارُ نسوانٌ ومن ثقلا
وكلّ من لم يكلف في الجنان ولا   تعذيبَ أو نسْلُ كفرٍ خادماً جعلا
ويذبح الموتُ بين الناس يعرف مثـ   ـلَ الكبش أملح فازدادوا رضاً وبلا
ورؤيةُ الله في الدنيا تجوزُ وبالـ   ـمُختار خُصّت وبعد الحشر بالفَضَلا
وفي الجنانِ لكلّ المؤمنين وفي   عيدٍ تعُمّ وتثنى اليوم للكملا

---

(١) في (أ): لا يليق، وهو تصحيف.

(٢) هذا البيت لم يرد في (أ، وج).

الختمُ

وكُلُّ من كُلِفَ الإيمان يلزَم بالدْ ـدِينِ الضروريّ مما انحلَّ أو جملا
كالحكم لله أو للرسلِ والنفي والإ ثباتُ والأمر مما المصْطفى جملا
وأولاً تلزمُ الشهادتان فكُلاّ عمّتاه وباقٍ من به اتصَلا
بشرط جزمٍ ولو تقليدُ مقتدرٍ لكن بإثمٍ فحتمٌ بحْثُ من جهلا
ونطق معناهما من قادرٍ مع تقـ ـريرٍ لمنع بدنيا شرْطُ ما عملا
وذاك الإسْلامُ والإيمان تصديقٌ إذْ عَانٌ وعلمُ كلام النفس ما انفصلا
باق بموتٍ وتعليقُ المشيئة لا بالشكِّ في الحالِ مندوبٌ وقد جعلا
وزاده البرُّ أو عكسٌ ويقطعُه الـ ـمكلّفُ القاصدُ المختار ما فعلا
بقصدٍ أو قول أو فعل المكفِّر والتـ ـتّعليقُ والعزمُ ممن جدّ أو هزلا(١)
كشك أو جحْدٍ اَو تحقير مجمع معـ ـلومِ الضرورة من دينٍ وما اشتملا
لا باجتهادٍ وآثام ويحبِطُ ذا أجْراً ومتصلاً بالموت ما عملا
فلا يكفر من يستقبلُ البيتَ إلا بالصريح بلا بالبدعة انعزلا
والبحث حَظرٌ بذاتِ الله بل كل ما يستلزم الشكَّ في عقد أو الزللا
والفاسقُ العامدُ الذنبَ الكبيرَ وإصـ ـرارُ الصغير عن الإيمان ما انفصلا
وطاعةُ الله مثلَ العبدِ ينظرُه الإ حْسَان أي يكمل الطاعاتِ ما وصلا
ولا يزالُ الفتى بالنفْلِ يقربُ مِنْ مولاهُ حتَّى تولَّى الله ما فعلا
وصارَ لله محبوباً وفي الكلِّ منـ ـسوباً ويعليه حتى يبلُغَ الأملا
في زمرةِ القومِ ممن جُلُّ حالتِهم في حَلْبَة الملأ المعدومةِ المثلا

---

(١) هذا البيت لم يرد في (أ).

وتمّ صبحُ خميسٍ سبعَ شعبانَ عشـ ـرٌ قبلها مئةٌ والألف قد كملا
عقدُ مئينِ ثلاثٍ دُرراً نظِمَـ ـتْ بأربعين بخيطِ العسجد اتصَلا
ونحمَد الله حمداً لا يحدُّ ولا يحصَى بشكر الأيادي كلها اشتملا
ثم الصلاة وتسليم على المصطفى والآل والصحب والأتباع ما انفصلا

❊ ❊ ❊

هذه المنظومة:

منظومة فاخرة، لسالك طريق الآخرة، نظم بها الإمام بلفقيه، نفع الله به، كتاب شيخه الإمام عبد الله الحداد، المسمى «رسالة المريد»، وجعلها على قافية التاء، سيراً على منوال كبار العارفين الذين نظموا التائيات الشهيرة، بدءاً بتائية ابن الفارض، وانتهاء إلى زمنه بتائية شيخه الإمام الحداد.

النسخ الخطية التي تم اعتمادها في التصحيح:

النسخة الأولى (أ): نسخة محفوظة في مكتبة الأحقاف بتريم، وهي الكتاب السابع ضمن مجموع يحمل الرقم ٢٧٩٥، تقع في ١٢ ورقة. عليها تملك بقلم السيد أبي بكر بن عبد الله بن الحسن بن الشيخ علي علوي، وهذا السيد معروفٌ في «شجرة بني علوي» بلقب أبي بكر بنَحْسن، توفي بتريم سنة (١٢٣١هـ).

النسخة الثانية (ب): نسخة خاصة، ضمن مجموع يضم عدداً من منظومات الإمام بلفقيه، وهي تلي منظومته «عمدة المحقق» السابقة، تقع في ١١ ورقة، غير مؤرخة، ولم يذكر اسم ناسخها.

النسخة الثالثة (ج): نسخة محفوظة في مكتبة الأحقاف أيضاً، وهي الكتاب الثاني ضمن مجموع يحمل الرقم ٢٨٨١، بقلم ناسخها عبد حسين بن حيمد بن مبارك ابن عمر بن عوض بامعبد، فرغ من نسخها ضحى يوم الخميس ٢٢ من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٥٩هـ، وتقع في ١١ ورقة.

* * *

تنبيهٌ

عنوان المنظومة اسْتُفِيدَ من متن المنظومة نفسها، من قول الناظم في مقدمتها، بحسب النسختين (ب) و(ج)، حيث جاء ما لفظه:

وخذ «**منهج الحق الرشيد وبلغة الـ ـمريد**» لها الـدرّ النضيدُ قصيدتي

بينما جاء في النسخة (أ):

وخذ «**منهجَ الحقّ الرشيدِ رسالة الـ ـمريدِ**» لها الـدرّ النضيدُ قصيدتي

بإبدال «بلغة المريد»، بـ«رسالة المريد».

كما تفردت النسخة (ب) بوضع العنوان في طرة المنظومة، فكتب ناسخها: «وقال رضي الله عنه ونفع به: هذه القصيدة المسماة كتاب منهج الحق الرشيد نظم رسالة المريد»، بينما خلت النسختان الأخريان من ذلك.

* * *

هذا كتاب رسالة المريد لسيدنا الحبيب عبد الله بن علوي
الحداد علوي ونظمها الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه علوي باذن من الحبيب عبد الله
لان وطنهما وبلدهما واحد
نفعنا الله بهما وبعلومهما
في الدارين
امين امين
امين

ملكه سقاف بن [illegible] بن ابوبكر

ثم لمحمد بن [illegible] بن [illegible] علوي

.ولايزال الفتى بالنفل يقرب من مولاه حتى تولى الله ما فعلا.
.وصار لله محبوبا وفي الكل منسوبا وبعليه حتى يبلغ الاعلا.
.في زمرة القوم من مراجالتهم في حلبة الملأ المعدومة المثلا.
.وتم صبح خميس نصف شعبان عشر قبلها مائية والالف قد كملا.
.عقد ميئاين ثلاث در نظمت ما ربعين بخيط المسجد انفصلا.
.ونحمد الله حمدا لا يحد ولا . يحصي شكر الايادى كلها اشتملا.
.ثم الصلاة وتسليم على المصطفى والال والصحب والاتباع ما انفصلا.

. تمت القصيدة العظيمة النفع الغزيرة
. المعاني والجمع نفع الله بناظمها
. وبركات علومه .
. آمين .

وقال رضي الله عنه ونفع به هذه القصيدة المتسماه
كتاب منهج الحق الرشيد نظم رسالة المريد
. بسم الله الرحمن الرحيم .

.لك الحمد ما اضحت شموس الشريعة واعشت لقصد الحق أولى ذريعة
.وازعج الباب المريدين لوعة .اليك فصاروا في سوى الطريقة.
.ارالوا سوى قصد الا المولا زهو هدى خير مبعوث باقوم ملة.
.واولى صلاة الله ثم سلامه . عليه واصحاب وآله وشيعة.
.وبعد فمن دنياه كانت مراده . بدق بلة منها بالغي بليسة.
.وموعده من حين جهنم . ويرجع منه مومنا لها معول رجعة.
.اذا كان هذا في المريب لهما بغير سعي فللعاصي اشد عقوبة.

فكان يرجو الله حقا وفي الغد — اله في مولانا احسن سورة

فما ينفعه العبد نجيه ربه — وعفو به كل الذنوب المقبلة

فاجدر الاشقى الخالق هم — فحصهم عند الله او عز فتنة

فمن طبع الهادي بعصية انما — يطيع ويعصي [illegible]

ولم يتق الا الله تابعه و[illegible] — يبايع طه الله [illegible] سعة

فيا رب يا رحمن يا خير مرتجى — ويا خير مسؤول وسامع دعوة

ويا رب يا غفار يا خير راحم — ويا خير مأمول لكل مهمة

ويا رب يا مولاي يا سامع على — ويا رافع الشكوى لكل ملمة

ويا رب لا ملجا لطالب حاجة — سواك ولا منجا من بلية

ويا رب وفقنا لشكرك واهدنا — الى الدين وحققنا حق الحقيقة

ويا رب نشا على الحق واقتفى — مآثر خير خلق في كل سيرة

ويا رب عاملنا بلطفك واكفنا — اذى كل موذ من جميع الخليقة

وتمت بحمد الله لله سهلة — منزهة عن كل عيب و[illegible]

واولى صلاة الله ثم سلامه — على خير مبعوث الى خير ملة

[illegible] الهادي الى خير منهج — وآل واصحاب واتباع سنة

[illegible] وما ناجى المريد بعزمه — الى الله سبحانه في قويم طريقة

تمت بحمد الله نظم رسالة المريد لسيدنا الامام [illegible] المحقق العالم بالله تعالى [illegible] [illegible] احمد [illegible] حلوى [illegible] امين [illegible]

منهَجُ الحق الرشيد وبلغة الـمُريد

نظم رسالة المريد

لك الحمدُ ما أضحَتْ شموسُ الشريعةِ ... وأمسَتْ لقصدِ الحقِّ أولى ذَريعةِ
وأزعج ألْبابَ المريدين لوعةٌ ... إليك فساروا في سويِّ الطريقةِ
أزالوا سوى قصد الإله ولازموا ... هدَى خير مبعوثٍ بأقوم ملةِ
وأولَى صلاة الله ثم سلامه ... عليه وأصحابه وآلٍ وشيعةِ
وبعدُ فمن دنياهُ كانت مرادَه ... يَذُقْ بلّةً منها بألفي بليةِ
وموعدُه من بعد حينٍ جهنمٌ ... ويرجعُ مذموماً بأسْوأ رجعةِ
إذا كان هذا في المريدِ لها بغيـ ... ـرِ سَعيٍ فللسّاعي أشدّ عقوبةِ
وهذا حقيقٌ في مريدِ إرادةٍ ... بها نسيَ الأخرى ويومَ القيامةِ
فإن كان لم يؤمنْ ففي النّار خلدُه ... وإن لم يكن يعمَل ففسقٌ بحسرةِ
ومن يردِ الأخرى غداً وهو مؤمنٌ ... ويسعَى لها سعياً بأحسن سيرةِ
فذلك مشكورٌ بسعي وفائِزٌ ... بأجرٍ وخلدٍ في نعيم بجنّةِ
ولم يكفِ في تحصيل تلك إرداةٌ ... ولكن بإيمانٍ وأعمالِ طاعةِ
على سعيها المشكور والعَمل الرّضا الـ ... ـمجازَى بمدْحٍ ثم خلدٌ برحمةِ
ولا عمَلٌ إلا بقصدٍ وإنما ... لكل امرئٍ ما كانَ في عقْدِ نيةِ
فإنْ كانَ خيراً كانَ خيراً جزاؤهُ ... وإنْ كانَ شراً كان شراً بنسبةِ

إذا طابَ قصدُ المرءِ طابتْ فعالُه ... وإلّا فإنَّ الخبثَ أصلُ الخبيثةِ
فمن يعمل المعروف للـه تابعَ الـ ... ـرسُولَ له الرضوانُ في خير عيشةِ
ومن عملَ الأعمالَ قصداً لغيره ... تعالى من الأغراضِ أو قصْد سُمعةِ
فيطلبُ ممن كان مقصودُه الجزا ... ولن يملكَ المخلوقُ مثقالَ ذرّةِ
فإنْ شئتَ كلَّ الخيرِ في كلِّ ساعةٍ ... وعافيةً من كل سُوءٍ ومحنةِ
فكُنْ مخلصاً لله في كل مقصدٍ ... ومستمسكاً بالشرع في كل لحظةِ
ورِدْ في مواريدِ الإرادةِ واتّبعْ ... قويمَ طريقِ القومِ أولى طَريقةِ
وخُذْ «منهجَ الحقّ الرشيدِ رسالة[1] الـ ... مريدِ» لها الدرُّ النضيدُ قصيدتي

فصلٌ

فأوّلُ بابٍ في الطريقةِ باعثٌ ... قويٌ سرَى في القلب عن سرّ نفْحةِ
فيزعجُه حتى يُصَيِّرَ همَّهُ ... على الله بالإقبالِ في كلِّ قبلةِ
فيرغبُ في الأخرَى ويزهدُ في الدنا ... وفيما بِها من كلِّ كسبٍ ولذةِ
وذا من جنُود الله عينُ عنايةٍ ... وسرّ هدًى مِن فيضِ بحْرِ الفتوةِ
ويبدو تشويق وخوفٍ ورغبَة ... وعن نُور أهل الله في طيّ نظرةِ
ومن دون شيءٍ بل بمعْرضِ نفحَةٍ ... أمَا نفحاتُ الله في كل لمحةِ!
وعن حمقٍ ترْجَى بغيرِ تعرُّضٍ ... ولكنْ بهِ في حقِّ لازمِ عتْبةِ
ومن خصَّهُ مولاه فيه بباعثٍ ... فقد خصَّهُ فضلاً بأعظم نعمةِ
فيعرفُ ما أعطِي ويشكرُ رَبَّه ... كثيراً بما أولاه منْ خير منحةِ
فكم مسلمٍ وافى ثمانينَ حجةً ... ولما يجدْ ذا البعثَ في طيفِ طرفةِ

---

(١) في (ب، وج): وبلغة المريد.

فحقٌّ مريدٍ أن ينميه دهرَه بذكرٍ وفكْرٍ واجتبَا خير صحبةِ
ويحفظه بالبعدِ عن شرِّ صحبةٍ ووسوسةٍ من كل إنسٍ وجنةِ
ينيبُ إلى مولاه فوراً بصدقه ويقطعُ تسويفاً بسيف العزيمةِ
ولا يتوانَى بعد إمكان فُرْصَةٍ بها فتحُ بابٍ فليجبْ خير دعوةِ
ولا عذرَ أن الوقت ليس بصالحٍ ولا فارغاً إذْ ليس إلا لِعلّةِ
فقد قيل سيروا فيه عُرْجاً فإنّ مِن بطالةِ ذي العزْم انتظارٌ لصحّةِ
وفي الحِكَم الغرا إحالتُك الرضَا على زمَنِ التفريغ عينُ الرعونةِ

فصلٌ[١]

وأول أمرٍ في الطريقةِ يبدأ الـ ـمريدُ به تصحيحُ تحقيقِ توبةِ
وعن كُلِّ ذنبٍ بعد ردّ مظَالمٍ وتحليلِ مظلُومٍ لإبراء ذمّةِ
فمن كان مرهوناً فكيف خلوُصهُ وحاملُ وقرٍ كيفَ يسعى بعَقبةِ
وصحتها عن شرْط صدقٍ ندامةٌ على الذنبِ مع عزمٍ على ترك عودةِ
فما تابَ عن ذنبٍ مصرٌّ بفعلِه ولا قاصدٌ عوداً ولو بعدَ مدةِ
وحقُّ المريدِ الدهرَ طولُ اعترافه بتقصيره في حقِّ ربِّ البريةِ[٢]
فإن ينكسر قلبٌ فمن وعْد ربّه الـ ـرّضَا عند أرباب القلوب الكسيرةِ
شديدُ احترازٍ عن أقلّ صغيرةٍ تُرى منه فضْلاً عن أجلّ كبيرةِ
أشدُّ احترازاً من تناول سُمٍّ اَو كآكلةٍ في الخوف عند الوقيعةِ
ففي القلبِ سمُّ الذنب كالسُّمّ في الحشَا وليس الحشَا والقلبُ فيه برتبةِ

---

(١) الفصل في أ، وج، ولم يفصل في ب.
(٢) هذا البيت لم يرد في (ب)، وورد في أ، وج.

فحفظُ مريدٍ قلبَه رأسُ مالِه ... وعما قريبٍ جسمُه تربُ ميّتِ
وليس يموتُ الجسم إلا مفارقاً ... لدنيا البلايَا والصفاتِ الدنيةِ
وعند تلافِ القلبِ يتلفُ دينُه ... وأخراه بالخسران يومَ القيامةِ
فليس بناجٍ من عذابٍ وفائزٌ ... غداً غيرُ أربابِ القلُوبِ السليمةِ

فصلٌ

وحقُّ المريدِ الاجتهادُ بحفْظِ قلـ ... ـبه عن أحاديثِ النفُوسِ الرديةِ
ومن كل وسواسٍ وشكٍّ وخاطرٍ ... رديٍّ ومن كل الأماني البعيدةِ
يقيم ببابِ القلب بالله حَاجباً ... مراقبةً تحميه عن كل خطرةِ
منها فسادُ القلبِ مهما تَرِدْ به ... وإخراجُها صعبٌ عظيمُ المشقةِ
يبالغ في تطهير ساحَة قلبِه ... ففي القلبِ بيتُ الربِّ موضعُ نظرةِ
ومن كلِّ ميلٍ نحو دنيا وشَهوةٍ ... وغشٍ وظنِّ السوءِ في أهل ملةِ
ولكن رحيمٌ ناصحٌ مشفقٌ بهم ... لهم ودّه ودٌّ جميلُ العقيدةِ
ويعلمُ أن القلبَ أعظمُ طاعةً ... وأفحشُ عصياناً مِنَ الجسْمِ ما فتي[1]
وليسَ لعرفانٍ وحبٍّ ورحمةٍ ... بأهلٍ ولما يخلُ عن كلِّ ظلمةِ
وأفحشُ ذنبِ القلبِ كالكبر والريا ... كذا حسدٌ سارٍ وعُجْبٌ بهيئةِ
ففي الكبر من جنسِ الحماقة شعبةٌ ... وليس سوَى دعوى النفوسِ الغبيةِ
فهل لائقٌ كبرٌ بمَن كان نطفةً ... ومن بعد حينٍ وهو أنتنُ جيفةِ!
وإنْ كانَ ذا حسْنٍ وفضلٍ فمنّةٌ ... من الله لا مما اقتناهُ بصنعةِ
ألم يخشَ سلبَ الله عنه عطاءَه ... لتحقيرِه مَن خلقُه خير خِلقةِ

(١) أي: ما دام. عن هامش النسخة أ.

وَمِـنْ سُـوءِ فعـلٍ أن ينـازع ربَّـه على الكبريا إحدى الصفات الصفيةِ
وأمـا الريـا فهـو دليـلٌ علـى خُلُوِّ قلْـبِ المرائـي مـن بقيّـة خشـيةِ
وتعظيمـه البـاري لتزييـن صنعِـه لخلـقٍ فلـم يقنَـعْ بـرب البريـةِ
ومن يعمَل الحسنى لتكرِمَه الورى فـذاك مـراءٍ راغـبٌ فـي الدنيـةِ
وليس بـذي زهـدٍ إذِ الزاهدُ الذي يولِّـي القفَـا إقبـالَ كل الخليقـةِ
ومـن يطلـبِ الدنيـا بطاعَـة ربّـه فمـن فاقـهُ جهـلاً بـأي مزيـةِ
فإنْ كانَ لم يقدِرْ على الزهدِ فليعُدْ إلـى الله فـي الدُّنيـا ينـلْ كلّ بغيةِ
وفي الحسَدِ العدوانُ في ملكِ ربّه ينازعُـهُ جهـلاً بغيـرِ بصيـرةِ
لأن لـه تخصيـصُ بعـضِ عبـاده متـى شـاء فيما شَـاء مِـن أيّ نعمةِ
فمهمـا أرادَ العبـدُ غيـرَ مـرادِه فقدْ سـاءَ فعلاً واقـتضَـى للعقوبةِ
فـإن يـكُ فـي دنيَـا فـإن أمورَهـا أقـلّ وأدنـى إن تراعَـى بغبطـةِ
وإن كان في دينٍ فهل يحسِدُ الفتى أخـاً صالحاً عونـاً له فـي الطريقةِ
ومـا ينبغـي للمـرءِ إلا اجتهـادُه بجمْـع الـورَى حقاً على كلّ سنةِ
وليـس يبَالـي كان أفضَـل أمْ هـمُ فمـولاه يولـي مـن يشـاءُ برحمـةِ
وفي العُجْـب جهلٌ أي جهلٍ لمن زَها بأحقـر نفـسٍ شـأنها كلّ خسّـةِ
ولا خلْـقَ فـي خيـرٍ لهـا إنمـا أتى بمحْـض نـوالِ اللـه وهـي بكرهةِ
ونسـبةُ إفضـالٍ إلـى غيـر أهلـه مع الصـرْف من موليـه أكبرُ فريةِ
فتلـك أصولٌ فـي صفـاتٍ ذميمة كثيـرٌ لقلـبٍ لـم تلِـقْ بالوجيـزةِ
وأصلُ أصول الشـر في كلِّ حالةٍ محبـةُ دنيَـا رأسِ كل خطيئـةِ
فـإنْ يخـلُ منها القلبُ فهـو مطهّرٌ وأهـلٌ لأسْـرارٍ ونـورٍ وحكْمَـةِ

فصلٌ

وحقُّ المريدِ الاجتهادُ بكفِّ كُـ ... ـلِ جارحةٍ عن كل ذنبٍ وحُرمةِ
ولا يتحركْ قطّ إلا بطاعةٍ ... وما كانَ فيه النفعُ يومَ القيامةِ
يبالغُ في حفظ اللسانِ فجِرْمُه ... الصغيرُ له جُرمٌ عظيمُ الضرورةِ
وعن كُلِّ كذبٍ وافتراءٍ يكفُّهُ ... وعن كلِّ محظورٍ وسبٍّ وغيبةِ
وعما به فحشٌ وإن كان جائزاً ... وما ليس يعني من مقسٍّ مفوّتِ
ولا ينبغي للمرء حلّ اللسانِ في ... سوَى نحو قرآنٍ وذكرٍ وسنّةِ
ففي خبرٍ كلّ المقال على الذي ... يقولُ سوَى ذكرٍ وأمْرٍ بقُربةِ
ومن بصَر الإنسانِ والسَّمعِ مدخلٌ ... إلى القلبِ مفتوحٌ لكل ملمّةِ
فلا ينبغي أنْ يسمعَ المرءُ أو يرَى ... سوى الخير يحيَا القلبُ منه بأثرةِ
ويتركُ كل الشر إذ رُبّما جرى ... إلى القلبِ فاستولى عليه بظلمةِ
فيعسر ـ محوُ الرَّينِ عنه لأنه ... سريعُ قبولِ الوارداتِ بفطْرةِ
ويحذر كل الحِذْر من مدّ عينه ... إلى منظر الدنيا الغرور بخَطْرةِ[1]
فظاهرها للعين زهرٌ لغِرّة ... وباطنها للقلبِ شؤمٌ لعَبرةِ
وكم من مريدٍ غرّه حُلو زَهرِها ... فصَار إلى جمعٍ وكسبٍ ومحنةِ
فحقُّ مريدٍ غضُّ عينيه دائماً ... عن الكونِ إلا عند مقصِد فكرةِ
وذلك ذكرُ المرْءِ منها فناءَها ... وما زاد حَاويها سوى لبْس خرقةِ
وإن ينظُر الأكوانَ أعدل شاهدٍ ... بحقّ صفاتِ الحق في كل ذرةِ
فحالُ جميع الكائناتِ مخاطِبٌ ... بتوحيدِ من أنشاهُ أهلَ البصيرةِ

---

(١) في (ب، وج): بخضرة.

فصلٌ

وحقُّ مريدٍ أن يديمَ طهارةً ... يبادرُ نقضاً بالوضُوءِ وسنةِ
وإنْ كان ذا أهْلٍ وقد جاءَ أهلَه ... فيتبعُه بالغسْل من غير مُهلةِ
وقلةُ مأكولٍ يفيد طهارةً ... تدومُ وفيها كسْر همةِ شَهوةِ
وذلك من أولى صفاتِ إرادةٍ ... وأقومُ حالٍ لاعتدالِ الطبيعةِ
وفي خبرٍ أصلٌ لكلِّ ضرورةٍ ... بدينٍ ودنيَا ملءُ بطْنٍ بتخمةِ
وكثرة أحداثٍ لإكثار طعمَةٍ ... ونومٌ وهذيانٌ وشدةُ قسوةِ
فحقُّ مريدٍ تركُ أكلٍ وخلطَةٍ ... ككلّ مباحٍ غير حقّ الضرورةِ
فمن كثرتْ منه المباحاتُ فهو في الـ ... إراداتِ ذو رسْمٍ بغيرِ حَقيقةِ
وفي خبرٍ لا يملأنَّ ابنُ آدمٍ ... أشرّ أذًى من ملءِ بطْنٍ بشهوةِ
فيكفي لُقيماتٌ يقوِّمنَ صُلبَه ... لطاعتِه حلاً ومحتاجُ شربةِ
فإن لم يكن بُدٌّ فثلثٌ لشربِه ... وفي نفسٍ ثلثٌ وثلثٌ لأكلةِ

فصلٌ

وحقُّ مريدٍ كونُه أبعدَ الورى ... عن الإثم أعناهم بفرْضٍ وسُنّةِ
وأحرصَهم بالخير إذ ما خصُوصُه ... سوَى تركُ شغْلٍ واجتهادٌ بخدمةِ
شحيحاً بأنفاس وأوقاتِ فرصَةٍ ... فلا تنقضي إلا بخيرٍ وقربةِ
ووِرْدٌ له في طاعةٍ كلَّ ساعةٍ ... عليه مقيمٌ في رخاءٍ وشدّةِ
ومن درْس قرآنٍ بترتيلِ لفْظِه ... وتدبير معنًى وامتلاءٌ بخشيةِ
ويحذر من لفظٍ فَصيحٍ ونغمَةٍ ... بغير خشوعٍ درْسَ قرّاءٍ[1] غفْلةِ

---

(١) في (ب): قرآن. والتصويب من (أ، وج).

فيتلونَه جمعاً ولا يعلمونَه ... بأي معانٍ جاءَ أو أيّ حكْمةِ
ولو علموا من علْمِه عَملوا به ... وما العلمُ بالتحقيق غيرُ وَسيلةِ
وما بين ذي علمٍ به غَير عاملٍ ... وجاهِلِه فرقٌ سوى كشْف حُجةِ
بل الجهلُ أولى منه قالوا ونفْعه ... إذا لم يعُدْ فالجهلُ أولى بعودةِ

فصلٌ[(١)]

وحقُّ مريدٍ كونُه ذا تهجُّدٍ ... ففي الليلِ مع ربٍّ له خيرُ خلوةِ
فيكثِرُ في استغفارِه من ذنوبِه ... وأفضلُ أذكارٍ وأكملُ دعوةِ
يناجي بلفظ الاضْطرارِ وقلبُهُ ... رقيقٌ حقيقٌ بانكسَارٍ وذلَّةِ
فإياكَ من ترْكِ القيامِ وأن يرا ... كَ في سَحَرٍ إلا بذِكر ويقْظةِ

فصلٌ

وحقِّ مريدٍ كونُ جلّ اعتنائه ... إقامةُ خمسٍ كلَّ يومٍ وليلةِ
بإتمامها ركناً وبعضاً وسنةً ... وتدبيرُ قرآنٍ وذكرٌ بخشعةِ
ويعرفُ من قبلِ الدخُول وقوفَه ... بحضْرة قهّار الملوكِ العنيدةِ
فقد يقتَضي مقتاً لإعراضِ قلبه ... عن الله واسْتغراقِه في الدنيةِ
وجاءَ إذا قامَ المصلِّي فوجه ربْـ ... ـبِهِ مقبلٌ فضلا عليه برحمة[(٢)]

فصلٌ[(٣)]

فإنْ يلتفتْ من خلفِهِ قالَ ربُّهُ ... إلى خيرِ منِّي عندك اَرْجِعْ بخيبةِ

---

(١) وقع الفصل في (أ) فقط.

(٢) هذا البيت ورد في (أ، وج)، وخلت منه النسخة (ب).

(٣) الفصل لم يرد إلا في النسخة (ب) فقط.

إنْ يلتفتْ أخرَى يقُلْ مثله وعنـ ـدَ ثالثةٍ يعرضْ بوجْهِ لسخطةِ
إذا كان هذا في التفاتٍ بوجْهه فكيف بصرْفِ القلب في شبهِ جيفةِ
وما نظرُ المولى لجسْمٍ وظاهرٍ ولكن إلى قلبٍ وسرٍّ سَريرةِ
وسرُّ جميعِ الصالحات ونورُها حضورٌ مع المعبُود فيها بخشيةِ
ومن قد خلتْ طاعاته عن حضُوره فطاعاتُه مثلُ الهباء المشتّتِ
وفاعلها مثل المقدِّم جيفةً إلى ملِكِ الأملاكِ باسْمِ الهديةِ
ليسَ حقيقاً بالعقُوبةِ والقِلا وحرمانِ مرجُوِّ الرضا والمثوبةِ

فصلٌ

وحقُّ مريدٍ حذرُه من تَساهُلٍ بترك جماعاتٍ وتركٍ لجمعةِ
ما ذاك إلا شأنُ أهل بطالةٍ وفي جمع أهل الخير كَم من خبيّةِ
وحرصٌ على كل الرواتبِ قبلَ كلِّ فَرضٍ ومن بعدٍ وكلّ موقّتِ
ونفل صلاةِ الليل والوتْر والضحَى وإحياءُ بين المغربينِ لغفلةِ
وإحياء بعد العَصر والصبحِ قبلَ أن تغيبَ وتبدو الشمسُ جَمّ الفضيلة
بذكرٍ وقرآنٍ وفكرٍ ففيهما على الذاكرين الفيضُ من كل نعمةِ
وفي جلبِ رزقِ القلب جَرَّبَ أوّلاً وثانٍ لرزقِ الجسْم أهلُ البصيرةِ
وفي خبرٍ لَلرزقُ أولى بذاكرٍ غدا بعْد صبحٍ في مصلَّى الفريضةِ
من القاطعِ الآفاقِ في كلِّ وُجهةٍ إلى طلبِ الأرزاقِ في كلِّ عيشَةِ

فصلٌ

وتركُ مناهِ وامتثالُ أوامرٍ على فعله تعويلُ أهل الطريقةِ

وكثرةُ ذكرِ الله بالقلبِ دائماً وباللفظِ لا نحو الخلا كلّ طرفةِ
وأجمعُ ذكرٍ للمعاني وما تفيـ ـيده كلمة الإخلاص أفضلُ كلمةِ
فحقٌّ جميعِ المبتدين لزومُها وللمنتهينَ العودُ فيها بشربةِ
فمن سرَّه ذوقٌ لسرٍّ طريقَةٍ وكشفٌ لأنوارٍ وحقّ حقيقةِ
فيلزمُ ذكر الله والقلبُ حاضِرٌ بصدقٍ وإقبالٍ وآدابِ حضْرةِ
فما اجتمعتْ للمرءِ إلّا وطالعَ الـ حَقائقَ والأسرارَ من كُل وجهةِ
فيثمِرُ عرفاناً بربٍّ وفكرةً بنعمتِهِ يوليهِ أولى محبّةِ(١)
وبالفكرِ في دنياهُ وأخرَى وما عليـ ـيهما يرفض الدُّنيا ويعنى بأوْبَةِ

فصلٌ

ومن نفسُه عن طاعةٍ قد تثاقلَتْ يقدْها بأسبابِ الرَّجا والمثوبةِ
من المدِّ في الإحسانِ والخلدِ في الجنا ن والفوزِ بالرضوانِ في خيرِ رفعةِ
ومن نفسه مالت إلى الشرِّ ردَّها بإكثارِ ترهيبِ وخوفِ عقوبةِ
من الطّردِ والحرمانِ والخزيِ بالنيرا ن والنقص والخسران في كلِّ قيمةِ

فصلٌ(٢)

وحقٌّ مريدٍ أن يعظّمَ كلّ ما يعظمُه مولاه من أيّ أمّةِ
فإياكَ من تحقيرِ شيءٍ معظّمٍ بشرعٍ كأملاكٍ ونَارٍ وجنّةِ
وَسَلْ جنةً من فضْله واستعِذْ به من النار واشكُر خير صنعِ الخليقةِ
وإن يقُل الشيطانُ مولاكَ في عُلا عن الضُرّ بالعِصْيانِ أو نفعِ طاعةِ

(١) هذا البيت لم يرد في النسخة (ب).
(٢) وقع الفصل في النسخة (أ) فقط.

فقل صادقٌ لكنني أفقَرُ الورَى ... إلى فضلهِ والقربِ منه بقُربَةِ
ففي طاعتي نفْعي وذنبي ضرُّه ... عليَّ لقولِ الله في كلِّ آيةِ
فإنْ قالَ إن تكتبْ سعيداً بعلمِه ... فقطعاً إلى خيرٍ تصيرُ ونعمةِ
وإنْ كنتَ مكتوباً شقياً ففي لظَى ... فعاصٍ ومن في طاعةٍ بالسّويّةِ
فذَرْهُ فهذا الغيبُ لله علمُه ... وليس لخلقٍ فيه مثقالُ ذرةِ
فأولى دليلٍ للسعادَة طاعةٌ ... ومعصيةٌ أجلَى علامَة شِقْوةِ
فما بين جناتٍ ونارٍ وطائعٍ ... وعاصٍ سوى رشْدٍ وغَيٍّ بموتَةِ

فصلٌ

وبدءُ الطريق الجِدُّ والصبر والعنَا ... وآخرُها شكراً وأهنَا هنيةِ
وأولها جهدٌ وآخرُها رضاً ... وكشفٌ وعرفانٌ وأنس بحضرةِ
ومن أسّس المبنى على الصّبر والتقَى ... ينلْ كل مأمولٍ وخيرٍ ورحمةِ
وللنفسِ أحوالٌ فأمّارة دعَتْ ... لشرٍّ وعن خير نهتْ بالجبلّةِ
وتلكَ إذا ما خالفَ المرءُ أمْرَها ... وجاهدَها بالصَّبرِ في كلِّ كرْهةِ
فلوّامةٌ وجهٌ لأمّارةٍ لها ... ووجهٌ لها حيناً إلى مطمئنةِ
ومن بعدِ حين تطمئنُّ علَى الهدى ... إذا ساقَها رفقاً بخوفٍ ورغْبةِ
فتدعُو إلى خير وتأنسُ بالعلا ... وتمنعُ عن شرٍّ وتنبو بنفْرةِ
وتعجبُ من ميلِ الورى عن تعبّدٍ ... لما فيه من أنسٍ ورَوحٍ ولَذةِ
ومن فرط إقبالٍ على الذنْبِ والهوَى ... لما فيهما من شرٍّ غَمٍّ ووَحشةِ
ويحسبُ أنّ الخلقَ ذاقوا كذوقِهِ ... مرارةَ عصيانٍ ولذةَ طاعةِ
فيذكر ما قد كان قبلُ عليه مِن ... مرارةِ طاعاتٍ ولذّةِ شهوةِ

فيعلـمُ أنْ لـم يعطِـهِ ذوقُـه سـوَى ... مجاهـدةٍ طالـتْ بسـرٍّ عنايـةِ
فقد بـانَ أنَّ الصبرَ عن كلِّ شـهوةٍ ... وذنـبٍ مـع الإدمـانِ فـي كُلِّ قربةِ
إلـى كلِّ خيـرٍ موصِـلٌ ومبلِّـغٌ ... إلـى كلّ محمـودٍ وحـالٍ شـريفةِ
وللصبـر فـي الآيـاتِ ذكـرٌ مكرّر ... وفي خبرٍ في الصبر أحسَنُ نـصرةِ
وفي خبـر مِن قِلِّ مـا أوتي الورى ... يقيـنٌ وصبـرٌ فيـه خيـرُ عزيمـةِ
فمن نـالَ حظـاً منهما لم يبـلْ بما ... يُفَـوِّتُ مِـنْ إحيـاءِ يـوم وليلـةِ

فصلٌ

وقـد يبتلـي الله المريـدَ بفاقـةٍ ... وفقـرٍ وتقتيـرٍ وضيـقِ مَعيشـةِ
فمـن حقّـه أن يشـكرَ اللـه دائمـاً ... عليـه وأن يجعلـه مـن خيـرِ نعمةِ
يـرى إنمـا الدُّنيـا عـدوّةُ ربّـه ... صفـتْ للأعـادي كـدّرتْ للأحبّةِ
فيحمـدُ مـولاه الفقيـر فحالُـه ... كحالـةِ أصحـاب الـوِلا والنبـوّةِ
فقـد كان خير الخلقِ يربطُ صخرةً ... علـى بطنِـه مـن حـرّ جُوع وشـدةِ
وشهْرين غير الماء والتمر لم يذقْ ... ومـا علقَـتْ فـي بيتـه نـارُ أكلـةِ
وأرسـلَ إذ وافـاه ضيقٌ لتسْـعةِ الـ ... ـبيوتِ فلم يوجد بها بعضُ طعمةِ
ومـاتَ ومـا فـي بيتـه قـوتُ آكلٍ ... سـوى نحو كفٍّ مـن شـعير قليلةِ
ودرعٌ لـه عنـدَ اليهـودِ بآصُـعِ ... شـعيراً لـه مرهونـةٌ بعد مـدّةِ
فلا تطلب الدنيا سـوى سدّ جوعَةٍ ... بلقمـةِ حـلٍّ ثـم سـترٌ بخرقـةِ
وإيـاك سـمّاً قاتـلاً فـي تشـوقٍ ... إلـى نعَـمِ الدُّنيـا ومبلـغِ شَـهوةِ
فمـا القصدُ إلا سـدّ جـوعٍ وعورَةٍ ... بـأيّ كسـاءٍ كان أو أي لقمـةِ
ويسـأل يـومَ العـرْض كلّ منعّـمٍ ... بدنيـاه عمّـا ذاقَ مـن كلِّ نعْمـةِ

ولو عرفَ المسكينُ غصّةَ أهلها ... لتحصيلها في كل يومٍ بمحنةِ
رأى أن ما لاقَوْهُ من كل محنةٍ ... يزيدُ على مَا حصّلوه للَذةِ
ويكفيك عن دُنياك زجْراً مزهّداً ... حقارتُها والذمّ في كلّ آيةِ
ولولا انكبابُ الناس في النارِ لاستوَى ... لذي الكفْر فيها كل سولٍ وبسطةِ
وفي الخبر الدُّنيا بها سجنُ مؤمنٍ ... وجنّةُ أهلِ الكفر أسوأ جنّةِ
ولو تزنُ الدُّنيا جناحَ بعوضةٍ ... لما سُقيَ الكفارُ منها بشربةِ
ولم ينظرِ الرحمنُ من يوم خلقِها ... إليها لأوصافٍ عليها خَسيسةِ
ورزقُ الورى قسمٌ فمنهم موسّعٌ ... عليه ومنهم ضيِّقٌ في المعيشَةِ
فإنْ كنتَ ذا ضيقٍ بعيشِكَ فاصْطبرْ ... وكُنْ راضياً واقنع بأعدلِ قسمةِ
وإن كنتَ ذا وسْعٍ فخُذْ منه حاجةً ... وباقيَهُ فاصرِفْه في كلِّ قربةِ
ولا يلزمُ الإنسانَ إنفاقُ ماله ... ولا تركُه إن شاء نهجَ الطريقةِ
ولا تركُ أسْبابٍ وبيعٍ وحرْفةٍ ... ولا هجْرُ إخوانٍ وأهلٍ وزوجةِ
ولكنَّ تقوَى الله شرطٌ لكل ما ... يعانيه والإجمالُ في كل طلبةِ
وأنْ يعتني بالفرْضِ والنفْلِ جهدَهُ ... ويترك أنواعَ الفضولِ بمرةِ
ويلزمُ من لم يستقمْ فيه قلبُه التـ ... ـجرّدُ عن أهلٍ ومالٍ وحرفةِ
ومن كان أطفالٌ لديه فواجبٌ ... عليه لهمْ سعيٌ لكل مَؤونةِ
فإنْ كانَ ذا عجزٍ وقد صحَّ عذرُه ... فمخرجُه قد بانَ عن كل حُرمةِ
ولستَ على التقوَى دواماً بقادرٍ ... ولا تركُكَ الدُّنيا وعصيانُ شهوةِ
سِوَى ما إذا استشعرتَ أنك راحلٌ ... قريباً وميْتٌ عن ليالٍ قريبةِ
فتجعلَ نصْبَ العينِ ما جئتَه[1] وتسْـ ... ـتعِدَّ من التقوَى لسبْقِ المنيةِ

---

(١) في (ب): ما قد جنيته. والتصويب من (أ) و(ج)، على اختلاف فيها.

وإيـاك والآمـالِ فهـي مميلـةُ الـ ... ـفـؤادِ إلـى الدُّنيـا وأطْـول غفلـةِ

بهـا تثقلُ الدنيا عليـك وتحرَم التـ ... ـتجـرُّدَ للأخْـرى علـى كل همـةِ

وتقديرُ سبقِ الموت عن قرب مدةٍ ... بـــه كلّ خيــرٍ فيـه كلّ غنيمـةِ

فصلٌ

وقـد يبتلـي اللـه المريـدَ بخلقِـه ... بظلـمٍ وإيـــذاءٍ وذمٍّ وجَفـوةِ

فمـن حقـه صبـرٌ وتنظيـفُ قلبِـه ... عن الخبثِ من إضْمار حقدٍ وسطوةِ

وتـرك مكافـاةٍ وإنفـاذ دعْـوةٍ ... عليهـم فمن يدعُ استطالَ بنـصرةِ

وإن حـلَّ بالموذي وَبَـالٌ فلا تقُلْ ... بإيذائـه إيَّـايَ سَبْقُ المصيبـةِ

وأفضـلُ مـن صبـر دعـاءٌ لظالـمٍ ... وعفـوٌ فهـذا شـأنُ خيـر الخليقـةِ

وصرفُ الورى عن حُبِّك اعدُدْهُ نعمةً ... فقربتُهـم تلهيـكَ عـن كلِّ قربـةِ

وخَـف فتنـةً مهمـا بُلِيـتَ بحبِّهِمْ ... ولله فـاشكر سَترَ كلِّ قبيحـةِ

فإن تخشَ من شغلٍ عن الله أو من التـ ... ـتصنـعِ فيهـم فاجتنبهـم بعُزلـةِ

وإلا ففـارقْ مـا عُرِفتَ بـه إلى الـ ... ـذي فيه لم تُعـرَف إلـى أي بقعةِ

وكن فـي خمولٍ تاركاً كل شَـهوةٍ ... فـكلّ ظهـورٍ فيـه أكبـرُ فتنـةِ

وقد قيل لـم يصدقْ مع الله غيرُ مَن ... يـودّ لأن لـم يُـدرَ فـي أيّ قريـةِ

كما قيل لـم يعرِفْ محبٌّ لشـهرة ... سوَى وابتُلِيْ في الدين بعدَ الفضيحةِ

فصلٌ

وحـقُّ مريـــدٍ أن ينـــزّهَ قـلبَـه ... ويغسِـله من خـوفِ خلـقٍ ورغبةِ

فذلـك يدعـو المـرءَ في دينِـه إلى ... مداهنـةٍ والصمْـتِ عـن نهـي زلةِ

وأمـرٍ بمعـروف وإنـكار منكـرٍ ... وهـذا علـى ذي الدّين أعظـمُ ذلةِ

ومن فيه إيمانٌ يعز بربّه　　تعالى ولا يرْعى سواه بخَصلةِ
وخذ صِلةَ الإخوانِ من كلِّ طيّبٍ　　إذا كنْتَ محتاجاً إليه لعيشةِ
ولله فاشكُر فهو معطٍ حقيقةً　　وللحَقّ أيضاً بالجميل ودَعوةِ
وإنْ أنتَ لم تحتجْ إليه فراغِ مُصْـ　　ـلحَ القلبِ من ردٍّ وأخْذٍ لمتعةِ
ورد برفقٍ واعتذارٍ بحيثُ لا　　تغيّر قلباً فهو أعظَمُ حرْمةِ
وإياكَ من ردّ لغيظٍ وشُهرةٍ　　بزهْدٍ وإعراضٍ وأخْذٍ لشهوةِ
وأخذكَ لاستمتاعِ نفسٍ بشَهوةٍ　　أخفُّ فساداً من مَرَدٍّ لشُهرةِ
وذو الصّدقِ لا تخفى عليه طريقُهُ　　ولابدّ أن يغشاه نورُ الفراسةِ

فصلٌ

وقصدٌ وشوقٌ من مريدٍ لخارقٍ　　وكشفٌ وغيبٌ من أضرّ ضرورةِ
ومادام مشتاقاً إليها فلا يرَى　　وفي غالبٍ لم تبدُ إلا بكرهةِ
وتبدو على المغرُور مكراً ومحنةً　　على الغير فالأولى بها اسْمُ البليةِ
وليس كراماتٌ سوَى ما إذا بدَتْ　　على مستقيمٍ في سلوك الطريقةِ
وحقُّ مريدٍ شكرُه[1] الله إن بدَتْ　　وإعراضُه عنها وكتمُ الخليقةِ
ولا يتمناها ويأسَى بفقْدِها　　سوى طالبِ الدنيا المعنَّى بشهرةِ
وأجمع أمرٍ للكرامات كلها اسـ　　ـتقامةُ عبدٍ في اتباع الشريعةِ
بترك مناهٍ وامتثال أوامرٍ　　على مقتضَى ما في كتابٍ وسنةِ
وتحقيق آدابِ العبادات كلها　　بظاهرِ أحوالٍ وسرّ سريرةِ

---

(١) في (أ): يشكر.

فصلٌ

وحقُّ مريدٍ حسنُ ظنٍّ بربّهِ ... بعَونٍ وإكرامٍ وحفظِ مروءةِ
ويعلمُ أن الله يرعاهُ لطفُه ... فليسَ به يرْعى ولا بالبريّةِ
كما جاء مروياً عن الله قولُه ... أنا عند ظنّ العبد فيَّ برحمَةِ
فيخرِجُ خوفَ الفقر من لبّ قلبِه ... وخوفِ احتياجٍ للبرايا بخَصلةِ
ويحذر من خوفِ اهتمامٍ برزقه ... وثوقاً بوعْد الله في كل آيةِ
فكلُّ الورَى قطعاً على الله رزقُهم ... وكلٌّ يوفّى كل رزقٍ بقسمةِ
فحق المريد الاشتغالُ بما بِه ... يطالبُ عن مضمونِ رزقٍ وعيشةِ
فمولاهُ لا ينساهُ والرزقُ عندَه ... فمن عنده اطلبْ كلّ خير بطاعةِ
ومنه ابتغِ الأرزاق واعبُدهُ مخلِصاً ... له شاكراً في كل خير بطاعةِ
أيرزق كفاراً وعاصينَ أمرَه ... ويترك أبْراراً وأصحابَ قُربةِ
ولا حرجٌ في السعي في كسْب عيشَةٍ ... على ما أباحَ الشرع من أي وُصلةِ
ولكن بوهْمِ القلبِ أو باهتمامِه ... وفقد سكُونٍ عند تصريف قدرةِ
فإن اهتمام القلبِ في غير حَاصلٍ ... بما لم يقعْ من أي يومٍ وليلةِ
دليلُ فساد القلبِ منه كقوله ... إذا فُقِدَ الموجودُ من أين أكلةِ(١)؟

فصلٌ(٢)

وأما مقاماتُ الورَى في مذاهبِ الـ ... ـتجرُّدِ والأسبابِ في كلِّ أمةِ
فتلكَ إقاماتُ الحكيمِ وحكمُهُ ... على كُلِّ مخلوقٍ بأليقِ رتبةِ

---

(١) كذا رسمت في النسخ الثلاث، ولو رسمت: أكلتي، لكان أنسب (مصحح).

(٢) هذا الفصل ورد في النسخة (ج) فقط.

فحقُّ ذوي التجريد بسطُ صدورِهم ... بأقوى يقينٍ في لزُوم العبَادةِ
وحقُّ ذوي الأسبابِ كونُ اعتمادِهِمْ ... على الله مع تقواهُ في كلِّ حرفةِ
ويحذر أنْ يلهيه عن حقِّ ربه ... مع القصْدِ والإجمالِ في كل طلْبَةِ
وحقُّ مريدٍ دفعُه كل خاطرٍ ... دنيٍّ كفِي رزقٍ وعجْبٍ وسُمعةِ
ولا إثم في الأفكار عند اجتهاده ... بتنزيه كل القَلبِ عن كلّ خطرةِ

فصلٌ

وحقّ مريدٍ كونُه ذا عنايةٍ ... بصُحبةِ أخيارٍ وأهلِ الطريقةِ
حريصاً على شيخٍ إمام مكمّلٍ ... مربٍّ نصُوح عالم بالشّريعةِ
مكمّل عقلٍ واسعَ الصدر كاملَ السـ ... ـياسة عرّافاً بقصد الخليقةِ
خبيرٍ بأحوالٍ لهم وطبائعٍ ... حليفِ طريقٍ ذائقٍ في الحقيقَةِ
فمهما تجدْ هذا فنفسَك فالقِها ... عليه ولازمْه بحبٍّ وصُحبةِ
وحَكّمْهُ في كل الأمورِ ولُذْ بِهِ ... وفي كلِّ قصْدٍ خصَّهُ بالمشُورةِ
وتابعه في قَولٍ وفعْل وهيئَةٍ ... سوَى ما يخصّ الشيخَ من كلِّ نسْبةِ
كدعوته كلَّ الورَى واختلاطِه ... بهم ومداراةٍ بخَوفٍ ورغبةِ
وسلِّمْ له تسلَمْ ولا تعترِضْ عليـ ... ـهِ في حالهِ تحرَمْ وتجزَى بسخطةِ
ودَعْ كلَّ وسواسٍ وشكٍّ بحقّه ... وأوّلْ له في كُلّ حالٍ لشبهةِ
فإن لم يزُلْ فليبْدِ للشيخ أمرَه ... يعرفه وجهَ الكلّ من كُلِّ ريبةِ
كإخباره عن كلِّ ما كان واقعاً ... عليه خصوصاً في أمُورِ الطريقةِ
ويحذر من طاعاته لاطِّلاعه ... وعِصْيانه في سرّه عندَ غيبةِ
ويترك قصْداً واجتماعاً بظاهرٍ ... يسلكُ إلا بعد إذنٍ بفُسحةِ

ويحفظ عند الإذن قلباً ويجتمعْ بما شاء باستمدادِ وصلٍ ودَعوةِ
إن هو لم يأذن لا تتَهِمْه أو تظنَّ به شرّاً فذاك لخيرةِ
فخُذْهُ معاذَ الله أن يصدُر القِلا أو البغْضُ عن مثل الشيوخ الأجلةِ
ولا تطلبِ الشَّيخَ الكرامة إنما الـ ـكرامةُ للمرتابِ عند الضرورةِ
ولا كشْفَ ما تخفيه من كل خَاطرٍ فلله حقاً علمُ كل خفيّةِ
وغايةُ ما يعطَى الوليّ اطلاعَه على بعضِ عيبٍ مدةً بعد[1] مدّةِ
وقد يقصدُ الشيخُ المريدَ مرادَه يكاشفُه عن علمِ سرٍّ وخطرةِ
فيتركُ كشْفَ السِّترِ بعد اطِّلاعِه صيانةَ سرٍّ عن ظهورٍ بخلوةِ
فهم من أشدِّ الناسِ كتماً لسرّهم وأبعدِهم عن قصد جَاهٍ وشهرةِ
وجلُّ كراماتِ الكرامِ ظهورُها بغيرِ اختيارٍ عند داعي مهمّةِ
وإن تبدو أوْصَوا من رآها بكتمِها وقد أظهرُوا شيئاً لشدةِ حاجةِ
وأكملُ شيخٍ من يربي مريدَه بقولٍ وفعْل واعتناءٍ وهمّةِ
ويحفظُه من كلِّ شرّ وعاهةِ بكلّ زمانٍ في حضُورٍ وغيبةِ
ومن كان عن شيخٍ بعيداً مكانُه فيطلب إذناً شاملاً كل صورةِ
وأعظمُ ضرّ بالمريدِ وآفةِ تغيّر قلبِ الشيخ عنْه بسخطةِ
فيفسدُ ما لم يرضَ عنه وإن عنَى بإصلاحِه كلُّ الشيوخِ الأعزَّةِ
وحقُّ المريدِ الطالبِ الشيخَ إن رأى شهيراً بتسليكٍ وجَاه ورفعةِ
فلا يعطه التحكيمُ فيه وقلبُه على شأنه لم يجتمعْ بالمحبّةِ
ولم يعتقد أهلية الشيخِ فيه واسْـ ـتقامته في كل فرضٍ وسنةِ

---

(١) في (ب) و(ج): دون.

ولا ينبغي للشيخ إنْ جاء طالبُ الطّـ   ـريقة بـذلٌ قبـل تحقيـق خبـرة
بصـدقِ اعتقـادٍ واشـتدادِ تعطّـشٍ   إلـى مـرشـدٍ حـقـاً بأصْـدقِ نيَّـة
وشـرطُ مريـدٍ كونُهُ تحتَ شـيخِهِ   كميْـتٍ مع الغسّـالِ في كلِّ غسلةِ
ومـنْ لم يجدْ شيخاً فيصدقُ فقرَه   إلى الله فـي أولى اجتهَـادٍ وطـاعةِ
ويسـأله شـيخاً فسـوفَ يجيبُـه   بشـيـخٍ بـه يـعنـى أشـدّ عنـايـةِ
وكـم مـن مريـدٍ ظنُّـه أنـه بـلا   مـربٍّ فيبقـى طـالبـاً طـول مدّةِ
وثَـمّ لـه شـيـخٌ ولـم يَرَ شـخصَه   يـربِّيـه مرعيـاً بـأولـى رعايَـةِ
وما زالَ إلا الصِّـدقُ عند تناصفٍ   فـإنَّ الشـيـوخَ اليوم فـي كل بلدةِ
لـه الحمدُ لـم يجعلْ علـى أوليائِهِ   دليـلاً سـوَى عمّـا لَـهُ مـن دلالةِ
كذلك لـم يوصِلْ إليهم من الورَى   سوى من حباهُ الوصْلَ في كلِّ وصْلةِ
وتلـكَ شـروطٌ كلُّهـا مستحقـةٌ   بشـيـخٍ له التحكيمُ في كلّ خصْلةِ
ومـا كـانَ في شيخِ التبرّكِ لازماً   سـوَى حسْـنِ ظـنٍّ والتمـاسِ بنيةِ
فيكثرُ من قصْد الشيوخ المريدُ لاتّـ   ـصـالٍ بهـم حتّـى بإلبَـاسِ خرقةِ

فصلٌ تتمةٌ(١)

ولا يمنـعُ إجـلالٌ ونحـو تـأدبٍ   سؤالَ المريدِ الشيخَ عن أيِّ حاجةِ
فيسـأله عـن كل أمـرٍ وعَـارضٍ   عليـه ورأي مـرّة بـعـدَ مـرّةِ
فليس من الآدابِ تركُ الطّلابِ حيـ   ـثُ لم يأمر الشيخُ المريدَ بسكتةِ
وتـركُ سـؤالٍ وامتثـالٌ فعنـدَه   عليـه امتثـالُ الأمـر فهـو لخيـرةِ
ولا يـتهـم الشـيـخُ المريـدَ برفعةٍ   سـواه وَلا فـي منعِـه فعْـلُ خَلّةِ

---

(١) هذا الفصل لم يرد في النسخة (أ)، وورد في النسختين، كما ورد فيهما معاً ذكر التتمة.

ويـعـتـقـدُ الأولـى بـه مـا أرادَه وفيـه أجـلّ النفـعِ مـن غيـر ريبـةِ
وإن يسخَط الشيخَ المريدُ بزلـةٍ يـبـادرُ ليـرضَـى باعتـذارٍ وذلـةِ
وإن يـنكِـر المعتادَ من نحْو أُنسِـهِ يـحدثْه مـا يلقاهُ من نحْو سَخطةِ
فـإن كـانَ عن قصـدٍ تعرّف قصدَه وإن كـان عـنْ ذنْـبٍ أتـاه بتوبـةِ
وإنْ كان عن وهْمٍ ولم يكُ عنده الـ ـذي ظنّ أجلى القلبَ من كل رُوعة
وليـس كما لو لـم يحدّثْـهُ بالذي رآهُ وقـوفـاً عنـد علْـمٍ بـراءةِ
ومهمـا تجدْ قلبَ المريدِ لشَيخه مليّـاً بإجـلالٍ وتعظيـم رفْعـةِ
وممتثلاً فـي كـل أمـرٍ لـه لنهـ ـجِ آدابـه يقفُـو بأولـى عقيـدةِ
فلا بـدّ أن يـعطَـى على قـدْر إرثِه من الـسـر مهمـا يبقَ بعْدُ بعيشَـةِ

خاتمةٌ[1]

وهاكَ لختمِ النظْمِ أوصافَ صادقِ الـ ـمُريديـنَ فـي قـولٍ وفعْـلٍ ونيـةِ
وقد قالَ بعضُ العارفين المريدُ مَن يجـدْ كلَّ مـا يغنيـهِ فـي نـصِّ آيـةِ
ويعرفُ نقصاً من مزيدٍ عن الورَى غنـيٌّ يسـوِّي بيـن تبْـرٍ وتُربـةِ
حفيـظٌ علـى حـدٍّ[2] وفـيّ بمعهد رضـي بمـوجـود وكلِّ مصيبـةِ
شكورٌ على الآلا صبورٌ على البَلا بجِـدٍّ وإخْـلاصٍ وسـرٍّ وجهـرةِ
نقـيٌّ عـن الأغيـار حـرٌّ فـلا عليـ ـهِ رسْـمٌ لعاداتٍ ولا حكمُ شهوةِ
فأقـوالـه ذكـرٌ ونـطْـقٌ بحكمَـةٍ وفـي صمتِـه فـكـرٌ وأبلـغُ عبـرةِ
يـصـدّقُ بالأعمـال كلَّ علومِـه ويـسـبـقُ قـولاً منـه فعـلٌ لسنةِ

---

(١) كذا في النسختين (ب) و(ج)، وفي (أ): فصل.
(٢) في (ب): عهد.

تـواضـعُ حـقٍّ وانكسـارٌ دثـارُه ... عليـه شـعارٌ مـن وقَـارٍ وخشـعةِ
ويـؤثـر حـقـاً باتبـاعٍ وأهلَـه ... ويـتـركُ أشـراراً وأصحابَ بدعةِ
أجـلُّ من الأخيـار خيراً وعِشْـرَةً ... من الذكر جمّ العونِ خفّ المؤونةِ
بعيـداً عن الدعوى بريـاً من الهوى ... أميـنـاً ومـأمونـاً كريـم السَّجيّةِ
تقـدَّسَ مـن جبْـنٍ وبخلٍ وسـرقَةٍ ... تـنـزهَ عـن لغْـنٍ وكـذْبٍ وغيبـةِ
لـه سـاحةٌ مـن كل شـرّ نقيّـة ... ونـيتُـه زانـتْ بطيـبِ طـويـةِ
ونفـسٌ لـه عـن كـل دانٍ أبيّـة ... علـى همّـةٍ فـي كـلِّ خيـر عليّةِ
وليس على ذنبٍ مصراً ولا بمُقتـ ... ـضى شـهْوةٍ يرتدّ عن قصـد همّةِ
قريـن الوفَـا وافٍ بـكـلّ فتـوّة ... حليـف الصّفا جـم الحيَا والمروةِ
وينصفُ كل الخلقِ من فعل نفسه ... وليـسَ لهـا يومـاً يقـومُ بنصفـةِ
ويشـكر لِـلآلا ويصبـر فـي البَلا ... ويسـتغفرُ الغفـارَ فـي كلِّ زلـةِ
ويـغفـر إن يُظلَـم ويكـره شـهرةً ... ويهـوَى خمـولاً واسـتتاراً بخفيةِ
ومـن غيـر مـا يعنيـه يخْـزِنُ قولَـه ... ويحـزن للتقصيـر من فعـلِ طاعةِ
ولا يسـخِطُ المولى ليرضيْ الورَى ولا ... يـداهـنُ فـي ديـنٍ لخـوفِ البريـةِ
ويـأنـسُ حقـاً بانفـرادٍ ووحـدَةٍ ... ويـنفـرُ عن كـلِّ اختلاطٍ لوحشـةِ
علـى العلـم أو أعمـالِ بـرٍّ دوامُـه ... وفي الخير يرجَى لا يخاف ببَطشةِ
فليـس لمن يـؤذي بمُؤذٍ ولا لمنْ ... جفَـاهُ بجـافٍ بـل بعفْـو ووصلـةِ
كأرضٍ بها يرمَى القبيحُ وتخرج الـ ... ـمليـحَ ونخـلٌ يجتنَـى بالحجارةِ
يباديـه نـورُ الصّدق يلمعُ كادَ أن ... يبيّـنَ مـا يعلـوهُ ما فـي السَّـريرةِ
بهمتِـه يـسـعى ليـرضـيَ ربَّـه ... حريـصاً على استعماله كلَّ سنةِ
فيقفُـو رسـولَ الله فـي كلِّ حالةٍ ... كمـا صَـحَّ مـن قـولٍ وفعـل ونيَّةِ

تـراهُ حريـصـاً فـي اتـبـاع نبيّـه — وَثـوقـاً بوَعـدٍ خائفـاً مـن عقوبـةِ
ومقتَديـاً فـي كل أمْـرٍ بهديـه امـ — ـتِـثـالاً لأمـر الله فـي كـل آيـةِ
فيأخـذُ مـا يـأتيـه سَـمعاً لقولِه — ويـتـرك مـا ينـهـاه عنه بكُرْهـةِ
ومن كان يرجو الله حقاً ففي الهدَى — له في رسُـول الله أحسَـنُ أسـوةِ
وإن يـتبـعـه العبـدُ يـحبِبْهُ ربّـه — ويـغفـرْ لـه كـلّ الذنـوبِ الثقيلةِ
أمَا يحذر الأشـقَى المخالفُ أمرَه — عظيـمَ عـذاب الله أو شـرَّ فتنـةِ!
فمـن يطـعِ الهـادي ويعصيـه إنما — يـطيـعُ ويـعـصـي الله ربَّ البريّةِ
فلـم يـقـف إلا الله تـابعـه ولا — يـبـايـع إلا الله مـوفٍ ببيـعـةِ
فيـا ربِّ يا رحمنُ يا خيـر مرتجَى — وياخيـر مسؤولٍ وسـامعَ دعـوةِ
ويـا ربّ يـا غفـارُ ياخيـر راحـمٍ — ويـا خيـر مـأمولٍ لـكل مهمّـةِ
ويا ربّ يـا مولاي يا جامـعَ العُلا — يـا رافـعَ الشـكْوى لـكل ملمّـةِ
ويـا ربِّ لا ملجـأ لطالـب حاجـة — سـواكَ ولا منجَـى لـه مـن بليّـةِ
ويـا ربِّ وفِّقْنَـا بنـورك واهدِنـا — إليـكَ وحققْنـا بحـقِّ الحقيقـةِ
ويـا ربِّ ثبتنـا علـى الحـقِّ واقتفا — مَآثـر خيـر الخلـقِ فـي كلّ سيرةِ
ويـا ربِّ عامـلنـا بِلُطْفِـكَ واكْفِنـا — أذَى كلِّ مـؤذٍ مـن جميـعِ الخليقةِ
وتمَّـتْ بـحـمْـدِ الله لله سـهـلة — منزهَـةٍ عـن كل عيـبٍ ووصْمـةِ
وأولَـى صَـلاة اللـه ثـم سَـلامُه — علـى خيـر مبعُـوثٍ إلى خيـرِ أمةِ
محمّـدٍ الهـادي إلـى خيـرِ منهَـجٍ — وآلٍ وأصحَـابٍ وأتبَـاعِ سُـنةِ
يـدومـانِ مـا جَـدَّ المريـدُ بعزمِـهِ — إلـى الله سـعياً فـي قويـمِ الطريقَةِ

* * *

(١٩)

منظومةُ الرَّشَفاتُ

المسماة

«رَشَفاتُ شُرْبِ أهلِ الكَمالِ
ونسَماتُ قُرْبِ أهْلِ الوِصَالِ»

نظم الإمام العلامة

وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

نفعنا الله بعلومه



هذه المنظومة

منظومة مباركة شهيرة، لهمة السالك محفزّة ولدربه إلى الله والدار الآخرة موضِحَة منيرة، لا تزال تنشد في المجالس والمحافل، عدة رشفاتها (فصولها) ١٩ تسع عشرة رشفةً، مع الديباجة، ضمنها الإمام رحمه الله علوماً ومعارف، ومواجيد، ومعاني تشوق، وتعلق، وتذوق، وتحقق.

سبب نظمها:

نقل مؤلف «تاج الأعراس» عن «مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس»، بعد أن ساق قصة وصول المؤلف، الإمام عبد الرحمن بلفقيه إلى زبيد، ثم توجهه منها إلى الحج، قال: «..وطلب علماء مكة الإجازة من الحبيب عبد الرحمن فاعتذر بأنه ما جاء إلا للحج. ثم لما خرج إلى حضرموت، عاودوه بالطلب، فكتب لهم «الرشفات» وأرسلها لهم»، انتهى.

وجاء في بعض التعليقات الخطية، مما وجد ملحقاً بنسخ «الرشفات»، ما مثاله: «قال سيدنا الناظم، نفع الله به:

الحمد لله على إفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

أما بعد؛ فالباعثُ على هذا النظم البَديع المثال، ونسْجِه في هذا النظام على هذا المنوال، أنها وردَت عليَّ كتبٌ كثيرة من مكة المشرفة، من الإخوان في الله أهل الفضائل والمعالم، كلها تنحو إلى طلب الوصية في الطريقة، ومنهج التوسل بالتحقيق إلى الحقيقة، كان هذا النظم الجوابَ، وبه يتم المقصود في هذا الباب لأولي الألباب، بإذن الله الفتاح الوهاب»، انتهى.

الإمام الحداد يمتدح «الرشفات»:

ولما تليت على مسمعي شيخه الإمام عبد الله بن علوي الحداد، رحمه الله، قرظها بأبيات، قال فيها:

لله درُّكَ يــا وجيــهُ ودرِّهــا ... في سبكِ نظمٍ عنه صَوغك دُرّها
شــهدَتْ بفهــمٍ لامــعٍ وتضَلّعٍ ... وبـدتْ بعلمٍ جَامـعٍ في نـشرها
تُنبِـي بـسرٍّ سَريـرةٍ علَويــةٍ ... وبذوقِ معنًـى في حقائق سرّهَا
لازلتَ ترقى في عُلاكَ على اقتفَا ... سلَفٍ بهم عمَرُوا الطريق وأمرِها

* * *

شروحها:

نظراً لما اشتملت عليه من اصطلاحات في طريق القوم، ومن معاني للعارفين الذائقين الذين يحسنون في تلك البحار العوم، فقد انبرى لبيان معانيها، واستخراج جواهرها من ظاهرها وخافيها، أعلامٌ نبلاء، وعلماءُ أجلاء.

فمنهم: الناظم نفسه، حيث وجد له تعليق لطيف على مواضع منها، ضمنها مكاتبة منه لبعض تلاميذه من آل باوزير، ستأتي عقب هذه المقدمة.

ومنهم: الشيخ العلامة المحقق عفيف الدين عبد الله بن أحمد باسودان، المتوفى سنة (١٢٦٦هـ). واسم شرحه «**لوامع الأنوار بشرح رشفات الأبرار**»، يقع في مجلد لطيف، وقد طبع مؤخراً.

ومنهم: الشيخ العلامة العارف حسن بن عوض مُخدَّم، المتوفى سنة (١٣٢٨هـ)، واسم شرحه «**الكؤوس المشنَّفات** بشرح الرشفات، والطروس المطلسمات بشرح

النسمات»، ذكر السيد عبد الله بن حامد السقاف في «تاريخ الشعراء» أنه في مجلدين[1]، والواقع أن بعض نسخه تقع في أربعة أجزاء.

مكاتبةٌ من الإمام الناظم
لمريده الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باوزير
ضمّنها شرح أبياتٍ من الرشفات

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

من الفقير إلى الله، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن الفقيه محمد باعلوي.

إلى الجناب الأجل الأكرم الأفخم، المحب الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن باوزير، سلمه الله، وكان له وتولاه.

وأتحفه بجزيل السلام على الدوام

وبعد؛ فقد وصلَ كتابكم الكريم.

وذكرتم من جهة سيدنا الحبيب محمد بن طالب بن حمزة، فاعلم يا محب أن لنا منظومة طويلةً، تزيد على ثلاثمئة بيتٍ، تسمى «رشفات شرب أهل الكمال، ونسمات قرب أهل الوصال»، وفيها (فصل في ذكر شمائل النبي ﷺ)، كلام جامعٌ مناسب لمقصود الحبيب محمد، لو يكون به أو بتريم حيث هو شعر، ثم إنا نقلناه، وشرحنا المقصود منه، صدر إليكم، انقلوه بخطكم؛ لأن خطكم مناسب. وقد أعجبتنا خصَالكُم، نسأل الله أن يفتح لكم بما فتح به على عباده الصالحين، وإذا نقلتم ذلك

(١) ٤/ ١٦٢.

بخطكم فاحفظوا الذي بخطنا لكم، واعرضوه على سيدنا سالم بن عمر، وسلموا عليه، وعلى سيدنا الحبيب الشيخ أحمد.

والحال الذي شرحنا لكم؛ فقد فوضنا الأمر إلى الله، وتوكلنا عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

* * *

وهذه [الشروحات] المشار إليها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال سيدنا الشريف الإمام العارف بالله تعالى والدال عليه، العلامة المحقق، وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن الفقيه باعلوي، ومن خطه نقلت:

في شمائل النبي ﷺ

«الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وما أحسن وألطفَ قولي في «الرشفات»:

فَالأَنْبِيَـا بِالمَنْصِبِ المُنِيْفِ — جَـاؤُوا بِـكُلِّ مُرْشِـدٍ شَرِيْـفِ
خُصُّوا بِوَحْيِ الحَقِّ وَالتَّعْرِيْفِ — بِالوَهْبِ لا بِالكَسْبِ وَالأَعْمَالِ

* * *

تَنَزَّهُـوا عَـنْ سَـائِرِ العُيُـوْبِ — وَجَهْلِ عِلْمِ الدِّيْـنِ لا الغُيُوْبِ
وَعُصِمُـوا عَـنْ جُمْلَـةِ الذُّنُوْبِ — فِي القَصْدِ وَالأَقْـوَالِ وَالأَفْعَالِ

* * *

وَقَدْ أَتَى مِنهُمْ كِرَامُ الرُّسْلِ ... بِكُلِّ هَذِي فَاضِلٍ وَفَضْلِ
وَكُلِّ شَرْعٍ فَاصِلٍ وَفَصْلِ ... فَبَلَّغُوا مَا حُمِّلُوا مِنْ حَالِ

***

فَأَظْهَرُوا كُلَّ مُنِيرٍ شَارِقْ ... وَأُيِّدُوا بِبَاهِرِ الخَوَارِقِ
فَقَطَعُوْا كُلَّ مُعَادٍ مَارِقْ ... وَكُلَّ ذِي جَحْدٍ وَذِيْ إِشْكَالِ

***

فَفِي الوَرَى حَبْلُ الهُدَى مَوْصُوْلُ ... بِحَقِّهِمْ وَالحَقُّ لا يَزُوْلُ
كُلُّ رَسُوْلٍ بَعْدَهُ رَسُوْلُ ... فَحُجَّةُ الحَقِّ بِهِمْ تُلَالِي

***

كُلُّ رَسُوْلٍ قَامَ يَدْعُو أُمَّهْ ... إِمَّا لِوَصْلِ نِعْمَةٍ أَوْ رَحْمَةْ
أَوْ لِظُهُوْرِ حُجَّةٍ فِي نِقْمَةْ ... بِالفَضْلِ أَوْ بِالعَدْلِ بِاعْتِدَالِ

رَشْفَةٌ مِنْ ذِكْرِ أَعْظَمِهِمْ

وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ أَعْطَرِهِمْ

وَقَدْ أَتَانَا خَاتَمُ الرِّسَالَةْ ... بِكُلِّ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ حَالَةْ
فَعَمَّ كُلَّ الخَلْقِ بِالدَّلَالَةْ ... وَأَشْرَقَتْ مَنَاهِجُ الكَمَالِ

شرحه: أن خاتم النبيين وسيد المرسلين جاءنا بجميع ما جاء به كلُّ المرسلين من الإرشاد والنبيين وبأسرار جميع النبيين فأشرقت ببعثه جميع مناهج الإرشاد والكمال وطرق الدين وعم بدلالته الخلق أجمعين.

***

فَكُلُّـهُ فَضْلاً أَتَـى وَرَحْمَهْ وَكُلُّهُ حُكمٌ هُدًى وَحِكْمَهْ
وَهْوَ إِمَـامُ كُلِّ ذِي مُهِمَّهْ وَقُدْوَةٌ فِي سَـائِرِ الخِصَالِ

شرحه: أنه ﷺ بعثَ كلهُ فضلاً للناس، يدلهم على الله، ويهديهم إليه في سائر أحواله. وأنه بعث كله رحمةً، ينقل الناس في سائر أحواله من الجهل والضلال والعذاب. وكله وحي يوحَى، وهدًى للناس في كل حكمٍ، وكل حكمةٍ، وكل من أراد الحقَّ في أي طريق من طرُقه، لا إمام له غيره، وهو قدوةٌ للناس في جميع طرق الخير، وسائر خصال الهدى.

* * *

فَهْـوَ بِحَـقِّ الشُّـكْرِ مَـا أَوْلاهُ إِذْ قَـامَ حَتَّـى وَرِمَـتْ رِجْـلاهُ
وَوَاصَـلَ الصَّـوْمَ وَقَـدْ أَوْلاهُ مُوْلاه أَوْلَى الفَضْـلِ وَالإِفْضَالِ

شرحه: أنه ﷺ أفضلُ من شكرَ ربه، وهو قدوة الشاكرين، وما أولاه أن نُسِب إليه أنه شكر حَقّ الشكر؛ لأنه قام بالليل حتى تورَّمت رجلاه من طول القيام. فقيل له في ذلك؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً». ويواصل أياماً كثيرةً، ولا يفطر بالليل. ونهى الناس عن الوصالِ، وارتكب هذه الأعمال الشاقةَ وقد غفر الله له ذنوبه كلها، وأعطاه أفضل الآمال.

* * *

وَفِي السَّـخَا كَأَنَّـهُ البَحْـرُ زَخَـرْ يُعْطِـي مَئِينـاً وَأُلُوْفاً مَنْ حَـضَرْ
وَمَـا اصْطَفَى لِنَفْسِـهِ وَمَا ادَّخَرْ إِلَّا يَـسِيْراً وَهْـوَ ذُو العِيَـالِ

شرحه: أنه ﷺ كما أنه قدوةُ أهل الشكر، ولا بلغ أحدٌ في الشكر مبلغَه؛ كذلك هو قدوةُ أهل الجود والسخاء، فلا بلغوا مبلغه، لا حاتم طيِّئ، ولا الخلفاء ولا

الملوكُ، فهو كالبحر الزاخر، يعطي المئينَ من الإبل، والألوف من الإبل والنعم، التي هي أفضل الأموال، ولا يخص بها مقصوداً، بل يعطي من حضَر، على ما اتفقَ، كما أعطَى صفْوان ما بين جبلينِ من النعم، فإن ذلك أكثر مما يعطونَه الملوكُ، من ألوف الألوف، وما اصطفى لنفسه ولا ادخرَ إلا اليسيرَ، مع كثرة عياله؛ لأنه له تسع نسوةٍ، وأتباعٌ كثيرون، وأضياف دائمون.

وقد كان يعطي كلّ واحدة من أزواجه نحو ألفين قَهاول طعام، وألفٌ ونصفٌ قهاول[1] تمر لقوت السنة من خيبر، فما يمضي من السنة شهران أو ثلاثةٌ إلا وقد أنفقوه كله، فإنه توفي في ربيع أول ثالث شهر من السنة، وما في بيت عائشة إلا شطرُ شعيرٍ، ودرعه مرهونٌ عند يهودي، في سُبع قَهاول وصاعٍ!.

***

وَلَيْسَ حُبُّ الطِّيبِ وَالنِّكَاحِ إلا لِجَمْعِ القَلْبِ وَالأَرْوَاحِ
وَنُسْوةٌ عَوْناً عَلَى الصَّلاحِ يَرْوِيْنَ عَنْهُ أَكْرَمَ الأَحْوَالِ

[شرحه]: ربما يظن أن محبة الطيبِ والنساء الموصوفَ بها النبي ﷺ من محبة الدنيا المذمومة، والشهوة الظلمانية فإن من له ذوقٌ يعرف أنها محبةٌ روحانية، تجتمع بها الهمة والأرواح، وتنعش بها الحواس في الأفراح، وخصوصاً نسوته ﷺ، فإنهن أعوانٌ له على الطاعاتِ، ويروين للناس عنه من أحواله الباطنة أكرمَ الحالات.

***

وَأُسْوةُ المَكْرُوْبِ في اصْطِبَارِ في كُلِّ مَا قَاسَى مِنَ الكُفَّارِ
حَتَّى رُمِيْ بِالفَرْثِ وَالأَحْجَارِ وَمَا دَعَا إلاَّ عَلَى رِجَالِ

---

(١) القهاول: هو ١٢ صاعاً، وهو من المقادير المحلية في حضرموت.

شرحه : كما أنه ﷺ قدوةٌ في الشكرِ، هو قدوة في الاصطبار والصبر على الكرب، وكم قاسى من الكفار، ومن الأذى والشتم والتكذيب والظلم، ثلاث عشرةَ سنةً، صابراً محتسباً، حتى رموه بالفرث والأحجار من قريشٍ وثقيف وغيرهم، وهو يدعو لهم بالهداية، ولم يدع عليهم إلا نادراً، كدعائه على المستهزئين، ونحوهم من النادر.

* * *

وَسَلْوةٌ لِمُعْسِرٍ مِسْكِيْنِ ... إِذْ صَحَّ لَمْ يَشْبَعْ وَلا يَوْمِيْنِ

وَقَدْ أَبَى جِبَالَهَا مِنْ عَيْنِ ... زُهْداً وَمِنْ جُوْعٍ طَوَى لَيَالِيْ

شرحه: كما أنه ﷺ قدوةٌ للشاكرين، فهو قدوة... وللمعسرين المساكين، فإنه صح أنه لم يشبع يومينِ متواليين، وطوى من الجوع ليالي، يعصبُ على بطنه حجراً ليقيم صلبه، وليس ذلك لقلة الشيء، بل للزهد في الدنيا، وقد خيره الله أن تسير معه جبالُ مكة ذهباً، فأباها، توكلاً على الله.

* * *

وَلَمْ يَزَل في الحَقِّ في اجْتِهَادِ ... وَبَعْدَ فَرْضِ الغَزْوِ وَالجِهَادِ

مَا قَرَّ في ظِلٍّ وَلا بِلَادِ ... إِلاَّ عَلَى الكُفَّارِ فِيْ قِتَالِ

شرحه: كما أنه ﷺ قدوةٌ في الشكر والصبر، كذلك في المصابرة الدائمة، فإنه كما هو مشهورٌ في سيرته، بعد ما هاجر إلى المدينة، لم يزل يتابع الغزوَ والجهاد، مع ما هو عليه من كثرة الطاعات والعبادات في الجهاد، وتعليم العباد طرقَ الرشاد، فلم يستقر متمثلاً في بلاد، ولا منعه الحر والبردُ ولا أقام في الظلّ وركَنَ وترك الجهاد، بل يغزو في شدة البرد وشدة الحر كما في تبوك، وفي رمضان وهو صائم كما في فتح مكة.

* * *

وَمَا مَضَى حَتَّى أَقَامَ الدِّينَا وَصَارَ سَهْلاً وَاضِحاً مُبِينَا
فَلَمْ تَخَفْ أُمَّتُهُ فُتُونَا بَلْ عُصِمُوا فِي الجَمْعِ عَنْ ضَلالِ

شرحه: أنه ﷺ مع ما هو فيه من الشكر والصبر، والمجاهدة والمكابدة، وعدم الاستقرار في البلاد، بل في الأسفار والجهاد، مع هذه الأحوال والأهوال؛ أوضحَ جميع أحكام الدين، وبين الناس ما نزل إليهم من الكتاب المبين، وأرشد جميع المسلمين، وصبر على الطغام والغشام والمفسدين، وأوضح العلوم وكل مهم للمؤمنين، حتى [أتاه اليقين]».

انتهى الموجود من شرح الناظم
نفع الله به

* * *

النسخ الخطية التي تم اعتمادها في التصحيح:

النسخة الأولى (أ): نسخة خاصة، تقع في ١٩ ورقة، فرغ منها ناسخها عصر الثلوث ٨ شهر صفر الخير سنة (١٢٧٩هـ)، وهي نسخة مضبوطة مصححة. عليها تملك باسم السيد أحمد بن علوي السري باعلوي.

النسخة الثانية (ب): من مخطوطات مكتبة الأحقاف بتريم، تقع تحت الرقم ١٧٦٠ تصوف، بقلم أحمد بن عبد الله بن علوي بن عمر الصليبية العيدروس، فرغ من نسخها ضحى يوم الخميس ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٢١هـ، وتقع في ٢٢ ورقة.

وهناك نسخ أخرى، وهذه لما تيسرت تمت المقابلة عليها.

طبعات الرشفات:

أول طبعة صدرت لها، في القاهرة، سنة ١٣٢٨هـ أشرف على تصحيحها

السيد العلامة شيخ بن محمد الحبشي، ضمن مجموع ضم أربعة كتب، منها كتاب «الدوائر» للناظم نفسه. كما صدرت لها طبعة أخرى متأخرة، صورت عن خط اليد، وقدم لها السيد العلامة أحمد بن زين بن حسن بلفقيه، رحمه الله.

❋ ❋ ❋

تنبيهٌ
لكل قارئٍ نَبيه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

«الحمد لله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه وحزبه.

وبعد؛ فإن الشِّعرَ من حيثُ وزنُه وتحقيقه، ومراعاةُ خفيِّ زحافه ودقيقِه، ملاحَظٌ فيه مناسبةُ الأصواتِ والأغاني، وما يؤولُ إلى الموسيقَى في تلك المباني، وقد لا يعوّل على ذلك من أرادَ حصر الألفاظ وضبْطَ المعاني، إذ المقصودُ تحصيل المقتضى البياني، وتسهيلُ الملفوظ اللسَاني؛ **فلذلك**؛ لم يراعِ أكثرُ أهل المنظومات في أنواعِ العلوم الكثيرة، خصوصاً أهل الأراجيز في الفنون الشهيرة، هذا التدقيقَ في الأوزان، والموازَنة في منظوماتهم؛ لأن قصدهم التحقيق في مجموعاتهم، وتبليغ معلوماتهم.

وبالله التوفيق، والهداية إلى سواء الطريق»(١).

❋ ❋ ❋

---

(١) [illegible]

ـه على الفضل والاحسان × ومبلغ الحسرات والمكافي

كتاب الرشفات نظم سيدنا الامام

فريد عصره الحبيب عبد الرحمن بن

الحبيب عبد الله بلفقيه

باعلوي نفعنا الله به برحمته

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

محمد امين الدين عمر بن محمد
احمد بن علي
عفى الله عنه

وقال ـــــ ايضا نفع الله به الحمد لله وصلى الله وسلم على
سيدنا محمد وآله وصحبه واتباعه وحزبه وبعد فان الشعر
ما حيث وزنه وتقفيته وبرعاة معنى رجائه وبديعه
ملاحظا فيه مناسبة الاصوات والالعاني وما يئول الى
الموسيقات في تلك المباني وقد لا يتواطى ذلك من اراد
حصر الالفاظ وضبط المعاني اذ المقصود تحصيل المقتضى
وتحصيل الملفوظ للمعاني فلذلك لم يراع اكثر اهل
المنظومات في انواع العلوم الكثيرة خصوصا اهل
الاراجيز في الفنون الشهيرة هذا التدقيق في الاوزان
والموازنة في منظوماتهم لان قصدهم التحقيق في مجموعاتهم
وتبليغ معلوماتهم وبالله التوفيق والهداية الى سواء
الطريق وكان الفراغ من زبرة عصر يوم الثلوث
شهر صفر الخير المبارك نفع به وبجميعه وما ينسب الى الفقير
غفر الله لناظمها وكاتبها وقاريها ووالديهم
ومشايخهم واخوانهم وجميع
المسلمين.

كتاب نفحات شرب اهل الكمال وفحما
قرب اهل الوصال نظم السيد الشريف
الفاضل العلامه الامام
الحبيب عبد الرحمن بن
العلامه عبد الله
بن احمد بن عبد
الله بن احمد بلفقيه رضي الله عنهم ونفع بهم امين

الابيات لسيدنا الامام الداعي الى الله الحبيب
الله بن علوي بن محمد الحداد باعلوي قالهما
لما قريت عليه المنظومه واطنب فيها ناظمها فقال

...دري يا وجيه ودرها	فيسبك نظم عنه صوعك درها
...دت بفهم لامع ونصائح	وبدت بعلم جامع في شرحها
...سريرة علوية	وبذوق معنى في حقائق ...
...ت ترقا في علات على اهتدا	سلوبهم عروا العرى بقامها

...لى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين
امين

اهل الارجان في الفنون الشهيرة هذا التدقيق في الاوزان
والموازنة في منظوماتهم لان قصدهم التحقيق في مجمو
عاتهم وتبليغ معلوماتهم وبالله التوفيق والهداية
الى سواء الطريق والحمد لله رب العالمين
تمت النساخة ضحى يوم الخميس
في شهر جماد اول اربع العشرة
على يد الفقير حقير
الى الله القدوس
احمد بن عبد الله
بن بلو
ابن عمر
لطلبة العبد محمد حسن ساعمة الله امين
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

الديباجَةُ

إِخْوَانَنَـا بِـالـمسْـجِدِ الحَرَامِ　　مِنَّـا إِلَيْكُـمْ أَكْمـلُ السَّـلامِ
وَحَـمْـدُ رَبٍّ عَـمَّ بِالْإِنْعَـامِ　　وَمَـنَّ بِالتَّفْضِيـلِ وَالإِفْضَـالِ

***

وَحَـقُّ وِدٍّ ثَـابِتٍ قَوِيـمِ　　بِوِفْـقِ عَهْـدٍ بالصَفَـاء قَدِيـمِ
قَـدْ تَـمَّ بَـيْنَ الرُّكْـنِ وَالْحَطِيـمِ　　علَـى الوفَـا في الْحَـالِ وَالْـمَـآلِ

***

فَلَـمْ نَـزَلْ عَنكُـمْ بِـهِ نُسَـائِلْ　　نَـشْرَ الصَّبَـا ونَسْـمَةَ الشَّمَائِلْ
وَمَـا أَتَتْنَـا مِنكُـمُ الرَّسَـائِلْ　　إِلَّا وأَحْيَـتْ سِرَّ بَـالٍ بَـالِ

***

وَذَكَّـرَتْ جَمْعـاً خَـلا في جَمْـعِ　　وَحَالَ قُرْبٍ مِـنْ عُرَيْبِ الْجَزْعِ
وَحُلْـوَ عَيْـشٍ بَيْنَهُـمْ في سَـلْعِ　　بِهِـمْ صَفَـا في صَفْـوَةِ اللَّيَـالي

***

وَهَـاجَ شَـوْقٌ في الفُـؤادِ نَـامِ　　لِـجِيْرَةِ الرُّكْـنَيْنِ وَالمَقَـامِ
وَفِتْيَـةِ الْبَطْحَـاءِ وَالْخِيَـامِ　　أُهَيْلِ سَـفْحِ الْمُنْحَنَـى وَالضَّالِ

***

أَكْـرِمْ بِهِـمْ فِي أَكْـرَمِ الأَوْصَافِ وَأَلْطَـفِ الأَخْـلَاقِ وَالأَكْنَافِ
قَـدْ شَرَّفُـوا مَنَاقِـبَ الأَشْرَافِ وَقَدْ حَلَـوْا فِي أَكْمَـلِ الأَحْوَالِ

* * *

هُـمْ نَزَلُـوا سِرَّ سُـوَيْدَا قَلْبِـي وَغَرَسُـوا حُـبَّ الهَـوَى فِي لُبِّي
فَمَلَكُـوا خَالِصَـهُ مِـنْ حُبِّـي وَأَنْعَمُـوا بِأَعْظَـمِ الآمَـالِ

* * *

فَـمَا أُحَيْلَى مَا مَضَـى مِنْ عُمْرِي وَمَا انْقَضَى فِي حُبِّهِمْ مِنْ دَهْرِي
فِي قُرْبِهِـم مَـا فِيـهِ أَمْـرٍ مُـرِّ بَـلْ كُلُّ حَـالٍ بِالحُبُـورِ حَـالِي

* * *

وَحَبَّـذَا وَصْفٌ صَفَـا فِي فَصْلِ فِيْ رَشَـفَاتِ شُرْبِهِـمْ فِي الْفَضْلِ
وَنَسَـمَاتِ قُرْبِهِـمْ وَالوَصْـلِ عَنْهُـمْ بِـمَا أَرْوِيـهِ مِـنْ أَقْـوَالِ

* * *

فَلْيَسْـتَمِعْ مَـنْ كَانَ ذَا أَشْـوَاقِ إِلَى صِفَـاتِ الْقَـوْمِ وَالأَخْـلَاقِ
وَلْيَتَّبِـعْ فَالحَـقُّ سَـاقٍ بَـاقِ قَـدْ عَـمَّ كُلَّ الخَلْـقِ بِالنَّـوَالِ

* * *

(١)

رَشْفَةٌ فِي ذِكْرِ شَرَابِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ أَطْيَابِهِمْ

يَالَيْلَةً مِنْهُمْ عَلَى الْكَثِيبِ   طَابَتْ بِلا وَاشٍ وَلا رَقِيبِ
نَالُوا المُنَى فِي حَضْرَةِ الحَبِيبِ   مِنْ نَظْرَةِ التَّقْرِيبِ وَالإِيصَالِ

***

وَدِيرَ مِنْ خَمْرِ الهُدَى كُؤوسُ   تُشفَى بِهَا مِنَ الرَّدَى النُّفُوسُ
وَيَنْجَلِي عَنْهَا الصَّدَى وَالبُوسُ   مِزاجُهَا مِنْ سَلْسَبِيلٍ حَالِ

***

شِفاً لِكُلِّ عِلَّةٍ وَإِثْمِ   مِنْ كَرَمِ الكَرِيْمِ لا مِنْ كَرْمِ
بَلْ مِنْ هُدًى وَحِكْمَةٍ وَعِلْمِ   تُزِيلُ كُلَّ الشَّكِّ وَالإِشْكَالِ

***

بِهَا حَيَاةُ الرُّوحِ والجَنَانِ   بِهَا تُذاقُ صَفوةُ الإِيْمَانِ
فَيُعرَفُ المنْقُولُ كَالعِيَانِ   وَيُشْهَدُ التَّفْصِيلُ فِي الإِجْمَالِ

***

تَفْتَحُ عَيْنَ القَلْبِ بِالْيَقِينِ   وَتَشْرَحُ الصَّدْرَ بِمَعْنَى الدِّيْنِ
فَيَسْتَقِرُّ العَبْدُ فِي التَّمْكِيْنِ   وَلا يَزَالُ الجِدُّ فِي إِقْبَالِ

***

يَخْلُصُ مِنْهَا الجَوْهَرُ الإِنْسَانِي مِنْ ظُلُمَاتِ الطَّبْعِ وَالأَكْوَانِ
وَشَرِّ كَيْدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَظُلْمَةِ الأَوْهَامِ وَالْخَيَالِ

* * *

يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ عَنَا وبُوْنِ وَغَيْمِ كُلِّ حَادِثٍ وَدُونِ
إِلى عُلُومِ عَالِمٍ مَصُونِ عَنْ خُلْفِ تَحْقِيقٍ أَوِ اخْتِلالِ

* * *

يَذُوقُ فِيهَا لَذَّةَ الْفُتُوَّةْ مِنْ ثَمْرِ غَرْسِ الْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةْ
يَصِيرُ مِرْآةَ هُدَى مَجْلُوَّةْ بِهَا يَرَى مَا جَلَّ عَنْ مَقَالِ

* * *

فَبِامْتِزَاجِ سِرِّهَا فِي القَلْبِ وَرَقْمِ مَعْنَاهَا بِعَيْنِ اللُّبِّ
يَكْرَعُ مِنْ شُرْبِ حُمَيَّا الْقُرْبِ وَيَرْتَوِي مِنْ مَنْهَلِ الكَمَالِ

* * *

إِنْ ظَهَرَتْ بِحَقِّهَا آيَاتُهْ انْصَبَغَتْ بِمُقْتَضَاهَا ذَاتُهْ
وَاتَّصَفَتْ بِوِفْقِهَا صِفَاتُهْ فِي القَصْدِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

* * *

فَالعَبْدُ بِالقَلْبِ مَدَارُ أَمْرِهْ فَحَيْثُ صَارَ سِرُّهَا فِي سِرِّهْ
سَارَ الهُدَى فِي حُلْوِهِ وَمُرِّهْ فِي الذَّاتِ وَالأَوْصَافِ وَالأَفْعَالِ

* * *

وَالقَلْبُ إِنْ لَمْ يَصْفُ بِالتَّهْذِيبِ وَيَرْتَوِي مِن مَائِهَا العُذَيْبِ

خِيفَ عليْهِ القَلْبُ في التَّقْلِيبِ   في قبضٍ أوْ بَسْطٍ إلى إضْلالِ

* * *

وَمنْ يكُنْ بِكُلِّ عِلْمٍ عَالِمْ   وَلَمْ يَذُقْهَا فَهْوَ سَاهٍ نَائِمْ
فَخَفْ عَلَيْهِ مَا يَخَافُ الهائِمْ   عِنْدَ كِفَاحِ المَوْتِ والأَهْوَالِ

* * *

وَنَيْلُها مِنْ مَنْح فَيْضٍ وَهْبِي   أَو فَتْحِ فَضْلٍ بَعْد جِدٍّ كَسْبِيْ
لا مِنْ رِوايَاتِ الْوَرَى وَالكُتْبِ   وَلا بِقِيلِ عِلْمِهَا أوْ قَالِ

* * *

طُوْبَى لِمَنْ طَابَ لَهَا اسْتِعْدَادُهْ   وَانْحَلَّ مِنْ رِقِّ السِّوى فُؤَادُهْ[1]
فَحَلَّ فِي عَيْنِ الحِجَا رَشَادُهْ   فَذَاقَ مِنْهَا بَلّةً بِبَالِ

* * *

فَبَلَّةٌ مِنْ كَأْسِهَا المَخْتُوْمِ   تَمْلأُ رِيَاضَ القَلْبِ بِالْعُلُومِ
وَتَحْفَظُ الْفَهْمَ عَنِ الْوُهُوْمِ   وَتُطْلِقُ العَقْلَ عَنِ العِقَالِ

* * *

(٢)

رَشْفَةٌ مِنْ حَالِي أَحْوَالِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ وِصَالِهِمْ

أَكْرِمْ بِأَقْوَامٍ لَهَا اسْتَجَابُوا وَطَابَ مَعْنَاهَا لَهُمْ إِذْ طَابُوا
ذَاقُوا حُمَيَّا كَأْسِهَا فَغَابُوا عَنِ الْوَرَى فِيْ حَضْرَةِ الْوِصَالِ

***

خَلَّوا لَهَا كُلَّ هَوىً وَخَلَّهْ وَأَخْلَصُوا كَلَّ وَلَا وخِلَّهْ
وَاتَّخَذُوا وَجْهَ الْحَبِيبِ قِبلَهْ وَأَقْبَلُوا بِأَصْدَقِ الإِقْبَالِ

***

فَرُّوا عَلَى تَجْرِيدِ مَعْنَى الصِّدْقِ وَأَفْرَدُوا القَصْدَ لِوَجْهِ الْحَقِّ
فَوَصَلُوا عِنْدَ انقِطَاعِ الْخَلْقِ وَاتَّصَلُوا بِأَفْضَلِ الإِفْضَالِ

***

وَسَافَرُوا بِأَقْوَمِ اسْتِقَامهْ طَوَوْا مَقَامَاتٍ بِلا إِقَامَهْ
إلى بِقَاعِ الْفَيْضِ والْكَرَامَهْ وَمُسْتَوى التَّنْزِيلِ والإِنْزَالِ

***

وَنَزَّهُوا عَمَّا سِوَى الْمَحْبُوبِ نَوَاظِرَ الأَلْبَابِ وَالْقُلُوْبِ
فَامْتَلأَتْ مِنْ بَاهِرِ الغُيُوْبِ وَأَشْرَقَتْ مِنْ بَهْجَةِ الجَمَالِ

***

صَفَوا عَنِ الأَكْدَارِ في الأَذْوَاقِ وَاتَّصَفُواْ بِأَكْرمِ الأَخْلَاقِ
ثُمَّ اصْطَفَوا لِلوَصْلِ وَالتَّلَاقِي في حَضْرَةِ التَّقْدِيسِ وَالإِجْلَالِ

***

لَمَا خَلَواْ عَنْ كُلِّ لبْسٍ(١) نَفْسِي ثُم تَحَلَّوْا كُلَّ مَعنىً قُدْسِي
حَلُّوا بِرَوضَاتِ الرِّضَا وَالْأُنْسِ عَنْدَ مَلِيْكٍ فِيْ مَقَامٍ عَالِ

***

بَانَتْ لَهُمْ مِنْ نُوْرِهِ الأَنْوَارُ وَانْفَتَحَتْ مِنْ سِرِّهِ الأَسْرَارُ
وَاتَّضَحَتْ سُبلُ الهُدَى فَسَارُواْ فيْهِ بِهِ فَوْقَ ذُرَى المَعَالِيْ

***

أَحَبَّهُمْ فَاخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهْ ثُمَّ كَسَاهُمْ مِنْ مَعَانِي قُدْسِهْ
وَعَمَّهُمْ بِجُودِهِ وَأُنْسِهْ فَهُمْ لَهُ وَهْوَ لَهُمْ مُوَالِيْ

***

فَهُمْ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى ضَنَائِنْ خَزائِنُ الأَسْرَارِ والأَمَائِنْ
قَدْ صَانَهُم عَنْ عَيْنِ كُلِّ خَائِنْ وَقَدْ عَلَواْ عَنْ مَطْمَحِ الأَنْذَالِ

* * *

(٣)

رَشْفَةٌ مِنْ عَيْنِ جُودِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ تَعْيِينِ وُجُودِهِمْ

يَقُـوْلُ قَوْمٌ عَـنْ هُدَاهُـمْ ضَلُّواْ   قَـدْ عُدِمُـواْ فِي عَصْـرِنَا أو قَلُّوا
فَقُـلْ لَهُـمْ كَلَّا وَلَكِـنْ جَلُّـوا   عَـنْ أَنْ تَرَاهُـمْ أَعْـيُنُ الجُهَّـالِ

***

فَكَيْـفَ يَخْلُـو عَـالَمُ الشَّـهَادَهْ   عَنْهُـمْ وَهُـمْ فيْـهِ الهُـدَاةُ الْقَادَهْ
قَـدْ حَـفِـظَ اللهُ بِهِـمْ عِبَـادَهْ   وَصَـانَهُـمْ فِي سِـائِرِ الْأَحْـوَالِ

***

فَهُـمْ لِفَيْـضِ فَضْلِـهِ شعُوبُ   تَحْيَـا بِهِـمْ بِنُـوْرِهِ الْقُلُـوبُ
وَتُـغْـفَـرُ الـزَّلاتُ وَالذُّنُـوبُ   وَتُدْفَـعُ الآفَـاتُ فِي الأَهْـوَالِ

***

فَوَصْفُهُـمْ فَضْـلٌ بِـلا فُضُـولِ   وَعَـرْفُـهُـمْ نَفْـعٌ بِـكُلِّ نَـوْلِ
وَاسْـتَـتَرُواْ بِجُنَّـةِ الـخُمُـوْلِ   عِنْـدَ ظُهُـورِ الْغَـيِّ وَالضَّـلالَ

***

فَـلا يَـزَالُ الدَّهـرَ مِنْهُـمْ قَـوْمُ   بِـسِرِّهِـمْ أَمْـرُ الـوَرَى يَقُـوْمُ
وَرَحْـمَـةُ اللهِ بِـهِـمْ تَـدُوْمُ   بِـكُلِّ غَـيْـثٍ وَابِـلٍ هَطَّـالِ

***

بِعَرْفِهِـمْ يَعْـرِفُ عِطْـرَ القُـرْبِ　　　كُلُّ مُحِـبٍّ فِي هَوَاهُـمْ صَـبٍّ
بِسَـمْتِ حَقٍّ مِنْ سِمَاتِ الْقُرْبِ　　　وَذَوقِ مَعْنًـى جَـلَّ عـنْ جِدَالِ

***

إِذا رُؤُوا يُشْـهَرُ ذِكْـرُ الله　　　فَهْـوَ لَهُـمْ سِـيْمَا عَـلَى الْجِبَـاهِ
يُعْـرَفُ مَعْنَاهُـمْ بِـلَا اشْـتِبَاهِ　　　مِنْ حَيْثُ مَـا يُعْرَفُ ذُو الجَلالِ

***

لَهُمْ مِـنَ التَّقْـوَى أَجَـلُّ زِينَـهْ　　　عِنْـدَ لِقَاهُـم تَنْـزِلُ السَّـكِيْنَهْ
وَتَـحْصُــلُ الْجَمْعِيَّـةُ المُبِينَـهْ　　　فَتَجْـذِبُ الأَلْبَـابُ بِانْفِعَـالِ

***

حَـالُ ذَوِي الدَّعْوَى لَهُم تُفَارِقْ　　　بِنُـوْرِ فُـرْقَـانٍ يَـرَاهُ الذَّائِقْ
لا بِـارْتِفَـاعِ الجَـاهِ وَالْخَـوارِقْ　　　وَلا بِحُسْـنِ الْوَعْـظِ وَالْأَقْوَالِ

***

فَإِنَّـهُـم كُـلُّ مُنِيْـبٍ خَاشِـعْ　　　وَكُلُّ ذِي قَـلْـبٍ مُنِيْرٍ لَامِـعْ
لَا مَنْ يُشِـيْرُ النَّـاسُ بِالأَصَابِعْ　　　وَهْوَ عَـنِ السِّـرِّ المَصُـوْنِ خَالِ

***

فَكَمْ خَفِي فِي الْخَلْقِ مِنْ مِسْكِينِ　　　قَـدِ امْتَـلا مِـنْ صَفْـوَةِ الْيَقِـيْنِ
وَهَـانَ بَـيْنَ النَّـاسِ ذُو طِمْرَيْنِ　　　وَهْـوَ لَـدَى الْحَقِّ عَظِيـمٌ عَالِ

***

وَكَـمْ أَضَاعَ النَّاسُ مِـنْ مَجْهُولِ　　　وَفَـاتَ حَتَّـى مَـاتَ فِي الْخُمُولِ

وَهُوَ غِيَاثُ كُلِّ ذِي مَأمُولِ   في أفضَلِ الخِصَالِ والأحْوَالِ

***

وَكَم بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْ إمْدَادِ   قَدْ نَالَهُ مَنْ كَانَ ذَا اعْتِقَادِ
في خَامِلٍ إمَامِ حَقٍّ هَادِ   يَرَوْنَهُ النَّاسُ مِنَ الجُهَّالِ

***

فَإنَّ فَيْضَ فَضلِهِ في النَّاسِ   جَلَّ عَنِ التَّقيِيدِ والْقِيَاسِ
طُرُقُهُ بِعَدَدِ الأنْفَاسِ   وَجُودُهُ جَارٍ بِكُلِّ حَالِ

***

فَلَيْسَ يَخْتَصُّ بِذِي أنْسَابِ   وَلا بِأهْلِ الجِدِّ وَالأسْبَابِ
بَلْ فَيْضُ فَضْلِ مُنْعِمٍ وَهَّابِ   فيهِ النِّسَا يَقْسِمْنَ كَالرِّجَالِ

***

فَوَيْحَ غَمْرٍ شَامِتٍ بالحَقِّ   يقولُ قَدْ مَاتَ رِجَالُ الصِّدْقِ
وَمَا بَقِي مِنْ بَعْدِهِمْ في الخَلْقِ   إلا رُسُومِ الحَالِ مِنْ مُحَالِ

***

فَلَمْ تَزَلْ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمنِ   وَنَفَحَاتِ الجُوْدِ وَالإحْسَانِ
سَوَابغٌ أغلَتْ ذَوِي نُقْصَانِ   وَبلَّغتْ آمَالَ ذِي آمَالِ

***

كَمْ قرَّبَتْ مِنْ مُعْرِضٍ وَقَاصِي   وَأنقَذَتْ مِنْ زَائِغٍ وَعَاصِي
فَصَارَ بَعْدَ البُعْدِ ذَا اخْتِصَاصِ   وَفَازَ بالقُربِ بِلا إعْجَالِ

***

وَكَمْ دَنَتْ مِنْ دَيِّنٍ ذي جِدٍّ   وَنالَهَا بِالصِّدْقِ والتَّصَدِّي
وَخَابَ مَنْ في غَفْلَةٍ وَبُعْدِ   لمَّا تَمَنَّاهَا بِلا إقْبَالِ

* * *

(٤)

رَشْفَةٌ مِنْ رَشْحِ عُنْصُرِهِمْ الزَّكِي
وَنَسْمَةٌ مِنْ رِيحِ عَنْبَرِهِم الذَّكِي

وَلَمْ يَزَلْ لِلْحَقِّ سِرٌّ سَارِ　　بِالجُودِ وِالأَلْطَافِ وَالأَسْرَارِ
مِنْ عَالَمِ التَّقْدِيْسِ وَالأَنْوَارِ　　فِي عَالَمِ الأَجْسَامِ وَالأَشْكَالِ

***

وَذَاكَ بِالفَضْلِ وَبِالإِحْسَانِ　　سِرُّ وُجُودِ الْجَوْهَرِ الإِنْسَانِيْ
وَأَنَّهُ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ　　فِي الأَرْضِ لِلتَّنْزِيْلِ وَالإِنْزَالِ

***

فَقَدْ كَسَاهُ عِلْمَهُ وَنُورَهْ　　وَخَصَّهُ مِنْهُ بِأَوْلَى صُوْرَهْ
فَصَارَ خَتْماً فِيْهِ جَمْعُ الدَّوْرَهْ　　وَفِيهِ كُلُّ الأَمْرِ بِالإِجْمَالِ

***

وَقَدْ حَوَى فِيْ حَجْمِهِ الصَّغِيْرِ　　كُلَّ مَعَانِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ
وَصَارَ فِي المَعْنَى وَفِي التَّصْوِيرِ　　كَنُسْخَةٍ فِي الْوَضْعِ والمِثَالِ

***

فَخُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالتَّكْرِيْمِ　　وَخَلْقِهِ فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ
وَنُورِ عَقْلِ حَاكِمٍ حَكِيْمِ　　أَطَاعَ فِي الإِدْبَارِ كَالإِقْبَالِ

***

فَحَمَلَ التَّكْلِيفَ وَالأمَانَهْ وَقَدْ أَبَاهَا غَيْرُهُ اسْتِكَانَهْ
فأَعْلَى بِهَا فَوْقَ الوَرَى مَكَانَهْ إذ كَانَ أَهْلاً لِلْخِطَابِ العَالِي

* * *

وَإنْ يَكُنْ فِي الجِسْمِ كَالبَهِيمَهْ فَإِنَّ فِيهِ دُرَّةٌ يَتِيمَهْ
لَطِيفَةٌ عُلْوِيَّةٌ عَظِيمَهْ مِنْ عَالَمِ الأمْرِ من الجَلالِ(١)

* * *

سِرٌّ شَرِيفٌ بَاهِرٌ رَبَّانِي وَجَوْهَرٌ مُقَدَّسٌ نُورَانِي
مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ ذَوِي الْعِرْفَانِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا مِثَالِ

* * *

فَهْيَ مَحَلُّ الفَضْلِ فِي الإِنْسَانِ وَمَنْبَعُ الأَسْرَارِ والمَعَانِي
وَمَطْلَعُ الأَنْوَارِ وَالبَيَانِ ومَنْزِلُ التَّنْزِيلِ والإِنْزَالِ

* * *

كَانَتْ هُدَى فِي عَالَمِ الأَرْوَاحِ فَابْتُلِيَتْ فِي قَالَبِ الأَشْبَاحِ
بِحَالَيِ الإِفْسَادِ وَالإِصْلاحِ وجُنْدِي الإِرْشَادِ وَالإِضْلالِ

* * *

وَصَارَ بَعْدَ النَّفْخِ وَالتَّرْكِيبِ وَحَالُهَا فِي كَثْرَةِ التَّقْلِيبِ
كَرِيشَةٍ فِي الرِّيحِ فِي كَثِيبِ تَضْرِبُهَا خَوَاطِرُ الآمَالِ

* * *

(١) كذا في النسختين، وفي بعض المطبوعات: من عالم الآمر ذي الجلال.

وَعَـادَ بَعْـدَ المَـزْجِ للمَـزَّاجِ ... والخَلْـطِ لِلأَخْلاطِ والأَمْشَـاجِ
إِمَّـا لِنَقْـصٍ شَـان في اعْوِجَـاجِ ... أَوْ فـي نِظَـامٍ زَانَ فـيْ كَمَـالِ

* * *

لِتَظْهَـرَ الأَحْـكَامُ مِـنْ حَكِيْـمِ ... في الشُّكْرِ أَو في الكُفْرِ في النَّعِيْمِ
وَالخُلْـدِ في الجِنَـانِ وَالجَحِيْـمِ ... بِالفَضْـلِ أَوْ بِالْعَـدْلِ في المَآلِ

* * *

وَكَانَ في الجِسْـمِ تَمَامُ القُـوَّهْ ... إِلَى اعْتِـلا مَعَـارِجِ الفُتُـوَّهْ
بِشَـرْطِ تَقْيِيدِ الهَوَى وَالشَّـهْوَهْ ... بِالدِّيـنِ وَالعِلْـمِ بِكُلِّ حَـالِ

* * *

وَأَحْسَـنُ الأَخْلاقِ في الإِنْسَانِ ... يَنَـالُهَـا مِـنْ هَـذِه المَعَـانـي
إِذْ كَمُلَـتْ بِأَحْسَـنِ اتِّـزَانِ ... وَانْتَظَمَـتْ بِأَعْـدَلِ اعْتِـدَالِ

* * *

بِهَـا يَصِـيْرُ العَبْـدُ في الصَّـلاحِ ... وَرُوحُـهُ في الجِسْـمِ بِالفَـلاحِ
كَمِثْـلِ مِشْـكَاةٍ عَلَى مِصْبَـاحِ ... زُجَـاجَـةٍ بِـزَيْـتِـها تُلالـي

* * *

(٥)

رَشْفَةٌ مِنْ عَذْبِ مَوْرِدِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبِ مَشْهَدِهِمْ

فَمَـنْ دَعَتْـهُ دَعْـوَةٌ مِـنْ رَبِّـهْ　　فَأَخَــذَتْ بِـقَلْبِـهِ وَلُـبِّــهْ
نَــالَ الهَـا ثُـمَّ المُنَـى فِيْ قُرْبِـهْ　　إِذْ صَارَ عَبْداً خَالِصَ الخِصَالِ

* * *

وَمَنْ سَـعَى بِالحَـقِّ فِي اجْتِهَادِهْ　　وَالصِّـدْقُ فِي تَقْـوَاهُ خَـيرُ زَادِهْ
فَسَوْفَ يُعْطَى القَصْدَ مِنْ مُرَادِهْ　　بِقَـرْعِ بَـابِ الجُـوْدِ بِابْتِهَـالِ

* * *

وَعَـنْ شُــرُورِ طَبْعِـه تَخَلَّـى　　ثُـمَّ بِنُـورِ شَـرْعِه تَـحَلَّـى
وذَكَـرَ اسْـمَ رَبِّــه فَصَلَّـى　　مُسْـتَقْبِلاً لِقِبْلَـةِ الإِقْبَــالِ

* * *

أَسْـلَمَ بِالإِسْـلام عَـنْ دَعْـوَاهْ　　وَانْحَـلَّ فِي الأَحْكَامِ عَـنْ هَوَاهُ
فَصَــارَ حَـقّاً كُلّ مَـا حَـوَاهُ　　لِلْحَـقِّ فِي الحـقِّ بِـلا انْفِصَـالِ

* * *

وَصَــارَ فِي الإِيْـمانِ ذَا أَمَـانِ　　وبِارْتِفَـاعِ الشَّـكِّ ذَا اطْمِئْنَـانِ
وَنَالَ فِي الإِحْسَـانِ بالإِحْسَـانِ　　مَراتِـبَ الحُسْـنى عَـلَى اتِّصَـالِ

* * *

وَكُلُّ حِيـنٍ وَهْـوَ فِي زِيَـادَهْ عَلَى التُّـقَى يَرْقَى ذُرَى السَّعَادَهْ
فِي صَالحِ الأَعْمَالِ والعِبَادَهْ وَيَعْتَلِـي كُـلَّ مَقَـامٍ عَـالِ

* * *

حَتَى صَفَتْ أَوْصَافُهُ القُدْسِيَّهْ مِـنَ الهَوَى وَالشَّـهْوةِ النَّفْسِيَّهْ
وَمِـنْ قُيُودِ العَـادَةِ الحِسِّيَّهْ صَارَ صَفِـيَّ الحَقِّ صَـافِي البَالِ

* * *

وَلَمْ يَـزَلْ يَقْـرُبُ مِـنْ مَـوْلاهُ بِكُـلِّ نَفْـلٍ يَـبْـتَغِـي رِضَـاهُ
حَـتَـى تَوَلَّـى كُـلَّ مَـا وَالاهُ وَصَـارَ مَـوْلاه لَـهُ مُـوالِ

* * *

وَنَـالَ أَسْـنَى رُتْبَـةٍ وَقُرْبَـهْ مِـنَ الهُدَى وَالدِّيْـنِ وَالمَحَبَّـهْ
وَصَـارَ فِي كُـلِّ انْتِـمَا وَنِسْبَهْ لِلْحَـقِّ بِالحَـقِّ بِـلا انْتِقَالِ

* * *

وَكَـانَ مَـوْلاهُ لَـهُ فِيْـمَا خَطَـرْ يَـداً وَرِجْلاً ثُـمَّ سَـمْعَاً وَبَصَـرْ
إِن اسْـتَعَاذَ عَـاذَهُ مِـنْ كُلِّ شَرْ وَإِنْ دَعَـا أَجَابَـهُ فِي الحَـالِ

* * *

لـمَّـا بِأَوْصَـافِ النَّـدَى تَعَلَّقْ ثُـمَّ بِـأَهْـلِ الاقْتِـدَا تَخَلَّـقْ
ثُـمَّ بِأَوْصَـافِ الهُـدَى تَحَقَّـقْ زَهَـا بِلُبْسِ خِلْعَـةِ الكَمَـالِ

* * *

لَمَّـا اسْـتَوَى لِلْحَـقِّ بِاسْتِعْدَادِهِ وَانْحَـلَّ بِالتَّجْرِيْـدِ مِـنْ قِيَادِهِ

حَتَّى فَنِي عَنْهُ وَعَنْ مُرَادِهِ أُهِّلَ لِلتَّقْرِيْبِ والإِيْصَالِ

***

فَظَهَرتْ عَنْ حَالِهِ الصِّفَاتُ وَبَهَرتْ في بَالِهِ الآيَاتُ
وَذَاقَ مَا تَرْوِي لَهُ الرُّوَاةُ وَشَاهَدَ التَّفْصِيْلَ في الإِجْمَالِ

***

حَتَّى رَأَى حَقَائِقَ الوُجُوْدِ وَسَرَّها بِالكَشْفِ والشُّهُودِ
وَفَيْضَها مِنْ عَيْنِ مَعْنَى الجُوْدِ بِعِزَّةِ البَارِئِ ذِي الجَلالِ

***

فَذَاقَ مَعْنَى عَجْزِهِ في نَفْسِهْ وَفَقْرَهُ في عَقْلِهِ وَحِسِّهْ
وَأَنَّ عَزَّ رَبِّهُ في قُدْسِهْ إِلَيْهِ كُلُّ الفَضْلِ وَالكَمَالِ

***

وَكُلُّ سِرٍّ قَدْ سَرَى في الكَوْنِ عِنْدَ ظُهُوْرِ الأَمْرِ وَالبُطُونِ
نُورُ تَجَلِّي الحَقِّ في الشُّؤونِ وإِنَّ كُلَّ الكَوْنِ كَالخَيَالِ

***

فَحَقَّقَ التَّفْرِيْقَ في التَّفْرِيْدِ وَدَقَّقَ التَّحْقِيقَ في التَّوْحِيْدِ
في حَضْرَةِ الإِطْلاقِ وَالتَّقْيِيْدِ في الذَّاتِ والأَوْصَافِ والأَفْعَالِ

***

وَصَارَ بِالعِلْمِ لَهُ وُصُولُ وَفي فِنَا القُرْبِ لَهُ حُصُوْلُ
وَحَبْلُهُ بِقُرْبِهِ مَوْصُولُ بِأَكْرَمِ الإِكْرَامِ وَالوِصَالِ

***

لا قَـوْلَ ذِي الإلْحَادِ بِاتِّحَادِ　　وَلا حُلُـوْلِ قَـطُّ في اعْتِقَـادِ
فَجَـلَّ أَهْـلُ الحَـقِّ وَالرَّشَـادِ　　عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الزَّيغِ وَالضَّلالِ

* * *

فَجَـلَّ وَجْـهُ رَبِّنَـا العَظِيْـمِ　　عَـنْ كُلِّ مَنْسُـوْبٍ إلى عَدِيْـمِ
عَـزَّ قُـدْسُ وَصفِـهِ القَدِيْـمِ　　عَـنِ اتِّصَـالٍ فَيْـهِ وانْفِصَـالِ

* * *

إِذْ لا يَنَـالُ العَبْـدُ كُنْـهَ ذَاتِـهْ　　أَوْ كُنْـهَ مَـا أَوْحَـاهُ مِـنْ صِفَاتِهْ
فَـلَيْـسَ لِلْعَبْـدِ سِـوَى إِثْبَاتِـهْ　　لِـكُلِّ مِـا أَثْبَـتَ بِالإِجْـلالِ

* * *

بَـلْ عَجْزُهُ عَـنْ دَرْكِـهِ الإدْرَاكُ　　ومَـا لَـهُ عَـنْ عَجْـزِهِ انْفِـكَاكُ
وَمَـا بِـعـزِّ ربِّـهِ اشـتـراكُ　　لمَّـا كسـاهُ قـدرةَ الأعمـالِ

* * *

(٦)

رَشْفَةٌ مِنْ طَهُورِ تَطْهيرِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ ظُهُورِ عَبيرِهِمْ

لَكِنْ بِمَحْضِ الفَضْلِ مِنْ مَوْلاهُ   أَوْلاهُ بِالإِفْضَالِ مِا أَوْلاهُ
لِيَبْلُغَ المَقْصُوْدَ مَنْ وَالاهُ   وَيَرْتَقِي كُلَّ مَقَامٍ عَالِيْ

* * *

يَا عَجَباً كَيْفَ نَأَى عَن ذِكْرِهْ   حَتى سَهَا عَنْ حَقِّهِ وَشُكْرِهْ
وَلَمْ يُقَيِّدْ أَمْرَهُ بِأَمْرِهْ   بَلْ مَالَ في الجَهْلِ بِلا احْتِفَالِ

* * *

فَصَارَ في التَّفْرِيطِ وَالإِفْرَاطِ   وَضَاعَ في التَّخْلِيطِ بِاخْتِلاطِ
فلم يزل مِنْ بَعْدُ في انْحِطَاطِ   مِنْ عُلْوِه في أسْفَلِ الأَسْفَالِ

* * *

مثالُهُ فِي الجَهْلِ وَالأَوْهَامِ   كَحَائِرٍ في البَحْرِ في الظَّلامِ
فِيْ لُجَّةِ الأَمْوَاجِ وَالقِتَامِ   لا يَهْتَدِي في حَالِه[1] بِحَالِ

* * *

وَحَالُهُ فِيْ خَيْبَةِ المَآبِ   كَحَالِ مَنْ يَغْتَرُّ بِالسَّرَابِ

---

(١) وفي نسخة: حَالِةِ.

عِندَ الظَّمَا إذْ خَابَ فِي الحِسَابِ وَاكْتَالَ فِيمَا كَالَ مِنْ نَكَالِ

* * *

فَهَلْ لَهُ مِنْ وَاعِظٍ فِي قَلْبِهْ أَوْ نَاصِحٍ مِنْ عَقْلِهْ وَصَحْبِهْ
أَوْ زَاجِرٍ مِنْ مَوْتِهِ وقُرْبِهْ فَمَا لَهُ بِالمَوْتِ لا يُبَالِي

* * *

هَلْ اسْتَعَدَّ بِالتُّقَى فِي زَادِهْ وَخَافَ يَوْمَ الحَشْرِ فِي مَعَادِهْ
يَوْمَ يَحِيرُ المَرْءُ فِي مُرَادِهْ وَلا تُفِيدُ حِيلَةُ المُحْتَالِ

* * *

فَلَيْسَ يَنْجُو العَبْدُ مِنْ رَدَاهُ إلاَّ بِخَيْرٍ قَدَّمَتْ يَدَاهُ
فَفَازَ مَنْ دِينُ الهُدَى هُدَاهُ وَزَادُه مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ

* * *

فَلْيَغْتَنِمْ ذُو العَقْلِ بَاقِي عُمْرِهْ وَلْيَدَّخِرْ مِنْ يُسْرِهْ لِعُسْرِهْ
وليستَعِنْ بِرَبِّهِ فِي شُكْرِهْ وَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ أَوْ مَالِ

* * *

وَلْيَجْتَهِدْ بِجِدِّهِ وَصَبْرِهْ عَلَى الوَفَا بِنَهْيِهْ وَأَمْرِهْ
وَلْيَخْشَ سَبْقَ بَطْشِهِ وَزَجْرِهْ أَوْ مَكْرِهِ فِي المَدِّ وَالإِمْهَالِ

* * *

فَكَيْفَ يَرْضَى ذُو نُهَى وَدِيْنِ بَعْدَ ظُهورِ الحَقِّ وَاليَقِيْنِ
مَيْنَ أَمَانِي الظَّنِ وَالتَّخْمِينِ بَلْ يَطْلُبُ المَقْصُودَ بِاسْتِعْجَالِ

* * *

فَذُو النُّهَى يَخْشَى هُجُومَ الفَوْتِ فَيَسْتَعِدَّ زادَهُ لِلْمَوْتِ
وَيضبِطُ الأَوْقَاتَ بِالمَوقُوتِ مُحَاسِباً لِلنَّفْسِ فِي الأَفْعَالِ

* * *

وَالأَحْمَقُ المَغْبُونُ مَنْ دَسَّاهَا وَاتَّبَعَ اللَّذاتِ فِيْ هَوَاهَا
وَبِالأَمَانِيْ اغْتَرَّ مِنْ نَجْوَاهَا وَرَدَّ وَجْهَ الحَقِّ بِالخَيَالِ

* * *

وَالكَيِّسُ المُفْلِحُ مَنْ زَكَّاها وَسَامَهَا بِالصَّبْرِ فِي تَقْوَاهَا
حَتَّى ابْتلَى مَا كَانَ مِنْ دَعْوَاهَا فِي سَائِرِ الأَخْلاقِ وَالأَحْوَالِ

* * *

فَإِنَّهَا أَمَّارَةٌ بِالشَّرِّ وَقَدْ تُرى لَوَّامَةً فِي السِّرِ
إِن عُوِّدَتْ فِعْلَ التُّقَى وَالبِرِّ بِهِ اطْمَأَنَّتْ بَعْدُ فِي امْتِثَالِ

* * *

وإِنَّها فِي خِلقَةِ الإِنْسَانِ مَنْزَعُ كُلِّ الإِثْمِ وَالطُّغْيَانِ
وَمَنْبَعُ الوَسْوَاسِ لِلشَّيْطَانِ فِي الكَيْدِ وَالتَّلْبِيْسِ وَالإِضْلالِ

* * *

فَهْوَ لَهَا عِنْدَ الهَوَى قَرِيْنُ يَمُدُّهَا بِغَيِّهِ اللَّعِيْنُ
وَكَيْدُهُ لِلْمُهْتَدِيْ يَبِيْنُ وَشَرُّهُ فِي الخَيْرِ بِاحْتِيَالِ

* * *

كَمْ صَادَ بِالدُّنْيَا ذَوِي الأَلْبَابِ فَأَصْبَحُوا فِي خِدْمَةِ التُّرَابِ

وَكَمْ سَبَى الأَنْجَابَ بِالأَصْحَابِ وَبِالنِّسَا وَالأَهْلِ وَالأَطْفَالِ

* * *

وَمَا لِعَبْدٍ عَنْهُ مِنْ خَلاصِ إِلاَّ بِتَقْوَى الله وَالإِخْلاصِ
وَتَرْكِ كُلِّ الإِثْمِ وَالمَعَاصِي وَالأَخْذِ بِالدِّينِ بِكُلِّ حَالِ

* * *

مُرَاقِباً فِي شَأْنِهِ لِرَبِّهْ مُرْتَقِباً لِفَضْلِهِ وَقُرْبِهْ
مُرَاعِياً لِعَيْنِ مَعْنَى قَلْبِهْ فِي كُلِّ تَقْلِيبٍ وَفِي انْتِقَالِ

* * *

مُجْتَهِداً فِي حِفْظِ سِرِّ القَلْبِ فَإِنَّهُ إِنْ زَانَ بَيْتُ الرَّبِّ
وَحَيْثُ شَانَ فَهْوَ مَأْوَى الكَلْبِ وَأَصْلُ مَنْشَا دَائِهِ العُضَالِ

* * *

يَرْعَى بِعَيْنِ الشَّرْعِ كُلَّ خَاطِرْ بِنُورِ عِلْمٍ بَاطِنٍ وَظَاهِرْ
فَمَا بِوِفْقِ الحَقِّ فَلْيُبَادِرْ وَلْيَجْتَنِبْ فِي النَّهْيِ وَالإِشْكَالِ

* * *

وَقَلْبُهُ إِنْ كَانَ ذَا اطْمِئْنَانِ عَلَى الهُدَى أَغْنَاهُ عَنْ بَيَانِ
فَإِنْ يَقِرَّ فَهْوَ عَنْ إِحْسَانِ وَإِنْ يَفِرَّ فَهْوَ عَنْ ضَلالِ

* * *

وَإِنْ يَكُنْ مُقَدَّساً نُورَانِي يَذُوقُ فَهْمَ الخَاطِرِ الرَّبَانِي
وَالمَلَكِي بِالنُّورِ وَالشَّيْطَانِي بِالغَيِّ وَالنَّفْسِيِّ بِاشْتِغَالِ

* * *

وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ مِنْ سُلْطَانِ عَلَى ذَوِيْ الإِحْسَانِ وَالإِيْمَانِ
إِذْ حُفِظُوا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَاعْتَصَمُوا بِأَكْمَلِ اتِّكَالِ

❊ ❊ ❊

(٧)

رَشْفَةٌ مِنْ تَنَزُّهَاتِـهِمْ عَنِ الْعُيُوب
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ ثَنَائِهِمِ المَحْبُوب

فَوَيْـلُ عَبْـدٍ ضَـلَّ عَـنْ نَجاتِـهْ وَضَـاعَ في اللَّهْـوِ حَـوَى حَياتِهْ
وَظَـنَّ بِالجَهْـلِ صَفَـا صِفَاتِـهْ وَهْـوَ لَـدَى الحَـقِّ بِأَسْـوا حَالِ

***

هَلَّا اقْتَفَى أَسْلافَ صِدْقٍ فُطَنَا قَـدْ طَلَّقُوا الدُّنْيـا وَخافُوا الْفِتَنَا
وَرَكِبُـوا مَتْـنَ طَرِيْـقٍ حَسَـنَا فَسَـلِمُوا مِـنْ سَـائِرِ الأَهْـوَالِ

***

هَلَّا اقتفـى بِهَدْيِ قَـوْمٍ صَدَقُوا وَبَاصْطِبَـارٍ في عفَـافٍ سَـبَقُوا
وَعَرَفُـوا لِأَيِّ مَعْنًـى خُلِقُـوْا قَضَـواْ بِـهِ الأَيَّـامَ وَاللَّيَالِـيْ

***

فَإِنَّـمَا أُوْتِـي هُـدًى وَقُـوَّهْ يَـمُدُّهَـا كُـلُّ غِـذاً وَشَـهْوَهْ
لِيَـرْتَقِـي إلـى ذُرَى الفُـتُـوَّهْ وَيَتَّـقِـي بِـأَفْضَـلِ الأَعْمَـالِ

***

فَالشَّـهْوَتَانِ سَـبَبَاهُ في البَقَـا عَوْنَـاهُ بِالعَـدِلِ عَـلَى كُلِّ تُقَـى
لَكِـنْ مَـعَ التَّفرِيْطِ عَادَ بِالشَّـقا عَلَيْـهِ بـالضُّـرِّ بِـلا إِمْـهَالِ

***

وَكَيْفَ يَرْضَى عَاقِلٌ وَعَالِمْ　　بِعُمْرِهِ فِي عِيْشَةِ البَهَائِمْ
عَنْ جِيْرَةِ الرَّحْمنِ وَالمَكَارِمْ　　يَبِيْعُ بِالدُّونِ الأَعَزَّ الغَالِيْ

* * *

حَسْبُ التَّقِيِّ مَا يُقِيمُ صُلْبَهْ　　أَو ثُلُثَاهَا أَكلَهُ وَشُرْبَهْ(١)
وَثُلثٌ لِنَفسٍ مِنْ كُرْبَهْ　　فَالدَّاءُ مِلْءُ البَطْنِ مِنْ حَلالِ

* * *

إِذْ يَمْلأُ القَلْبَ امْتِلَاهَا ظُلْمَهْ　　وَيَعْتَلِي جُنْدُ الهَوَى وَالنُّهْمَهْ
فَكَيْفَ حَالُ شُبهةٍ أو حُرْمَهْ　　فَالسُّحْتُ فِي النَّارِ بِلا جِدَالِ

* * *

فَإِنَّ أَمْرَ الجِسْمِ لِلْبَطْنِ تَبَعْ　　وَالدِّيْنُ مَبْنِيٌّ عَلَى أُسِّ الْوَرَعْ
وَالنُّوْرُ فِي الحِلِّ وَيَطْفِيهِ الشِّبَعْ　　فَاطْلُبْهُ وَاقْلِلْ مِنْهُ فَهْوَ الغَالِيْ

* * *

وَقُلِّدَ الإِنْسَانُ سَيْفاً مِنْ غَضَبْ　　لِيَحْتَمِي دُنْيَا وَدِيْناً مِنْ عَطَبْ
فَكَيْفَ بِالتِّيْهِ وَبِالبَغْيِ انْقَلَبْ　　عَلَيْهِ عَطْباً دَائِمَ الوَبَالِ

* * *

فَكَيْفَ مَنْ مِنْ عَدَمٍ إلى عَدَمْ　　وَكُلُّهُ عَجْزٌ وَفَقْرٌ وَنَدَمْ
يَتِيهُ عُجْباً إِنْ كُسِي ثَوْبَ نِعَمْ　　عَارِيَةٌ مِنْ فَضْلِ ذِيْ الإِفْضَالِ

* * *

فَإن يَكُـنْ دِيناً فَبِالعُجْبِ فَسَـدْ   وَإِنْ يَكُـنْ دُنْيـا فَبِالبَغْـيِ تُـرَدْ
شَرّاً عَلَيْـهِ وَبِهَـا يَشْـقَى الأَبَـدْ   وَرُبَّمَـا يُسْـلَبُهَا فـي الحَـالِ

* * *

وَكَيْفَ كِبْرُ مَنْ إِذَا اسْتَغْنَى افْتَقَرْ   بَـلْ رُبَّـما عَـادَى ذُبَابـاً فَقَصَـرْ
وَكَيْفَ يَـدْرِيْ حَالَهُ خَيْراً وَشَرْ   وَمَـا لَـهُ فـي الحَــالِ وَالمَـآلِ

* * *

وَكَيْفَ حَـالُ مَنْ عَلَى بَابِ الفِنَا   يَفتِنُـهُ في الدِّيـنِ جَـاهٌ وَثَنَـا
وَالجَهْـلُ والعَجْـزُ بِهِ قَـدْ عُجِنَا   وَلَيْـسَ يَـدْرِي بَعْـدُ مَـا يُصَالِيْ

* * *

وَهَـلْ لَـهُ في كُلِّ جَـاهٍ وَاعْتِـلا   إِلى عَنَـا كُلِّ اشْـتِغَالٍ وابْتِـلا
بَـلْ رُبَّـما آذَاهُ بُغْـضٌ وَقِـلا   مِـنْ حَاسِـدٍ والجَـاهُ كالخَيـالِ

* * *

بَـلْ رُبَّـمَا يَخْلَـعُ فِي الجَـاهِ الحَيَـا   مِـنْ رَبِّـهِ وَيَكْتَسِــي ثَـوْبَ رِيَا
وَيَرْتَـدِي رِدَاءَ شِرْكٍ خَفِيَـا   يُحْبِـطُ مِنْـهُ صَالِـحَ الأَعْـمَالِ

* * *

كَيْـفَ يُرَائِـي العَبْـدُ عَبْـداً فَانِيْ   لَيْـسَ يُـكَافِيْ فِي أَقَـلِّ شَـانِ
بِدِيْــنِ رَبٍّ قَــاهِرٍ دَيَّــانِ   مُـطَّـلِـعٍ عَلَـى خَفَايَـا البَـالِ

* * *

فَكَمْ هَوَى فِي الضُـرِّ وَالضَّلالِ   قَـوْمٌ بِقَصْـدِ الجَـاهِ وَالأَمْـوَالِ

وَكَمْ فَقِيْرٍ في الخُمُولِ سَالِيْ　　قَدْ فَازَ بِالعَيْشِ وَبِالآمَالِ

***

كَمْ أَهْلَكَا عَبْداً لِحِقْدٍ وَحَسَدْ　　في نِعْمَةٍ مِنْ قِسْمَةِ الحَقِّ الصَّمَدْ
فَأَفْسَدَ العَيْشَ وَأَمْسَى في كَمَدْ　　دُنْيَا وَأُخْرَى دَائِمَ النَّكَالِ

***

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا وَمَا فيْهَا حَضَرْ　　لَهُ بَلاغٌ وَاعْتِبَارٌ لَوْ عَبَرْ
وَكَيْفَ يَغْتَرُّ بِحُلْوٍ مِنْ نَظَرْ　　قَدْ شِيْبَ بِالضُّرِّ وَبِالأَشْغَالِ

***

فَحَسْبُهُ مِمَّا يَرَاهُ القُوتُ　　مَا أكثَرَ القُوْتَ لِمَنْ يَمُوْتُ
فَالرِّزْقُ بِالإِجْمَالِ لا يَفُوْتُ　　وَلا يَزِيْدُ القِسْمُ بِاسْتِعْجَالِ

***

وَوَيْحَ مَمْلُوْكٍ لِحِرْصٍ وَطَمَعْ　　لَمْ يَعْتَبِرْ بِمَا جَرَى فِيْمَنْ جَمَعْ
كَمْ جَامِعٍ مَالاً عَظِيماً مَا انْتَفَعْ　　بِهِ وَصَارَ لِلعَدُوِّ القَالِيْ

***

وَكَيْفَ مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا يَجْرِيْ بِغَدْ　　وَلا مَتَى المَوْتُ وَفي أَيِّ بَلَدْ
يَلْهُو بِمَالٍ أَوْ نِسَاءٍ أَوْ وَلَدْ　　عَنْهُ وَمَا يَتْلُوهُ مِنْ أَهْوَالِ

* * *

(٨)

رَشْفَةٌ مِنْ سُلافَةِ أَسْلافِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبِ أَعْرَافِهِمْ

وَلَيْسَ يَنْجُو العَبْدُ مِنْ كُلِّ رَدَى   إِلَّا إِذَا بِالحَقِّ فِي الصِّدْقِ اهْتَدَى
فَسَوْفَ يُعْطَى كُلَّ فَوْزٍ وَهُدَى   بِالفَضْلِ فِي الحَالِ وَفِي المَآلِ

* * *

لَكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ ذَرِيْعَهْ   إِلَى هُدَى أَوْ رُتْبَةٍ رَفِيْعَهْ
إِلَّا اتِّبَاعُ الدِّيْنِ وَالشَّرِيْعَهْ   وَقَصْدُ وَجْهِ اللهِ ذِي الجَلالِ

* * *

فَلْيَسْتَجِبْ للهِ ذُو الإِنَابَهْ   فَرَبُّهُ مَدَّ لَهُ أَسْبَابَهْ
إِلَى الهُدَى بِفَتْحِهِ أَبْوَابَهْ   لَهُ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ عَالِ

* * *

فَإِنَّ هَذَا العَالَمَ الإِنْسَانِيْ   خُصَّ بِمَحْضِ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
بِالعِلْمِ وَالعَقْلِ وَبِالبَيَانِ   بِالوَحْيِ فِي الإِنْبَاءِ وَالإِرْسَالِ

* * *

وَلَمْ تَزَلْ مَعَارِجُ الهِدَايَهْ   فِيهِ لَهُ بِالحَقِّ وَالرِّعَايَهْ
رِسَالَةٌ نُبُوَّةٌ وِلَايَهْ   تُنْجِيهِ مِنْ زَيْغٍ وَمِنْ ضَلالِ

* * *

فَالأَنْبِيَا بِالمَنْصِبِ المُنِيْفِ   جَاؤُوا بِكُلِّ مُرْشِدٍ شَرِيْفِ
خُصُّوا بِوَحْيِ الحَقِّ وَالتَّعْرِيْفِ   بِالوَهْبِ لا بِالكَسْبِ وَالأَعْمَالِ

***

تَنَزَّهُوا عَنْ سَائِرِ العُيُوْبِ   وَجَهْلِ عِلْمِ الدِّيْنِ لا الغُيُوْبِ
وَعُصِمُوا عَنْ جُمْلَةِ الذُّنُوْبِ   فِي القَصْدِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

***

وَقَدْ أَتَى مِنْهُمْ كِرَامُ الرُّسْلِ   بِكُلِّ هَدْيٍ فَاضِلٍ وَفَضْلِ
وَكُلِّ شَرْعٍ فَاصِلٍ وَفَصْلِ   فَبَلَّغُوا مَا حُمِّلُوا مِنْ حَالِ

***

فَأَظْهَرُوا كُلَّ مُنِيْرٍ شَارِقْ   وَأُيِّدُوا بِبَاهِرِ الخَوَارِقِ
فَقَطَعُوْا كُلَّ مُعَادٍ مَارِقْ   وَكُلَّ ذِي جَحْدٍ وَذِيْ إِشْكَالِ

***

فَفِي الوَرَى حَبْلُ الهُدَى مَوْصُوْلُ   بِحَقِّهِمْ وَالحَقُّ لا يَزُوْلُ
كُلُّ رَسُوْلٍ بَعْدَهُ رَسُوْلُ   فَحُجَّةُ الحَقِّ بِهِمْ تُلالِي

***

كُلُّ رَسُوْلٍ قَامَ يَدْعُو أُمَّهْ   إِمَّا لِوَصْلِ نِعْمَةٍ أَوْ رَحْمَهْ
أَوْ لِظُهُوْرِ حُجَّةٍ فِي نِقْمَهْ   بِالفَضْلِ أَوْ بِالعَدْلِ بِاعْتِدَالِ

* * *

(٩)

رَشْفَةٌ مِنْ بحْرِ أَعْظَمِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ أكْرَمِهِمْ

وَقَـدْ أَتَانَـا خَاتَـمُ الرِّسَـالَهْ   بِكُلِّ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ حَالَهْ
فَعَـمَّ كُلَّ الخَلْـقِ بِالدَّلَالَـهْ   وَأَشْرَقَـتْ مَنَاهِـجُ الكَـمَالِ

* * *

فَكُلُّـهُ فَضْـلاً أَتَـى وَرَحْمَـهْ   وَكُلُّهُ حُكمٌ هُـدًى وَحِكْمَهْ
وَهْـوَ إِمَـامُ كُلِّ ذِي مُهِمَّـهْ   وَقُـدْوَةٌ فِي سَـائِرِ الخِصَـالِ

* * *

فَهْوَ بِحَقِّ الشُّكْرِ مَـا أَوْلاهُ   إِذْ قَامَ حَتَّـى وَرِمَتْ رِجْلاهُ
وَوَاصَلَ الصَـوْمَ وَقَدْ أَوْلاهُ   مُـوْلاه أَوْلى الفَضْلِ وَالإِفْضَالِ

* * *

وَفِي السَّخَا كَأَنَّهُ البَحْرُ زَخَرْ   يُعْطِي مِئِيناً وَأُلُوْفاً مَنْ حَـضَرْ
وَمَا اصْطَفَى لِنَفْسِهِ وَمَا ادَّخَرْ   إِلَّا يَسِـيْراً وَهْـوَ ذُو العِيَـالِ

* * *

وَلَيْسَ حُبُّ الطِّيْبِ وَالنِّكَاحِ   إِلا لِجَمْـعِ القَلْبِ وَالأَرْوَاحِ

وَنُسْوةٌ عَوْناً عَلَى الإصْلاحِ[1] يَرْوِيْـنَ عَنْهُ أَكْـرَمَ الأَحْوَالِ

***

وَأُسْوةُ المَكْرُوْبِ في اضْطِبَارِ في كُلِّ مَا قَاسَـى مِنَ الكُفَارِ
حَتَّى رُمِيْ بِالفَرْثِ وَالأَحْجَارِ وَمَـا دَعَـا إلاَّ عَـلَى رِجَـالِ

***

وَسَـلْوةٌ لِمُعْسِـرٍ مِسْـكِيْنِ إِذْ صَحَّ لَمْ يَشْبَعْ وَلا يَوْمَيْنِ
وَقَـدْ أَبَـى جِبَالَهَـا مِـنْ عَيْنِ زُهْداً وَمِنْ جُوْعٍ طَوَى لَيَالِيْ

***

وَلَمْ يَزَل في الحَـقِّ في اجْتِهَادِ وَبَعْدَ فَرْضِ الغَزْوِ وَالجِهَادِ
مَـا قَـرَّ في ظِـلٍّ وَلا بِـلَادِ إلاَّ عَـلَى الكُفَّـارِ فِيْ قِتَـالِ

***

وَمَا مَضَـى حَتَّى أَقَامَ الدِّيْنَا وَصَارَ سَـهْلاً وَاضِحاً مُبِيْنَا
فَلَـمْ تَخَـفْ أَمَّتُـهُ فُتُونَـا بَلْ عُصِمُوا في الجَمْعِ عَنْ ضَلالِ

***

وَصَحْبُـهُ فيهِـم لَهُـمْ نُجُوْمُ بِهِمْ عَلَيْهِم فَاضَـتِ العُلُوْمُ
كُلٌّ لَـهُ مُقَـدَّرٌ مَقْسُـوْمُ مِنْ ظَاهِـرٍ أَوْ بَاطِنٍ أَوْ حَالِ

***

وَالخُلَفَاءُ بَعْدَه وَالعِتْرَهْ   بِهِمْ مَعَ القُرآنِ مُسْتَمِرَّهْ
مِلَّتُهُ مَحْفُوظَةٌ مِنْ فَتْرَهْ   عَلَى الهُدَى دَأباً بِلا انْفِصَالِ

* * *

(١٠)

رَشْفَةٌ مِنْ مَنْبَعِ عُلُومِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ مَطْلَعِ فُهُومِهِمْ[1]

فَإِنَّ كُلَّ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ   الدَّائِمِ الْغَضِّ مَدَى الأَزْمَانِ
وَسُنَّةُ الْمُخْتَارِ فِي الْبَيَانِ   لَهُ لَدَى الإِدْمَاجِ وَالإِجْمَالِ

***

فَهْوَ كَوَحْيٍ دَامَ بِالْغُيُوبِ   وَالْعُلَمَا فِي الْوَعْيِ فِي الْقُلُوبِ
كَالأَنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي يَعْقُوبِ   وَمَنْ دَعَا مِنْهُمْ كَذِي إِرْسَالِ

***

وَلَمْ يَزَلْ وَدِينُهُ جَدِيدُ   فِي كُلِّ قَرْنٍ قَائِمٌ يُعِيدُ
تَجْدِيدَهُ وَعِلْمَهُ يُفِيدُ   يَدْفَعُ عَنْهُ ذَا الْجَفَا وَالْغَالِي

***

وَرَحْمَةٌ بِسَتْرِ حَالِ الأُمَّهْ   عَنِ افْتِضَاحِ ذِي هَوَى وَظُلْمَهْ
أَوِ اتِّضَاحِ رِيبَةٍ أَوْ وَصْمَهْ   تَظْهَرُ عِنْدَ الْوَحْيِ بِانْبِذَال

***

إِذْ رُبَّمَا يَكْفُرُ فِي عِصْيَانِ   لِمُرْسَلٍ لَا عَالِمٍ رَبَّانِي

---

(١) وفي نسخة: «فتوحهم»، عن هامش النسخة ب.

وَإِنَّمَــا بِالْفِسْقِ وَالطُّغْيَــانِ　　　يُرْمَـى وَقَـدْ يُسْتَرُ فـي أَحْوَالِ

***

بَلْ فِي عُمُومِ الظَّنِّ فِي المَسْمُوعِ　　　وَفِي اخْتِـلافِ النَّاسِ فِي الْفُرُوعِ
صَـوْنٌ عَـنِ الطُّغْيَـانِ بِالمَقْطُوعِ　　　وَالْخَـرْقِ لِلإِجْمَـاعِ بِالضَّـلالِ

***

وَرَحْمَـةٌ بِعَـاجِـزٍ ضَعِيـفِ　　　قَـلَّـدَ قَـوْلَ عَـالِـمٍ عَفِيـفِ
وَفِتْنَـةٍ لِـذِي هَـوًى سَـخِيفِ　　　يَقْفُـو هَـوَى النَّفْـسِ وَلَا يُبَـالِي

***

وَلَا يَضُــرُّ الطَّعْـنَ فِي شَرْعِيَّـهْ　　　بِالظَّـنِّ فـي مَسْــأَلَةٍ فَرعِيَّــهْ
لِأَنَّـهَـا أُصُـولُـهَـا قَـطْعِيَّــهْ　　　مَحْفُوظَـةٌ بِأَكْمَـلِ اسْـتِدْلالِ

***

بَـلْ فيـهِ فِي فَهْـمٍ لِـذِي اجْتِهَادِ　　　أَجْـرَانِ أَوْ أَجْـرٌ لِـكُلِّ هَـادِي
وَفَضْـلِ ذِي جِـدٍّ أَوِ ازْدِيَـادِ　　　وَذِي[1] احْتِيَاطٍ عِنْدَ ذِي إِشْكَالِ

***

فَالْعُلَـمَا خُصُّـوا بِحُسْـنِ الْفَهْمِ　　　وَوَعْـيِ كُلِّ حِكْمَـةٍ وَحُكْـمِ
وَمَـا لَـهُ فِي فَضْلِـهِ مِـنْ قِسْـمِ　　　إِلَّا بِتَقْـوَى اللهِ فِي الأَعْمَــالِ

***

وَهْوَ مِنَ الرُّسْـلِ بِحُكْمِ الإِرْثِ　　　لِلعُلَـمَا أُولِي هُـدًى وَحَـرْثِ
وَالسَّـعْيُ فِي تَحْصِيلِـهِ بِالْبَحْـثِ　　　مِنْ أَفْضَلِ التَّقْوَى لِذِي الجَلَالِ

(١) في نسخة: أو في احتياط. عن هامش النسخة (ب).

(١١)

رَشْفَةٌ مِنْ قَطْرِ مَشَارِبِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ مآرِبِهِمْ(١)

وَالأَوْلِيَا بِأَحْسَنِ اسْتِمَاعِ لِوَحْيِهِمْ وَأَجْمَعِ اجْتِمَاعِ
فِي قَصْدِهِمْ وَأَكْمَلِ اتِّبَاعِ لِهَدْيِهِمْ نَالُوا المَقَامَ العَالِيْ

* * *

لَمَّا رَقَوا فِي القُرْبِ وَالإِحْسَانِ بِسُلَّمِ الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ
سُقُوا كُؤُوسَ الحُبِّ وَالعِرْفَانِ وَاتَّصَلُوا بِأَفْضَلِ الوِصَالِ

* * *

وَوَرِثُوا فِي العِلْمِ وَاليَقِيْنِ مَا لِلنَّبِيِّينَ بِحَقِّ الدِّينِ
فَخَلَفُواْ فِي الرُّشْدِ وَالتَّبْيِيْنِ وَنَاسَبُوا فِي الحَالِ وَالأَفْعَالِ

* * *

وَانْشَعَبُواْ فِي شُعَبِ الإِيْمَانِ بِضْعاً وَسَبْعِيْنَ بِبَادِي الشَّانِ
وَكُلُّهَا قَاضٍ لِذِي الإِحْسَانِ إِلَى حُصُوْلِ الكُلِّ بِاتِّصَالِ

* * *

إِذْ حَقَّقُوا مَنَاهِجَ الإِسْلامِ فَافْتَرَقُواْ فِيْ ظَاهِرِ الأَحْكَامِ

---

(١) في (ب): مطالبهم.

وَاتَّفَقُواْ في القَصْدِ وَالمَرَام　　وَقَصْدِ وَجْهِ اللهِ ذِي الجَلالِ

* * *

فَهُمْ كَذَا الرُّسْلُ بَنُو عَلَّاتِ　　طَرِيْقُهُمْ وَاحِدَةٌ بِالذَّاتِ
تَعَدَّدَتْ في الرَّسْمِ وَالهَيْئَاتِ　　فِيْ كُلِّ تَفْصِيْلٍ بِلا انْفِصَالِ

* * *

وَانْقَسَمُوا لِقِسْمَةِ المَرَاتِبِ　　فَقَلَّ أَنْ يَجْمَعَهَا في الغَالِبِ
بظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ مُطَالِبِ　　إلاَّ رَسُوْلٌ جَاءَ بِالإِكْمَالِ

* * *

فَبَعْضُهُمْ ظِلُّ هُدًى وَرَحْمَهْ　　دَاعٍ إلى اللهِ بِكُلِّ هِمَّهْ
يَحْمَدُ في كُلِّ ابْتِلا وَنِعْمَهْ　　كَأَحْمَدَ المَحْمُوْدِ في الخِصَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ بِقَلْبِهِ السَّلِيم　　قَدِ اكْتَفَى بِالعِلْمِ مِنْ عَلِيْمِ
فَحَالُهُ في الصَّبْرِ وَالتَّسْلِيم　　قَدْ أَشْبَهَ الخَلِيْلَ في خِلالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ أَحْرَقَ بِالأَنْوَارِ　　شُبْهَةَ كُلِّ جَاحِدٍ جَبَّارِ
وَأَظْهَرَ الأَحْكَامَ في الأَطْوَارِ　　في السَّمْتِ مِنْ مُوْسَى وَفي الأَعْمَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ قَدْ سَاحَ في فَسِيْحِ　　فِيْ فَسْحَةِ التَّقْدِيْسِ وَالتَّسْبِيْحِ
وَلازَمَ التَّجْرِيْدَ كَالمَسِيْحِ　　قَدْ صَارَ في الزُّهْدِ بِكُلِّ حَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ بِالفَضْلِ فِي الأَحْكَامِ ... وَالجَمْـعِ لِلخَلْقِ عَـلَى نِظَامِ
كَحَالَتَـيْ دَاوُدَ فِي الأَنَـامِ ... وَالطَّيْرِ وَالأَوْحَاشِ وَالجِبَالِ

* * *

وَبَعْضُهُـمْ فِي مُلْكِـهِ القَوِيْمِ ... أَظْهَرَ مَعْنَـى حِكْمَةِ الحَكِيْمِ
حُكْـمُ سُـلَيْمَانَ عَـلَى عَظِيْمِ ... جُنُـوْدِهِ بِـأَمْـثَـلِ امْتِثَـالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ دَعَا بِكَشْفِ الغُمَّهْ ... لَمَّـا عَصَتْـهُ إِذْ هَدَاهَـا أُمَّـهْ
صَـارَ عَلَيْهَا حُجَّةً فِي النِّقْمَهْ ... كَحَالِ نُوْحٍ مَعْ ذَوِي الضَّلالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ أَظْهَرَ أَسْنَى صَبْرِ ... وَعِـفَّــةٍ فِـي مِحْنَـةٍ وَضُـرِّ
رَاضٍ بِقَهْرٍ مُرْتَضٍ فِي الأَمْرِ ... كَالحَالِ فِي أَيُّوبَ فِي اعْتِدَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ أُقِيْمِ فِي تَصْـرِيْفِ ... فِي بَاطِنِ الأَحْوَالِ بِالتَّوْقِيْفِ
فَهْوَ عَلَى التَّعْرِيْفِ وَالتَّأْلِيْفِ ... كَالخَضِـرِ البَاقِـي بِلا إِبْدَالِ

* * *

(١٢)

رَشْفَةٌ مِنْ مَوْرِدِ مَذَاهِبِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ وَارِدِ مَوَاهِبِهِمْ

وَاخْتَلَفُواْ فِي الفَتْحِ وَالمَوَاهِبْ   وَفِي حُصُوْلِ القُرْبِ وَالمَطَالِبْ(١)
بِسِرِّ حَقٍّ بَاطِنِيٍّ غَالِبْ   أَوْ ظَاهِرٍ بِأَفْضَلِ الإِفْضَالِ

* * *

فَمِنْهُمُ القَوْمُ ذَوُو الدَّوَائِرِ   يُبْصِرُهُمْ فِيهَا ذَوُو البَصَائِرِ
بِهِمْ يَسِيْرُ السِّرُّ فِي السَّرَائِرِ   وَيَحْصُلُ التَّحْوِيْلُ فِي الأَحْوَالِ

* * *

كَالغَوْثِ وَالقُطْبَيْنِ وَالأَوْتَادِ   وَسَبْعَةٍ يُدْعَوْنَ بِالعِمَادِ
وَالنُّجَبَا وَالأُمَنَا الأَفْرَادِ   وَالنُّقَبَا وَالذُّخْرِ وَالأَبْدَالِ

* * *

فَكُلُّهُمْ تَمُدُّهُمْ رَقَائِقْ   بِمَا أَرَادَ الحَقُّ فِي الحَقَائِقْ
يَظْهَرُ فِيهَا الأَمْرُ فِي الخَلائِقْ   بِالعَدْلِ أَوْ بِالفَضْلِ وَالنَّوَالِ

* * *

وَكُلُّهُمْ فِي رُتْبَةٍ قُرْبِيَّهْ   مَعْقُوْدَةٍ بِنِسْبَةٍ رَبِّيَّهْ

---

(١) في نسخة: المراتب.

مَشْـهُـوْدَةٍ فـي سُـنَّةٍ قَلْبِيَّـهْ في سَـائِرِ الأَفْعَـالِ بِانْفِعَـالِ

***

وَبَعْضُهُـمْ بِـنَفْحَـةٍ حُبِّيَّـهْ عَلَـى بُـرَاقِ بَرْقَـةٍ جَذْبِيَّـهْ
سَرَى إلى أَعْلَى الـذُّرَى القُرْبِيَّهْ فَأَصْبَحَـتْ مِـنْ تَحْتِهِ المَعَالِيْ

***

أَضْحَى عَرُوْساً فِي رِيَاضِ الأُنْسِ يَرْوِيْ أَحَادِيْثَ الجَنَابِ القُدْسِي
لَمْ يَـدْرِ مَـا طَعْـمُ جِهَادِ النَّفْسِ وَلا عَنَـاءُ السَّيْرِ وَالتِّرْحَـالِ

***

لَمْ يُمْتَحَـنْ بِالفَتْـحِ فِي انْتِظَارِ وَلا بِـأَوْرَادٍ وَلا أَذْكَـارِ
كَقَصْـدِ مُوسَـى جَذْوَةً مِـنْ نَارِ إِذْ عَـادَ بِالإِنْبَـاءِ وَالإِرْسَـالِ

***

فَهْوَ مُـرَادُ الحَـقِّ وَالمُرِيْـدُ مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ وَجْـدُهُ جَدِيْـدُ
وَقُرْبُـهُ مِـنْ رَبِّـهِ يَـزِيْـدُ وَقَـلْبُـهُ فـي قِبْلَـةِ الإِقْبَـالِ

***

يَـقْطَـعُ كُـلَّ عَـائِـقٍ شَـدِيْـدِ بِالصَّبْرِ وَالعَـزْمِ عَـلَى التَّجْرِيْدِ
فَجَـازَ كُـلَّ عَـقْبَـةٍ كَـؤُودِ وَجَـازَ كُـلَّ رَافِـعٍ وَعَـالِـيْ

***

صَفَا وَصفَّـى القَلْبَ فِي عِلاجِهْ بِـكُلِّ مَا يَشْـفِي مِـنِ اعْوِجَاجِهْ
حَتَّى اسْتَوَى بِالصِّدْقِ فِي احْتِيَاجِهْ عَـلَى الغِنَـى بِالحَـقِّ ذِي الجَلالِ

وَأَوْرَدَ النَّفْسَ مِنَ الرِّيَاضَهْ مِنْ كُلِّ مَا تَكْرَهُهُ حِيَاضَهْ
فَأَصْبَحَتْ عَلَى الرِّضَا مُرْتَاضَهْ مَرْضِيَّةً فِي أَشْرَفِ(١) الخِصَالِ

* * *

مِنْ بِعْدِ عَقْدِ أَحْسَنِ اعْتِقَادِ وَعِلْمِ مَا يَحْتَاجُ وَازْدِيَادِ
وَعِلْمِ طِبِّ القَلْبِ وَاجْتِهَادِ يَطْوِي المَقَامَاتِ لِكُلِّ(٢) حَالِ

* * *

فَهَذِهِ طَرِيقَةُ التَّقْدِيسِ قَوِيمَةُ التَّفْرِيعِ وَالتَّأْسِيسِ
بَرِيَّةٌ مِنْ سَائِرِ التَّلْبِيسِ شَرَحَهَا إِمَامُنَا الغَزَالِي

* * *

(١٣)

رَشْفَةٌ مِنْ غَيْثِ مَناهِلِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ مَنازِلِهِمْ

وَبَعْضُهُمْ سَارُوا بِأَوْلَى سِرّ[(١)] فَاقْتَصَرُوا عِنْدَ قُصُوْرِ العُمْرِ
وَاخْتَصَرُوا طُوْلَ فُرُوْعِ الأَمْرِ وَلاحَظُوا وُجْهَةَ وَجْهِ البَالِ

***

وَخَرَجُوا مِنْ جُمْلَةِ التَّدْبِيْرِ إِلى انْتِظَارِ الفَيْضِ وَالتَّقْدِيرِ
وَأَسَّسُوا في الحَقِّ كَلَّ سَيْرِ عَلَى الهُدَى بِأَصْدَقِ اتِّكَالِ

***

تَوَجَّهُوا حَقّاً لِوَجْهِ الرَّبِ وَقَصْدُهُمْ نَيْلُ الرِّضَا وَالقُرْبِ
وَهَمُّهُمْ في جَمْعِ هَمِّ القَلْبِ في خِلْطَةٍ كَانُوا أَوِ اعْتِزَالِ

***

فَرَاقَبُواْ في القُرْبِ وَالمَعِيَّهْ وَأَخْلَصُوا في الذِّكْرِ بِالجَمْعِيَّهْ
وَالتَزَمُواْ في السِّيْرَةِ الشَّرْعِيَّهْ خُلاصَةَ الآدَابِ وَالأَعْمَالِ

***

وَهَذِهِ طَرِيْقَةُ التَّقْرِيْبِ لِقُرْبِ غَوْثِ العَبْدِ مِنْ قَرِيْبِ

---

(١) في نسخة: سير.

بِنَفْحَةٍ أَوْ صُحْبَةٍ أَوْ غَيْبِ لِلشَّاذِلِيْ وَمَنْ لَهُ يُوالِيْ

* * *

وَبَعْضُهُمْ مَلامَتِيُّ السِّيْرَهْ أَخْفَى جَمِيْعَ الأَمْرِ فِي السَّرِيْرَهْ
مُسْتَتِراً فِي حَالَةٍ مُنِيْرَهْ مِنْ خَلْوَةٍ أَوْ خِدْمَةٍ أَوْ حَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ قَدْ جَرَّدَ اجْتِهَادَهْ لِرَبِّهِ فِي الصَّوْمِ وَالعِبَادَهْ
مُلازِماً فِي عُمْرِهِ أَوْرَادَهْ مُوَزِّعاً لِلوَقْتِ فِي اسْتِعْجَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ فِي العِلْمِ وَالتَّعْلِيْمِ وَالجَمْعِ فِي التَّأْلِيْفِ وَالتَّفْهِيْمِ
مُجْتَهِداً فِي دِيْنِهِ القَوِيْمِ يَحُلُّ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ إِشْكَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ قَامَ مَقَاماً بَاهِرْ وَأَظْهَرَ الأَحْكَامَ فِي الظَّوَاهِرْ
بِالشَّرْعِ فِيْهَا آمِرٌ وَقَاهِرْ حَتَّى اسْتَوَى[1] مَنَاهِجَ الأَعْمَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ فِي حِفْظِ أَمْرِ الدِّيْنِ عَنْ كَيْدِ ذِي جَحْدٍ وَعَنْ ذِي مَيْنِ
بِنُوْرِ بُرْهَانٍ هُدَى مُبِيْنِ عَنِ المِرَا يُغْنِيْهِ وَالجِدَالِ

* * *

وَبَعْضُهُمْ أُقِيْمَ فِي أَسْبَابِ فَصَانَهَا بِأَحْسَنِ الآدَابِ

---

(١) في (ب): استوتْ مناهجُ.

وَانْتَظِرِ الإِفْضَالَ مِنْ وَهَّابِ أقامَهُ في الكَسْبِ وَالعِيَالِ

***

فَأَفْضَلُ العَبْدِيَّةِ الإِقَامَهْ بِمَا لَهُ مَوْلاهُ قَدْ أَقَامَهْ
عَلَى هُدًى بِأَحْسَنِ اسْتِقَامَهْ بِكُلِّ مَا يُرْضِي مِنْ امْتِثَالِ

***

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ بِالحَقِّ أَعْطَى لِكُلِّ مَا لَهُ مِنْ خَلْقِ
ثُمَّ هَدَى ثُمَّ دَعَا بِالرِّفْقِ كُلاًّ بِمَا يُصْلِحُهُ من حَالِ

***

فَبَعْضُهُمْ كَمَالُهُ في صَبْرِهْ وَبَعْضُهُمْ يَنَالُهُ مِنْ شُكْرِهْ
وَبَعْضُهُمْ عَطَاؤُهُ في فَقْرِهْ وَبَعْضُهُمْ صَلاحُهُ بِالمَالِ

* * *

(١٤)

رَشْفَةٌ مِنْ تَسْنِيمِ مَشَارِبِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَسِيمِ مَآرِبِهِمْ

وَاخْتَلَفُواْ فـي صِفَـةِ القُرْبِيَّـهْ   وَفي اتِّصَـالِ القُـوَّةِ الكَسْـبِيَّهْ
أَوِ انْعِطَـافِ نَفْحَـةٍ جَذْبِيَّـهْ   تَـرْفَـعُ عَنْـهُ كُـلْفَـةَ الأَثْقَـالِ

* * *

فَبَعْضُهُـمْ مَـا زَالَ في تَقْيِيْـدِ   فـي جِـدِّهِ وَزُهْـدِهِ الشَّـدِيْدِ
مُـرَاقِبـاً زَوَاجِـرَ الوَعِيْـــدِ   مُرْتَقِبـاً لِلمَـــوْتِ وَالمَـآلِ

* * *

وَبَعْضُهُمِ في البَسْـطِ في الوُجُوْدِ   في بَسْـطَةٍ مِـنْ نِعْمَـةٍ وَجُـوْدِ
شَـاهَدَ فَضْلَ الـرَّبِ في الوُعُودِ   فَعَمَّـهُ مَـوْلاهُ بِالإِفْضَـالِ[1]

* * *

وَبَعْضُهُـمْ في كُلْفَـةِ التَّـكْلِيْـفِ   بَيْنَ تَرَجِّي الفَضْلِ والتَّخْوِيْفِ
قَضَـــى بِذَاكَ العَمْـرَ في شَرِيْفِ   مِـنْ صَبْـرِهِ فَفَـازَ بِالآمَــالِ

* * *

وَبَعْضُهُـمْ إِذْ جَـدَّ في اجْتِهَـادِهِ   أَعَـانَـهُ الحَـقُّ عَـلَـى مُـرَادِهْ

---

(١) هذه المسمطة لم ترد في (ب).

بِجَذْبَـةٍ فَانْحَـلَّ عَـنْ قِيَـادِهْ وَنَـالَ أَسْـنَى الفَتْـحِ وَالآمَـالِ

* * *

وَبَعْضُهُـمْ في لاعِـجِ الأَشْـوَاقِ بِرَهْبَـةٍ فـي غَـايَـةِ الإِشْـفَاقِ
أَوْ رَغْبَـةٍ فِي حَالَـةِ الإِمْـلاقِ أَوْ نِسْبَـةٍ فِي مُخْلَـصِ الأَعْـمَالِ

* * *

وَبَعْضُهُـمْ غَرِيْـقُ بَحْـرِ الجُـوْدِ شَهِيْدُ سَيْفِ الكَشْفِ وَالشُّهُوْدِ
قَـدْ صَـارَ تَحْـتَ العِـزِّ كَالْمَفْقُوْدِ وَلَيْـسَ عَنْـهُ مُخْبِـرٌ بِقَـالِ(١)

* * *

وَبَعْضُهُـمْ غَـابَ عَـنِ الخَلِيْقَـهْ وَذَابَ لَمَّـا شَـاهَدَ الحَقِيْقَـهْ
إِذْ عَـلَّ مِـنْ رَاحِ الهَـوَى رَحِيْقَهْ رَاحَ بِهَـا فـي طَلْعَـةِ الجَمَـالِ

* * *

وَكُلُّهُـمْ لَمْ يَنْتَهُـوا لِلْعِصْمَـهْ بَلْ حُفِظُـواْ بِحِفْظِهِـمْ لِلْحُرْمَهْ
وَأُكْرِمُـوا بِنِسْبَـةٍ وَخِـدْمَـهْ فَهُـمْ رِجَـالُ الحَـقِّ في الرِّجَـالِ

* * *

لَيْـسَ لَهُـمْ وَحْـيٌ وَلا أَحْـكَامُ إِلاَّ عُـلُـوْمُ الدِّيْـنِ وَالإِسْـلامُ
نَـعَـمْ لَهُـمْ مِـنْ لُطْفِـهِ إِلْهَـامُ يَحِـلُّ مَا قَـدْ حَـلَّ مِـنْ أَحْوَالِ

* * *

وَرُبَّمَـا طَافَـتْ بِهِـمْ لَطَائِـفْ مِنْ عِلْـمِ كَشْفِ الحَقِّ وَالمَعَارِفْ

---

(١) كذا في النسختين، وفي بعض المطبوعات: مخبراً بحالِ.

وَذَوْقِ مَعْنَى قَائِلٍ وَوَاصِفْ   في الفَهْمِ في القُرْآنِ وَالإِنْزَالِ[١]

* * *

وَرُبَّمَا بِنَظْرَةٍ قُدْسِيَّهْ   أَوْ مِنْ سَنَا فِرَاسَةٍ حِسِّيَّه
رَأَوْا خَفَايَا حَالَةٍ نَفْسِيَّهْ   تَصِيرُ في القَلْبِ بِلا اسْتِعْمَالِ

* * *

وَقَدْ بَدَتْ مِنْ بَعْضِهِمْ خَوَارِقْ   عَوْناً لِكُلِّ مُسْتَجِيبٍ صَادِقْ
وَحُجَّةً[٢] عَلَى مُعَادٍ مَارِقْ   تَكُوْنُ عِنْدَ الهَمِّ بِانْفِعَالِ

* * *

بَلْ كُلُّ مَا يَجُوْزُ مِنْ نَبِيِّ   مُعْجِزَةً يَجُوْزُ مِنْ وَلِيِّ[٣]
كَرَامَةً بِوِفْقِهِ المَرْعِيِّ   وَحُجَّةً لِلرُّسْلِ وَالإِرْسَالِ

* * *

وَجُلُّهُمْ يَكْرَهُ فِعْلَ الخَرْقِ   لأَنَّ فِيْهِ هَتْكَ سِتْرِ الحَقِّ
لأَنَّ بِالأَسْبَابِ جَرْيَ الخَلْقِ   وَحِكْمَةُ العَادَاتِ نَظْمُ الحَالِ

* * *

كَذَاكَ مَا لا تُفْهِمُ الإِشَارَهْ   وَلَم تَسَعْهُ رِبْقَةُ العِبَارَهْ
فَإِنَّهُ جَلَّ خَفَى أَسْرَارَهْ   بِشَرْعِهِ صَوْناً عَنْ انبِذَالِ

* * *

---

(١) هذه المسمطة لم ترد في (ب).

(٢) في نسخة: كحجة.

(٣) في (ب): للولي.

وَمَنْ بِهَا بَاحَ اسْتَبَاحَ ذَمَّهْ ... وَرُبَّمَا الشَّرْعُ أَبَاحَ دَمَّهْ
وَحَسْبُهُ اللهُ لَهَا وَعِلْمَهْ ... وَحُسْنُ ظَنٍّ خَيْرُ مَا نَوَالِيْ

***

وَكُلَّمَا تُنْقَلُ مِنْ مَقَالَهْ ... فِي الشَّرْعِ عَمَّنْ تَرْتَضِي خِصَالَهْ
رُدَّتْ بِحُسْنِ الظَّنِّ وَالإِقَالَهْ ... وَصِينَ وَجْهُ الحَقِّ[1] عَنْ إِشْكَالِ

* * *

(١٥)

رَشْفَةٌ مِنْ صَافي تَصَوُّفِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عَرْفِ تَعَرُّفِهِمْ

وَسَـابِقُ التَّخْصِيْـصِ وَالعِنَايَـةْ		خَصَّتْ ذَوِي الإِخْلاصِ بِالرَّعَايةْ
وَأَوْجَبَـتْ عَقْـدَ لِـوَا الوِلايَـةْ		لِمَـنْ حَظِـيْ بِـأَشْرَفِ الخِصَـالِ

* * *

فَـكُلُّ مِـنْ هَـبَّ إلى الشَّـرِيْعَةْ		وَاتَّخَذَ الصِّدْقَ بِهَا ذَرِيْعَـةْ
لِنَيْـلِ أَيِّ رُتْبَـةٍ رَفِيْـعَـةْ		نَـالَ بِهَـا كُـلَّ مَقَـامٍ عَالِـيْ

* * *

فَمَـنْ وَفَى عَهْـداً وَجِـدّاً أُوْفِيْ		وَمَـنْ صَفَـى قَلْبَاً وَحُبَّـاً صُوْفِي
وَصَـارَ لِلحَـقِّ صَفِيّـاً صُـوْفِي		وَفَقْـرُهُ يُغْنِيْـهِ عَـنْ سُـؤَالِ

* * *

فَإِنَّـمَـا طَرِيقَـةُ الصُّوْفِيَّـةْ		لُـزُوْمُ كُـلِّ هِمَّـةٍ وَفِيَّـةْ
وَصِفَـةٌ مِـنَ الهُـدَى صَفِيَّـةْ		إِلَـى بُلُـوْغِ القَصْـدِ وَالكَمَـالِ

* * *

فَـكُـلُّهَا بِسُـنَّةٍ سَنِيَّـةْ		عَلَـى اتِّبَاعِ المُصْطَفَـى مَبْنِيَّـةْ
وَالأَخْـذُ فِي كُلِّ اهْتِـدَا وَنِيَّـةْ		بِالعَزْمِ وَالإِخْـلاصِ فِي الأَعْمَالِ

* * *

فَهْيَ كَمَالُ الصِّدْقِ بِالتَّصْدِيْقِ وَالجِدُّ بِالحَقِّ عَلَى التَّحْقِيْقِ
فِي الجَمْعِ وَالفَرْقِ بِلا تَفْرِيْقِ لِلْهَمِّ بَلْ جَمْعِ الهَوَى وَالبَالِ

* * *

وَبِاخْتِلافِ الذَّوْقِ وَالمَوَاهِبْ بِحَسَبِ الأَحْوَالِ وَالمَرَاتِبْ
تَحْسَبُهَا بَيْنَ الوَرَى مَذَاهِبْ مَعَ اتِّحَادِ القَصْدِ وَالمَآلِ

* * *

فَإِنَّهَا تَحْقِيْقُ حَقِّ العِلْمِ وَالجِدُّ فِي الحَقِّ بِأَوْلَى عَزْمِ
وَلا خِلافَ لِاخْتِلافِ الرَّسْمِ فِيْ وَصْفِ حَالٍ وَاخْتِلافِ قَالِ

* * *

وَكُلُّهُمْ فَرُّوا مِنَ التَّقْيِيدِ وَمِنْ بَقَا فِي رَبْقَةِ التَّقْلِيْدِ
فَطَلَبُوا التَّحْقِيْقَ بِالمَزِيْدِ مِنَ الهُدَى فِي صَالِحِ الإِقْبَالِ

* * *

وَمَا ارْتَضَوْا فِي عِدَّةِ الإِسْلامِ أَحْوَالَ أَهْلِ البَحْثِ وَالكَلامِ
بَلْ قَلَّدُواْ الحَقَّ بِلا إِيْهَامِ فِي كُلِّ مَا صَحَّ مِنَ الإِنْزَالِ

* * *

فَرُّوْا مِنَ التَّعْطِيْلِ وَالتَّشْبِيْهِ وَقَرَّرُوْا الإِثْبَاتَ بِالتَّنْزِيْهِ
وَذُوْ اشْتِبَاهٍ لَمْ يَخُوْضُوْا فِيْهِ بَلْ فَوَّضُوْا فِيْهِ لِذِيْ الجَلالِ

* * *

فَطَابَقُوْا لِلْحَقِّ فِي اعْتِقَادِهِ وَصَدَّقُوْا النُّقُولَ بِاعْتِمَادِهِ
وَفَوَّضُوا المَعْنَى إِلَى مُرَادِهِ فِي وَاضِحِ الحَالِ وَفِي الإِشْكَالِ

(١٦)

رَشْفَةٌ مِنْ مَنْهَلِ أُصُولِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ مَنْدَلِ وُصُولِهِمْ

وَأَجْمَعُوا أَنْ لَيْسَ مِنْ وُصُوْلِ		إِلاَّ بِحِفْظِ الشَّرْعِ وَالأُصُوْلِ
وَكَنْسِ سِرِّ السِّرِ عَنْ فُضُوْلِ		لِيَسْتَعِدَّ القَلْبُ لِلإِفْضَالِ

❋❋❋

وَالشَّرْطُ تَطْهِيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ		عَنْ كُلِّ طَبْعٍ نَاقِصٍ وَرِجْسِ
لِيَنْجَلِيْ فِي كُلِّ وَصْفٍ قُدْسِيْ		وَيَعْتَلِيْ فِي طَلْعَةِ الكَمَالِ

❋❋❋

وَإِنَّهُ لا بَابَ لِلسَّعَادَهْ		إِلَّا اتِّبَاعُ العِلْمِ وَالعِبَادَهْ
مَعَ العُبُوْدِيَّةِ وَالزَّهَادَهْ		وَالجِدِّ فِي الأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ

❋❋❋

كَأَنْ يُدِيْمَ الذِّكْرَ بِالحُضُوْرِ		بِغَفْلَةٍ عَمَّا سِوَى المَذْكُوْرِ
بِحَيْثُ يُغْنِي العَبْدَ[1] عَنْ شُعُوْرِ		بِنَفْسِهِ أَو ذِكْرِهِ أَوْ حَالِ

❋❋❋

وَقَلَّ نَيْلُ هَذِهِ المَعَانِيْ		إِلاَّ إِذَا مُدَّتْ قُوَى المُعَانِيْ

---

(١) في نسخة: يفنى العبدُ.

بِنُوْرِ سِرٍّ جَاذِبٍ رَبَّانِيْ يَرْقَى بِهِ العَبْدُ لِكُلِّ عَالِيْ

* * *

وَنَيْلِهِ مِنْ صُحْبَةِ الأَخْيَارِ أَوْ فِي لُزُوْمِ الذِّكْرِ بِاسْتِهْتَارِ
أَوْ بِارْتِقَابِ الحَقِّ بِالأَسْرَارِ فِيْ سَائِرِ الحَالاتِ وَالأَفْعَالِ

* * *

فَاطْلُبْ لِقَا الشَّيْخِ بِكُلِّ حِيْلَةْ فَهْوَ المُرَادُ بِابْتِغَا الوَسِيْلَةْ
مَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْخٌ هُدًى دَلِيْلَةْ فَشَيْخُهُ الشَّيْطَانُ فِي الخَيَالِ

* * *

وَهْوَ إِمَامٌ كَامِلُ الطَّرِيْقَةْ يَعْلَمُ سِرَّ الشَّرْعِ وَالحَقِيْقَةْ
يَعْرِفُ طَبْعَ النَّاسِ وَالخَلِيْقَةْ وَمَا لِكُلِّ طَالِبٍ مِنْ بَالِ

* * *

عَنْ إِذْنِ شَيْخٍ كَامِلٍ مَأْمُوْرْ لَمْ يُلْهِهِ عَنْ شُغْلِهِ الحُضُوْرْ
وَعَكْسُهُ ذُو هَيْبَةٍ وَقُوْرْ يَظْهَرُ عنهُ أَشْرَفُ الخِلالِ[1]

* * *

قَدْ ذَاقَ جِدَّ السَّيْرِ فِي الطَّرِيْقِ حَتَّى أَتَتْهُ جَذْبَةُ التَّوْفِيْقِ
تُبِينُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّعْوِيْقِ لَهُ مَبَانِيْ القَطْعِ وَالإِيْصَالِ

* * *

إِلَى طَرِيْقِ الفَيْضِ وَالمَزِيْدِ يُرْشِدُ كُلُّ صَادِقٍ مُرِيْدِ

---

(١) في نسخة: الخصال.

بِضَبْطِهِ الأَنْفَاسَ وَالتَّقْيِيْدِ   لَهُ بِأَوْلَى السَّيْرِ وَالتَّرْحَالِ

* * *

يَحْمِيْهِ عَنْ إِثْمٍ وَعَنْ مُلِمَّةْ   وَمَنْقَصٍ وَرُبَّمَا بِالهِمَّةْ
يُلْبِسُهُ ثَوْبَ تُقًى وَعِصْمَةْ   فَيَرْتَدِي بِأَشْرَفِ الخِصَالِ

* * *

وَيُظْهِرُ المُرِيْدُ كُلَّ خَاطِرْ   مُسَلِّماً لِحُكْمِهِ مُبَادِرْ
لأَمْرِهِ مُعَظِّماً وَنَاظِرْ   إِلَيْهِ بِالفَضْلِ وَبِالإِجْلالِ

* * *

يَشْهَد أَنَّ الحَقَّ مَا يَقْضِيْهِ   بِحَيْثُ يرضى الله ما يُرْضِيْهِ
بِكُلِّ حَالٍ فَهْوَ مَعْهُ فِيْهِ   كَحَالَةِ المَيْتِ مَعَ الْغَسَّالِ

* * *

فَمَنْ إلى الشَّيْخِ هَدَاهُ رَبُّهْ   فَقَدْ بَدَا كَمَالُهُ وَقُرْبُهْ
إن احْتَوَى عَلَى وَلاهُ قُرْبُهْ   ثَمَّ اقْتَدَى بِسَيْرِهِ مُوَالِيْ

* * *

إِنْ هَبَّ بِالصِّدْقِ إلى المَعْلُوْمِ   مِنْ نَوْمَةِ العَادَاتِ وَالرُّسُوْمِ
ثُمَّ اقْتَدَى رَسْمَ طَرِيْقِ القَوْمِ   فَقَدْ دَنَا مِنْ وَصْلَةِ الوِصَالِ

* * *

(١٧)

رَشْفَةٌ مِنْ بَحْرِ مَقَامَاتِهِم الْعَلِيَّة
وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ أَحْوَالِهِمْ الجَلِيَّة

إِذَا دَعَــاهُ وَارِدُ الإِرَادَةْ وَسَلَّمَ الأَمْرَ لِمَا أَرَادَهْ
فَصَارَ فِي الإِخْلاصِ وَالعِبَادَةْ وَجَانَبَ الأَحْدَاثَ بِاعْتِزَالِ

***

فَشَاهَدَ الأَلْطَافَ مِنْ لَطِيْفِ بِكُلِّ سِرٍّ بَاهِرٍ مُنِيْفِ
وَذَاقَ مَعْنَى قُرْبِهِ الشَّرِيْفِ فِي كُلِّ نُوْرٍ مِنْ سَنَى الجَمَالِ

***

ثُمَّ اهْتَدَى بِالتَّوْبَةِ القُدْسِيَّةْ لِقَمْعِ كُلِّ شَهْوَةٍ نَفْسِيَّةْ
وَقَطْعِ كُلِّ عَادَةٍ حِسْيَّةْ وَحِفْظِ حُكْمِ وَقْتِهِ وَالحَالِ

***

فَذَاقَ رُوحَ الحُبِّ مِنْ حَبِيْبِ وَشَمَّ مَعْنَى القُرْبِ مِنْ قَرِيْبِ
وَصَارَ أَوْلَى مُجْتَبِ مُجِيْبِ فِيْهِ اسْتَلَذَّ سَائِرَ الأَهْوَالِ

***

ثُمَّ اسْتَوَى فِي الوَرَعِ المَحْكُوْمِ عَنْ كُلِّ مَعْنَى شُبْهَةٍ أَو لَوْمِ
بِحِفْظِ حَقِّ الوَقْتِ وَالعُلُوْمِ وَصَوْنِهِ القَلْبَ عَنِ اخْتِلالِ

***

فَهَاجَـهُ شَـوْقٌ سَرَى بِلُبِّـهْ إِلَى لَطِيْـفِ لُطْفِـهِ وَحُبِّـهْ
فَارْتَـاحَ مَعْنَـى سِرِّهِ في قُرْبِهْ وَذَاقَ مِنْـهُ نَسْـمَةَ الوِصَـالِ

* * *

ثُمَّ ارْتَقَـى في الزُّهْدِ في مَعَانِيْ بِهَـا رَمَـى كُلَّ دَنِـيٍّ فَانِـيْ
ثُمَّ اسْـتَوَى جَوَاهِـرُ الأَثْمَانِ لَدَيْـهِ وَالـتِّرْبُ بِـلا احْتِفَالِ

* * *

فَصَارَ عَطْشَـاناً عَظِيْمَ الشَّوْقِ لِنَفْحَةِ الوَصْلِ قَوِيمَ الذَّوْقِ
تُزْعِجُـهُ لَوَاعِـجُ الـبُرُوْقِ لِقَصْدِ كَشْـفِ بُرْقُـعِ الجَمَالِ

* * *

ثُـمَّ اعْتَـلَى في فَقْـرِهِ المَصُوْنِ عَلَى الغِنَا عَنْ كُلِّ مَعْنىً كَوْنِيْ
فَلَمْ يُبَلْ بِالوَصْلِ أَوْ بِالبَوْنِ بَلْ صَارَ في الحُبِّ بِكُلِّ حَالِ

* * *

فَغَـابَ في مَوْلاهُ عَـنْ مُرَادِهْ وَالفَرْقُ اسْـتَوْلَى عَـلَى فُؤَادِهْ
فَنَسِـيَ المَعْلُوْمَ مِـنْ أَوْرَادِهْ وَصَارَ كُلُّ الرَّسْمِ في اضْمِحْلالِ

* * *

ثُـمَّ فَنِي بِالصَّبْرِ عَـنْ دَعْوَاهُ وَفَرَّ في المَحْبُوْبِ عَنْ شَكْوَاهُ
وَقَـرَّ تَحْـتَ القَهْـرِ في بَلْـوَاهُ حَتَى اسْتَلَذَّ الهَجْرَ كَالإِقْبَالِ

* * *

فَفَاحَ عِطْرُ الحَقِّ مِنْ أَعْطَافِهْ وَفَاضَ سَيْلُ الرِّفْقِ مِنْ أَلْطَافِهْ

وَشُكْرُهُ اسْتَوْلَى عَلَى أَوْصَافِهْ فَبَاحَ بِالغَيْبِ وَبِالنَّوَالِ

* * *

ثُمَّ التَجَا لِحِلْمِهِ وَعِلْمِهْ تَوَكُّلاً لَـمَّا قَضَى فِي حُكْمِهْ
وَرَاضِياً فِيمَا ارْتَضَى مِنْ حَتْمِهْ مُرْتَقِباً لِلْفَيْضِ بِالإِفْضَالِ

* * *

فَذَاقَ طِيْبَ الصَّحْوِ بِاسْتِرْوَاحِ رَوْحِ الهَنَا وَالوَصْلِ وَالكِفَاحِ
وَقَرَّ بِالتَّمْكِيْنِ فِي الفَلاحِ فَلَمْ يَزِغْ فِي طَلْعَةِ الجَلالِ

* * *

ثُمَّ اطْمَأَنَّ فِي الرِّضَا فِي السِّرِ فِيْ كُلِّ أَمْرٍ طَيِّبٍ أو مُرِّ
وَلِلبِلا اسْتَحْلَى وَمَسِّ الضُّرِّ وَحَالُهُ الشُّكْرُ بِلا احْتِيَالِ

* * *

فَهَامَ قَلْباً فِي مَعَانِيْ الحُبِّ وَطَابَ لُبّاً فِي رِيَاضِ القُرْبِ
وَغَابَ عَنْ كُلِّ عَطَاً أَوْ سَلْبِ شُغْلاً بِـمَا عَايَنَهُ بِالبَالِ

* * *

فَانْطَمَسَتْ تَحْتَ شِعَاعِ القُدْسِ أَحْوَالُهُ فِي غَيْبِ طِيبِ الأُنسِ
فَغَابَ عَنْ كُلِّ وُجُوْدٍ حِسِّيْ وَصَارَ فِي وَصْلٍ عَلَى اتِّصَالِ

* * *

ثُمَّ سَقِيْ فِي الحُبِّ مَعْنَى النَّفْعِ وَعَادَ فِي شَأْنِ البَقَا وَالجَمْعِ

فِيْ خِلْعَةِ التَّمْكِيْنِ(١) بَعْدَ الخَلْعِ مِـنْ قَبْلِهَـا لِسَـائِرِ الأَحْوَالِ

***

وَغَـابَ فِي أَسْرَارِهَـا المُنِيْرَهْ غَيْبَـةَ أَخْـذِ جَهْـرَةً بِغَـيْرَهْ
ذَاقَ بِهَـا مَعْرِفَـةً فِي حَـيْرَهْ يَذُوْقُ فِيْهَا كُلَّ شُرْبِ(٢) حَالِيْ

***

فَهَامَ فِي سُـكْرِ مَعَـانِي الذِّكْرِ وَعَامَ فِي بَحْرِ حَلاوَى الفِكْرِ
وَحَارَ قَلْبَاً عِنْدَ كَشْفِ السِّتْرِ أَوْ صَارَ غَيْبَاً فِي سَنَى الجَمَالِ

***

ثُمَّ اجْتَنَـى مَعَارِفَ التَّوْحِيْدِ مِنْ ثَمَـرَاتِ الجِدِّ وَالتَّجْرِيْدِ
فَأَفْـرَدَ الحَـقَّ بِـلا تَقْيِيْـدِ وَحقَّـقَ الحَـقَّ بِـلا أَمْثَـالِ

***

فَشَـاهَدَ الأَغْيَـارَ كَالمَعْـدُوْمِ وَلَيْـسَ إِلاَّ عِـزَّةَ القَيُّـوْمِ
وَلَمْ يَـزَلْ بِالحَـقِّ فِي عُلُـومِ فِي كُلِّ تَفْصِيـلٍ بِلا انْفِصَالِ

***

فَتَـارَةً يَـبْهَـرُهُ جَـلالُـهْ وَرُبَّمَـا تَـقْـهَـرُهُ أَفْعَالُـهْ
وَتَـارَةً يُبْهِجُـهُ جَمَـالُـهْ فِي كُلِّ مَـا يَأْتِيْـهِ مِـنْ نَـوالِ

* * *

---

(١) في نسخة: التكميل.

(٢) كذا في (ب)، وفي (أ): شرب كل.

(١٨)

رَشْفَةٌ فِي مِسْكِ خِتَامِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبِ إِكْرَامِهِمْ

خَاتِمَةٌ ذُو الهِمَّـةِ الدِّيْنِيَّـةْ   لا يَرْتَضِـي بِحَالَـةٍ دَنِيَّـةْ
بَـلْ يطلبُ المَكَارِمَ السَّنِيَّةْ   يَسْـهَرُ فِي تَحْصِيْلِهَـا اللَّيَـالِيْ

* * *

وَيَقْطَعُ التَّسْـوِيفَ وَالتَّوَانِيْ   فِي قَصْدِهِ القُرْبَ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَيَرْتَقِـي بِالـبِرِّ وَالإِحْسَـانِ   إِلَى اعْتِـلَا كُلِّ مَقَـامٍ عَـالِيْ

* * *

وَلا يَـزَالُ مخبِتـاً لِرَبِّـهْ   مُسْـتَغْفِراً مِـنْ رَيْبِـهِ وَذَنْبِـهْ
مُعَـوِّلاً عَـلَى حَيَـاةِ قَلْبِـهْ   بِذِكْـرِهِ مَــوْلاهُ بِابْتِهَــالِ

* * *

مُجْتَهِـداً بِالصِّـدْقِ فِي إِقْبَالِـهْ   وَقَصْـدِ وَجْهِ الحَقِّ فِي أَعْمَالِهْ
وَحِفْـظِ عَـيْنِ قَلْبِـهِ وَبَالِـهْ   مِنْ ظُلْمَـةِ الأَوْهَامِ وَالخَيَالِ

* * *

يَغْرِسُ بِالتَّوْحِيْدِ مَعْنَى الدِّيْنِ   فِيْ قَلْبِـهِ بِغَايَـةِ التَّمْكِـيْنِ
لِيَـمْتَلِـي بِالنُّـوْرِ وَاليَقِـيْـنِ   وَيَكْتَسِي مِنْ أَحْسَنِ الأَحْوَالِ

* * *

وَلْيَخْشَ مِنْ فَرْطِ الهَوَى وَالشَّهْوَةْ ... وَمِنْ تَمَادِي غَفْلَةٍ وَقَسْوَةْ
ذَهَابَ مَعْنَى الدِّيْنِ وَالفُتُوَّةْ ... مِنْ حُبِّهِ المَالَ بِمَوْتِ البَالِ

* * *

فَلْيَفْتَقِدْ أَحْوَالَهُ فِي نَفْسِهْ ... وَالفَرْقَ بَيْنَ يَوْمِهِ وَأَمْسِهْ
وَلْيَغْتَنِمْ قَبْلَ حُلُوْلِ رَمْسِهْ ... بُلُوْغَ مَا يُنْجِيْهِ فِي المَآلِ

* * *

فَإِنَّ حَالَ الْقَلْبِ وَالضَّمِيرِ ... يُعْرَفُ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالتَّذْكِيْرِ
فَهْوَ إِذَا لَمْ يَخْشَ مِنْ تَحْذِيْرِ ... وَلَمْ يَكُنْ بِالذِّكْرِ ذَو اعْتِلالِ

* * *

لأَنَّ وَصْفَ صَاحِبِ الإِيْمَانِ ... خُشُوْعُهُ بِالذِّكْرِ وَالقُرْآنِ
وَنَفْعُهُ بِالْوَعْظِ وَالْبَيَانِ ... وَخَوْفُهُ مِنْ بَطْشِ ذِي الْجَلالِ

* * *

وَحَقُّ ذِي الإِخْلاصِ وَالسَّعَادَةْ ... فِي سَائِرِ الطَّاعَاتِ وَالعِبَادَةْ
أَنْ يَجِدِ الإِيْمَانَ فِي زِيَادَةْ ... فِي كُلِّ مَا زَادَ مِنَ الأَعْمَالِ

* * *

وَأَنْ يَكُوْنَ طَيِّبَ الجَنَانِ ... مُجْتَنِباً لِلإِثْمِ وَالعِصْيَانِ
وَطَاهِرَ الأَوْصَافِ وَاللِّسَانِ ... مُجَانِباً لِلْفُحْشِ فِي الأَقْوَالِ

* * *

فَكُلُّ عَبْدٍ لَمْ يَصُنْهُ دِيْنُهْ ... وَلَمْ يَزِدْ بِطَاعَةٍ يَقِيْنُهْ

وَقَلْبُهُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ رَيْنُهْ مِنْ قِلَّةِ الدِّيْنِ بِلا إِشْكَالِ

* * *

فَلْيَجْتَهِدْ في سَائِرِ الْأَوْقَاتِ قَبْلَ هُجُوْمِ المَوْتِ وَالفَوَاتِ
وَلْيَغْتَنِمْ فَوَائِدَ الطَّاعَاتِ وَلْيَسْتَقِمْ فِي قِبْلَةِ الإِقْبَالِ

* * *

وَلْيَكُنِ الحَقُّ افْتِتَاحَ فِكْرِهْ وَخَتْمَهُ فيمَا بَدَا مِنْ ذِكْرِهْ
أَوْ مَا خَفِي فِي جَهْرِهِ وَسِرِّهْ فِيْ سَائِرِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

* * *

مُعْتَمِداً فِي هَمِّهِ عَلَيْهِ وَطَالِباً لِلْخَيْرِ مِنْ يَدَيْهِ
وَنَاظِراً مُرَاقِباً إِلَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فِي الإِجْلالِ

* * *

مُسَافِراً بِفِكْرِهِ فِي كَوْنِهْ يَرَى ظُهُوْرَ الحَقِّ فِي بُطُوْنِهْ
وَحِكْمَةَ الإِبْدَاعِ فِي فُنُوْنِهْ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ سَنَى الجَمَالِ

* * *

يَرَى لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةْ تَهْدِيْ إِلَى التَّوْحِيْدِ وَالهِدَايَةْ
تَبْدُو لأَهْلِ الفَهْمِ قَبْلَ الغَايَةْ وَبَعْدَهَا فِي سَابِقٍ وَتَالِي

* * *

فَلْيَلْتَجِيْ العَبْدُ إِلى غَفَّارِ يَطْلُبُهُ بِأَبْلَغِ افْتِقَارِ
مَلازِماً بِأَعْظَمِ انْكِسَارِ مُعْتَرِفاً بِالعَجْزِ وَالإِقْلالِ

* * *

فَإِنَّـهُ إِنْ دَامَ فِي الأَذْكَـارِ   وَلازَمَ الإِمْعَـانَ بِالأَفْكَـارِ
فَسَـوْفَ يَأْتِي الفَتْحُ بِالأَنْوارِ   وَالمَنْحِ بِالأَسْـرَارِ وَالمنَالِ

* * *

فَلَـمْ تَزَلْ مِنْ نَفَحَاتِ الجُوْدِ   وَوَابِلِ الأَلْطَافِ فِي الوُجُوْدِ
هَوَاطِلٌ جَلَّـتْ عَنِ الحدُوْدِ   تُبَلِّـغُ الآمَـالَ ذَا الآمَـالِ

* * *

وَالحَمْـدُ للـه عَلَـى إِكْمَالِ   لِرَشَفَاتِ المَشْـرَبِ الإِفْضَالِ
وَنَسَمَاتِ القُرْبِ وَالإِيْصَالِ   ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَبَدِيْ
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وَمَنْ هُدِيْ   حَمْداً يُـوَافِي الفَضْلَ بِالْكَمَالِ

* * *

ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَبَدِي   عَـلَى النَّبِـيِّ الهَاشِـمِيْ مُحَمَّدِ
بِهَدْيِـهِ إِلَى مَقَـامٍ عَـالِيْ   حَمْداً يُـوَافِي الفَضْلَ بِالكَمَالِ
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وَمَـنْ هُدِي   بِهَدْيِـهِ إِلـى مَقَـامٍ عَـالِ

تمت بحمد الله وعونه

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع — الصفحة

(١٣) تحفة المحبين المجتهدين في فضل المجاهدين لأعداء الدين

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

(١٤) فتح الخلاق: شرح عقد الميثاق على محاسن الأخلاق

الموضوع الصفحة

(١٥) رفع الأستار شرح القصيدة المسمّاة «مفتاح الأسرار في تنزّل الأنوار»

(١٦) منظومة يُمْنَـةُ الـمُدَارِسِ وزِينةُ الـمَدَارِس

(١٧) منظومة عُمدَةُ المحقِّقِ في أصول الدين

الموضوع الصفحة

(١٨) منهَجُ الحقِّ الرّشيدِ وبُلغَة المريدِ نظم «رسالة المريد»

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

الفهـرس الإجمالي

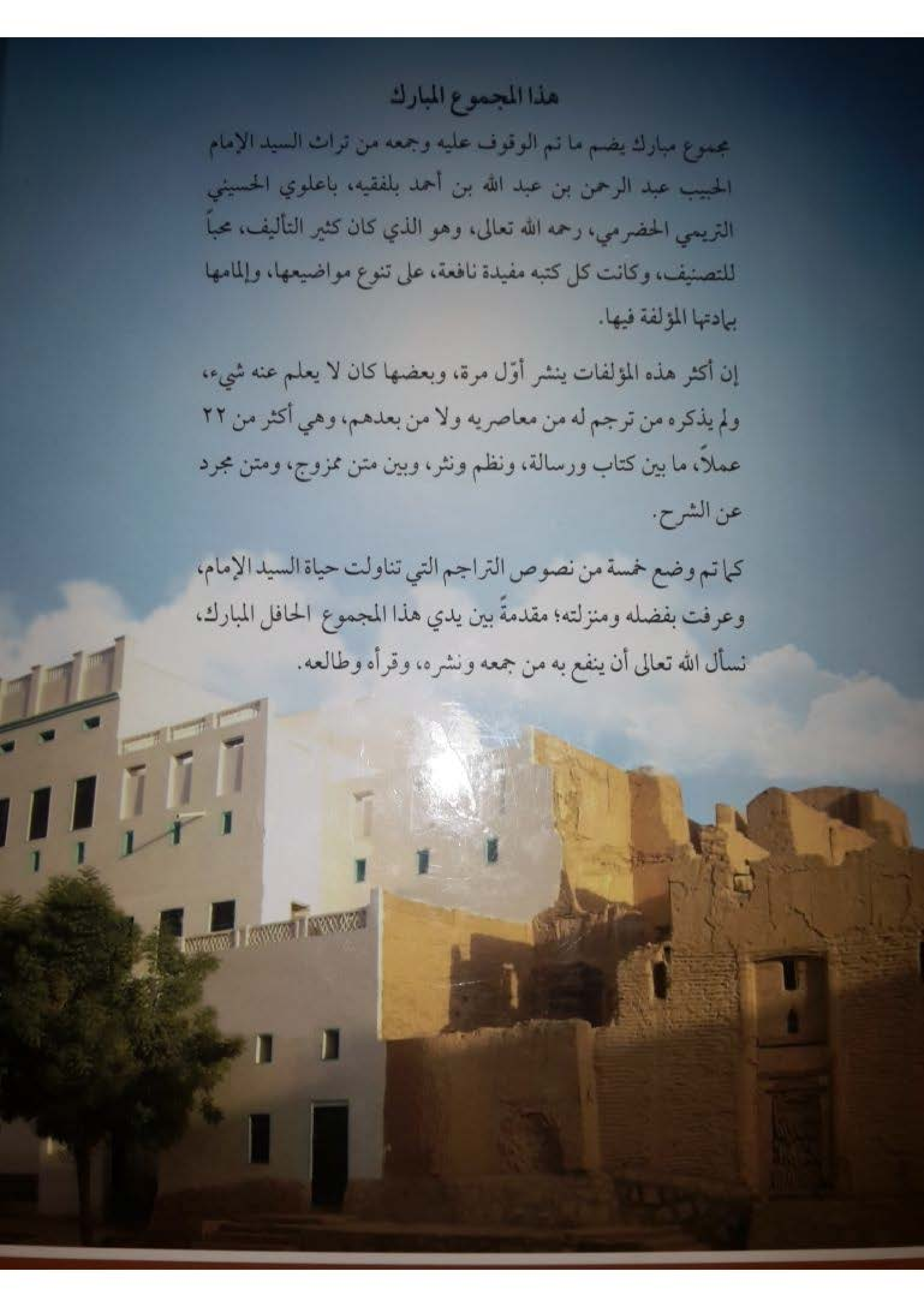
الصفحة الموضوع

المجلد الأول

الموضوع الصفحة

المجلد الثاني

❋ ❋ ❋



هذا المجموع المبارك

مجموع مبارك يضم ما تم الوقوف عليه وجمعه من تراث السيد الإمام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه، باعلوي الحسيني التريمي الحضرمي، رحمه الله تعالى، وهو الذي كان كثير التأليف، محباً للتصنيف، وكانت كل كتبه مفيدة نافعة، على تنوع مواضيعها، وإلمامها بمادتها المؤلفة فيها.

إن أكثر هذه المؤلفات ينشر أوّل مرة، وبعضها كان لا يعلم عنه شيء، ولم يذكره من ترجم له من معاصريه ولا من بعدهم، وهي أكثر من ٢٢ عملاً، ما بين كتاب ورسالة، ونظم ونثر، وبين متن ممزوج، ومتن مجرد عن الشرح.

كما تم وضع خمسة من نصوص التراجم التي تناولت حياة السيد الإمام، وعرفت بفضله ومنزلته؛ مقدمةً بين يدي هذا المجموع الحافل المبارك، نسأل الله تعالى أن ينفع به من جمعه ونشره، وقرأه وطالعه.